شرح
نهج البلاغة

للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

تاليف

يحيى بن الحسن الجلال

تحقيق

مُحَمَّد جواد الحسيني الجلالي

(جزء ٥)



The Open School
P.O. BOX 53573
CHICAGO, IL 60653-0398

هوية الكتاب

الكتاب: شرح نهج البلاغة للإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام

تأليف : السيد محمّد حسين الجلالي

تحقيق : محمّد جواد الحسيني الجلالي

الطبعة: الاولى ١٤٢٢هـ

الفلم والالواح الحساسة: زنكغراف قم

الناشر: المحقق

الكمية المطبوعة: ١٠٠٠ نسخة

صف الحروف والإخراج الفني :



القسم الثالث

حكم

امير المؤمنين (ع)

باب
الحكم والمواعظ

بابُ المختار
مِنْ حكِمِ اميرالمؤمنين عليه السَّلام ومواعظه
وَيَدْخُل فِي ذلِكَ ٱلمختار[1] مِن أجوبة مسائله
وَالْكلامُ القَصير الخارج فِي سائر أغراضه

أعلم أن هذا الباب من كتابنا كالروح من البدن ، والسواد من العين ، وهو الدرة المكنونة التي سائر الكتاب صدفها ، وربما وقع فيه تكرار لبعض ما تقدم يسير جدا ، وسبب ذلك طول الكتاب وبعد أطرافه عن الذهن ، وإذا كان الرضي رحمه الله قدسها فكرر في مواضع كثيرة في "نهج البلاغة" على اختصاره كنا نحن في تكرار يسير في كتابنا الطويل أعذر».[2]

(١) في أ: والمختار.
(٢) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٨ : ٨١.

[١]

قالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

كُنْ فِي ٱلْفِتْنَةِ كَابْنِ ٱللَّبُونِ لا ظَهْرٌ فَيُرْكَبَ، وَلاضَرْعٌ فَيُحْلَبَ[١].

(ح ـ ١) عند الامتحان:

(الفتنة: الامتحان واطلقت على اختلاف الاراء المؤدى إلى التحزّب، ثمّ القتال.

واللبون: النافلة الحلوب، وابن اللبون: ولد الناقة الذكر في الثالثه من العمر.

عند الامتحان والاختبار في الحياة يجب أن يركز الإنسان على دوره المطلوب وهو ان يفتش لمعرفة واجبه الاسلامي من دون محاباة، واذا ظهرت له الحقيقة وتمكن من معرفة الحق فيجب أن يعمل بواجبه ويسير على الطريق لاتأخذه لومة لائم، أو دعاية عدوّ غاشم أو تهديد جاهل ظالم.

واما اذا لم تظهر له الحقيقة ولم يتمكن من التمييز بين الحق والباطل فحينئذ يجب عليه ان يمتنع من امرين حتّى تظهر الحقيقة وهما:

اولا: المساعدة العملية.

وثانيا: المساعدة المادية لاحد الجانبين حتّى تظهر الحقيقة، فلا يكون مركباً، وجسراً يعبر عليه، ولا يؤخذ ماله في سبيل مآرب الآخرين، كلّ ذلك حتّى تظهر له الحقيقة، فاذا ظهرت فيجب أن ياخذ قراراً حاسماً، والحكيم من يعتبر بالتاريخ ولا يطول عنده دور الامتحان.

فى حالة الفتنة يجب التحفظ من الوقوع في فخ الدعايات والعواطف، بأن يكون محايداً حتّى تظهر الحقيقة كابن اللبون فإنّه ذكر. فليس له ضرع فيحلب، وفي نفس الوقت لصغر عمره ليس له ظهر قوي كالجمل ليمكن الحمل على ظهره بالركوب أو النقل، بل يترك وحاله حتّى يصبح قادراً على الجهد والنقل.

---

(١) في هـ. أ: في نسخة: فيحتلب.

[٢]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

أَزْرى[١] بِنَفْسِهِ مَنِ ٱسْتَشْعَرَ[٢] ٱلطَّمَعَ، وَرَضِيَ بِالذُّلِّ[٣] مَن كَشَفَ[٤] ضُرَّهُ، وَهانَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ مَنْ أَمَّرَ عَلَيْها لِسانَهُ[٥].

(ح ـ ٢) تكامل النفس:

(الازراء: التحقير، والاشعار: ما يتخذ علامة وعادة، والطمع: توقع مالا يستحق).

تتولد الثقة بالنفس من التكامل ولا تتحق هذه الثقة والتكامل النفسي إلّا بالابتعاد عن امور ثلاثة، هي: ١ ـ الطمع، و ٢ ـ الذل، و ٣ ـ الاكثار من الكلام الكاشف عنها في قلب الانسان.

فالذى يجعل الطمع شعاراً لنفسه في حياته بجعل نفسه حقيراً؛ لكونه للطمع اسيراً، والذي يبدي حاجته للاخرين يجعل نفسه ذليلاً لهم؛ لمعرفتهم بنقاط الضعف فيه، والذي يطلق عنان لسانه يجلب الخزي لنفسه؛ اذ تظهر شخصيته من خلال فلتاف لسانه.

فالواثق بنفسه يبتعد عما يجعله تحت رحمة غيره، وهذا الثالوث القذر يجعل الإنسان في مرتبة لا يمكنه التحكم في حياة نفسه.

فلان الطمع مرض فكري، والرضا بالذل انحراف عملي، وعدم ضبط اللسان انحراف قولي.

قال الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ)، ما نصّه:

قال عليه السلام: اخمل نفسك أيام الفتنة، وكن ضعيفا مغموراً بين النّاس لا تصلح لهم بنفسك ولا بمالك ولا تنصر هؤلاء وهؤلاء.[٦]

---

(١) في هـ. ب: أي حقّرها.
(٢) في هـ. ص: أي جعله شعاره، أي: لازمه.
(٣) في هـ. د: بالضر ـ م، وفي هامش م : بالذلّ.
(٤) في هـ. ص: أي من شكى فقره وضرّه الي الناس.
(٥) في هـ. ص: أي من جعل لسانه مالكاً لأمره أي أطلقه ولم يحفظه فجرت عليه أحكامه.
(٦) شرح النهج ١٨ :٨٣.

قال الجلالي: وكلامهﷺ متين مع الاستدراك بأن هذه الحالة إنّما هي لمعرفة الحقيقة، وبعد أن تتضح يجب العمل على مقتضاها الاسلامي والانسانيّ، ولولا ذلك لسقطت المسؤولية الاجتماعية في الاسلام، وهي مسلمة بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر.

[٣]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

ٱلْبُخْلُ[١] عارٌ، وَٱلْجُبْنُ مَنْقَصَةٌ، وَٱلْفَقْرُ يُخْرِسُ ٱلْفَطِنَ عَنْ حُجَّتِهِ[٢]، وَٱلْمُقِلُّ غَرِيبٌ فِي بَلْدَتِهِ[٣].

(ح ـ ٣) البخل وآثاره:

(البخل: الامتناع من الشئ مع القدرة عليه، والجبن: الخوف الشديد، والفقر: الحاجة إلى مابه الكفاية المادية).

هذه الحكم نظم اربع حكم قصار منتقاة من كلامهﷺ، يكفي وصفها بكلمه واحدة أو جملة قصيرة كلها آثار الفقر.

١ ـ البخل عار؛ لأنّه نقص في النفس، حيث لا يشعر بحاجة الآخرين.

٢ ـ الجبن منقصة في النفس؛ لأنّ الجبن خوف مما لاينبغي أن يخاف منه.

٣ ـ الفقر له اثر اجتماعي على الفقير، فلا يتمكن الفقير الفطن العاقل والواعي للمعادلات الاجتماعية أن يتكلم بحجته، وستكون مرفوضة من المجتمع الحاكم لا لشئ سوى فقره وبحكم يقظته وعقله يرى أن السكوت افضل حيث ليس هناك من يسانده.

---

(١) في أ ب ص: والبخل، والعبارة متصلة بما قبلها.

(٢) في ط: حاجته، وفي هـ. د: حاجته ـ ح. وفي هـ. ص: قال بعض الزّهاد: إبدأ برعيّتك فاحرزها ثم تعبّد.

(٣) في ب: بلده.

هذا، وقد أورد المؤلف في ذيلٍ هذه الحكمة الحكم ٤ و٥ و ٦ و٧، كلّها مع حرف العطف «و»، ولما كان شرحه مفصّلاً ومترتباً حسب تسلسل ورود الحكم فرّقنا بين الحكم بجعل شرح كل حكمة في ذيلها، حسب ما ورد في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد مع الاشارة الى مواضع الاختلاف في النسخ.

٤ ـ ومن ليس له المال الكافي لا يجتمع لديه اصحاب الاطماع كالشخص الغريب الذي لا يعرف في الغربة، المقل في الوطن لا يحب أن يختلط به اصحاب بلدته.

هذه حالة يستحبها البعض ويكرهها اخرون. وهناك من يحب الاصحاب وان كانوا كالذباب يجتمعون على الحلوى ولا يرون عند البلوى، وهناك الاصحاب ذوي الالباب يتحاشون الذئاب في ثياب الاحباب، وكل من البخل والجبن وقلة الاصحاب من آثار الفقر.

[٤]

اَلْعَجْزُ[١] آفَةٌ، وَالصَّبْرُ شَجاعَةٌ، وَالزُّهْدُ ثَرْوَةٌ[٢]، وَالْوَرَعُ جُنَّةٌ، وِنِعْمَ الْقَرِينُ الرِّضَا[٣].

(ح ـ ٤) **العجز واضداده:**

(العجز: الضعف وعدم القدرة، والثروة: المال، والجنّة: الوقاية، والقرين: الصاحب).

في هذه الحكمة جاءت خصلة رذيلة واحدة هي العجز، وخصال تضادها، فالعجز عاهة ومرض نفسي يسبب فساداً للانسان في سلوكه ونظرته إلى الحياة، ويجب أن تقاوم بخصال تنقذه من هذه النظرة، وترشده الى السلوك الافضل، وذلك بالصبر والزهد والورع والرضا، وهي صفات تتطلب قراراً حازماً من الإنسان في حياته، واهمالها يعتبر مرضا وعاهة يجب مقاومته، فالصبر باعتباره مقاومة للنزوات شجاعة، والزهد باعتباره محافظة على ما بيده يعتبر ثروة، والورع باعتباره محافظة على السلامة من الفساد يعتبر وقاية، والرضا يعتبر صاحباً يوحي بالامل والاطمئنان في النفس، على العكس من الضجر والمشاكسة التي لا تنبعث إلّا من العقد النفسية.

---

(١) في أ ب ص د: والعجز، وهذه الحكمة وردت في النسخ متصلة بما قبلها.

(٢) في هـ. ب: مال كثير.

(٣) وردت هذه الفقرة الأخيرة في ضمن الحكمة الآتية هكذا: نعم القرين الرضا والعلم...الخ.

[٥]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

ٱلْعِلمُ[١] وِراثَةٌ كَرِيمَةٌ، وَٱلْآدابُ حُلَلٌ مُجَدَّدَةٌ، وَٱلفِكْرُ مِرآةٌ صافِيَةٌ.

(ح ـ ٥) العلم أساس الحضارة:

الوراثة: انتقال الشيئ من الجيل المتقدم ، والادب :الاخلاق والمعارف، والمرآة: آلة تحكى صورة الشيئ نفسه.

في هذه الحكمة سرد لثلاث حكم متسلسلة تعتبر أساساً لأيّ تقدم في الحياة ، هي:

١ ـ العلم، فليس شيئ اثمن منه كرماً وغلاءً، فهو اعظم واكرم ميراث ترثه الامة.

٢ ـ الادب، فإنّ ما يرثه الجيل من الاداب الحسنة تكون تجديداً للامة في المستقبل.

٣ ـ الفكر، فان نتيجة للعلم والادب يكون الفكر حراً، وبه تنعكس كلّ صور الحياة الماضية التي أدت إلى صياغة الحاضر، وعليها يبتني المستقبل، فلو كان الفكر غير محلى بالادب والعلم لكان مرآة مشوشة لا تعكس الحقيقة كما هي، بل فكرة ناقصة، فلا يكون الفكر كاملاً من دون العلم والادب، فالعلم أساس الحضارة الانسانية، فيكون العلم خير ما يرشد الجيل إلى الاجيال القادمة لتستمر الحضارة الاسلامية جيلا بعد جيل.

[٦]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

صَدْرُ[٢] ٱلْعاقِلِ صُنْدُوقُ سِرِّهِ، وَٱلْبَشاشَةُ حِبالَةُ ٱلْمَوَدَّةِ، وَٱلاحْتِمالُ قَبْر ٱلْعُيُوبِ.

وَرُوِيَ أَنَّهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ قالَ فِي ٱلْعِبارَةِ عَنْ هذَا ٱلْمَعْنى أَيْضاً: ٱلْمُسالَمَةُ خَبْءُ ٱلْعُيُوبِ.

(ح ـ ٦) المودّة واسبابها:

الصندوق: الوعاء الحافظ للاشياء من الخطر، والبشابة: طلاقة الوجه بالابتسامة، والحبالة: الشبكة، والاحتمال: تحمل الشيئ، والمسألة: الاستعطاء، والخباء: الخيمة

---

(١) في أ و ب د: والعلم.
(٢) في أ و ب: وصدر.

والستر.

اورد ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) الفقرة الاخيرة برقم مستقل، وجعلها صبحي الصالح في هذه الحكمة وقد احسن لوحدة موضوعها؛ فإنّ الفقرات الاربع والخمس تدور حول المودة واسبابها، فمن يريد المودة من الآخرين يجب أن يراعي ما يلي:

١ ـ يكون سره محفوظا في صدره، لا يتعدى لغيره، فلو ابدى كلّ ما يجول بصدره لما بقي له صديق.

٢ ـ أن يكون بشوشاً لا عبوساً؛ فإنّ البشاشة وسيلة للمودة والصداقة.

٣ ـ أن يكون متحملاً لما يجده من العيوب ويتغاضى عنها وكأنّه لم يسمع بها ولم يرها ولم يقل شيئاً.

٤ ـ يكون البادي بالسؤال عن الحال والاحوال بما ينبئ عن رغبته الصادقة، فإنّه يخفي العيوب.

٥ ـ يكون غير راضٍ عن نفسه وعمله بدرجة تأبى النقد النزيه؛ اذ لا عظمة الا لمن عظمه الله تعالى، فكل من هذه النقاط تعتبر سببا لتكوين المودة.

[٧]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

وَٱلصَّدَقَةُ دَواءٌ مُنْجِحٌ، وَأَعْمالُ ٱلْعِبادِ فِي عاجِلِهِمْ نُصْبُ أَعْيُنِهِمْ فِي آجِلِهِمْ.

(ح ـ ٧) **الصدقة وآثارها:**

الصدقة ما يبذل بصدق لامره تعالى بالانفاق، والمنجح: الغالب والمؤثر.

هذه الحكمة تشير إلى اثر الصدقة في الحياة الدنيا والآخرة. فالصدقة دواء للداء الاجتماعي وهو الفقر، وله اثر غالب في المجتمع؛ اذ يجعل الفقير يشعر بكرامة نفسه وانه عضو من المجتمع، يحن عليه المجتمع حتى ممن لا يربطه به نسب أو حسب، سوى العقيدة بضرورة خدمة المجتمع والعدالة لكل عضو منه، وبالنتيجة لا يفكر الفقير بالسرقة والاحتيال وما شابه.

وبالاضافة إلى ذلك، فان كلّ ما يقدمه المتمكن من الصدقة في الان، سيرى نتيجة عمله في الآخرة، فكما أن الفقير لا ينسى من انقذه من الفقر؛ فإنّ الله سبحانه لا يترك المحسن من دون اجر.

[٨]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

أَعْجَبُوا لِهذَا ٱلْإِنسانِ؛ يَنْظُرُ بِشَحْمٍ، وَيَتَكَلَّمُ بِلَحْمٍ، وَيَسْمَعُ بِعَظْمٍ وَيَتَنَفَّسُ مِنْ خَرْمٍ!

(ح ـ ٨) **الحواس الاربعة:**

الشحم: ما ابيض وخف من الحم الجسم، واللحم ـ هنا ـ: اللسان، والعظم ـ هنا ـ: الصماخ وجوف الاذن، والخرم ـ هنا ـ: الانف.

الإنسان حي بحياة رأسه ودماغه المفكر المسيطر على سائر اعضاء الجسم بواسطة الاعصاب المرتبطة بالمخ في الرأس، كما هو مشروح في الفسيولوجيا، وهذه الحقائق الفسيولوجية لا يعرفها إلّا اهل الاختصاص، واكتفى الإمام بالاشارة إلى حواس اربعة محسوسة لكل انسان دليلا على عظمة خلق الإنسان، وعن هذه الحواس الاربع، قال:

أوّلاً: ـ الباصرة (اعجبوا لهذا الإنسان ينظر بشحم).

العين تبصر من البؤرة السوداء، ولكنها محاطة في تركيبها بالبياض.

ثانياً: اللسان (ويتكلم بلحم) هو اللسان، وهو المعبر الوحيد عن ما يجري في الفكر الانسانيّ.

ثالثاً: الاذن (ويسمع بعظم)؛ فإنّ الصماخ وهي على طبلة الاذن الذي لو اختل لم يتمكن من السماع.

رابعاً: التنفس (ويتنفس من خرم) وهي الانف الذي يقوم بدور التنفس والشم، وتركيبة هذه الحواس الاربعة في الراس يوجب العجب؛ للادوار الهامة التي تناط بكل منها في حياة الانسان.

[٩]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

إِذا أَقْبَلَتِ ٱلدُّنْيا عَلى قَوْمٍ أَعارَتْهُم مَحاسِنَ غَيْرِهِمْ، وَإِذا أَدْبَرَتْ عَنْهُمْ سَلَبَتْهُمْ مَحاسِنَ أَنْفُسِهِمْ[١].

(ح ـ ٩) محاس الناس:

المحاسن: الامور الحسنة في الذات أو الصفات، والاقبال: المجيئ من قبل الوجه من الإمام، والادبار: الاعراض بجعل الشيئ في الوراء والخلف.

ومحاسن الدنيا اما أمور مادية أو أمر اعتباري مرتبط بالماديات كالعناوين الخيالية مثل الرئاسة والزعامة، ولكل انسان في حياته دور النشاط والعمل، والمنتهى إلى خمول الفكر والكسل حتى الموت، ومن سنة الحياة أن نتائج الانشطة المختلفة تنسب إلى من له الشهرة في الشيئ المادي أو الماديات، وعلى سبيل المثال اصحاب السياسات من رؤساء الدول؛ فإنّ لكل دولة خطة عمرانية خمسية أو غيرها من المشاريع، فتطبقها في الدولة وهي من المحاسن المادية وفور موت الرئيس أو الانقلاب عليه يقوم من يخلفه باتمام المشروع الذي كان من قبل فينسب الى الثاني دون الاول.

وهكذا من ادبرت عنه الدنيا، فلو اصبح من المغضوب عليهم لما اعترف احد بخدماته الوطنية؛ فإنّ لكل حاكم ظالم أو عادل خدمات واضرار ومحاسن ومساوئ، والمقياس تختلف في تقديرها.

والحالة نفسها صادقة في غير الدول من الافراد في كافة الطبقات وفي كلّ عصر ومصر، ونعم ما قال الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ)٦٥٦ في المقام:«واعلم أنا قد وجدنا تصديق ما قاله عليه السلام في العلوم والفضائل والخصائص النفسانية ، دع حديث الدنيا والسلطان والرياسة ، فإن المحظوظ من علم أو من فضيلة تضاف إليه شوارد تلك الفضيلة وشوارد ذلك الفن ، مثاله حظ علي عليه السلام من الشجاعة ، ومن الأمثال الحكمية قل أن ترى

---

(١) في أ و ب: إذا أقبلت الدُّنيا على أحد أعارته محاسن غيره وإذا أدبرت عنه سلبته محاسن نفسه، وكذا في هـ. د، عن ش. وفي هـ. أ: في نسخة: كما في المتن.

مثلا شاردا أو كلمة حكمية إلّا وتضيفها الناس إليه وكذلك ما يدعى العامة له من الشجاعة وقتل الابطال حتى يقال : إنه حمل على سبعين ألفا فهزمهم ، وقتل الجن في البئر ، وفتل الطوق في عنق خالد بن الوليد . وكذلك حظ عنترة بن شداد في الشجاعة ، يذكر له من الاخبار ما لم يكن ، وكذلك ما اشتهر به أبو نواس في وصف الخمر ، يضاف إليه من الشعر في هذا الفن ما لم يكن قاله ، وكذلك جود حاتم وعبد الله بن جعفر ونحو ذلك ، وبالعكس من لاحظ له ينفى عنه ما هو حقيقة له ، فقد رأينا كثيرا من الشعر الجيد ينفى عن قائله استحقارا له ، لأنه خامل الذكر ، وينسب إلى غيره ، بل رأينا كتبا مصنفة في فنون من العلوم خمل ذكر مصنفيها ونسبت إلى غيرهم من ذوي النباهة والصيت ، وكل ذلك منسوب إلى الجد والاقبال».[1]

[١٠]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

خالِطُواْ ٱلنّاسَ مُخالَطَةً إِنْ مُتُّمْ مَعَها بَكَوْا عَلَيْكُمْ، وَإِنْ عِشْتُمْ[2] حَنُّوا إِلَيْكُمْ.

(ح ـ ١٠) العلاقة الاجتماعية:

المخالطة: المعاشرة، والحنان: العطف.

الإنسان بحكم كونه مدنيا بالطبع يفتقر إلى علاقات اجتماعية مع الاسرة وغيرها من الطبقات الاجتماعية، ولهذه العلاقات حدود يعتبر تجاوزها تجاوزاً للخطوط الحمراء وتدخلا في شؤون الآخرين، فيجب على الإنسان تجنبها تجنباً كاملاً، ولا يتحقق ذلك إلّا بمعرفة الإنسان حدود نفسه وحدود علاقاته الاجتماعية مع الآخرين التي لا بد وان لا يتجاوز العلاقة المشتركة التي تجمع بينهما من التعليم أو العمل أو الشركة وما شابه، فقال:

أوّلاً: (خالطوا الناس مخالطة إن متم معها بكوا عليكم)؛ لأنّ المعاشرة كانت في حدود الواجبات التي تتطلبها تلك العلاقة الاجتماعية من دون تعد للخطوط الحمراء أو تدخل

(١) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٨ : ١٠٦.
(٢) في أ : غبتم.

في الشؤون الشخصيّة.

ثانياً: (وإن عشتم حنوا إليكم) لما يجدون من الالتزام بواجبات العلاقة الإجتماعية التي تربط بين الطرفين.

وبالنتيجة لو تعدّت العلاقة الاجتماعية هذه الحدود انقلبت العلاقة إلى الضد أو النقيض، واصحبت عداوة بعد أن كانت صداقة.

[١١]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

إِذا قَدَرْتَ عَلى عَدُوِّكَ فَاجْعَلِ ٱلْعَفْوَ عَنْهُ شُكْراً لِلْقُدْرَةِ عَلَيْهِ.

(ح ـ ١١) شكر القدره:

القدرة على أي شئ نعمة يجب شكرها، ولا يعرف قدرها إلّا عند فقدان القدرة بالمرض ونحوه. ومن موارد القدرة: القدرة على العدو؛ فإنّ اصبح عاجزا من المعارضة والاستمرار في العداوة، فللانسان في هذه الحالة خياران: العقاب كما يقتضيه طبيعة العداء، أو العفو الذي امر الله تعالى به بقوله:﴿وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإنّ الله غفور رحيم﴾.[1]

والإمام امر بالعفو؛ لأنّه الطريقة الوحيدة للشكر على القدرة على العدو، والعقوبة ليست شكراً، بل تنكراً للشكر.

[١٢]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

أَعْجَزُ النّاسِ مَنْ عَجَزَ عَنِ ٱكْتِسابِ ٱلإخْوانِ، وَأَعْجَزُ مِنْهُ مَنْ ضَيَّعَ مَنْ ظَفِرَ بِهِ مِنْهُمْ.

(ح ـ ١٢) الاخوان:

---

(١) التغابن : ١٤.

الاخوة في النسب: من يجتمع في بطن واحد، والاخوة في الصحبة: من يجمعهم المبادي والاهداف المشتركة في الحياة، وعدم الحصول على اخ في الصحبة يستلزم احد امرين: أن المبادي والاهداف للانسان خيالية وغير عملية، فلا يشاركه احد، أو أنها قابلة للتطبيق ولكنّه عاجز عن اكتشاف الاخوة المساندين له، وايجاد علاقات الصحبة القائمة على تلك المبادي المشتركة.

ومن عجز عن اكتساب اخ في الصحبة يكون اعجز الناس؛ لأنّ عجزه يكشف اما عن عجز نفسه في معرفة الصلة باصحاب المبادئ المشتركة، أو يكشف عن أن المبادي التي يؤمن بها تنحصر به، ولا يؤمن بها غيره، ولولا ذلك لتمكن من اكتساب من يوافقه في المبادئ المشتركة.

وطبيعي أن وجدان الشئ يفتقر إلى صيانته والمحافظة عليه، فيكون اعجز من الذي يعجز عن كشف الصديق من يضيعه بعد الظفر به؛ فإنّ ذلك يكشف عن جهله أو اهماله بواجبات الاخوة.

[١٣]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

إِذا وَصَلَتْ إِلَيْكُمْ أَطْرافُ النِّعَمِ فَلا تُنَفِّرُوا[١] أَقْصاها بِقِلَّةِ ٱلشُّكْرِ.

(ح ـ ١٣) قلة الشكر:

الطرف: القطعة من الشئ، والنفر: الابعاد، والاقصى: الأبعد.

قرن الله سبحانه بين الشكر والزيادة في النعمة بقوله تعالى:﴿لئن شكرتم لا زيدنكم﴾[٢]، ومقتضى هذه الملازمة زيادة النعمة عند الشكر، ونقصانها عند عدم الشكر. ونعم الله سبحانه على الإنسان لا تحصى، واقلها نعمة الصحة والسلامة والعقل والتفكير

---

(١) في ب و ط : فلا تنفروا، بدون تشديد.
(٢) ابراهيم : ٧.

والحرية، قال تعالى:﴿وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾.(١)

فاذا وصلت للانسان شيئ من النعمة ـ أية نعمة كانت ـ لابدّ من الشكر عليها، ولمن كان سببا مباشرا في وصولها؛ فإنّ عدم الشكر على هذه البادرة لها تستلزم أن يكون سببا لابعاد ما هو ابعد من اجزاء النعمة؛ فإنّ قلة الشكر تكشف عن عدم الاهتمام بالنصيحة، أو عدم التقدير للبادرة، وتقتضي الحالتان عدم المواصلة للنعمة، ونعوذ بالله من النقمة.

قال ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في شرح نهج البلاغة، ما نصّه:«إن الانسان قد ينصره من لا يرجو نصره وإن أهمله أقربوه وخذلوه ، فقد تقوم به الأجانب من الناس ، وقد وجدنا ذلك في حق رسول الله صلى الله عليه وآله ، ضيعه أهله ورهطه من قريش وخذلوه ، وتمالؤوا عليه ، فقام بنصره الأوس والخزرج ، وهم أبعد الناس نسبا منه ، لأنه من عدنان وهم من قحطان ، وكل واحد من الفريقين لا يحب الاخر حتى تحب الأرض الدم . وقامت ربيعة بنصر علي عليه السلام في صفين ، وهم أعداء مضر الذين هم أهله ورهطه ، وقامت اليمن بنصر معاوية في صفين ، وهم أعداء مضر ، وقامت الخراسانية وهم عجم بنصر الدولة العباسية ، وهي دولة العرب . وإذا تأملت السير وجدت هذا كثيراً شائعاً».(٢)

[١٤]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

مَنْ ضَيَّعَهُ ٱلأَقْرَبُ أُتِيحَ لَهُ(٣) ٱلأَبْعَدُ.

(ح ـ ١٤) **النصر من الابعد:**

الضياع: الهلاك، والتوح: التهيؤ.

كل انسان في الحياة يتوقع يد المساعدة في حل المشاكل من اقرب الناس إليه نسبا أو حسباً، ولكن لا يحصل ذلك دائماً، بل قد يواجه من الاقرب رداً غير لائق أو عداءً غير

---

(١) ابراهيم : ٣٤.
(٢) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٨ : ١١٨.
(٣) في هـ. ب: قدم، أو قدر.

سابق، وخاصة فيما اذا كان الطالب ممّن لم يسعد بالعناوين المادية وتجرد عن الالقاب الخياليّة من الطبقات الواطئة في المجتمع، ولكن باب الامل قد ينفتح من الجهة التي لا يتوقعها الإنسان في الحياة، فيقدر الله النصر من الجهات التي لم يتصورها وهم البعداء؛ فإنّ القريب يظن أن الرد سوف يهلك الإنسان، مع أن البعيد بمراقبته لسياسة الاقرب الظالمة يتمكن من مساعدة الإنسان المظلوم من دون مانع، فلو أقدم على المساعدة قبل الرد من القريب لربما اخذ عليه، وبعد الرد لا يكون من عذر، فاذا اغلق الإنسان بابا للمساعدة فتح الابعد الذي يدرس الحقائق باباً.

قال ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في شرح نهج البلاغة، ما نصّه:«هذه الكلمة قالها علي عليه السلام لسعد بن أبي وقاص ومحمّد بن مسلمة وعبد الله ابن عمر لما امتنعوا من الخروج معه لحرب أصحاب الجمل ، ونظيرها أو قريب منها قول أبى الطيب :

فما كل فعال يجازى بفعله ... ولا كل قوال لدى يجاب
وربّ كلام مر فوق مسامعي ... كما طن في لفح الهجير ذباب[1]

[١٥]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

ما كُلُّ مَفْتُونٍ يُعاتَبُ.

(ح - ١٥) الفتنة والعتاب:

الفتنة: الامتحان، والعتاب: اللوم.

ومن حالات الامتحان التي لا يخلو منها حياة أي انسان أنه لا يصح اللوم على اتخاذ قرار حازم في الموقف؛ لان حالة الفتنة بحكم طبيعتها تلازم الشبهة والغموض، فلا يلام فيها على اتخاذ القرار الحازم إلّا لمن كانت له رؤية واضحة للامور بأسبابها ونتائجها، وطبيعيّ انّه طائفة قليلة هم من ابتلي بالامتحان؛ فإنّ الرؤية الواضحة مئة في المئة لا تفتقر

---

(١) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٨ : ١١٩.

إلى الامتحان، فلا عتاب ولا ملام على من ابتلي بالفتنة من الانام، والله سبحانه اعلم بالمرام.

قال ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في شرح نهج البلاغة، ما نصّه:«إذا تأملت أحوال العالم وجدت صدق هذه الكلمة ظاهرا ، ولو شئنا أن نذكر الكثير من ذلك لذكرنا ما يحتاج في تقييده بالكتابة إلى مثل حجم كتابنا هذا ، ولكنا نذكر لمحا ونكتا وأطرافا ودررا من القول».(١)

الى أن قال:«ودبر أبو مسلم الدولة الهاشمية ، وقام بها حتى كان حتفه في تدبيره . وكذلك جرى لأبي عبد الله المحتسب مع عبد الله المهدى بالمغرب . ودبر أبو القاسم بن المسلمة رئيس الرؤساء في إخراج البساسيري عن العراق حتى كان هلاكه على يده ، وكذلك أيضا انعكس عليه تدبيره في إزالة الدولة البويهية من الدولة السلجوقية ظنا منه أنه يدفع الشر ، بغير الشر فدفع الشر بما هو شر منه . وأمثال هذا ونظائره أكثر من أن تحصى».(٢)

[١٦]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

تَذِلُّ ٱلْأُمُورُ لِلْمَقادِيرِ حَتّى يَكُونَ الْحَتْفُ فِي ٱلتَّدْبِيرِ.

(ح - ١٦) مفاجأت الحياة:

المقادير: قدر الله، والحنق: الهلاك، والتدبير: التخطيط.

لقد امر الله سبحانه بالسعي في الدنيا لتأمين الحياة في الدنيا والسعادة في الآخرة، وطبيعي أن لا يكون السعى إلّا بتدبر وتخطيط للوصول الى الاهداف خطوة فخطوة، ولكن تدبير الإنسان محكوم بالحوادث الطبيعية والمفاجآت الخارجة عن الارادة، بحيث قد يكون نفس التخطيط والتنظيم شبكة يستخدمها العدو ضد الإنسان الذي قام باستخدامه

---

(١) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٨ : ١٢٠.

(٢) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٨ : ١٢١.

وقاية، فاصبح به سجينا، وكم من سجين أحكم الحاكم الظالم حصانته فاصبح فيه سجيناً، وكم من قانون اصدره فحكم به عليه!.

[١٧]

وَسُئِلَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ عَنْ قَوْلِ ٱلرَّسُولِ ـ صَلَّىاللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ : «غَيِّرُوا الشَّيْبَ وَلا تَشَبَّهُوا بِالْيَهُودِ»: فَقالَ:

إِنَّما قالَ صَلَّىاللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ذلِكَ وَالدِّينُ قُلٌّ[١]، فَأَما ٱلْآنَ وَقَدِ ٱتَّسَعَ نِطاقُهُ، وَضَرَبَ بِجِرانِهِ فَامْرُؤٌ وَمَا ٱخْتارَ.

(ح ـ ١٧) التشبّه:

(الشيب: بياض شعر الرأس، والقلّ: القلّة، والنطاق: الحزام، والجران: مقدم عنق البعير).

من الاوامر الشرعية ما هو منصوص العلة، فيدور الحكم مدارها كحرمة الخمر لاسكاره، وكلما اسكر كثيره فقليله حرام، ومنها ما هو أمر ارشادي إلى حكم العقل، وما يستخرج علة الحكم بتنقيح المناط المعبر عنه في القانون الوضعي بروح القانون، ويدخل في ذلك مسألة الشبّه موضوعاً وحكما؛ فإنّ النبىﷺ امر بتغيير الشيب من البياض الى الخضاب بالحناء أو السواد؛ لأنّ ذلك كان تشبّها باليهود في ذلك العصر، فاذاً عرفت العلة للحكم بتنقيح المناط وارتفعت فلا يكون هناك موضوع للتشبّه، فيرتفع الحكم تبعاً، وقد فسر الامام ذلك بقوله:

(ذلك والدين قلٌّ)؛ فإنّ المسلمين كانوا أقلية مذهبية بالنسبة إلى اليهود في ذلك العصر، والشيب كان شعار اليهود، واستخدام المسلمين ذلك كان يعتبر تشبّها باليهود عادة.

(فاما الان) فالامر ليس كذلك، وليس المسلمون اقلية، فلا مجال لاحتمال التشبّه باليهود؛ لعدم وجود يهود بكثرة في المجتمع الاسلامي.

---

(١) في هـ. ب: أي قليل. في هـ. ص: أي قليل يحتاج الى الاظهار والتكثير.

ومجرد التوافق في المنظر لا يعتبر تشبّهاً؛ فإنّ التشبّه يفتقر الى نسبة وهي مفقودة وبانتفاء موضوع التشبه ينتفي الحكم.

وقد اوضح عليه السلام ذلك بقوله:

(وقد اتسع نطاقه) والواو حالية، أي حالكون نطاق الاسلام متسعاً باتساع رقعة الوطن الاسلامي كالحزام الذي يستولى على مساحة كبيرة من الشئ.

(وضرب بجرانه) باستقامة الدين الاسلامي وثباته في الحياة كما يستقيم البعير في الارض بضرب مقدم عنقه على الارض في حالة الاستراحة.

(فامرؤ وما اختار) من الخضاب بالحناء أو السواد أو اطلاق الشيب حيث لا مجال لاحتمال التشبيه لاحد في ذلك.

قال ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في شرح نهج البلاغة، ما نصّه:« اليهود لا تخضب ، وكان النبي صلى الله عليه وآله أمر أصحابه بالخضاب ليكونوا في مرأى العين شبابا فيجبن المشركون عنهم حال الحرب ، فإن الشيخ مظنة الضعف . قال على عليه السلام : "كان ذلك والاسلام قل" ، أي قليل ، وأما الان وقد اتسع نطاقه وضرب بجرانه فقد سقط ذلك الامر وصار الخضاب مباحا غير مندوب .[(١)]

وقال أيضاً:«واستعار أمير المؤمنين عليه السلام هذه اللفظة لسعه رقعة الاسلام ، وكذلك استعار قوله : " وضرب بجرانه " ، أي أقام وثبت ، وذلك لان البعير إذا ضرب بجرانه الأرض – وجرانه مقدم عنقه – فقد استناخ وبرك . وامرؤ مبتدأ وإن كان نكرة ، كقولهم : " شر أهر ذا ناب " ، لحصول الفائدة ، والواو بمعنى " مع " ، وهي وما بعدها الخبر ، وما مصدرية ، أي امرؤ مع اختياره».[(٢)]

---

(١) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٨ : ١٢٢.
(٢) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٨ : ١٢٣.

[١٨]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ فِي ٱلَّذِينَ ٱعْتَزَلُوا ٱلْقِتالَ مَعَهُ:

خَذَلُوا ٱلْحَقَّ وَلَمْ يَنْصُرُواْ ٱلْباطِلَ.

(ح - ١٨) اعتزال القتال:

ان قبول أي نوع من الحكم يستلزم الالتزام بقانون الحكم المنتسب إليه، والمسلم في الحكومة الاسلامية يكون ملزماً بالقوانين التي تصدرها الحكومة التي آمن بها، وقد واجه الإمام عليه السلام فيب حرب صفين جماعة يؤمنون به كخليفة شرعاً ويؤمنون بحكمه كنظام حكم اسلامي قائم على الشورى، وبايعوه على ذلك، ولكنهم في نفس الوقت اعتزلوا القتال ولم يشاركوا في حرب صفين.

والإمام في سياسته الاسلامية المفتوحة لم يعاقب احداً منهم لشبهة دعتهم إلى الاعتزال، وانهم لم يقوموا بمقاومة مسلحة تكون بغيا، فتركهم وشأنهم، وما اصدق كلامه عليه السلام من انهم خذلوا الحق الذي آمنوا به، وايمانهم بالحق يستلزم النصر للحق لا التخاذل عنه، ولكنهم في نفس الوقت لم ينصروا الباطل، فلا عتاب عليهم.

قال ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في شرح نهج البلاغة، ما نصّه:«قد سبق ذكر هؤلاء فيما تقدم ، وهم عبد الله بن عمر بن الخطاب ، وسعد بن أبي وقاص ، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ، وأسامة بن زيد ، ومحمّد بن مسلمة ، وأنس بن مالك ، وجماعة غيرهم . وقد ذكر شيخنا أبو الحسين في " الغرر " أن أمير المؤمنين عليه السلام لما دعاهم إلى القتال معه ، واعتذروا بما اعتذروا به ، قال لهم : أتنكرون هذه البيعة ؟ قالوا : لا ، لكنا لا نقاتل ، فقال : إذا بايعتم فقد قاتلتم ، قال : فسلموا بذلك من الذم ، لان إمامهم رضي عنهم . ومعنى قوله : " خذلوا الحق ولم ينصروا الباطل " ، أي خذلوني ولم يحاربوا معي معاوية ، وبعض أصحابنا البغداديين يتوقف في هؤلاء ، وإلى هذا القول يميل شيخنا أبو جعفر الإسكافي».[١]

---

(١) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٨ : ١١٥.

[١٩]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

مَنْ جَرى فِي عِنانِ أَمَلِهِ عَثَرَ بِأَجَلِهِ.

(ح - ١٩) عنان الامل:

(الجري: السعي، والعنان: سير اللجام للفرس، والامل: الرجاء، والاجل: الموت).

ليس هناك في حياة الإنسان عمل مضمون مئة في المئة، وانما سعي الإنسان في الحياة مع الامل ورجاء حصول الهدف، ولكن للامل حدود متوقعة معقولة، وهي اقتران الامل بالعمل، فلا يتعدى الامل اكثر من العمل، فلابد من كبح زمام الامل كما يضبط راكب الفرس الزمام حين السير، فيكون الفرس جاريا حيثما اراد الراكب ذلك، واما الفارس الذي يجري على الفرس المطلق العنان، فلابد وان يكون معرضا للسقوط المقدر له، وكذلك من جرى خلف آماله من دون عمل، فلابد أن يكون مصيره الهلاك، والعاقل من يمسك زمام الامل بيده كيلا يتعدى حدوده.

[٢٠]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

أَقِيلُوا ذَوِي ٱلْمُرُءآت عَثَراتِهِمْ، فَما يَعْثُرُ مِنْهُمْ عاثِرٌ إِلّا وَيَدَهُ بِيَدِ اللّه يَرْفَعُهُ[١].

(ح - ٢٠) ذوو المرؤات:

(الاقالة: العفو، والمروة: الكمال، والعثرة: الهفوة).

الإنسان معرض للسهو والخطأ والنسيان الّا من عصمه الرحمن، واصحاب المروءة القائمون باعمال الخير في المجتمع يستحقون اقالة اخطائهم التي لا تصدر عن عمد ؛ لمكان اعمالهم الخيرية، وقد قال سبحانه: ﴿ان الحسنات يذهبن السيّئات﴾.[٢]

فالاخطاء منهم تجبر بحسناتهم، والى ذلك أشار الإمام عليه السلام بقوله:

---

(١) في هـ. أ: الا ويد الله يرفعه، وفي هـ. د: ويد الله بيده يرفعه ـ ن ب ف.

(٢) هود : ١١٤.

(فما يعثر منهم عاثر إلّا ويد الله بيده يرفعه) حيث انّه بحكم طبيعته الثانوية يقوم باعمال خيرية تعتبر حسنات جديدة فتذهب العثرات التي هي السيئات، ويعود مستمراً في اعماله الصالحات التي تترك له ذكرا حسنا في الحياة، ورحمة من الله بعد الممات، اللهم اجعلنا من اصحاب المروات بحق سيد السادات عليه وعلى آله افضل الصلوات.

[٢١]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

قُرِنَتِ ٱلْهَيْبَةُ[١] بِالْخَيْبَةِ[٢]، وَٱلْحَياءُ بِالْحِرْمانِ، وَٱلْفُرْصَةُ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحابِ، فَانْتَهِزُوا[٣] فُرَصَ ٱلْخَيْرِ.

(ح - ٢١) ترجي الخير:

(الهيبة: المخافة، والخيبة: عدم الظفر، والحياء: الخجل، والحرمان: المنع، والفرصة: الوقت المناسب).

من الامور المتقارنة في الحياة: الخوف من الشيء، وعدم الظفر به؛ فإنّ الخوف من الشئ يثبط العزيمة على العمل بما يتطلبه حصول ذلك الشيئ من الاسباب، فيكون من الطبيعي أن يفوت الشيئ، فلا يظفر به من لا يعمل من اجله، فالهيبة والخيبة متقارنان.

وكذلك الخجل والمنع، فاذا كان الإنسان خجولا من طلب الشيئ والسعي للحصول عليه فمن الطبيعيّ أن يمتنع منه، فلا يحصل عليه، فالحياء والحرمان متقارنان .

والإمام في هذه الحكمة تشير إلى حقائق ثلاث:

أوّلاً: المقارنة بين الخوف وعدم الظفر، وبين الجهل والحرمان، فان ذلك من سنة

---

(١) في هـ . ب: الهيبة: الخوف والإحجام.

(٢) في هـ . ص: أي من هاب الأمور خابت مساعيه ولم يحصل له ما يريد، ومع المضاء الظفر. ومن استحى من الطلب حرم ولم ينل ما يناله من لا يستحي، وهذا إخبار عن الواقع ولا يريد الحظّ على الفتك واللهج وترك الحياء، بل يحثّ على الجزم والعزم مع مراعاة الدين والمروءة.

(٣) في هـ . ب: احفظوا، وفي هـ . ص: وقوله: «فانتهزوا فرص الخير» قال في الشرح: الناس يأمرون بانتهاز الفرص مطلقاً، فأمّا هو عليه السلام فلم يأمر إلّا بما يناسب ورعه وقدره، وهو انتهاز فرص الخير.

الحياة.

فلابد لمن يريد الظفر أن لا يهاب ويعمل نحو تحصيله، وكذلك لا يخجل من السعي لهذا الهدف، فإنّه سواءً حصل عليه ام لا فإنّه ادى واجبه، وهذا كلما يهمه.

ثانياً: الحياة فرصة العمل، وليس بعد الممات، وان هذه الفرصة للعمل تمر بمرور الساعات والثواني من حياة الإنسان في كل دقيقة بنقصان وقت العمل، فكما أن السحاب لا يبقى في السماء بل يمر بحركة مقدرة، فكذلك فرصة العمل في أيّ عمل في الحياة.

ثالثاً: الواجب في هذه الفرصة انتهازها والانتفاع منها لعمل الخير؛ فإنّ الوقت المناسب لذلك في الدنيا وليس بعد هذه الفرصة أيّ وقت مناسب آخر للعمل، بل يتعقبه وقت الجزاء على الأعمال.

وهذه النقاط الثلاث في الحياة تحتم الاعتبار بسنن الطبيعة في الحياة، والعمل لما يعود خيره على النفس والمجتمع الاسلامي.

[٢٢]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

لَنا حَقٌّ فَإِنْ أُعْطِيناهُ وَإِلّا رَكِبْنا أَعْجازَ ٱلْإِبِلِ[١] وَإِنْ طالَ ٱلسُّرى.

قال الرَّضيُّ رَحمهُ اللهُ تعالىٰ[٢]:

وَهذَا ٱلْقَوْلُ مِنْ لَطِيفِ ٱلْكَلامِ وَفَصِيحِهِ، وَمَعْناهُ: أَنّا إِنْ لَمْ نُعْطَ حَقَّنا أَذِلّاءَ، وَذلِكَ أَنَّ ٱلرَّدِيفَ يَرْكَبُ عَجُزَ ٱلْبَعِيرِ كَالْعَبْدِ وَٱلْأَسِيرِ وَمَنْ يَجرِي مَجْراهُما.

(ح ـ ٢٢) مطالبة الحق:

(الحق: ما يختص بالإنسان، والعجز: المؤخرة، والسرى: السير ليلا، والرديف: الراكب خلف راكب آخر).

يشير الإمام إلى أن امرين:

---

(١) في هـ. ب: ركبنا أعجاز الابل، أي: نطلب وندرك وان طال السرى: وان كان بعد مدّة.
(٢) لم ترد «قال الرضي رحمه الله تعالى» في أ ب ص د.

الأوّل: أن الحقوق لا يؤديها إلّا المؤمن بها دون الغاصب لها، فيجب على صاحب الحق أن يطالب بحقه، والا يكون الحق مضيعاً، وطبيعيّ أن مطالبة الحق يستلزم جهداً وجرأة وحكمة لتحصيله بالمطالبة بالطرق السلمية، وحتى يعطيه من اخذ الحق من غير استحقاق، فلابد من المطالبة مهما طال الزمن وكانت الحالة شاقة.

الثاني: ان عدم الحصول على الحق يستلزم الذل في الحياة، فيكون صاحب الحق الذي صودر حقه كالرديف، وهو الراكب خلف الراكب، ليس له خيار في ضبط زمام حركة الفرس، فيكون مقوداً في ادارة الراكب في مقدمة الوسيلة النقلية طول المسير، وحيث أن مسيرة الحياة لا تنتهي إلّا بالموت، فيكون الذل كذلك.

وهذان الامران حقيقتان في الحق المصادر، ويبقى الخيار بين المطالبة المسلحة فيما اذا فشلت المطالبة بالطرق السلمية من الاولويات في الضوابط الاسلامية.

قال ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في شرح نهج البلاغة، ما نصّه:«هذا الفصل قد ذكره أبو عبيد الهروي في "الجمع بين الغريبين " وصورته : إن لنا حقا إن نعطه نأخذه ، وإن نمنعه نركب أعجاز الإبل ، وإن طال السرى . قال: قد فسروه على وجهين : أحدهما أن راكب عجز البعير يلحقه مشقة وضرر ، فأراد : أنا إذا منعنا حقنا صبرنا على المشقة والمضرة ،كما يصبر راكب عجز البعير ، وهذا التفسير قريب مما فسره الرضي . والوجه الثاني أن راكب عجز البعير إنما يكون إذا كان غيره قد ركب على ظهر البعير ، وراكب ظهر البعير متقدم على راكب عجز البعير ، فأراد أنا إذا منعنا حقنا تأخرنا وتقدم غيرنا علينا فكنا كالراكب رديفا لغيره ، وأكد المعنى على كلا التفسيرين بقوله : " وإن طال السرى " ، لأنه إذا طال السرى " ، كانت المشقة على راكب عجز البعير أعظم ، وكان الصبر على تأخر راكب عجز البعير عن الراكب على ظهره أشد وأصعب . وهذا الكلام تزعم الامامية أنه قاله يوم السقيفة أو في تلك الأيام ، ويذهب أصحابنا إلى أنه قاله يوم الشورى بعد وفاة عمر واجتماع الجماعة لاختيار واحد من الستة ، وأكثر أرباب السير ينقلونه على هذا

الوجه».[١]

[٢٣]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

مَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ حَسَبُهُ[٢].

(ح - ٢٣) **العمل لا النسب:**

(البطء: االتثاقل في الحركة، والسرعة: الخفة في السير، والنسب: القرابة).

ان ايّ هدف في الحياة يتوقف على مقياس العمل نحو ذلك الهدف، والوصول إلى الهدف يتوقف على درجة الحركة في السرعة والبطء، قال تعالى:﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾.[٣]

فالمقاييس المادية الاخرى لا اثر لها في سرعة الوصول إلى الهدف، ومنها: النسب مهما كان نسباً صريحا ، فإنّه لا يؤثر في درجة الحركة نحو الهدف، فمن كان قليل العمل يكون مبطئا في السير مهما كان نسبه، فالمقياس للتفضيل عند الله سبحانه العمل لا النسب، قال تعالى:﴿إن اكرمكم عند الله أتقاكم﴾.[٤]

قال الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ)، ما نصّه:

هذا الكلام حثّ وحضّ وتحريض على العبادة[٥]، وقد تقدّم أمثاله، وسيأتي له نظائر كثيرة، وهو مثل قول النبيّ ﷺ: «يا فاطمة بنت محمّد، انّي لا أُغنى عنك من الله شيئاً، يا عباس بن عبدالمطلب، اني لا أغني عنك من الله شيئاً».[٦]

قال الجلالي: لا ادري كيف فسر الشارح ابن أبي الحديد ، العمل بالقيادة، ونص الكلام

---

(١) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٨ : ١٣٢ ـ ١٣٣.
(٢) في هـ. د: نسبه ـ ب.
(٣) التوبة : ١٠٥.
(٤) الحجرات : ١٣.
(٥) كذا في النهج، والصحيح: «المبادرة».
(٦) شرح النهج ١٨ : ١٣٤.

صريح في العمل، وهو أهم من العبادة وغيرها، والله العاصم.

[٢٤]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

مِنْ كَفّاراتِ الذُّنُوبِ ٱلْعِظامِ إِغاثَةُ ٱلْمَلْهُوفِ، وَٱلتَّنفِيسُ عَنِ ٱلْمَكْرُوبِ.

(ح - ٢٤) كفارة الذنوب:

(الكفارة: ما يغطي الذنب، والذنوب العظام: المعاصي المتعمدة، والغوث: العون، واللهف: الحزن، والتنفيس: الفرج، والكرب: الحزن الشديد).

قد جعل الله سبحانه للتوبة وسائل لتطهير المذنب وتغطية الذنوب التي ارتكبها عن عمد وجهالة، وقد عد الإمام من هذه الوسائل امرين:

أوّلاً: اغاثة الملهوف؛ فإنّ صاحب الحزن يفتقر إلى وسيلة تنجيه من حالته الحزينة ماديا أو معنويا، فمن يغيث الملهوف يقوم بما يرضي الله سبحانه، وهذه الاغاثة حسنة في سبيل الله.

ثانياً: التنفيس عن المكروب؛ فإنّ شدة الحزن اما بسبب مادي كالفقر أو معنوي كفقد عزيز، عمل يرضي الله سبحانه، وهو حسنة في سبيل الله تعالى.

وقد قال سبحانه :﴿إن الحسنات يذهبن السيئات﴾.[١]

وحيث أن درجة اللهف والكرب عظيمة، تكون الاغاثة والتنفيس عملين عظيمين، فتستحق أن تكونا من كفارات الذنوب العظام، نعوذ منها بالله ذي الجلال والاكرام.

[٢٥]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

يَابْنَ آدَمَ إِذا رَأَيْتَ رَبَّكَ سُبْحانَهُ يُتابِعُ عَلَيْكَ نِعَمَهُ وَأَنْتَ تَعْصِيهِ[٢] فَاحْذَرْهُ.

---

(١) هود : ١١٤.

(٢) في هـ. د: عبارة «وأنت تعصيه» ساقطة من ف م ن ل.

(ح - ٢٥) الاستدراج:

(الاستدراج: احاطة المعاصي درجة درجة بما يكون عليه حجة من نعم الله المتوالية حتّى تسلب منه فرصة الرجوع بالتوبة).

قال تعالى:﴿والذين كذبوا بايا تنا سنستدرجم من حيث لا يعلمون﴾.[1]

ومن هذا المنطلق حذر الإمامعليه السلام من تتابع النعم حال المعصية، فقال:

(يا ابن آدم) من أي صنف من اصناف البشر على مختلف الاديان والمذاهب والآراء؛ فإنّ الاستدراج لا يتختص بأمة أو نظام دولة دون اخرى.

(إذا رأيت ربك سبحانه يتابع عليك نعمه) التي لا تحصى وانت لا تستحقها بسبب المعصية.

(وأنت تعصيه) الواو حالية، أيّ حالكونك تعصيه مع أن المتوقع هو العذاب والنقمة لا النعمة.

(فاحذره) أشدّ الحذر؛ فإنّه استدراج، ليكون حجة عليك وتتلبس بالجريمة حتى تسلب منك فرصة التوبة.

قال ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في شرح نهج البلاغة، ما نصّه:«هذا الكلام تخويف وتحذير من الاستدراج ، قال سبحانه :﴿سنستدرجهم من حيث لا يعلمون﴾[2] ، وذلك لان العبد بغروره يعتقد أن موالاة النعم عليه وهو عاص من باب الرضا عنه ، ولا يعلم أنه استدراج له ونقمة عليه . فإن قلت : كيف يصح القول بالاستدراج على أصولكم في العدل ؟ أليس معنى الاستدراج إيهام العبد أنه سبحانه غير ساخط فعله ومعصيته ! فهل هذا الاستدراج إلا مفسدة وسبب إلى الاصرار على القبيح ! قلت : إذا كان المكلف عالما بقبح القبيح ، أو متمكنا من العلم بقبحه ثم رأى النعم تتوالى عليه وهو مصر على المعصية ، كان ترادف تلك النعم كالمنبه له على وجوب الحذر ، مثال ذلك من هو في خدمه ملك ، وهو عون ذلك الملك في دولته ، ويعلم أن الملك قد عرف حاله ، ثم يرى نعم الملك مترادفة

---

(١) الاعراف : ١٨٢ .

(٢) الاعراف : ١٨٢.

إليه ، فإنه يجب بمقتضى الاحتياط أن يشتد حذره ، لأنه يقول : ليست حالي مع الملك حال من يستحق هذه النعم ، وما هذه إلا مكيدة وتحتها غائلة ، فيجب إذن عليه أن يحذر».(١)

[٢٦]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

ما أَضْمَرَ أَحَدٌ شَيْئاً إِلّا ظَهَرَ فِي فَلَتاتِ لِسانِهِ وَصَفَحاتِ وَجْهِهِ.

(ح ـ ٢٦) شواهد طبيعية:

(الاضمار: الاخفاء، والفلتة: السقطة فجاة، والصفحة: الجانب).

اضمار الشيئ في النفس واخفائه عن الآخرين يفتقر إلى وعي مستمر بأن المصلحة في الاخفاء والستر، والضرر في الجهر والاعلان به كما هي الحال في مرتكبي الجرائم، ولكن هذا الوعي لا يستمر الى الابد، وينتابه الغفوة مهما طال الزمن، فهناك علامات تشير إلى ما في الضمير، وقد ذكر الإمام من ذلك شاهدين طبيعيين، هما:

أوّلاً: اللسان، وفي الحديث تظهر اشارات عابرة وتعبيرات عفوية تكشف عما في الضمير، ويظهر ذلك في الصحف والاعلانات والسياسة بوضوح؛ فإنّ الرجل يعبر عنه بالخائن للوطن من السلطة التي تضاده، ووطني مخلص مجاهد في الذين يخالفون السلطة، وما اكثر هذا النوع في المحاورات العادية.

ثانياً: دلالة اعضاء الجسم واوضحها لون الوجه، فاللون الباهت يدل على خوف من الفضيحة بالجريمة، والبسمة الصادقة تعبر عن الرضا.

ويستخدم المحققون في الشرطة الجنائية كلّ هذه الوسائل لمعرفة ما في ضمير المتهم وتكون ادلة على اثبات الجريمة.

وذلك كله لأنّ الإنسان بحكم طبيعته عاجز عن حفظ الاسرار في القلب إلى الابد، لان

(١) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٨ : ١٣٦.

ذلك يستلزم وعيا مستمرا إلى الابد، وهو خلاف الطبيعة البشرية.

[٢٧]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

أَمْشِ بِدائِكَ ما مَشى بِكَ.

(ح - ٢٧) **الايحاء بالصحة:**

(المشي: السعي، والداء: المرض).

المرض تغير الصحة، وله درجات اسهلها الصداع، واعظمها ما يفتقر إلى عملية جراحية. ومن الذي يتمتع بالصحة الكاملة من جميع الجهات في كلّ الحالات؟

وفي هذه الحكمة اشارة إلى أن المناعة كما يكون بالادوية فكذلك يكون بالايحاء النفسي، فانّ قوة الارادة لمقاومة المرض تؤثر في خفة المرض أو ربما زواله كليا، وعلى العكس الاستسلام للمرض يزيد الإنسان تصورا بالمرض، وربما يزيد المرض بالذات.

فلابد للانسان أن يوحي نفسه بالصحة ما امكن، ويسير مع المرض مالم يغلب المرض، فلا يكون للايحاء حينئذ أثر، ولابد من العلاج والدواء، والله هو الشافي.

[٢٨]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

أَفْضَلُ ٱلزُّهْدِ إِخْفاءُ ٱلزُّهْدِ.

(ح - ٢٨) **افضل الزهد:**

الزهد: الرغبة عن الشئ، وهذه الحكمة تشير إلى أن الزهد لا يكون زهداً حقيقة إلّا اذا انطبق عليه التعريف المفهوم من اللفظ، فان الرغبة عن الشئ يستلزم اخفاء الزهد وعدم اظهاره بالقول أو الفعل؛ فإنّ اظهار الزهد بالقول أو العمل رغبة في الزهد، وهو خلاف التعريف الذي هو الرغبة عن الشئ.

وقد شاع في عصرنا: أن الزهد ترك الدنيا، وهذا ليس من الزهد في شئ، بل الزهد عدم

الرغبة، سواءً كان أو لم يكن، وهي حالة بعيدة المنال لكل الرجال إلّا من اتى الله بقلب سليم.

[٢٩]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

إذا كُنْتَ فِي إِدْبارٍ وَٱلمَوْتُ فِي إِقْبالٍ فَما أَسْرَعَ ٱلْمُلْتَقى!

(ح ـ ٢٩) **سرعة الملتقى:**

(الادبار: مضي الشيئ، والاقبال: حصول الشيئ).

يتوقف اللقاء بين اثنين على الحركة للالتقاء، وسرعة الملتقى يتوقف على سرعة الحركة اما من جانب واحد من احد الطرفين أو منهما معاً، فيكون من الطبيعي أن يكون اللقاء اسرع كلما كانت الحركة أسرع من الجانبين معاً، وهذه هي حالة الحياة في الدنيا فالانسان فيها يسير في كل لحظة وثانية نحو الموت، حيث لا يخلد على الارض احد، وينقص في كلّ لحظة شيئا من عمره. كما أن الموت يتحرك نحو الإنسان بقدر كلّ عمر الإنسان فيها، فمستوى السرعة من الجانبين نفس القوّة والدرجة، فلابد من اللقاء في اسرع وقت وان غفل عنه الانسان.

[٣٠]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

ٱلْحَذَرَ ٱلْحَذَرَ فَوَ اللّهِ لَقَدْ سَتَرَ حَتّى كَأَنَّهُ قَدْ غَفَرَ!

(ح ـ ٣٠) **الحذر من الستر:**

هناك فرق بين الستر والغفران، فلا يكون العاصى مغفورا له الا بالتوبة بشروطها المشروحه في كتب الاخلاق والفقه، والستر هدنة عن العقوبة وفضل من الله ليرجع العاصي عن معصيته، وقد يتخذه الجاهل فرصة للعصيان على امل التوبة في اخر الزمان، والحكمة تشير إلى أن الحذر كلّ الحذر لابدّ وان يكون في حالة الستر؛ لأنّ الله يستر على

العصاة لكي يتوبوا، فاذا اصروا على المعصية فيواجههم الله بالفضيحة والعقاب أو الاستدراج وكلاهما موجب للحذر والتوبة قبل حلول الاجل.

[٣١]

الايمان والكفر:

الصراع بين الايمان واكفر صراع قائم في كلّ زمان ومكان، والإنسان في هذا الصراع اما مؤمن أو كافر أو شاكّ.

وقد شرح الامام الحالات الثلاث ومقوماتها وآثارها ليحيى من حيّ عن بينة، فشرح اولا دعائم الايمان، ثمّ دعائم الكفر، ثمّ قصد الشك باعتباره مرحلة خفيفة من الكفر لا دعامة له لكونه حيرة، فان الكفر هو الغطاء والستر، والكفر بالله جحده للجهل به، وسمى الكافر كافرا لستر عقله، من التفكير، والشاك المتحير يشترك مع الجاهل في الجهل.

قال ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في شرح نهج البلاغة، ما نصّه:«من هذا الفصل أخذت الصوفية وأصحاب الطريقة والحقيقة كثيرا من فنونهم في علومهم ، ومن يتأمل ؟ كلام سهل بن عبد الله التستري وكلام الجنيد والسري وغيرهم رأى هذه الكلمات في فرش كلامهم تلوح كالكواكب الزاهرة وكل المقامات والأحوال المذكورة في هذا الفصل قد تقدم قولنا فيها».[1]

(١ / ح - ٣١) دعائم الايمان:

وَسُئِلَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ عَنِ ٱلإيمانِ، فَقالَ:

ٱلإيمانُ عَلى أَرْبَعِ دَعائِمَ: عَلَى[2] ٱلصَّبْرِ وَٱلْيَقِينِ وَٱلْعَدْلِ وَٱلْجِهادِ.

(الدعامة: العماد الذي به يقوم الشئ).

وهذه الاعمدة الاربعة منها ما تخص مسؤوليات الإنسان نفسه كالصبر وما يخص العقيدة كاليقن، وما يخص المجتمع الاسلامي كالعدل، وما يخص المجتمع غير

---

(١) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٨ : ١٤٣.
(٢) في هـ. د: لم ترد «على» في م.

الاسلامي كالجهاد.

وذلك يكشف عن ان الإمام يصف حقيقة الايمان في حياة الإنسان، كما قال تعالى:﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * أُوْلٰئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقّاً لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾.[1]

وقد حدد الايمان بأربعة دعائم، هي:

أوّلاً: الصبر ـ وهو ضبط النفس عما تدعو اليه من مصيبة أو غيرها، وله مراتب مشروحة في كتب الأخلاق.

ثانياً: اليقين، وهو العلم بالشيئ الموجب لزوال الشك بمراتبه الثلاث من علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين.

ثالثاً: العدل، وهو كلّ فعل حسن، ومنه اثابة الله تعالى للمحسن وعقاب العاصي.

رابعاً: الجهاد، وهو الغزو في سبيل الله بالدعوة والحرب.

(٢ / ح - ٣١) شعب الصبر:

والشعبة: القطعة المتفرعة من الشيئ كالغصن للشجر، وهي هنا الحالات المتفرعة على كلّ منها، فقال عليه السلام:

فَالصَّبْرُ[2] مِنْها عَلى أَرْبَع شُعَبٍ: عَلَى ٱلشَّوْقِ وَٱلشَّفَقِ وَٱلزُّهْدِ وَٱلتَّرَقُّبِ، فَمَنِ ٱشْتاقَ إِلَى ٱلْجَنَّةِ سَلا[3] عَنِ ٱلشَّهَواتِ، وَمَنْ أَشْفَقَ مِنَ ٱلنّارِ ٱجْتَنَبَ ٱلْمحَرَّماتِ، وَمَنْ زَهِدَ فِي ٱلدُّنْيا ٱسْتَهانَ بِالْمُصِيباتِ، وَمَنِ ٱرْتَقَبَ ٱلْمَوْتَ سارَعَ فِي ٱلْخَيْراتِ.

(والصبر منها على أربع شعب) وفسرها بقوله:

١ ـ (على الشوق) وهو الميل المفرط للنفس في حبها للشيئ.

٢ ـ (والشفق) وهو الخوف.

---

(١) الانفال : ٤.

(٢) في ط: الصبر.

(٣) هـ. ب: من السلوة.

٣ ـ(والزهد) وهو الرغبة عن الشئ.

٤ ـ (والترقب) الانتظار للشئ.

وقد أشار إلى آثارها بقوله:

أوّلاً: (فمن اشتاق إلى الجنّة سلا عن الشهوات)؛ فإنّ الحب الحقيقيّ للشئ يستلزم أن لا يشتغل بحب شئ اخر من الشهوات.

ثانياً: (ومن أشفق من النار اجتنب المحرمات)؛ فإنّ المحرمات هي الموجبة للنار والخوف منها يستلزم اجتناب موجباتها.

ثالثاً: (ومن زهد في الدنيا استهان بالمصيبات)؛ فإنّ الاهتمام بالمصيبة يستلزم الرغبة في علاجها، والزهد هو الرغبة عن الشئ.

رابعاً: (ومن ارتقب الموت سارع إلى الخيرات)؛ فإنّ الانتظار يعني: التأهّب للشئ، والتأهب للموت انما يكون بالاعمال الخيرية التي تنفع فيما بعد الموت.

(٣ / ح - ٣١) شعب اليقين:

وقال: (واليقين منها على أربع شعب) وعدها بقوله:

وَٱلْيَقِينُ مِنْها عَلى أَرْبَعِ شُعَبٍ: عَلى تَبْصِرَةِ ٱلْفِطْنَةِ، وَتَأَوُّلِ ٱلْحِكْمَةِ، وَمَوْعِظَةِ ٱلْعِبْرَةِ، وَسُنَّةِ ٱلْأَوَّلِينَ، فَمَنْ تَبَصَّرَ فِي ٱلْفِطْنَةِ تَبَيَّنَتْ لَهُ ٱلْحِكْمَةُ، وَمَنْ تَبَيَّنَتْ لَهُ ٱلْحِكْمَةُ عَرَفَ ٱلْعِبْرَةَ، وَمَنْ عَرَفَ ٱلْعِبْرَةَ فَكَأَنَّما كانَ فِي ٱلْأَوَّلِينَ.

١ ـ (على تبصرة الفطنة) وهي الفهم للشئ، والتبصرة أي التبصر فيها.

٢ ـ (وتأول الحكمة) وهي الكلام الموافق للحق والصواب، والتاويل: التحري والطلب.

٣ ـ(وموعظة العبرة) وهي الاعتبار بالوعظ.

٤ ـ(وسنة الأولين) وهي السيرة العملية التي سار عليها اوائل المسلمين.

وعن لوازمها قال:

أوّلاً: (فمن تبصر في الفطنة تبينت له الحكمة)؛ فإنّ من يتأمل في الشئ ليفهمه يظهر له وجوه مختلفة لا يمكن اختيار واحد منها إلّا برفع علامات استفهام حتّى يصل الى وجه

الصواب.

ثانياً: (ومن تبينت له الحكمة عرف العبرة) وهي العظة من الاحوال.

ثالثاً: (ومن عرف العبرة فكأنما كان في الأولين)؛ لأنّ مناط الموعظة بالنسبة اليهم جميعاً هو الاتعاظ بالعبر.

(٤ / ح - ٣١) شعب العدل:

قال: (والعدل منها على أربع شعب)، وعدها بقوله:

وَٱلْعَدْلُ مِنْها عَلى أَرْبَعِ شُعَبٍ: عَلى غائِصِ[1] ٱلْفَهْمِ، وَغَوْرِ ٱلْعِلْمِ، وَزَهْرَةِ ٱلْحُكْمِ، وَرَساخَةِ[2] ٱلْحِلْمِ، فَمَن فَهِمَ عَلِمَ غَوْرَ ٱلْعِلْمِ، وَمَنْ عَلِمَ غَوْرَ ٱلْعِلْمِ صَدَرَ عَنْ شَرائِعِ ٱلْحُكْمِ[3]، وَمَنْ حَلُمَ لَمْ يُفَرِّطْ فِي أَمْرِهِ وَعاشَ فِي ٱلنّاسِ حَمِيداً.

١ ـ (على غائص الفهم) الغوص في الاصل: الانغماس في الماء.

٢ ـ (وغور العلم) الغور: الباطن الذي يخفى عادة.

٣ ـ (وزهرة الحكم) الزهرة: الحسن، والحكم: القضاء، والفضل من الامور.

٤ ـ (ورساخة الحلم) والرسوخ: الثبات، والحلم: العقل.

وعن لوازمها قال:

أوّلاً: (فمن فهم علم غور العلم)؛ فإنّ الفهم للخصائص اعمق من فهم الظاهر؛ لمعرفة علل الاشياء.

ثانياً: (ومن علم غور العلم صدر عن شرائع الحكم) والصدور: الخروج من منبع الماء راويا؛ فإنّ بعد معرفة علة الحكم يكون الإنسان ذا رؤية واضحة للعلل والمعلولات.

ثالثاً: (ومن حلم لم يفرط في أمره وعاش في الناس حميدا)؛ فإنّ معرفة الاسباب والنتائج المترتبة عليها تجعل الإنسان يتصرف حيث العقل والحكمة، ويتصرف في الامور تصرفا عادلاً، ويكون مثابا عندالله وحميدا عند الشعب.

---

(١) في هـ . ب: من الغوص.
(٢) في هـ . ب: ثابت.
(٣) في ط: الحلم.

(٥ / ح - ٣١) **شعب الجهاد:**

وعن الجهاد قال: (والجهاد منها على أربع شعب)، وعدها:

وَٱلْجِهادُ مِنْها عَلى أَرْبَعِ شُعَبٍ: عَلَى الأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ، وَٱلنَّهْيِ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ، وَٱلصِّدْقِ فِي ٱلْمَواطِنِ وَشَنَآنِ ٱلْفاسِقِينَ، فَمَنْ أَمَرَ بِالْمَعْرُوفِ شَدَّ ظُهُورَ ٱلْمُؤْمِنِينَ، وَمَنْ نَهى عَنِ الْمُنْكَرِ أَرْغَمَ أُنُوفَ ٱلْمُنافِقِينَ، وَمَنْ صَدَقَ فِي ٱلْمَواطِنِ قَضى ما عَلَيْهِ، وَمَنْ شَنِئَ ٱلْفاسِقِينَ وَغَضِبَ لِلّهِ غَضِبَ اللّهُ لَهُ وَأَرْضاهُ يَوْمَ ٱلْقِيامَةِ.

١ ـ (على الأمر بالمعروف) من الواجبات والمستحبات والاخلاق الفاضلة.

٢ ـ (والنهي عن المنكر) من المحرمات والمكروهات والرذائل.

٣ ـ(والصدق في المواطن) والموطن: كلّ موقع يكون فيه الإنسان المسلم قائما بمسؤولياته.

٤ ـ (وشنآن الفاسقين) والشنآن: الكره من اصحاب الفسوق.

وعن لوازم هذه الشعب قال:

أوّلاً: (فمن أمر بالمعروف شد ظهور المؤمنين)؛ فإنّ نشر الوعي الاسلامي يكون مساندة لاصحاب الحق.

ثانياً: (ومن نهى عن المنكر أرغم أنوف المنافقين)؛ فإنّه يوجب تقلص المنكرات التي يدعوا إليها اصحاب الكفر.

ثالثاً: (ومن صدق في المواطن قضى ما عليه) من المسؤوليات التي يقتضيها كلّ موقف ومنها المسؤوليات في مواطن الحرب.

رابعاً: (ومن شنئ الفاسقين وغضب لله غضب الله له وأرضاه يوم القيامة) حيث أن مقاطعة لهم تكشف عن التزام حقيقي بالمبادي والوسائل والاهداف الاسلاميّة، ومن كان مع الله كان الله معه، وادركه برحمته الواسعة.

وهذه الدعائم هي اعمدة الايمان حقيقة، والخلل في أي شعبة منها يؤثر في العماد الذي يقومه، وبالنتيجة يكون الايمان الفاقد لشئ منها فاقد لحقيقة الايمان، وتتكفل الاصول في العقيدة والشريعة بالنسبة الى النفس والمجتمع ومنها يتفرع كلّ المبادي

والوسائل والاهداف الاسلامية.

(٦ / ح - ٣١) دعائم الكفر:

وعن الكفر قال: (والكفر على أربع دعائم) وعدها:

وَٱلْكُفْرُ عَلى أَرْبَعِ دَعائِمَ: عَلَىالتَّعَمُّقِ، وَٱلتَّنازُعِ،وَٱلزَّيْغِ، وَٱلشِّقاقِ،فَمَنْ تَعَمَّقَ لَمْ يُنِبْ[١] إِلَى ٱلْحَقِّ، وَمَنْ كَثُرَ نِزاعُهُ بِالْجَهْلِ دامَ عَماهُ عَنِ ٱلْحَقِّ، وَمَنْ زاغَ ساءَتْ عِنْدَهُ ٱلْحَسَنَةُ، وَحَسُنَتْ عِنْدَهُ ٱلسَّيِّئَةُ، وَسَكِرَ سُكْرَ الضَّلالَةِ، وَمَنْ شاقَّ وَعُرَتْ[٢] عَلَيْهِ طُرُقُهُ، وَأَعْضَلَ عَلَيْهِ[٣] أَمْرُهُ، وَضاقَ مَخْرَجُهُ.

١ ـ (على التعمق) والعمق: البعد عن الحقائق والمسؤوليات الانسانية.

٢ ـ (والتنازع) والنزاع: الخلاف والتخاصم.

٣ ـ(والزيغ) وهو الانحراف عن الحق.

٤ ـ (والشقاق) وهو العناد للحق.

وعن لوازمها قال:

أوّلاً: (فمن تعمق لم ينب إلى الحق) والانابة: الرجوع؛ فإنّ من ابتعد عن الحقيقة لا يمكنه الرجوع اليها، وانما يصل إلى الماء من قرب منه، فلا يدرك الحقيقة من كان بعيداً عنها.

ثانياً: (ومن كثر نزاعه بالجهل دام عماه عن الحق)؛ فإنّ الخلاف يهدي الى الخلاف فقط، والجهل يولد الجهل، وهو استمرار في العمق وعدم تبصر الحق، دون من يترك النزاع ويستمع الاقوال فيتبع احسنها.

ثالثاً: (ومن زاغ ساءت عنده الحسنة وحسنت عنده السيئة، وسكر سكر الضلالة)؛ فإنّ الانحراف يولد في نفس المنحرف التحرر من المسؤوليات، فينظر إلى الحسنة بمرآته الخاص المعتمد على حريته فتصبح عنده سيئة.

---

(١) في ص: يثب.
(٢) في هـ. ب: وعرت: خشنت.
(٣) لم ترد عليه في أ ب ص د، وفي هـ. د: ضاق عليه مخرجه ـ ض ح ب.

ودعائم الكفر هذه صفات اساسية في طبقات الكفرة على اختلاف قومياتهم ولغاتهم واوطانهم، وصدق الرسول القائد القائل: «الكفر ملةٌ واحدةٌ».

مع أن هذه التحرر من المسؤولية سيئة، وهو يراها حسنة، وهذا هو الضلالة عن الصراط المستقيم ولكنها في نفس الوقت حرية من قيود لا ترغب النفس فيها.

وهذه هي حالة جميع من يتهرب من الاسلام كشريعة، وان كان يعتقد به، فانهم لا ينكرون الحقائق بل لا يرون الرضوخ إلى احكامه العادلة.

رابعاً: (ومن شاق وعرت عليه طرقه وأعضل عليه أمره وضاق عليه مخرجه)؛ لأنّ العناد ينتج العناد فقط، فيضيق على الإنسان طريق المعرفة، فيصبح وعراً لا يستسهل الوصول الى الحقيقة فيها، وبالنتيجة يصبح امر الإنسان معضلا اي في صعوبة شديدة؛ لأنّه ضيق على نفسه الخروج من المازق بسبب العناد، وعلى العكس يكون من يرضخ الى الحقائق بروح موضوعية.

(٧/ح - ٣١) شعب الشك:

وعن الشك وهو الوقوف عند طرق الاحتمال بالاسترابة في الأمر من دون ترجيح وقرار فقال: (والشك على أربع شعب) وعدها.

وَٱلشَّكُّ عَلى أَرْبَعِ شُعَبٍ: عَلَى ٱلَّتمارِي[١]، وَٱلْهَوْلِ[٢]، وَٱلتَّرَدُّدِ، وَٱلاسْتِسْلامِ، فَمَنْ جَعَلَ ٱلْمِراْء[٣] دَيْدَناً[٤] لَمْ يُصْبِحْ لَيْلُهُ، وَمَنْ هالَهُ[٥] مابَيْنَ يَدَيْهِ نَكَصَ عَلى عَقِبَيْهِ، وَمَن تَرَدَّدَ فِي ٱلرَّيْبِ وَطِئَتْهُ سَنابِكُ ٱلشَّياطِينِ، وَمَنِ ٱسْتَسْلَمَ لِهَلَكَةِ ٱلدُّنْيا وَٱلآخِرَةِ هَلَكَ فِيهِما.

١ ـ (على التماري) وهو الدوام على الشئ حتّى يبلغ الغاية.

٢ ـ (والهول) وهو شدة الخوف.

٣ ـ (والتردد) وعدم الثبات بسبب التحير.

---

(١) في ط: التمادي.
(٢) في هـ. ب: الخوف.
(٣) هـ. ب: أي المجادلة.
(٤) في هـ. ب: أي عادة.
(٥) في هـ. ب: أخافه.

٤ ـ (والاستسلام) الانقياد المحض.

وعن لوازمها قال:

أوّلاً: (فمن جعل المراء ديدنا لم يصبح ليله) والمراء: الجدل، والديدن: العادة؛ فإنّ من يتخذ الجدل عادة له في الحياة يبقى في الظلام الدائم، ولا يرى ضياء الحقيقة، كمن يعيش في ظلام الليل.

ثانياً: (ومن هاله ما بين يديه نكص على عقبيه) والنكوص: الرجوع بالقهقرى خوفا من الاعتداء عليه من الخلف، فلا يصل إلى الحقيقة بسبب شدة الخوف المستولي عليه.

ثانياً: (ومن تردد في الريب وطئته سنابك الشياطين) والريب: الشك، والوطء: السحق، والسنابك: أطراف الحافر.

فان الشيطان يستخدم موقف الحيرة ويوجه الشبهات حتّى يصبح المحتار صريعا لهذه الشبهات التي هي في حقيقها حوافر الحيوانات الشيطانية.

رابعاً: (من استسلم لهلكة الدنيا والآخرة هلك فيهما)؛ فإنّ الاستسلام من غير بصيرة هي عين الهلاك في الدنيا؛ لأنّه ذل ما دام الحياة، وفي الآخرة؛ لأنّه تقصير في أداء الواجب الانسانيّ باستخدام العقل الذي وهبه الله لكل انسان.

ولم يذكر الإمام للشك دعائم؛ لأنّه حيرة والحيرة ليست ما يقوّمها سوى الجهل فيكون الشك مشتركا مع الكفر في صفة الجهالة وحكمها.

قَالَ الرَّضِيّ رَحِمَهُ اللهُ تَعالىٰ[1]: وَبَعْدَ هذا كَلامٌ تَرَكْنا ذِكْرَهُ خَوْفَ ٱلْإِطالَةِ وَٱلْخُرُوجِ عَنِ ٱلْغَرَضِ[2] ٱلْمَقْصُودِ فِي هذا ٱلْكِتابِ.

قال الجلالي: راجع ما رويته باسنادي في مسند نهج البلاغة.

(١) لم ترد «قال الرضي رحمه الله تعالىٰ» في أ ب ص د.

(٢) في ص: الطريق.

[٣٢]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

فاعِلُ ٱلْخَيْرِ خَيْرٌ مِنْهُ، وَفاعِلُ ٱلشَّرِّ شَرٌّ مِنْهُ.

(ح - ٣٢) فاعل الخير والشر:

الخير والشر من الامور المتقابلة، والخير ما يطلب لذاته كالاحسان، والشر ما يجتنب عنه لذاته كالاضرار. والأشياء اما خير محض أو شرّ محض أو يغلب عليه احدهما.

ان الحسن والقبيح لكل منهما ذاتي لا ينفك عنهما، والفاعل لهما هو العلة لوجودهما وترتب الاثر المطلوب المرغوب عنه منهما، ولولا الفاعل لما وجدا في الخارج، فيكون اتصاف الفاعل اجدر بالاتصاف بصفتيـ ب الخير والشر، لانه العلة الفاعلية لوجودهما، فاستخدم الإمام صيغة افعل التفضيل اشارة إلى هذه الافضلية.

[٣٣]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

كُنْ سَمْحاً وَلاتَكُنْ مُبَذِّراً، وَكُنْ مُقَدِّراً وَلاتَكُنْ مُقَتِّراً.

تقرير المعيشه.

(السماح: اللين، المبذّر: المسوّف، المقدّر: المقتصد، والمقتر: المضيق).

يتضمن الحكمة أساس الحياة الاقتصادية بالتوازن في الدخل والخرج، ولا يكون ذلك إلّا بالسماح وهو اللين بالتصرف حيث الحاجات اليومية.

وتقدير المعيشة على أساس التوازن يستلزم تجنّب الافراط والتفريط في الحياة اليوميّة التي يغلب على الطبائع عادة بسبب ردود الفعل الشخصية.

ويشير الإمام إلى أن التوازن بين الحالين هو الاساس القويم في الحياة الاقتصادية؛ فإنّ الحد الوسط بين البخل والاسراف هو السماح واللين، وبين التوسعة والضيق التقدير حيث الظروف والاحوال الطارئة كما قال تعالى:﴿وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلاَ

تَبْسُطْهَا كلّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَّحْسُوراً ﴾.[١]

وقال تعالى:﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا أَنفقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذٰلِك قَوَاماً﴾.[٢]

[٣٤]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

أَشْرَفُ ٱلْغِنى تَرْكُ ٱلْمُنى[٣].

(ح ـ ٣٤) اشرف الغنى:

المنى ما يتمنّاه الإنسان والتمنّي طلب مالا يمكن بحسب الظروف والاحوال؛ فإنّ هذا الطلب في نفسه دليل على الفقر إلى المتمنى منه، ففي الفقر إلى الشيئ ذلة، والغنى عنه شرف. وترك التمني هو غنى في نفسه، بل هو اشرف الغنى؛ لأنّه يدل على حرية فكر الانسان من طلب مالا يمكن .

وأشرف ما يمكن للإنسان في الحياة الحرية من قيود المادة والماديات، والاعتماد على العقل الذي وهبه الله خالق المخلوقات .

[٣٥]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

مَنْ أَسْرَعَ إِلَى ٱلنَّاسِ بِما يَكْرَهونَ قالُواْ فِيهِ مالا يَعْلَمُونَ[٤].

(ح ـ ٣٥) نتيجة التسرّع:

لكل فعل رد فعل مساوٍ له في القودة، والناس بحكم طبيعتهم البشرية يحبّون اموراً في الحياة منها السلم ويكرهون اموراً منها الحرب.

فمن اراد مشاركة الناس فيما يكرهونه فلابد من الحجة الكافية المقنعة حتى تكون

(١) الاسراء : ٢٩.

(٢) الفرقان : ٦٧.

(٣) في هـ. ص: وذلك بالقناعة والرضي بما قسم الله تعالىٰ.

(٤) في هـ. د: بما لا يعلمون ـ ب.

مشاركتهم اعتماداً على اعتقادهم عن رؤية واضحة.

والتسرع فيما يكرهه الناس ـ كالحرب ـ يولد منهم ردة فعل منهم، وابسط ردود الفعل هو سرد الدواعي المحتملة لهذه القررات المستعجلة، وطبيعيّ أن كلّ انسان يعبر عن شخصيته النفسية لو كان في موقف صاحب القرار، فتتولد الاقوال بعدد افراد الناس أن لم يكن اكثر.

فالحكمة تقتضي بأن يكون القرار المرتبط بالناس لابدّ وان يخضع للشورى معهم ومشاركتهم عن اعتقاد بصلاحيته من حيث المبدأ والوسيلة والهدف.

[٣٦]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

مَنْ أَطالَ ٱلْأَمَلَ أَساءَ ٱلْعَمَلَ.

(ح ـ ٣٦) **طول الامل:**

من طبيعة الإنسان أن يعمل بالمسؤوليات التي لها اولوية في حياته باعتبارها اموراً مستعجلة يفوت وقتها لو اهمل مسؤولياته تجاهها، فاذا طال أمله في الحياة فسوف يؤخر انجاز تلك المسؤوليات باعتبار سعة الوقت لها، وهذا هو عين الاساءة بالعمل اعتماداً على طول الامل، ومن قصّر الامل ادى العمل في وقته من دون أي تأخير.

[٣٧]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ وَقَدْ لَقِيَهُ عِنْدَ مَسِيرِهِ إِلَى ٱلشّامِ دَهاقِينُ ٱلْأَنْبارِ فَتَرَجَّلُوا لَهُ وَٱشْتَدُّوا بَيْنَ يَدَيْهِ:

ما هذَا ٱلَّذِي صَنَعْتُمُوهُ؟

فَقالُوا: خُلُقٌ مِنّا نُعَظِّمُ بِهِ أُمَراءَنا.

فَقالَ: وَٱللّٰهِ ما يَنْتَفِعُ بِهذا أُمَراؤُكُمْ، وَإِنَّكُمْ لَتَشُقُّونَ بِهِ[١] عَلى أَنْفُسِكُمْ فِي دُنْياكُمْ[٢]، وَتَشْقَوْنَ بِهِ فِي أُخرَاكُمْ[٣]، وَما أَخْسَرَ ٱلْمَشَقَّةَ وَراءَهَا ٱلْعِقابُ، وَأَرْبَحَ ٱلدَّعَةَ مَعَهَا ٱلْأَمانُ مِنَ ٱلنّارِ!

(ح - ٣٧) تعظيم الامراء:

(الدهقان: رئيس القرية، والانبار: مدينة تقع في غرب بغداد من العراق تبعد حوالي ٢٥٠ كيلومتراً ، والترجّل: النزول من الخيل، والشدّ بين يديه: الاسراع للمثول عنده، والشق: الصعوبة، والشقاء: ضد السعادة، والدعة: الراحة)

استنكر الإمام التقاليد الادارية التي تركز على تعظيم الافراد بدل تعظيم الاهداف ومنها الحالة التي شاهدها من رؤساء القرى حيث ترجلوا عن الخيول حيث لا داعي إلى النزول، واصطفوا امامه، وعلى الاغلب صاروا كالمصلى في حال الصلاة مكتوفا، فسألهم الإمام قائلا: (ما هذا الذي صنعتموه ؟) حيث انّه حالة غريبة عن المجتمع الاسلامي القائم في الجزيرة العربية، والسؤال ليس عن الفعل نفسه حيث انّه شاهده، بل عن السبب الداعي إليه.

(فقالوا : خُلُقٌ منّا نعظّم به أمراءنا) ولكل امة آداب ورسوم وتقاليد خاصة بها، وقد استنكر الإمام ذلك؛ لأنّه خُلُقٌ ينافي روح الاسلام الذي يدعوا إلى التساوي بين القائد وافراد الشعب من ناحية، وانه لا عظمة لأيّ انسان امام الله سبحانه.

ثم سرد نقاط العجب في هذه العادة بقوله مؤكدا:

أوّلاً: (والله ما ينتفع بهذا أمراؤكم)؛ فإنّ التعظيم مجرّد رسوم لا تعبر عن حقيقة في المواقف، ويقوم بها من يحب الأمير ومن لا يحبّه على حد سواء، فتكون عديمة الفائدة.

ثانياً: (وإنكم لتشقون به على أنفسكم في دنياكم) حيث أن في ذلك مشقّة على الشعب بالنزول عن الخيول والاصطفاف امام الامير بهيئة خاصة تدل على الخضوع والتسليم مما

---

(١) لم ترد « به » في غير د، وفي هـ. د: كلمة «به» ساقطة من ض ح ب.
(٢) لم ترد « في دنياكم » في أ ب ص.
(٣) في أ ب و ص: آخرتكم.

لا داعي له.

ثالثاً: (وتشقون به في آخرتكم)؛ لأنّ تعظيم ما سوى الله يوجب الشقاء في الآخرة، وتعظيم الله تعالى وحده فيه السعادة في الآخرة، وتعظيم غيره جرم يعاقب فاعله اذا فعله عن علم بذلك.

وختم ذلك بالموعظة الاسلاميّة: (وما أخسر المشقة وراءها العقاب ، وأربح الدعة معها الأمان من النار)؛ فإنّ هذه العادة التي لا تقرب من الرب ولا تخدم الشعب فهي مناقضة لمبادئ الاسلام.

[٣٨]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ لِابْنِهِ ٱلْحَسَنِ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

يا بُنَيَّ ٱحْفَظْ عَنِّي أرْبَعاً وَأَرْبَعاً لايَضُرُّكَ ما عَمِلْتَ مَعَهُنَّ: إنَّ أَغْنَى ٱلْغِنَى ٱلْعَقْلُ، وَأَكْبَرَ ٱلْفَقْرِ ٱلْحُمْقُ، وَأَوْحَشَ ٱلْوَحْشَةِ ٱلْعُجْبُ، وَأَكْرَمَ ٱلْحَسَبِ[١] حُسْنُ ٱلْخُلْقِ.

(ح - ٣٨) اربع واربع:

خصّ الإمام ولده الحسن عليه السلام بهذه الوصية في مقطعين، واستهلها بقوله:

(بابني احفظ عن اربعاً واربعاً) فالمجموع ثمانية، وكان له أن يقول ذلك، وإنّما فصلها إلى قسمين؛ لأنّ النقاط الاربع الاولى انما هي نقاط ايجابية والنقاط الاربع التالية هي نقاط سلبية، وبذلك يحصل التوازن بين ما يفتقر اليه الانسان في حياته في الايجاب والسلب والعمل والترك.

النقاط الايجابية:

فعن النقاط الايجابية الاربع قال:

(لا يضرك ما عملت معهن) لانها اصول الخير في الحياة، وقد عددها بقوله:

١ ـ (ان أغنى الغنى العقل) وهو معرفة مصالح الامور ومصادرها وحسن الافعال

---

(١) في ب : الكرم، وفي هـ. ب : في نسخة: الحسب.

وقبحها، وهذا مقدر ثمين فهو اغنى الغنى.

٢ ـ(وأكبر الفقر الحمق) وهو قلة العقل، ولو انتفى كان جنونا؛ فإنّ فقد العقل بأيّة درجة كان، يكون فقرا ولا فقر اكبر منه.

٣ ـ(وأوحش الوحشة العجب) وهو الشعور بالكبر واستعظام النفس على الغير؛ فإنّ آثار ذلك تظهر في علاقة الإنسان باصحابه، فيتركونه وحاله، فلا يكون له انيس أو جليس سوى المنافق الذي يظهر له ما يرضيه ويخفى عنه ما يعتقد فيه، فيصبح وحيداً في الوحشة، وهي الخوف، بسبب العجب من نفسه.

٤ ـ(وأكرم الحسب حسن الخلق) وهو ترك المخاصمة وكف الاذى، وسببه قوة العقل.

وهذه النقاط الاربع ترجع إلى العقل؛ فإنّ حسن الخلق من آثاره الحمق والعجب بسبب قلة العقل، فهذا الاصل الاصيل الذي وجّهه الجليل للانسان العليل.

(ح ـ ٣٨) اسس الصداقة:

يا بُنَيَّ إِيّاكَ وَمُصادَقَةَ ٱلْأَحْمَقِ فَإِنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَنْفَعَكَ فَيَضُرَّكَ.

وَإِيّاكَ وَمُصادَقَةَ ٱلْبَخِيلِ فَإِنَّهُ يَقْعُدُ[1] عَنْكَ أَحْوَجَ ماتَكُونُ إِلَيْهِ.

وَإِيّاكَ وَمُصادَقَةَ ٱلْفاجِرِ[2] فَإِنَّهُ يَبِيعُكَ بِالتّافِهِ[3].

وَإِيّاكَ وَمُصادَقَةَ ٱلْكَذّابِ فَإِنَّهُ كَالسَّرابِ يُقَرِّبُ عَلَيْكَ ٱلْبَعِيدَ، وَيُبَعِّدُ عَلَيْكَ ٱلْقَرِيبَ.

وسرد اسس الصداقة والصحبة في الاسلام المبتنية على الصدق في النيّةوالفعال والوفاء، وكلها ترجع الى ضعف العقل والوعي الاسلامي، فهي نقاط سلبية اربع سردها بقوله:

١ ـ (يا بني إياك ومصادقة الأحمق) فاذا كان الحمق اكبر الفقر، فيلزم الابتعاد عنه والحذر من مصادقته على أي وجه كان، وعن سبب ذلك قال:

(فإنه يريد أن ينفعك فيضرك) حيث أن ما يصدر منه بسبب قلة العقل، وليس بسبب

---

(١) في هـ. د: يبعد ـ ب.
(٢) في أ: العاجز، وفي هـ. د: العاجز ـ ف ن.
(٣) في هـ. ب: الشيء القليل.

سوء نية.

٢ ـ (وإياك ومصادقة البخيل) والبخل: منع الواجب الاسلامي تجاه النفس أو الاسرة أو المجتمع.

(فإنه يبعد عنك أحوج ما تكون إليه) فلا يقوم بواجبه الاسلامي من الوفاء للصداقة.

٣ ـ(وإياك ومصادقة الفاجر) والفجور: العدول عن الحق؛ فإنّ انكار الحقيقة يعنى انه ليس له مبدأ في الحياة، ولا ينظر إلى الامور إلّا من زاوية المصلحة الشخصيّة.

(فإنه يبيعك بالتافه) وهو الثمن القليل، حيث لا يرى إلّا ما ينفعه، وهذا القليل انفع لمصلحته الشخصية من الصداقة التي هي علاقة اخلاقية.

٤ ـ (وإياك ومصادقة الكذاب) في القول بأن يتكلم خلاف واقع الحال .

(فإنه كالسراب) وهو ما يرى ماءً وليس اياه.

(يقرب عليك البعيد ويبعد عليك القريب) بسبب الكذب الذي تعود عليه طول حياته، فاصحبت فيه طبيعة ثانية، فما يكون قوله الا على الضد لما يقوله؛ فإنّ كلمة القريب يساوى عنه البعيد، وكذا العكس.

وهذه الاسس الاربع للصداقة في الاسلام تؤكد على الثوابت التي تبتني عليها الصداقة في الاسلام من حيث المبادئ والوسائل والاهداف.

[٣٩]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

لا قُرْبَةَ بِالنَّوافِلِ إِذا أَضَرَّتْ بِالْفَرائِضِ.

(ح ـ ٣٩) اولويات الاعمال:

(القربة: التقرب إلى الله، والنفل لغة: الزيادة، والفرض: الوجوب واللزوم).

تتحكم في حياة الإنسان اليومية اولويات من الاعمال الصالحة التي تقرب الانسان إلى الله؛ رجاء ثوابه كالاعمال الصالحة، ومنها ما هو فرض واجب مطلوب على نحو اللزوم، ومنها ما هو زيادة على المفروض، ومطلوب من غير التزام، وهذا صادق على

العبادات وغيرها من الاعمال في الحياة.

والحكمة تشير إلى ضرورة متابعة الاولويات في الحياة وتقديم الفرائض على النوافل؛ فإنّ في تقديم النوافل على الفرائض تنكر لفرض الفريضة، فلا تكون النافلة مقربة إلى الله سبحانه مع إضرارها بالواجب.

قال ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في شرح نهج البلاغة، ما نصّه:« هذا الكلام يمكن أن يحمل على حقيقته ، ويمكن أن يحمل على مجازه ، فإن حمل على حقيقته فقد ذهب إلى هذا المذهب كثير من الفقهاء ، وهو مذهب الإمامية ، وهو أنه لا يصح التنفل ممن عليه قضاء فريضة فاتته لا في الصلاة ولا في غيرها ، فأما الحج فمتفق عليه بين المسلمين أنه لا يصح الابتداء بنفله ، وإذا نوى نية النفل ، ولم يكن قد حج حجة الاسلام وقع حجه فرضا ، فأما نوافل الزكاة فما عرفت أحدا قال : إنه لا يثاب المتصدق بها ، وإن كان لم يؤد الزكاة الواجبة ، وأما إذا حمل على مجازه ، فإن معناه يجب الابتداء بالأهم وتقديمه على ما أو ليس بأهم ، فتدخل هذه الكلمة في الآداب السلطانية والإخوانية ، نحو أن تقول لمن توصيه : لا تبدأ بخدمة حاجب الملك قبل أن تبدأ بخدمة ولد الملك ، فإنك إنما تروم القربة للملك بالخدمة ، ولا قربة إليه في تأخير خدمة ولده وتقديم خدمة غلامه ، وحمل الكلمة على حقيقتها أولى لان اهتمام أمير المؤمنين عليه السلام بالأمور الدينيّة والشرعية في وصاياه ومنثور كلامه أعظم».(١)

قال الجلالي: اطلاق الحكمة تقضى شمولها لجميع الموارد، واهتمام اميرالمؤمنين اعظم بكل الامور الدينيّة من العبادات والمعاملات والعلاقات الاجتماعية والاقتصاديّة والسياسية كلّ في موضعه، والتخصيص يفتقر إلى دليل ومصطلح الفرض والنفل ليسا من الحقائق الشرعية وان كانت عند المتشرعة، والله العالم.

---

(١) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٨ : ١٥٨.

[٤٠ و ٤١]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

لِسانُ ٱلْعاقِلِ وَراءَ قَلْبِهِ، وَقَلْبُ ٱلْأَحْمَقِ وَراءَ لِسانِهِ.

قالَ الرضيُّ رَحمهُ اللهُ تعالىٰ[١]:

وَهذا مِنَ ٱلْمَعانِي ٱلْعَجِيبَةِ ٱلشَّرِيفَةِ، وَٱلْمُرادُ بِهِ أَنَّ ٱلْعاقِلَ لايُطْلِقُ لِسانَهُ إِلّابَعْدَ مُشاوَرَةِ ٱلرَّوِيَّةِ وَمُؤامَرَةِ[٢] ٱلْفِكْرَةِ، وَٱلْأَحْمَقُ تَسْبِقُ حَذَفاتُ[٣] لِسانِهِ وَفَلَتاتُ كَلامِهِ مُراجَعَةَ فِكْرِهِ، وَمُماخَضَةَ[٤] رَأْيِهِ، فَكَأَنَّ لِسانَ ٱلْعاقِلِ تابِعٌ لِقَلْبِهِ، وَكَأَنَّ قَلْبَ ٱلْأَحْمَقِ تابِعٌ لِلِسانِهِ.

(ح ـ ٤٠) القناة المشتركة:

(العقل: معرفة مصالح الامور، والحمق: قلة العقل، والقلب: ما يدرك المعارف، والحذف: الطرح، والفلتة: السقطة، والمخض: التحريك كما يمخض اللبن لاستخراج الزبد).

يعرف الشيئ بآثاره، ومن آثار العقل الذي هو معرفة مصالح الامور ومفاسدها التأمّل والتفكير حول كلّ امر بدراسة النقاط الايجابية والسلبية فيه، وبعد هذه الدراسة تعلن النتائج المستخلصة بواسطة اللسان.

ومن آثار الحمق الذي هو قلة العقل: اطلاق اللسان للنتائج قبل دراستها ومعرفة مصالحها ومفاسدها والآثار المترتبة عليها قريبا أو بعيداً.

فكل من العاقل والاحمق يستخدم قناة مشتركة في التعبير عما في الضمير، ولكن في مرحلتين مختلفتين تماماً، فيكون النفع بسبب ذلك في احدهما دون الآخر.

(ح ـ ٤١) رواية اخرى:

قالَ[٥]: وَقَدْ رُوِيَ عَنْهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ هذَا ٱلْمَعْنى بِلَفْظٍ آخَرَ وَهُوَ قَوْلُهُ: «قَلْبُ ٱلْأَحْمَقِ فِي

---

(١) لم ترد « قال الرضي رحمه الله تعالى » في أ ب ص د.
(٢) في هـ. ب: المؤامرة: المشاورة أيضاً.
(٣) في هـ. ب: الخلاف : القذف والهذيان.
(٤) في هـ. ب: أي مماخضته، ويروى:«مماحضة»: أي مخالطة.
(٥) لم ترد «قال» في أ ب ص.

فِيهِ، وَلِسانُ ٱلْعاقِلِ فِي قَلْبِهِ»: وَمَعْناهُما واحِدٌ.

وقد اعتبر الشريف الرضي (ت /٤٠٦) معنى الروايتين واحداً، باعتبار الهدف منهما وهو الحث على ضبط اللسان والتفكير في الجنان قبل اطلاق العنان؛ فإنّ الشرور ترجع إلى هذا العضو الصغير في جسم الانسان. وفي هذه الرواية من الحكمة ما لا توجد في الاولى، حيث أن الرواية الاولى يستخدم كلّ من العاقل والاحمق قناة واحدة هي اللسان، وفي هذه الرواية لا يستخدم العاقل اللسان بل يستخدمه الاحمق فقط، والعاقل من يتجنب الكلام إلّا عند الضرورة، فيكون لسانه مستوراً في قلبه لا ينطق بكلمة، وتكون اعماله هي الناطقة حالكون لسانه صامتاً، وكلما روي وحكي في مدح الصمت وذم الكلام ينطبق على هذا المقام.

[٤٢]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ لِبَعْضِ أَصْحابِهِ فِي عِلَّةٍ ٱعْتَلَّها:

جَعَلَ ٱللّهُ ماكانَ مِنْ شَكْواكَ حَطّاً لِسَيِّئاتِكَ، فَإِنَّ ٱلْمَرَضَ لا أَجْرَ فِيهِ، وَلكِنَّهُ يَحُطُّ ٱلسَّيِّئاتِ وَيَحُتُّها حَتَّ ٱلْأَوْراقِ، وَإِنَّما ٱلْأَجْرُ فِي ٱلْقَوْلِ بِاللِّسانِ، وَٱلْعَمَلِ بِالْأَيْدِي وَٱلْأَقْدامِ، وَإِنَّ ٱللّهَ سُبْحانَهُ[١] يُدْخِلُ بِصِدْقِ ٱلنِّيَّةِ وَٱلسَّرِيرَةِ ٱلصّالِحَةِ مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ ٱلْجَنَةَ.

قال الرضيّ رحمه الله تعالىٰ[٢]:

وأَقُولُ: صَدَقَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ[٣]، إِنَّ ٱلْمَرَضَ لاأَجْرَ فِيهِ، لِأَنَّهُ مِنْ قَبِيلِ ما يُسْتَحَقُّ عَلَيْهِ ٱلْعِوَضُ؛ لَأَنَّ ٱلْعِوَضَ يُسْتَحَقُّ عَلى ماكانَ فِي مُقابَلَةِ فِعْلِ ٱللّهِ تَعالى بِالعَبْدِ مِنَ ٱلآلامِ وَٱلْأَمْراضِ وَما يَجْرِي مَجْرى ذلِكَ، وَٱلْأَجْرُ وَٱلثَّوابُ يُسْتَحَقّانِ عَلى ماكانَ فِي مُقابَلَةِ فِعْلِ ٱلْعَبْدِ، فَبَيْنَهُما فَرْقٌ قَدْ بَيَّنَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ كَما يَقْتَضِيهِ عِلْمُهُ ٱلثّاقِبُ[٤]، وَرَأْيُهُ ٱلصّائِبُ[٥].

---

(١) لم ترد سبحانه في ص.
(٢) لم ترد «قال الرضي رحمه الله تعالىٰ» في أ ب ص د، وفي د: وأقول.
(٣) في ب : صلى الله عليه وآله.
(٤) في هـ. ب: في نسخة: السائر.
(٥) في هـ. ب: الصائب السهم الذي يصيب ولا يخطئ.

(ح - ٤٢) المرض:

(الشكوى: التعلل، والحط: الوضع، والمرض: العاهة، والحت: السقوط، والسريرة: ما لايعلم، والنية: القصد).

هذه الحكمة الحاكية عن عيادة الإمام لمريض من اصحابه يشكو من علة ألمّت به.

واشار فيها رؤوس اقلام من البحوث الاسلامية في نقاط:

(جعل الله ما كان من شكواك حطّا لسيئاتك) ابتدأ بالدعاء؛ فإنّ المرض يفتقر إلى تقوية روحية معنوية، ففي حالة المرض يشعر المريض بنقاط الضعف في حياته، وينتبه إلى هفواته وسيئاته، فيتقرب إلى الله لعلمه بقرب انتهاء الحياة الماديّة.

٢ ـ (فإن المرض لا أجر فيه)؛ لأنّ المرض حالة طبيعية تسبب بخلل في الجسم، وليس عملا حتّى يستحق عليه الاجر، بل هو عجز عن العمل بسبب العلة، وفي هذا دفع لشبهة قائمة حول المرض.

٣ ـ(ولكنّه يحط السيئات ، ويحتها حت الأوراق) بسبب تقرب المرض إلى الله في حالة المرض اكثر من الحالات الطبيعة الاخرى، فإنّه يواجه مستقبلا مجهولا، فيدعوا الله سبحانه ويستغفر من ذنوبه، فيكون المرض سببا في حط السيئات؛ لأنّ الاستغفار في حالة المرض يختلف عنه في حالة الصحة.

ثم أشار إلى الاحباط، وهو سقوط الذنب من دون التوبة المشروحة في علم الكلام، ونفى ذلك بقوله:

ـ (وإنما الأجر من الله) وهو المكافاءة على الشئ، لا يكون إلّا بسبب، وعد من الاسباب بقوله:

أوّلاً: (و انما الاجر في القول باللسان) كما هو الحال في العبادات من كلمة الشهادة وغيرها من الادعية والصلوات، فهي اقوال صادرة باختيار الإنسان فيستحق الاجر عليها.

ثانياً: (والعمل بالأيدي والأقدام) من الاعمال الصالحة الصادرة من المكلف قربة إلى الله تعالى فيستحق عليها الاجر.

ثالثاً: (وإن الله سبحانه يدخل بصدق النيّة والسريرة الصالحة من يشاء من عباده الجنّة)؛ فإنّ النيّة الصادقة ان كانت امراً قلبيا فتدخل في العقيدة، والله يحاسب عليها ويجزي من اعتقد معتمداً على الحجة والبرهان، كمايعاقب من كفر عن عصيان بما يستحقه.

وهذه الامور الثلاثة تشير إلى الحديث المستفيض:«الايمان هو الاعتقاد بالجنان والقول باللسان والعمل بالاركان»[١] (وراجع المادة في المعجم).

[٤٣]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ فِي ذِكْرِ خَبّابِ بْنِ ٱلْأَرَتِّ رحمه الله[٢]:

يَرْحَمُ ٱللّهُ خَبّاباً[٣]! فَلَقَدْ أَسْلَمَ راغِباً، وَهاجَرَ طائِعاً[٤]، وَعاشَ مُجاهِداً.

(ح ـ ٤٣) خبّاب بن الارت الكوفي:

ينعى الإمام احد اصحابه وهو خباب بن الارت الكوفي (ت/ ٣٩) بصفات تكشف عن شخصيته الرسالية في الاسلام، فقال:

(يرحم الله خباب بن الأرت)؛ فإنّ واجب الصحبة الدعاء والترحم على الاموات، وعن صفاته قال:

أوّلاً: (فلقد أسلم راغبا) حيث كان من اوائل المسلمين في مكة و عاش ايام الحصار وكان اسلامه عن دراسة ووعي حتّى اصبح مدرساً لفاطمة بنت الخطاب اخت الخليفة الثاني عمر، وكان سادس من اسلم من اوائل المسلمين.

ثانياً: (وهاجر طائعا) مع المهاجرين من مكة إلى المدينة وطبق أمر الله في هذه الهجرة الاسلامية المقدسة.

ثالثاً: (وقنع بالكفاف) في حياته المادية ولم يتهالك وراء المادّة والماديات.

---

(١) .
(٢) لم ترد «رحمه الله» في أ و ب، ولم ترد «ابن الأرت رحمه الله» في ط.
(٣) في ط: خباب بن الأرت، وفي هـ. د: يرحم الله خباب بن الأرت ـ ض.
(٤) في ط: وقنع بالكفاف ورضى عن الله، وفي هـ. د: العبارة ساقطة من م ن ف ح ل ش.

رابعاً: (ورضي عن الله) بما قسمه، حيث ابتلي وبقى ى ملتزما بوصايا الرسول القائد فقال: «لولا أن رسول الله ﷺ نهاني أن ندعوا بالموت لدعوت به».

خامساً: (وعاش مجاهدا) حيث اشترك مع المسلمين في بدء الدعوة ومع النبي في المدينة ومع اميرالمؤمنين في صفين ونهروان حتّى توفي عن عمر ناهز ثلاث وسبعين عاما في الكوفة، قتله الخوارج، وكان اول من دفن فيها من الصحابة.

قال ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في شرح نهج البلاغة، ما نصّه:« [خباب بن الأرت] هو خباب بن الأرت بن جندلة بن سعد بن خزيمة بن كعب بن سعد بن زيد مناة ابن تميم ، يكنى أبا عبد الله – وقيل : أبا محمّد وقيل : أبا يحيى – أصابة سبى فبيع بمكة [١]. وكانت أمة ختانة ، وخباب من فقراء المسلمين وخيارهم ، وكان به مرض ، وكان في الجاهلية قينا حدادا يعمل السيوف ، وهو قديم الاسلام ، قيل: إنه كان سادس ستة ، وشهد بدرا وما بعدها من المشاهد ، وهو معدود في المعذبين في الله سأله عمر بن الخطاب أيام خلافته : ما لقيت من أهل مكة ؟ فقال : انظر إلى ظهري ، فنظر فقال : ما رأيت كاليوم ظهر رجل ! فقال خباب : أوقدوا لي نارا وسحبت عليها ، فما أطفأها إلا ودك ظهري . وجاء خباب إلى عمر ، فجعل يقول ادنه ادنه ثم قال له: ما أحد أحق بهذا المجلس منك ، إلا أن يكون عمار بن ياسر . نزل خباب إلى الكوفة ، ومات بها في سنة سبع وثلاثين ، وقيل : سنة تسع وثلاثين ، بعد أن شهد مع أمير المؤمنين على صفين ونهروان وصلى عليه علي عليه السلام وكانت سنه يوم مات ثلاثا وسبعين سنة ، ودفن بظهر الكوفة [٢]. وهو أول من دفن بظهر الكوفة ، وعبد الله بن خباب هو الذي قتلته الخوارج ، فاحتج علي عليه السلام به وطلبهم بدمه ، وقد تقدم ذكر ذلك».[٣]

وقال ابن حجر في تهذيب التهذيب:«خباب [٤] بن الأرت بن جندلة بن سعد التميمي

(١) في الاستيعاب : " كان قينا يعمل السيوف في الجاهلية ، فأصابه سبا فبيع بمكة ، فاشترته أم أنمار بنت سباع الخزاعية " .
(٢) انظر ترجمة خباب في الاستيعاب ١ : ٤٣٨.
(٣) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٨ : ١٧١ ـ ١٧٢.
(٤) في التقريب " خباب " بالموحدتين الأولى مثقلة، والأرت ، في المغنى بهمزة وراء

كنيته أبو عبد الله . شهد بدرا وكان قينا في الجاهلية روى عن النبيﷺ . روى عنه أبو أمامة الباهلي وابنه عبد الله بن خباب وأبو معمر عبد الله بن الشخير وقيس بن أبي حازم ومسروق ابن الأجدع وعلقمة بن قيس وأبو وائل وحارثة بن مضرب وأبو الكنود الأزدي وأبو ليلى الكندي وأرسل عنه مجاهد والشعبي وسليمان بن أبي وهند ويقال: ابن أبي هندية نزل الكوفة ومات بها سنة (٣٧) وهو ابن (٧٣) سنة وقيل: أو ستين وصلى عليه علي ابن أبي طالب وكان من المهاجرين الأولين . قلت : قال ابن سعد: أصابه سبأ فبيع بمكة ثم حالف بني زهرة[١] وأسلم قبل أن يدخل رسول اللهﷺ دار الأرقم وكان من المستضعفين الذين يعذبون بمكة وحكى الباودردي انه أسلم سادس ستة وحكى ابن عبد البر في الاستيعاب انه شهد صفين مع علي ثم قال: وقيل: مات سنة (١٩) وصلى عليه عمر، وقال أبو الحسن ابن الأثير: الصحيح انه لم يشهد صفين، منعه من ذلك مرضه، وقال ابن حبان: مات منصرف علي من صفين وصلى عليه علي، وقيل: مات سنة (١٩)، والأول أصح ».[٢]

وقال ابن الأثير في أسد الغابة:« ب د ع ، خباب بن الأرت اختلف في نسبه فقيل خزاعي وقيل: تميمي وهو الأكثر وهو خباب بن الأرت بن جندلة بن سعد بن خزيمة بن كعب بن سعد بن زيد مناه بن تميم يكنى أبا عبد الله وقيل: أبو محمّد وقيل: أبو يحيى وهو عربي لحقه سباء في الجاهلية فبيع بمكة وقيل: هو حليف بني زهرة، وقال ابن منده وأبو نعيم: قيل: هو مولى عتبة بن غزوان وقيل: مولى أم أنمار بنت سباع الخزاعية، وهي من حلفاء بنى زهرة، فهو تميمي النسب خزاعي الولاء زهري الحلف؛ لان مولاته أم أنمار كانت من حلفاء عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة والد عبد الرحمن بن عوف وهو من السابقين الأولين إلى الاسلام وممن عذب في الله تعالى، كان سادس ستة في

مفتوحتين وشدة مثناة فوق اهد أبو الحسن .

(١) وقيل: إن أمه كانت أم سباع الخزاعية، ولكنه انتمى إلى حلفاء أمه بني زهرة . ذكر أن عمر بن الخطاب سأله عما لقى في ذات الله فكشف ظهره، فقال عمر: ما رأيت كاليوم، فقال: يا أمير المؤمنين لقد أوقدت لي نار فما أطفأها إلا شحمي. ذكره السهيلي اهد هامش الأصل .

(٢) تهذيب التهذيب ؛ لابن حجر ٣: ١١٥ – ١١٦.

الاسلام، قال مجاهد: أول من أظهر اسلامه رسول الله صلى الله عليه وآله وأبو بكر وخباب وصهيب وبلال وعمار وسمية أم عمار، فأما رسول الله صلى الله عليه وآله فمنعه الله بعمه أبي طالب، وأما أبو بكر فمنعه قومه، وأما الآخرون فألبسوهم أدراع الحديد ثم صهروهم في الشمس، فبلغ منهم الجهد ما شاء الله أن يبلغ من حر الحديد والشمس، قال الشعبي: ان خبابا صبر ولم يعط الكفار ما سألوا فجعلوا يلصقون ظهره بالرضف حتى ذهب لحم متنه، أخبرنا أبو الفضل بن أبي الحسن بن أبي عبد الله الفقيه باسناده إلى أحمد بن علي الموصلي قال حدثنا زهير بن حرب أخبرنا جرير عن إسماعيل بن قيس عن خباب قال: شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وهو متوسد ببرد له في ظل الكعبة فقلنا ألا تستنصر لنا فجلس محمرا وجهه فقال: قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض ثم يجاء بالميشار فيجعل فوق رأسهما يصرفه عن دينه ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم وعصب ما يصرفه عن دينه وليتمن الله هذا الامر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخشى إلّا الله عز وجل والذئب على غنمه ولكنكم تعجلون، وقال أبو صالح: كان خباب قينا يطبع السيوف وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يألفه ويأتيه فأخبرت مولاته بذلك فكانت تأخذ الحديدة المحماة فتضعها على رأسه فشكا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: اللهم انصر خبابا فاشتكت مولاته أم أنمار رأسها فكانت تعوي مثل الكلاب فقيل لها اكتوى فكان خباب يأخذ الحديدة المحماة فيكوى بها رأسها وشهد بدرا وأحدا والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وآله، قال الشعبي: سأل عمر بن الخطاب خبابا رضي الله عنهما عما لقى من المشركين فقال: يا أمير المؤمنين نظر إلى ظهري فنظر فقال: ما رأيت كاليوم ظهر رجل قال: خباب لقد أوقدت نار وسحبت عليها فما أطفأها إلّا ودك ظهري ولما هاجر آخى رسول الله صلى الله عليه وآله بينه وبين تميم مولى خراش بن الصمة وقيل: آخى بينه وبين جبر بن عتيك روى عنه ابنه عبد الله ومسروق وقيس ابن أبي حازم وشقيق وعبد الله بن سخبرة وأبو ميسرة عمرو بن شرحبيل والشعبي وحارثة بن مضرب وغيرهم أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن محمّد الفقيه وغير واحد قالوا باسنادهم إلى محمّد بن عيسى السلمي حدثنا محمّد بن بشار أخبرنا وهب بن جرير أخبرنا أبى قال: سمعت النعمان بن راشد عن الزهري عن عبد الله بن الحارث عن

عبد الله ابن خباب بن الأرت عن أبيه قال: صلى رسول الله ﷺ صلاة فأطالها فقالوا يا رسول الله صليت صلاة لم تكن تصليها قال: أجل انها صلاة رغبة ورهبة انى سألت الله عز وجل فيها ثلاثا فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة سألته ان لا يهلك أمتي بسنة فأعطانيها وسألته ان لا يسلط عليهم عدوا من غيرهم فأعطانيها وسألته ان لا يذيق بعضهم بأس بعض فمنعنيها أخبرنا أبو الفرج بن أبي الرجاء أخبرنا أبو الفتح إسماعيل بن الفضل بن أحمد بن الإخشيد أخبرنا أبو طاهر محمّد بن عبد الرحيم أخبرنا أبو حفص عمر بن إبراهيم الكناني أخبرنا أبو القاسم البغوي أخبرنا أبو خيثمة زهير بن حرب أخبرنا جرير عن الأعمش عن مالك بن الحارث عن أبي خالد شيخ من أصحاب عبد الله قال: بينما نحن في المسجد إذ جاء خباب بن الأرت فجلس فسكت فقال له القوم: ان أصحابك قد اجتمعوا إليك لتحدثهم أو لتأمرهم قال: بم آمرهم ولعلي آمرهم بما لست فاعلا.

وروى قيس بن مسلم عن طارق قال: عاد خبابا نفر من أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا أبشر أبا عبد الله ترد على إخوانك الحوض فقال: إنكم ذكرتم لي إخوانا مضوا ولم ينالوا من أجورهم شيئا وانا بقينا بعدهم حتى نلنا من الدنيا ما نخاف أن يكون ثوابا لتلك الأعمال ومرض خباب مرضا شديدا طويلا أخبرنا يحيى بن محمود بن سعد باسناده إلى مسلم بن الحجاج أخبرنا أبو بكر بن أبي شيبة أخبرنا عبد الله بن إدريس عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس ابن أبي حازم قال: دخلنا على خباب وقد اكتوى سبع كيات فقال: لولا أن رسول الله ﷺ نهانا أن ندعو بالموت لدعوت به ونزل الكوفة ومات بها وهو أول من دفن بظهر الكوفة من الصحابة وكان موته سنة سبع وثلاثين، قال زيد بن وهب: سرنا مع علي حين رجع من صفين حتى إذا كان عند باب الكوفة إذا نحن بقبور سبعة عن أيماننا فقال: ما هذه القبور؟ فقالوا: يا أمير المؤمنين ان خباب بن الأرت توفي بعد مخرجك إلى صفين، فأوصى أن يدفن في ظاهر الكوفة، وكان الناس انما يدفنون موتاهم في أفنيتهم وعلى أبواب دورهم، فلما رأوا خبابا أوصى أن يدفن بالظهر دفن الناس، فقال علي عليه السلام: رحم الله خبابا أسلم راغبا وهاجر طائعا وعاش مجاهدا وابتلي في جسمه ولن يضيع الله أجر من أحسن عملا، ثم دنا من قبورهم فقال: السلام عليكم يا أهل الديار من المؤمنين

والمسلمين أنتم لنا سلف فارط ونحن لكم تبع عما قليل لاحق، اللهم اغفر لنا ولهم وتجاوز بعفوك عنا وعنهم، طوبى لمن ذكر المعاد وعمل للحساب وقنع بالكفاف وأرضى الله عز وجل.

قال أبو عمر: مات خباب سنة سبع وثلاثين بعد ما شهد صفين مع علي عليه السلام والنهروان، وصلى عليه علي وكان عمره إذ مات ثلاثا وسبعين سنة، قال: وقيل: مات سنة تسع عشرة وصلى عليه عمر رض، أخرجه الثلاثة.

قلت: الصحيح انه مات سنة سبع وثلاثين وانه لم يشهد صفين، فإنه كان مرضه قد طال به فمنعه من شهودها، وأما الخباب الذي مات سنة تسع عشرة هو مولى عتبة بن غزوان، ذكره أبو عمر أيضا، وقد ذكر ابن منده وأبو نعيم أن خباب بن الأرت مولى عتبة بن غزوان وليس كذلك، انما خباب مولى عتبة بن غزوان آخر يرد ذكره، وهما قد ذكرا في تسمية من شهد بدرا خباب بن الأرت من حلفاء بني زهرة ثم ذكرا في ترجمة خباب مولى عتبة من شهد بدرا من بنى نوفل بن عبد مناف من حلفائهم عتبة بن غزوان وخباب مولى عتبة ثم قال أبو نعيم عن مولى عتبة: انه لم يعقب ولا تعرف له رواية فكفى بهذا دليلا على أنهما اثنان لان ابن الأرت قد أعقب عدة أولاد منهم عبد الله وقتلته الخوارج أيام علي عليه السلام وله رواية عن النبي صلى الله عليه وآله ثم إن بنى زهرة غير بنى نوفل وقد ذكر ابن إسحاق وغيره من أصحاب السير من شهد بدرا من بنى زهرة من حلفائهم خباب بن الأرت وذكروا أيضا من حلفاء بنى نوفل خبابا مولى عتبة بن غزوان فظهر أن مولى عتبة غير خباب بن الأرت وقال بعض العلماء ان خباب بن الأرت لم يكن قينا وانما القين خباب مولى عتبة بن غزوان، والله أعلم.(١)

---

(١) أسد الغابة ؛ لابن الأثير ٢ : ٩٨ ـ ١٠٠.

[٤٤]

طُوبى لِمَنْ ذَكَرَ ٱلْمَعادَ، وَعَمِلَ لِلْحِسابِ، وَقَنِعَ بِالْكَفافِ، وَرَضِيَ عَنِ ٱللّٰهِ.

(ح - ٤٤) من اسباب السعادة:

(طوبى لمن ذكر المعاد، هو دعاء لمرضي الخصال، والمعاد: يوم القيامة حيث يعود الناس للحساب).

يشير الإمام إلى اسباب اربعة توجب السعادة في الدنيا والآخرة، هي:

١ ـ (ذكر المعاد)؛ فإنّ ذكر الشيئ يستلزم الاستعداد له، والايمان بالمعاد يوم القيامة من اصول الدين الاسلامي، ويجب الاستعداد له بالعمل الصالح في الدنيا.

٢ ـ (وعمل للحساب)؛ فإنّ عند الحساب لا ينفع سوى العمل الصالح ومجاله في الدنيا فقط.

٣ ـ(وقنع بالكفاف) وهو ما يكفي الحياة؛ فإنّ الزيادة على الكفاف همّ في الدنيا بالمحافظة عليها والصيانة لها، وحساب في الآخرة على موارد الحصول عليها وصرفها، والحالتان تستلزمان الهم وانشغال الفكر خشية أن يتحق ماليس بمأمول.

٤ ـ (ورضي عن الله) بالحالة التي هو فيها؛ فإنّ عدم الرضا لا يغير من واقع الحال شيئا، بل يزيد المشكلة مشكلة اخرى نفسية، وقد ينقلب إلى مشكلة عقائدية.

وهذه النقاط الاربع تجعل الإنسان في راحة نفسية حيث يعلم بأنّه قد ادى واجبه، فيكون مرتاح الضمير لعلمه بأن الله بكلّ شيئ بصير وعلى كلّ شيئ قدير.

[٤٥]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

لَوْ ضَرَبْتُ خَيْشُومَ[١] ٱلْمُؤْمِنِ بِسَيْفِي هذا عَلى أَنْ يُبْغِضَنِي ما أَبْغَضَنِي، وَلَوْ صَبَبْتُ ٱلدُّنْيا بِجَمّاتِها[٢] عَلَى ٱلْمُنافِقِ عَلى أَن يُحِبَّنِي ما أَحَبَّنِي، وَذلِكَ أَنَّهُ قُضِيَ فَانْقَضى عَلى

---

(١) الخيشوم: أقصى الأنف.

(٢) في هـ. ب: بجملتها، هـ. د: بجملتها ـ حاشية ش، وفي هـ. ص: جمع جـمة، وهـي المكـان

لِسانِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ـ صَلَّى ٱللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ[١] أَنَّهُ قالَ : «يا عَلِيُّ[٢] لايُبْغِضُكَ مُؤْمِنٌ، وَلايُحِبُّكَ مُنافِقٌ».

(ح ـ ٤٥) مقياس الحب والبغض:

(الخيشوم: اقصى الانف، والجمة: مجمع الماء).

الحب والبغض امران نفسيان في الإنسان يستمدان من عوامل عديدة اهمها العقيدة، وكل من يفقد شيئاً ـ حقا أو باطلا ـ يستسهل في سبيل ما يحب ومن يحب ويجازف في سبيل الحصول عليه والوصول الى المحبوب وتحقيق المطلوب كلّ غال ورخيص.

ويشير الإمام إلى أن الحب في الاسلام ينبع من الايمان، والبغض من النفاق، فإنّهما المقياس الطبيعي في الحب والبغض، فاذا عرفت الاسباب لابدّ وان يتحقق عليها المسببات .

وضرب بنفسه مثلا فقال:

١ ـ (لو ضربت خيشوم المؤمن بسيفي هذا على أن يبغضني ما أبغضني)؛ لأنّ السبب في حبه هو العقيدة والايمان بالمبادئ والوسائل والاهداف الاسلامية التي يعتقد بها في الحياة.

٢ ـ (ولو صببت الدنيا بجماتها على المنافق على أن يحبني ما أحبني)؛ لأنّ السبب في البغض هو النفاق، وقد فرق بينهما النفاق في الحياة فكما لا لقاء بين الايمان والنفاق، فلا يكون لقاء بين الحب والبغض، وقد استشهد بالقضاء الالهي بقوله:

٣ ـ (وذلك انّه قضى فانقضى) بالارادة الالٰهيّة في قانون العلل والمعلولات؛ فإنّ الله لا يجري الامور الا باسبابها، والسبب الرئيس في الحب والبغض العقيدة المتمثلة بالايمان والنفاق. وذكر مصدر علمه هذا بالقضاء الالهي مستشهداً بالمأثور عن الرسول القائد بقوله:

يجمع فيه الماء، وهذه استعارة، انتهى من الشرح.

(١) في ب ص: عليه السلام.

(٢) لم ترد يا علي في أ و ب ص.

٤ ـ (على لسان النبي الأمي ﷺ انّه قال : «يا علي لا يبغضك مؤمن ولا يحبك منافق»)؛ فإنّ العقيدة المشتركة بين الإمام والمؤمن هو الايمان، وهو يستلزم الحب، كما أن تضاد العقيدة بينه وبين المنافق يستلزم آثاره وهو البغض من المنافق.

[٤٦]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

سَيِّئَةٌ تَسُوءُكَ خَيْرٌ عِنْدَ ٱللّهِ مِنْ حَسَنَةٍ تُعْجِبُكَ[١].

(ح ـ ٤٦) السيئة والحسنة:

كل ما يوجب العجب في النفس وان كان حسنا بالذات يعتبر سيئة؛ حيث انّه وسيلة للعجب الذي هو سيئه ؛ لان الحسن والقبح في الاشياء غالبا ليست ذاتية بل بسبب مالها من الاثار في النفس والمجتمع، والسيئة لا خير فيها؛ لما لها من الاضرار على النفس خاصة والمجتمع الاسلامي عامة، فكذلك الحسنة التي هي تولد الاعجاب في النفس لانها بسبب هذا الاثر السيئ اصبحت سيئة.

وبالعكس السيئة التي تسلب الإنسان حالة العجب تنقلب حسنة؛ لانها تسوء النفس الامارة بالسوء، لان السيئة والحسنة قد يكونا ذاتيين وقد تكونا عرضيين تتحدد بآثارهما في النفس والاسرة والمجتمع.

[٤٧]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

قَدْرُٱلرَّجُلِ عَلى قَدْرِ هِمَّتِهِ[٢]**، وَصِدْقُهُ عَلى قَدْرِ مُرُوءَتِهِ**[٣]**، وَشَجاعَتُهُ عَلى قَدْرِ**

---

(١) في هـ. ص: هذا حق، وذلك أنّه إذا ساءته تاب منها، فأبدل الله سيّئاته حسنات، وإذا أعجبته حسنة حبطت بالاعجاب ولزمه إثمه.

(٢) في هـ. ص: قوله: «همّته»، الهمّة: حالة متوسطة محمودة بين حالتين مذمومتين، وهما: تأهل الإنسان لما لا يستحقه، والدناءة وهو إطراحه لما هو أهله.

(٣) في هـ. ص: وقوله: «مروّته» وذلك؛ لأنّ المروءة ترك الرذائل، والكذب شرّها.

أَنَفَتِهِ[١]، وَعِفَّتُهُ عَلى قَدْرِ غَيْرَتِهِ[٢].

(ح - ٤٧) درجات التقدير:

(الانفة: العزة) تشير الحكمة إلى درجات التقدير الحياة في صفات متلازمة في الدرجات يستدل بها على درجات صفات اخرى مجهولة، واشار منها إلى اربع بقوله:

١ ـ (قدر الرجل على قدر همته)؛ فإنّ اصحاب الهمم العالية ارفع قدراً ممن لاهمة له في الحياة سوى الاكل والشرب، كما تعيش الحيوانات همها علفها؛ فإنّ علو الهمة من الايمان، فيكون في اعلى قائمة الاولويات.

٢ ـ (وصدقه على قدر مروءته)؛ فإنّ الاعمال ـ لا الاقوال ـ هي التي تميز الصادق من الكاذب وبدرجة المروءة تتحدد درجة الصدق دون الوعود والاقوال.

٣ ـ(وشجاعته على قدر أنفته)؛ فإنّ الشجاعة تنبع من الحمية للحق ومساندة الحقيقة من غير خوف من الدعايات العاملة والترهات الباطلة، فكلما كان مواقف المساندة للحق والحقيقة اكثر كانت الشجاعة كذلك.

٤ ـ (وعفته على قدر غيرته) فليست العفة بادعائها أو بعدم التلبس بمغريات الحياة ؛ فإنه قد يكون للعجز المادي، بل تقوّم العفة بدرجة الغيرة على العرض والناموس في الحياة.

فان هذه النقاط الاربع تحدد درجات كلّ من الصفات المذكورة؛ استناداً إلى العمل، وليس القول من الإنسان نفسه أو في اصحابه والمستضعفين من ورائه، فمن لا توجد له موقف في هذه الصفات الثمانية يكون اقرب إلى صفات الحيوان المجرد عن الانسانية، وكلما زادت احداها دلت على درجة ما يستلزمها.

قال ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في شرح نهج البلاغة، ما نصّه:« إن كبر الهمة خلق مختص بالانسان فقط ، وأما سائر الحيوانات فليس يوجد فيها ذلك ، وإنما يتجرا كل نوع

---

(١) في هـ . ب: حميته، وفي هـ . ص: وقوله: «أنِفَتِهِ» وذلك لأنّ الأنِف يختار الهلاك على قبول الضيم.

(٢) في هـ . ص: وقوله: «غيرته» يقال: ما زنى غيور.

منها الفعل بقدر ما في طبعه ، وعلو الهمة حال متوسطة محمودة بين حالتين طرفي رذيلتين ، وهما الندح ، وتسميه الحكماء التفتح – وصغر الهمة – وتسمية الناس الدناءة ، فالتفتح تأهل الانسان لما لا يستحقه ، وصغر الهمة تركة لما يستحقه لضعف في نفسة ، فهذان مذمومان ، والعدالة وهي الوسط بينهما محمودة ، وهي علو الهمة ، وينبغي أن يعلم أن المتفتح جاهل أحمق ، وصغير الهمة أو ليس بجاهل ولا أحمق ، ولكنه دنئ ضعيف قاصر ، وإذا أردت التحقيق ، فالكبير الهمة من لا يرضى بالهمم الحيوانية ، ولا يقنع لنفسه أن يكون عند رعاية بطنه وفرجه بل يجتهد في معرفة صانع العالم ومصنوعاته ، وفى اكتساب المكارم الشرعية ليكون من خلفاء الله وأوليائه في الدنيا ، ومجاوريه في الآخرة».[1]

[٤٨]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

ٱلظَّفَرُ بِالْحَزْمِ[2]، وَٱلْحَزْمُ بِإِجالَةِ ٱلرَّأْيِ، وَٱلرَّأْيُ بِتَحْصِينِ ٱلْأَسْرارِ[3].

(ح ـ ٤٨) عوامل الظفر:

يشير الإمام إلى سلسلة مترابطة في الظفر بما يطمح به الإنسان في الحياة، وأنه لا يمكن للانسان الوصول إليه إلّا يسلوك هذه السلسلة خطوة فخطوة، فقال:

أوّلاً: (الظفر بالحزم) وهو الارادة القوية لتحقيق المطلوب، وهي لا تنفك عن المراد.

ثانياً: (والحزم بإجالة الرأي) احاطة كاملة لجميع الاسباب والنتائج وردود الفعل التي تترتب عليه في الحاضر والمحتملة في المستقبل؛ فإنّ دراسة الموضوع من كلّ جوانبه يجعل الإنسان في حالة يمكن منه اتخاذ القرار المناسب.

ثالثاً: (والرأي بتحصين الأسرار)؛ فإنّ كل حركة وعمل يتحصن بالاسرار ويكون غير

---

(١) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٨ : ١٧٥.
(٢) في هـ . ب: الحزم: الضبط.
(٣) في هـ . ص: هذا حثّ على كتمان السر، لأنّ الإنسان إذا كان كاتماً سرّه كانت الخيرة بيده.

معلن عنها ولكنها في نفس الوقت الحاكمة في اتخاذ القرار المناسب في المواقف عن تلك الاسرار، تجعل الهدف في معرض الخطر، حيث يحاول العدو مقاومتها والمنع عن الوصول الى الهدف، فلابد من أن تكون الاسرار محفوظة كالحصن.

وهذه النقاط الثلاث سلسلة مترابطة لحلقات النجاح؛ لأيّ هدف في الحياة.

قال ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في شرح نهج البلاغة، ما نصّه:«قال الحكماء : السر ضربان : أحدهما ما يلقى إلى الانسان من حديث ليستكتم ، وذلك إما لفظا كقول القائل : اكتم ما أقوله لك ، وإما حالا وهو أن يجهر بالقول حال انفراد صاحبه ، أو يخفض صوته حيث يخاطبه ، أو يخفيه عن مجالسيه ، ولهذا قيل : إذا حدثك إنسان والتفت إليه فهو أمانة . والضرب الثاني نوعان : أحدهما أن يكون حديثا في نفسك تستقبح إشاعته ، والثاني أن يكون أمرا تريد أن تفعله . وإلى الأول أشار النبي صلى الله عليه وآله بقوله : من أتى منكم شيئا من هذه القاذورات فليستتر بستر الله عز وجل " ، وإلى الثاني أشار من قال : " من الوهن والضعف إعلان الامر قبل إحكامه " ، وكتمان الضرب الأول من الوفاء ، وهو مخصوص بعوام الناس ، وكتمان الضرب الثاني من المروءة والحزم ، والنوع الثاني من نوعيه أخص بالملوك وأصحاب السياسات . قالوا : وإذاعة السر من قلة الصبر ، وضيق الصدر ، ويوصف به ضعفة الرجال والنساء والصبيان . والسبب في أنه يصعب كتمان السر أن للانسان قوتين : إحداهما آخذة ، والأخرى معطية ، وكل واحدة منهما تتشوق إلى فعلها الخاص بها ، ولولا أن الله تعالى وكل المعطية بإظهار ما عندها لما أتاك بالاخبار من لم تزود ، فعلى الانسان أن يمسك هذه القوة ولا يطلقها إلا حيث يجب إطلاقها ، فإنها إن لم تزم وتخطم ، تقحمت بصاحبها في كل مهلكة».[١]

---

(١) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٨ : ١٧٧ ـ ١٧٨.

[٤٩]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

ٱحْذَرُو اصَوْلَةَ ٱلْكَرِيمِ إِذا جاعَ[١]، وَٱللَّئِيمِ إِذا شَبِعَ[٢].

(ح - ٤٩) **عقدة النقص وعدمها:**

(الصولة: السطوة، والكرم: الجود، واللئيم: شحيحح النفس والبخيل والمهان).

الحالات الشاذة في الإنسان كالمهانة والبخل وشح النفس وغيرها تولّد في الإنسان عقدة النقص، وتصبح طبيعة ثانوية لا تفارقه مدى الحياة، وعلى العكس تماماً من ليس له عقدة النقص.

ولكل من عقدة النقص وعدمها آثار تنعكس في اعمال كلّ من الواجد والفاقد، وقد أشار الإمام الى انقلاب الحالات التي تظهر هذه النتائج ومنها الجوع والشبع.

فان الكريم يجود بما يملك كرامة للنفس، وبما أن الجوع يهدد كرامة النفس من الاستعطاء، فيكون كعلامات الانذار، حيث يحاول كلّ ما ييسر له كرامة لنفسه.

وعلى الضد اللئيم المهان في نفسه، ومن انقلبت الحال عنده من الفقر إلى الغنى؛ فإنّ عقدة النقص تلازمه، فلا يكون عند الشبع شاكراً للنعمة، كما انّه ليس صابراً عند فقدانها، وبالشبع يزيد طغيانا فيجب أن يتحذر منه.

قال الشاعر:

فمستحدث النعمة لا يرتجى احشاوه مملوءة فقرا

[٥٠]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

قُلُوبُ ٱلرِّجالِ وَحْشِيَّةٌ فَمَنْ تَأَلَّفَها[٣] أَقْبَلَتْ عَلَيْهِ[٤].

---

(١) في هـ. ص: أي إذا ضيم وإمتُهن ونقص حقّه.
(٢) في هـ. ص: أي إذا أكرم وأبطر ورفع قدره.
(٣) في هـ. ب: من التألّف، وهو لازم، أي: فمن تألّف إليها.
(٤) في هـ. ص: يقال: من لان استمال ومن قسى نَفّر، وما استعبد الحرّ بمثل الاحسان إليه،

(ح - ٥٠) قلوب الرجال:

(الوحشة: الوحدة، والالفة:المؤانسة، والقلب: العقل).

الإنسان بحكم كونه حيوانا يرغب فيما يؤمّن شهواته الحيوانية في الحياة، وبحكم كونه ناطقا يمتاز على سائر الحيوانات بالعقل والتفكير لتمييز الحق من الباطل.

فحينما يولد الإنسان يكون وحيداً مجرداً عن اية تطرف وعادة، وانما يكتسب ذلك بالتربية من الوالدين ، ثمّ المجتمع الذي يتربى فيه، فتكون القلوب والافكار والنظريات كلها بعيدة عنه حين الولادة ويكتسبها بالالفة والمؤانسة من المجتمع الذي يتربى فيه.

ثم أشار إلى ضرورة التقرب اليها بالفكر والنظر، فتنفتح له أبواب العلم والمعرفة بحسب هذا الاقبال.

[٥١]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

عَيْبُكَ مَسْتُورٌ ما أَسْعَدَكَ جَدُّكَ[١].

(ح - ٥١) العيوب:

(العيب: النقص، والجدّ: العظم والخط).

ليس على وجه الارض انسان خال من النقص في الخلق أو الخلق، ولكن هذه العيوب لا تظهر إلّا للعيون الفاحصة للعيوب، فتكون العيوب مستورة في العامة لاسباب طبيعية، واهمها: الجد والعظمة المادية؛ فإنّ من ينظر الى الإنسان بعين العظمة لا يرى فيه عيبا؛ لأنّه لا يمكنه أن يرى ذلك، فهو كالاعمى في عدم الرؤية مع كثرة الادلة والشواهد، وهذا هو سعيد الحظ، واذا كان بخلاف ذلك فتكثر عليه العيوب التي يظهرها عيون العداء.

قال الشاعر:

وعين الرضا عن كلّ عيب كليلة ... ولكن عين السخط يبدي المساويا

انتهى من الشرح.

(١) في هـ. ب: صحتك.

[٥٢]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

أَوْلَى ٱلنّاسِ بِالْعَفْوِ أَقْدَرُهُمْ عَلَى ٱلْعُقُوبَةِ[١].

(ح ـ ٥٢) اولى الناس بالعفو:

وذلك؛ لأنّ الغرض من العقوبة هو التأديب لمن يستحقه ؛ ليكون رادعاً له ولغيره من ارتكاب موجباتها، فاذا ظهر ما يوجب العفو كالتوبة والندم فيكون اولى الناس بذلك اقدرهم على العقوبة؛ فإنّ العفو مع القدرة التامة عليها يكون درساً عمليا للمعتدي وابعد اثراً في النفس من عفو من ليس له القدرة الكاملة.

[٥٣]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

ٱلسَّخاءُ ما كانَ ٱبْتِداءً، فَأَمّا ما كانَ[٢] عَنْ مَسْأَلَةٍ فَحَياءٌ وَتَذَمُّمٌ[٣].

(ح ـ ٥٣) السخاء:

(السخاء: الجود، والتذمم: الحرج، والحياء: الخجل).

تحدد هذه الحكمة حقيقة السخاء، فإنّه لا يكون جوداً إلّا بالمبادرة من دون سبق سؤال، فيكون عطاء بلا مقابل، واجابة السؤال في الحقيقة عطاء في مقابل، وهو نفس السؤال، فلا يكون حينئذ سخاء، بل خصلة تلازم امرين في كلّ من المعطي والمعطى له. أما المعطي فيكون محرجا فيعطي من جهة الحرج، واما المعطى له فيكون خجلا من السؤال وبيان واقع الحال.

---

(١) في هـ. ص: قالوا: العقوبة أسوء حالات ذوي القدرة، وهي طرف من الجزع، انتهى من الشرح. وفي الحديث: «وعفى عن قدرة»، ولا يتحقق العفو إلّا مع القدرة، وترك الانتصار بدونها يسمّى صبراً، والله أعلم.

(٢) في هـ. د: فإذا كان ـ ح.

(٣) في هـ. ص: أي تجنب للذم، كالتأثّم تجنب الاثم.

[٥٤]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

لا غِنى كَالْعَقْلِ، وَلافَقْرَ كَالْجَهْلِ[1]، وَلا مِيراثَ كَالأَدَبِ، وَلاظَهِيرَ[2] كَالْمُشاوَرَةِ.

(ح - ٥٤) اربع حقائق:

تتضمّن الحكمة نقاطا اربعة اساسية في الحياة في النفس والاسرة والمجتمع والصحبة، هي:

أوّلاً: بالنسبة إلى النفس الزاماً (لا غنى كالعقل)؛ فإنّ كلّ صفة من الصفات المطلوبة في الحياة من المال والحياة لاتستقيم بدون العقل، ومن وجد العقل وجد منافع غيره من الصفات وان لم يحصل عليها.

ثانياً: بالنسبة إلى النفس بالترك (ولا فقر كالجهل) كأنّه السبب في الفقر بكل انواعه من الفقر المادي والثقافيّ وغيرهما، فلو تمكن من مال الدنيا لبذرها في غير مصلحة معقولة.

ثالثاً: بالنسبة إلى الاسرة (ولا ميراث كالأدب) وهو حسن الاخلاق والتهذيب؛ فإنّ تربية الاسرة على ذلك خير ميراث لهم، واكثر نفعا في الحياة من المال والعقار.

رابعاً: بالنسبة إلى الصحبة (ولا ظهير كالمشاورة) فما اكثر الصحبة على المصالح المادية، ولكن المشورة تظهر حقيقة النصح، وبالمقارنة مع اضدادها من انواع المشاورة تتبين حقيقة الصحبة، ولا يستغني انسان في الحياة عن رعاية النقاط الاربع.

[٥٥]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

أَلصَّبْرُ صَبْرانِ: صَبْرٌ عَلى ماتَكْرَهُ، وَصَبْرٌ عَمّا تُحِبُّ.

(ح - ٥٥) الصبر:

---

(١) في هـ. ص: لما كان الغنى العرفي: وجدان المال أو هو مادة الانتفاع، ولا أنفع من العقل، والفقر العرفي: عدم المال، فيتضرر عادمه، ولا أضرّ من عدم العقل.

(٢) في هـ. ب: ظهر، وفي هـ. د: ظهر ـ حاشية ـ ش.

الصبر هو ضبط النفس فلا يختلف في حقيقته الا باختلاف متعلقه، وباعتبار المسؤوليات، فالاولى: (صبر على ما تكره) بتحمل حالة الكراهة حتّى تفرج كما هو الحالة الغالبة في مواجهة المشكلات؛ فإنّها بمرور الزمن تصبح هيّنة.

وثانياً: (وصبر عما تحب) بالتكليف بحالة الحب، وهي حالة خاصة لا يصطلى بنارها إلّا من وقع في الحب، فيحترق بها ولهاً، ويعتبره الاخرون جنوناً، وليس هذا الصبر مكروها للمحب، ولذلك جاءت التعديه بـ(عن) دون (على).

والصبران في الحالتين حالتان غير طبيعيتين يفتقر فيهما إلى ضبط النفس وان اختلفا في الاثر، فالصبر على المكروه ينتهي بالفرج أو التعوّد عليه، ولكن الصبر عن المحبوب لا فرج له إلّا بزيادة نار الحب في القلب حتى يحترق بالفناء، واستخدم اهل العرفان هذا المعنى فقال محيي الدين ابن العربي (ت / ٦٣٠):

ادين بدين الحب انى توجهت ركائبه فالحب ديني وايماني

[٥٦]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

الغِنى فِي ٱلْغُرْبَةِ وَطَنٌ، وَٱلْفَقْرُ فِي ٱلْوَطَنِ غُرْبَةٌ.

(ح ـ ٥٦) **العامل الاقتصادي:**

الوطن: المكان الذي يعيش فيه الإنسان، اما بالولادة أو بالسكن حيث يستقر في حياة عادية كما يعيش غيره من الناس، والغربة: الابتعاد إلى غرب الوطن، باعتباره جهة تغرب فيه شمس الحياة اليومية، فتكون الحياة فيها غير عادية.

وبهذا الاعتبار يكون الغنى في الغربة وطنا؛ لأنّ الغريب يعيش حياة عادية بسبب الغنى، فيتمكن من أن يهيئ كل ما يفتقر إليه تماما كما هو الحال في الوطن.

وكذلك يكون الفقر في الوطن غربة؛ لأنّ في مكان سكناه ولا يتمكن من تهيئة ما يفتقر إليه فيعيش وكأنّه بعيد عن وطنه.

فالاقتصاد عامل اساسي في حياة الإنسان سواءً كان في الوطن أو الغربة.

[٥٧]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

ٱلْقَناعَةُ مالٌ لايَنْفَد.

قال الرضي رحمه الله تعالىٰ[١]: وَقَدْ رُوِيَ هذَا ٱلْكَلامُ عَنِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

(ح ـ ٥٧) **القناعة:**

قال الجلالي: راجع مسند نهج البلاغة.

(القناعة: الرضا بالقسم، والمال: ما يملك، والنفاد: الفناء).

الإنسان يحاول تملك الاشياء المادية لتغطية حاجاته ويحافظ على المال من النفاد خشية ان لا يتمكن من تغطية الحاجات، فاذا زالت الحاجة فلا يفتقر إلى المال، كما اذا فقد المال استمرت الحاجة .

والحكمة تشير الى أن القناعة تغطي الحاجة دائماً، فيكون مالا لافناء له، حيث أن الراضي بما قسمه الله يملك ما يتيسر له من دون حاجة إلى شئ زائد اكثر من القناعة بما هو ليس محتاجا له في الوقت الحاضر، ولكل حادث حديث.

[٥٨]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

ٱلْمالُ مادَّةُ ٱلشَّهَواتِ[٢].

(ح ـ ٥٨) **المال:**

الشهوة: رغبة النفس، ويشترك في ذلك الإنسان والحيوان، وانما يختلف الإنسان عن سائر الحيوانات باستخدام المال لتحصيل الشهوات التي ترغب اليها النفس فتتحقق على ما ترغب فيه من المادّة والماديات. ومن اجل ذلك يحصل البطر عند الاغنياء، وينغمسوا

---

(١) لم ترد: «قال الرضي رحمه الله تعالى » في د.

(٢) في هـ . ص: أي ممدها ويزيدها وتحصل به، وذلك أنّ النفس إذا ظنّت أنّها قادرة على تحصيل المشتهى ظلّت تفكرّ ماذا تشتهي، وهذا قريب من قوله: تعالىٰ: ﴿كَلّا إنّ الإنسان ليطغى ان رآه استغنى﴾.

في الملذات حتى يغطي ذلك على صحة اجسامهم وتضل عقولهم فلا يكون همهم الا علفهم، وعقولهم في عيونهم واذانهم، اعاذنا الله منها.

[٥٩]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

مَنْ حَذَّرَكَ كَمَنْ بَشَّرَكَ[١].

(ح ـ ٥٩) التحذير من الشر:

التحذير: التخويف من شرّ قادم، وطبيعيّ أن يسوْء الانسان اخبار الشر القادمة، وتشير الحكمة إلى التحذير، وان كان اخباراً بالشر لكنّه في الحقيقة نصيحة باتخاذ الوقاية اللازمة منها، فيكون في الحقيقة بشارة يوجب الوقاية، فيكون جديراً بالتقدير ؛ لكونه بشارة وليست خسارة.

[٦٠]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

اللِّسانُ سَبُعٌ إِنْ خُلِّيَ عَنْهُ عَقَرَ[٢].

(ح ـ ٦٠) اللسان سبع:

(السبع: الحيوان المفترس، والعقر: العض).

واللسان الطليق يشترك مع الحيوانات المفترسة في اذاها، فكما أن الكلب لو اطلق عنانه فانه يعض من يتقرب إليه من الغرباء، فلابد من تقييده، فكذا اللسان في الانسان

---

(١) في هـ. ص: أي في الإحسان إليك ووجوب الحقّ عليك، وفي معناه قول الحماسي:

بديت على حسـان بـن كـعب ... بأسفل ذي الحداة يدا الكـريم
فــصرت له مـن الحـمّاء لمـا ... شهدت وغاب عن دار الحميم
انــبئه بأنّ الجــرح يشــوي ... وانّك فــوق عــجلزة حـموم

بديت: أي أنعمت، وعجلزة: أي سريعة، يريد أي كلّما ضعف جريها بدا لها جري آخر.

(٢) في هـ. ب: أي خلى عن لسانه، يعني لم يحفظه، وفي هـ. ص: يشير الى أنّه ممّا يجب حفظه، وفي هـ د: هذه العبارة ساقطة من ف.

فاللسان في الإنسان يفتقر إلى الضبط، فلا يطلق عنانه؛ لأنّه أشدّ اذىً، قال الشاعر:

جراحات اللسان لها التيام ... ولا يلتام ما جرح اللسان

[٦١]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

الْمَرْأَةُ عَقْرَبٌ حُلْوَةُ ٱللَّسْبَةِ[١].

(ح - ٦١) لسعة المرأة:

(اللسبة: اللسعة).

وتتضمّن هذه الحكمة مدحاً وذماً معا، وللانام تجربة مريرة في هذه القصة، وربما انعسكست في هذه الحكمة.

فان المرأة بحكم طبيعتها تكون اقرب الناس إلى الرجل قلباً وقالباً، فتكون اقدر الناس على ايذاء الرجل قولا وعملاً، وهذه الطبيعة تقتضي امرين:

أوّلاً: أن لها صفة العقرب، فإنّها لها القدرة في ايقاع الرجل في حبالة الحب والاضرار به معنويا واخلاقيا.

ثانياً: الحياة معها (حلوة) الطعم ظاهريا يرغب فيها ولا يحذر منها غالبا وان كان في واقعه تقييد لحرية الرجل، ولكن الرجال يتقبلون ذلك في سبيل الحصول على هذه الحلاوة في المظهر والعشرة التي خص الله سبحانه المرأة بها، ولم يسلم من يتزوخ من هذه اللسعة الحلوة للحظات تستلزم تبعات مستمرة في الحياة.

[٦٢]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

إِذا حُيِّيْتَ بِتَحِيَّةٍ فَحَيِّ بِأَحْسَنَ مِنْها، وَإِذا أُسْدِيَتْ إِلَيْكَ يَدٌ فَكافِئْها بِما يُرْبِي عَلَيْها،

---

(١) في هـ. د: اللبسة ـ ب.

وَٱلْفَضْلُ مَعَ ذٰلِكَ لِلْبادِي[١].

(ح ـ ٦٢) جزاء الجميل:

(التحية: السلام، والاسداء: الاعطاء، والمكافأة: الجزاء، والربا: الزيادة).

تتضمّن الحكمة المكافأة الجميلة قولاً وعملاً.

وعن القول قال:

(اذا حييت بتحية فحيي بأحسن منها) اقتباساً من قوله تعالى:﴿اذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها أو ردوها﴾.[٢]

فمكفأة القول الحسن لا يكون إلّا بما هو احسن من القول.

وعن العمل قال:

(و اذا اسديت اليك يد فكافئها بما يربى عليها)؛ فإنّ جزاء العطاء هو عطاء اكثر من الاول.

وفي كلي الحالتين (الفضل مع ذلك للبادئ) بالجميل قولا وعملاً؛ حيث أنه اقدم على الجميل من دون سبق طلب، فكانت بادرة انسانية يستحق الشكر عليها والتقدير لها.

[٦٣]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

ٱلشَّفِيعُ جَناحُ ٱلطّالِبِ[٣].

(ح ـ ٦٣) من وسائل الطلب:

(الشفاعة: الوساطة، والجناح: ما يطير به الطائر).

ومن يطلب شيئا لابدّ وان يتوسل إلى تحصيل ذلك الشئ بالاسباب الموصلة إليه،

---

(١) هذه الحكمة لم ترد في أ و ب هنا، وفي هـ. د: هذه الحكمة ساقطة من م ن ف ل ش.

(٢) النساء : ٨٦.

(٣) في هـ. ص: جاء في الحديث: «اشفعوا تؤجروا، ويقضي الله على لسانٍ نبيه ما شاء» ،انتهى من الشرحٍ، وفي كلام القاسم بن إبراهيم: يابنيّ وكن للراغب إليك وصـولاً، وللـضعيف الطـارئ عليك منيلاً، بذات يدك إن أمكنك، وبجاهك إن أعجزك ما أمكنك.

سواءً في ذلك الاسباب المادية أو المعنوية، فإنّه ابى الله أن يجري الامور الا بأسبابها؛ فإنّ هذه الاسباب هي الوسائل اللتي يفتقر اليها في الوصول إلى الاهداف، كما يفتقر الطائر إلى جناحين للطيران، ومن الاسباب المعنوية شفاعة من ارتضاهم الله سبحانه قال تعالى:﴿ولا يشفعون إلّا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون﴾.[1]

فيفتقر الإنسان في حياته إلى جناحين هما الاسباب المادية والمعنوية، وبهما يصل إلى مطلوبة كما يطير الطائر بحناحيه إلى مقصده، والله الموفق.

[٦٤]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

أَهْلُ ٱلدُّنْيا كَرَكْبٍ يُسارُ بِهِمْ وَهُمْ نِيامٌ.

(ح - ٦٤) **اهل الدنيا:**

تصف الحكمة حال اهل الدنيا في الدنيا، فهم بحكم حياتهم في الدنيا يظنون الاستقرار فيها في الحياة المعتادة اليومية، ولا يتصورون انهم سائرون سير من قبلهم، ومن ثمّ لا يعتبرون، فيكون حالهم كحال الركب أي الراحلة التي تسير وهم نيام في حال السفر، واهل الدنيا يسيرون بخطوة خطوة نحو الموت، ولايشعرون بذلك، ويتكلون على انفسهم وكأن الموت لم يكتب عليهم.

[٦٥]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

فَقْدُ ٱلْأَحِبَّةِ غُرْبَةٌ.

(ح - ٦٥) **فقد الاحبّة:**

الغربة: هي البعد عن الوطن الذي به يستأنس الإنسان بما يبهجه في حياته ممن

---

(١) الأنبياء : ٢٨.

يشترك معه في الحياة، فمن يفقد حبيبا يشترك مع الغريب في فقدان ما يستأنس به، فالغريب يفقد الوطن والصديق يفقد روح الوطن، وهو الحبيب الذي يستأنس به في حل مشاكله أو تسهيلها، فمن فقد حبيبا يصبح غريبا وهو في الوطن؛ لانه وطن بلا روح، ولا يشعر بحقيقة هذه الحكمة إلّا من طال به العمر وفقد اقرانه وابتلى بخيل الأبناء الذين لا يشاركون آلامه واحزانه، بل لا يفهمونها لانهم ليسوا من ابناء زمانه.

[٦٦]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

فَوْتُ ٱلْحاجَةِ أَهْوَنُ مِنْ طَلَبِها إِلى غَيْرِ أَهْلِها.

(ح ـ ٦٦) فوت الحاجة:

الحاجة: افتقار إلى الشيئ، وهي ذلة وهوان يترفع عنها من يستغني عنها.

وللمذلة درجات، منها ما تتحمل، ومنها ما لا تتحمل بحسب درجة الحاجة وضرورة الافتقار، وأسوأ درجات الحاجة طلبها من غير اهلها ممّن لا يقدر ظروف المحتاج ولا يهتم بمساعدة الآخرين، ففي مثل هذه الحالة يكون فوت الحاجة افضل من طلبها منه، نعوذ بالله من ذلك.

[٦٧]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

لاتَسْتَحِ[١] مِنْ إِعْطاءِ ٱلْقَلِيلِ، فَإِنَّ ٱلْحِرْمانَ أَقَلُّ مِنْهُ[٢].

(ح ـ ٦٧) بين القلة والحرمان:

الخير خيرٌ قليله وكثيره، والشر شرٌّ قليله وكثيره، والعدة في اداء الواجب عمل الخير ومن ذلك الاعطاء في سبيل الله، فمن لا يتمكن إلّا من القليل فذلك ما يسعه، و ﴿لا يكلف الله

---

(١) في د: لا تستحي.

(٢) في هـ. ص: هذا نوع من الحثّ على الفضل والجود لطيف.

نفسا إلّا وسعها﴾ [١] فلا موجب للحياء من اعطاء القليل لمن لا يتمكن من الكثير؛ لأنّه لو قيس القليل بالنسبة الى الحرمان كان الحرمان اقل منه، وان الحياء على من يتمكن من الكثير ولا يعطى إلّا القليل، وما اكثرهم.

[٦٨]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

ٱلْعَفافُ زِينَةُ ٱلْفَقْرِ [٢].

(ح - ٦٨) **الزينة:**

لكل شئ في الدنيا هيكل عظمي يتقوم به ذلك الشيء، كما له زينة تظهره بالمظهر اللائق، وما اكثر زينة الله التي أخرجها لعباده.

وقد اشارت هذه الحكمة إلى امرين:

أوّلاً: (العفاف زينة الفقر) والعفاف، وهو الامتناع عما لا يحل ولا تحسن قولا وفعلا؛ فإنّ الفقر حاجة مادية، واظهار الجزع على ذلك يزيد الفقير قبحاً على قبح، والعفاف يزينه بأن يكون القبح مستوراً فلا يستخدمه العدو كنقطة ضعف في الانسان.

ثانياً: (والشكر زينة الغنى)؛ فإنّ الغني لا يفتقر إلى الآخرين، واظهار الشكر عليه يكون تاكيدا على عدم الحاجة إلى احد من المخلوقين شكراً لله رب العالمين، وخصهما الإمام بالذكر لكثرة الغفلة عن هذه الزينة عند الفقراء والاغنياء كلّ حد سواءً.

[٦٩]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

إِذا لَمْ يَكُنْ ما تُرِيدُ فَلا تُبَلْ [٣] كَيْفَ كُنْتَ.

---

(١) البقرة: ٢٨٦.

(٢) في ط و د زيادة: والشكر زينة الغنى، وفي هـ. د: العبارة ساقطة من م ن ف ل ش.

(٣) في ب: فلا تنل، وفي هـ. ب: في نسخة: فلا تبال.

وفي هـ. د: في حاشية ش: فلا تبال كيف كنت، وفي ب: ما كنت.

(ح - ٦٩) الاهتمام بالماضي:

(المبالاة: الاهتمام).

تشير الحكمة إلى ضرورة السير في الحياة حيث المنهاج اليومي الذي يتخذه الإنسان لنفسه، وطبيعيّ أن الحياة لا يخلو من معاكسات الزمان واهله، ويؤكد الإمامعليه السلام في حالة حصول المفاجآت غير المتوقعة في الحياة انه لابدّ وان يستمر الإنسان على منهاجه ومسؤولياته وكأنّ شيئا لم يحصل، فلا توقف في عجلة الزمن أسفا على الماضي الذي ولّى إلى غير رجعة، فقال:

(إذا لم يكن ما تريد) ولم يتحقق ما سعيت من اجله لاي سبب كان .

(فلا تبل ما كنت) أي لا تبالي بذلك واعتبر ذلك امراً قد مضى وانقضى وولّى إلى غير رجعة، واستمر في واجبك وكأن لم يكن شيئا مذكورا، كما قال تعالى:﴿كيلا تأسوا على ما فاتكم﴾.[1]

قال ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في شرح نهج البلاغة، ما نصّه:« قد أعجم تفسير هذه الكلمة على جماعة من الناس ، وقالوا : المشهور في كلام الحكماء : إذا لم يكن ما تريد فأرد ما يكون ، ولا معنى لقوله : " فلا تبل كيف كنت " ! وجهلوا مرادهعليه السلام . ومراده : إذا لم يكن ما تريد فلا تبل بذلك ، أي لا تكترث بفوت مرادك ولا تبتئس بالحرمان ، ولو وقف على هذا لتم الكلام وكمل المعنى ، وصار هذا مثل قوله : " فلا تكثر على ما فاتك منها أسفا " ، ومثل قول الله تعالى :﴿لكيلا تأسوا على ما فاتكم﴾[2]، لكنه تمم وأكد فقال : " كيف كنت " ، أي لا تبل بفوت ما كنت أملته ، ولا تحمل لذلك هما كيف كنت ، وعلى أي حال كنت ، من حبس أو مرض أو فقر أو فقد حبيب ، وعلى الجملة لا تبال الدهر ، ولا تكترث بما يعكس عليك من غرضك ، ويحرمك من أملك ، وليكن هذا الإهوان به والاحتقار له مما تعتمده دائما على أي حال أفضى بك الدهر إليها . وهذا واضح».[3]

---

(١) الحديد : ٢٣.

(٢) الحديد : ٢٣.

(٣) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٨ : ٢١٥.

[٧٠]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

لايُرَى ٱلْجاهِلُ إِلّا مُفْرِطاً أَوْ مُفَرِّطاً[١].

احتوت الحكمة على مواصفات الجاهل، وهي:

أولا: التفريط، وهو تجاوز الحد بالزيادة على الواجب.

وثانياً: التفريط، وهو القصور عن الحد الطبيعي بترك الواجب. فيترك الجاهل ما هو الواجب في الموقف والمسؤول عنه، وهو الالتزام بالحد المحدد للاشياء، فان الصراط المستقيم لكل شئ يقتضي السير على الحد المعين لذلك الشئ، وتجاوزه بالزيادة عليه غلوّ وافراط، والنقصان عنه تقصير، وكلاهما مؤاخذ عليه.

قال ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦هـ) في شرح نهج البلاغة، ما نصّه:« العدالة هي الخلق المتوسط، وهو محمود بين مذمومين، فالشجاعة محفوفة بالتهور والجبن، والذكاء بالغباوة والجربزة[٢]، والجود بالشح والتبذير، والحلم بالجمادية والاستشاطة، وعلى هذا كل ضدين من الأخلاق فبينهما خلق متوسط، وهو المسمى بالعدالة، فلذلك لا يرى الجاهل إلا مفرطا أو مفرطا، كصاحب الغيرة فهو إما إن يفرط فيها، فيخرج عن القانون الصحيح فيغار لا من موجب، بل بالوهم وبالخيال وبالوسواس، وإما أن يفرط فلا يبحث عن حال نسائه ولا يبالي ما صنعن، وكلا الامرين مذموم، والمحمود الاعتدال».[٣]

[٧١]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

إِذا تَمَّ ٱلْعَقْلُ نَقَصَ ٱلْكَلامُ[٤].

---

(١) في أ: لا ترى، وفي ص: لا يكون، وفي هـ. ص: في نسخة: لاترى. في هـ. ب: مقصّراً، وفي هـ. ص: العدالة هي الخلق المتوسط، وهو محمود بين مذمومين، ويعمّ هذا كل الأخلاق.

(٢) الجربزة: الخب والمكر.

(٣) شرح نهج البلاغة؛ ابن أبي الحديد ١٨: ٢١٦.

(٤) في هـ. ص: كأن يقال: إذا رأيتم الرجل يطيل الصمت ويهرب من الناس فاقربوا منه؛ فإنّه

احتوت الحكمة على أن الصلة بين العقل والكلام وثيقة، فان العقل هو مادة التفكير والكلام هو المعبر عن الفكر وآلة التعبيرعما في الضمير، وطبيعي أن الآلة لا تستخدم الا عند الحاجة في تحقيق ما يطلب منها، والكلام المعبر عن التفكير يتوقف على التفكير قبل ذلك، وبنفس الدرجة ينقص الكلام حتى يتم التفكير في المطلوب واستخدام ما يحققه خارجا، وعلى النقيض تماما يكون كثرة الكلام من دون تفكير مسبق هذيانا، ولا يكون للناس منه أماناً.

[٧٢]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

ٱلدَّهْرُ يُخْلِقُ ٱلأَبْدانَ، وَيُجَدِّدُ[١] ٱلْآمالَ[٢]، وَيُقَرِّبُ ٱلْمَنِيَّةَ، وَيُباعِدُ ٱلأُمْنِيَّةَ، مَنْ ظَفِرَ بِهِ نَصِبَ[٣]،وَمَنْ فاتَهُ تَعِبَ.

(ح ـ ٧١) **خصائص الدهر:**

(الدهر: الزمان، والخلق: البلى، والمنية: الموت، والمنيّة باالممكن عادة والنصب: شدة التعب).

تسرد الحكمة خصائص الزمان وآثاره على الإنسان في حياته، كان من كان في أي مكان ، وهي:

١ ـ (يخلق الابدان)؛ فإنّ جسم الإنسان في كلّ يوم من حياته يكون في العد التنازلي إلى الفناء بمعدل ٢٤ ساعة في اليوم، ويعادل ١٤٤٥ دقيقة و ٨٦٤٠٠ ثانية، وان لا يعلم بالضبط الساعة الصفر، فإنّه يعلم بأنّه يسير بحساب دقيق في العد التنازلي.

يلقي الحكمة، انتهى من الشرح.

(١) في د: يجدد، وفي هـ. د: يحدد ـ ن.

(٢) في هـ. ب: في نسخة: الأعمال، وفي هـ. ص: لعل معناه معنى قول رسول الله ﷺ: «ليشيب ابن آدم ويشبّ معه خصلتان: الحرص وطول الأمل».

(٣) في هـ. ص: لعل معناه: من ظفر بنعيمه وخيره نَصَب، أي: لقى نصباً ومشقّة، والضمير عائد الى المأمول المتمنى.

٢ ـ (ويجدد الامال) التي لم تتحقق في الماضي، وفي كلّ زمان من الأمد الباقي في عمره له امل جديد في تحقيق اماله التي لم تتحقق من قبل، ولا ينتفي هذا الامل إلّا بالموت.

٣ ـ(و يقرب المنيّة) بنفس الدرجة التي يخلق جسمه المادي لحظة فلحظة فانه يتقرب إلى الموت الذي ليس منه مهرب.

٤ ـ (و يباعد الامنيّة)؛ فإنّ الامنية لا يمكن تحقيقها عادة، كالطير في الهواء بدون جناح، وكلما تقدم العمر بالإنسان اصبحت تلك الامنيات ابعد من أن تتحقق.

وعن نتيجة هذه الحقائق قال:

٥ ـ (من ظفر به نصب) وهو التعب الشديد؛ فإنّ من تمكن ماديا في الحياة يواجه في الحياة مصاعب المحافظة على ماله ومكانته السياسة والاجتماعية تعبا شديداً، ويخطط لذلك تخطيطا دقيقا يأخذ من تفكيره ويعكر من صفو ضميره بما يتصوره إلّا الشيطان أحياناً.

٦ ـ (ومن فاته تعب) لفوات العمر من الصحة والشباب والقوة بفوات الزمان لحظة فلحظة، فيكون في تعب بسبب احوال الشيخوخة.

[٧٣]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

مَنْ نَصَبَ نَفْسَهُ لِلنّاسِ إِمَامَاً فَعَلَيْهِ أَنْ يَبْدَأَ[١] بِتَعْلِيمِ نَفْسِهِ قَبْلَ تَعْلِيمِ غَيْرِهِ، وَلْيَكُنْ تَأْدِيبُهُ بِسِيرَتِهِ قَبْلَ تَأْدِيبِهِ بِلِسانِهِ[٢]، وَمُعَلِّمُ نَفْسِهِ وَمُؤَدِّبُها أَحَقُّ بِالْإِجْلالِ مِنْ مُعَلِّمِ ٱلنّاسِ وَمُؤَدِّبِهِمْ.

---

(١) في هـ. د: اماماً فليبدأ ـ ب.

(٢) في هـ. ص: يروى لأبي الأسود الدؤلي في معنى هذا الكلام:

لاتنه عن خلق وتأتي مـثله ... عار عليك إذا فـعلت عـظيم
فابدأ بنفسك وأنهها عن غيّها ... فإذا انتهت عنه فأنت حكـيم
فهناك يُسمع ماتقول ويقتدى ... بالقول مـنك ويـنفع التـعليم

(ح ـ ٧٣) من واجبات الإمام:

اشار إلى الحكمة إلى واجبات الإمام الاساسية وهي قوله:

١ ـ (من نصب نفسه للناس إماما فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره)؛ فإنّ الغرض من الإمامة قيادة المجتمع إلى تعاليم الاسلام لتطبيقها على المجتمع وهو ـ كما هو المفروض ـ احد افراد المجتمع الاسلامي، فلابد أن يتقيّد بها بتعليم نفسه تلك التعاليم لتطبيقها على نفسه أولا ثمّ سائر افراد المجتمع، فالوعي للمبادي هو الشرط الاساس في الإمامة.

٢ ـ (وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه) وان التأديب بالكلام المجرّد عن العمل على طبقه يكون فاقداً لروح الادب، فلا يوثر قط دون ما اذا كان العمل مطابقا للكلام باللسان، فالسيرة العملية هو المناط في التأديب ولا عبرة بمجرد الكلام.

وعن واجب الشعب تجاه الإمام الملتزم بواجباته قال:

٣ ـ (ومعلم نفسه ومؤدبها أحق بالإجلال من معلم الناس ومؤدبهم)؛ فإنّ لكل من تعليم النفس وتعليم الآخرين فضل يستحق المعلم بسببه التبجيل ولكن الاليق في ذلك بالتبجيل هو المعلم نفسه قبل غيره ومؤدبها قبل تأديب غيره، فيكون المعلم والمؤدب الحقيقيّ مستحقاً للتقدير والاجلال اكثر من غيره، ومن اثار الاستحقاق تقدير الشعب لشخصيته اكثر من غيرها.

[٧٤]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

نَفَسُ ٱلْمَرْءِ خُطاهُ إِلى أَجَلِهِ.

(ح ـ ٧٤) نفس المرء:

النفس، تنسم الهواء، وهو اما شهيق وهو ادخاله في الرئتين وإمّا زفير وهو إخراج الهواء مع مدة، وعدد النفس من الدقيقة ٢٢ ـ ١٨ لمن في عمر من خمسين إلى التسعين فعلى اطول الانفاس يتنفس الإنسان شهيقا وزفيراً (٣١٦٨٠) مرة في اليوم، فيكون له معدل بنفس العدد واحد وثلاثين وسمتمئة وثمانين خطوة نحو الاجل، والخطوة: المسافة

بين القدمين ماشياً.

فكلما يتنفس الإنسان من نفس فانه يتقدم نحو الموت وهو لا يشعر بالمسير والمصير.

[٧٥]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

كلّ معدودٍ منقوصٍ، وكلّ متوقع آتٍ.

(ح - ٧٥) **اثر العدو المتوقع:**

المراد بالمعدود كلّ موجود؛ فإنّ كلّ الموجودات من الاجسام هي معدودة بسبب اجسامها المختلفة بالأبعاد الثلاثة، وكذلك هي معدودة بسبب وجودها الزماني، والإنسان وان كان واحداً لا يتغير باعتبار الروح ولكنّه باعتبار الجسم يتعدد ويتحدد في كلّ زمان، ويمر بمراحل نمو الجسم من العلقة إلى الطفولة فالمراهقة والشباب والكهولة والشيخوخة، وهو في كل هذه المراحل معدود باعتبار عامل الزمان المؤثر في وجود الإنسان، وهذا الجسم المعدود لابدّ وان ينتهي إلى النقص بالفناء بالموت، فالنقص اثر لا ينفك عن العد الزمانيّ.

وكذلك التوقع، وهو انتظار وقوع الشيئ وحصوله في الخارج؛ فإنّ ما يتوقعه الإنسان باعتبار كونه متوقعا لابدّ وان لا ينفك من اثر، وهي كونه اتياً وحاصلاً في الوقت المتوقع حصوله كالموت الذي يتوقع حصوله بارادة الله الذي هو بكل شيئ عليم.

[٧٦]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

إِنَّ ٱلأُمُورَ إِذَا ٱشْتَبَهَتِ[١] ٱعْتُبِرَ آخِرُها بِأَوَّلِها[٢].

---

(١) في هـ. ب: في نسخة: استبهمت: أي: سدت، وفي هـ. ص: وروي «اشتبهت» أي أشكلت.
(٢) وردت هذه الحكمة في ب قبل الحكمة السابقة.

(ح - ٧٦) الامور المشتبهة:

الاشتباه: الالتباس، وتلبس الامور على الإنسان انما يرتفع بالتامل في اسباب الالتباس، فاذا عرف السبب ظهر الوجه في السبب، فلا يبقى مجال للتحير في الامور المشتبهة، بل لابدّ من النظر في آخر حالة من الشبهة الحاصلة، وتدرس اسبابها، فاذا عرفت الاسباب انحلت الشبهة ووجب تصحيح الخطأ، ولا يمكن تصحيح الخطأ إلّا بذلك، وأية محاولة للتصحيح من دون معرفة الاسباب تكون فاشلة.

قال ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في شرح نهج البلاغة، ما نصّه:«روى : " إذا استبهمت "، والمعنى واحد وهو حق ، وذلك أن المقدمات تدل على النتائج ، والأسباب تدل على المسببات ، وطالما كان الشيئان ليسا علة ومعلولا ، وإنما بينهما أدنى تناسب ، فيستدل بحال أحدهما على حال الاخر ، وإذا كان كذلك واشتبهت أمور على العاقل الفطن ولم يعلم إلى ماذا تؤول ، فإنه يستدل على عواقبها بأوائلها وعلى خواتمها بفواتحها ، كالرعية ذات السلطان الركيك الضعيف السياسة ، إذا ابتدأت أمور مملكته تضطرب ، واستبهم على العاقل كيف يكون الحال في المستقبل ، فإنه يجب عليه أن يعتبر أواخرها بأوائلها ، ويعلم أنه سيفضي أمر ذلك الملك إلى انتشار وانحلال في مستقبل الوقت ، لان الحركات الأولى منذرة بذلك ، وواعدة بوقوعه ، وهذا واضح».[١]

[٧٧]

وَمِنْ خَبَرِ ضِرارِ بْنِ ضَمْرَةَ ٱلضِّبابِيِّ عِنْدَ دُخولِهِ عَلى مُعاوِيَةَ وَمَسْئَلَتِهِ لَهُ عَنْ أَمِيرِٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ قالَ: فَأَشْهَدُ لَقَدْ رَأَيْتُهُ فِي بَعْضِ مَواقِفِهِ[٢] وَقَدْ أَرْخَى ٱللَّيْلُ سُدُولَهُ[٣] وَهُوَ قائِمٌ فِي مِحْرابِهِ، قابِضٌ عَلى لِحْيَتِهِ، يَتَمَلْمَلُ تَمَلْمُلَ ٱلسَّلِيمِ[٤]، وَيَبْكي بُكاءَ

---

(١) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٨ : ٢٢٣.
(٢) في هـ . ب: منازله.
(٣) في هـ . ب: ذيله ، وفي هـ . ص: السدول جمع سديل، وهو ما أُسدل على الهودج، ويجوز في جمعه ـ أيضاً ـ أسدال وسُدُل، وهو هاهنا استعارة، انتهى من الشرح.
(٤) في هـ . ب: يضطرب، مَن ضربته الحيّة، وفي هـ . ص: هو الملدوغ، يسمى سليماً تفاؤلاً له

ٱلْحَزِينِ، وَيَقُولُ[١]:

يا دُنْيا[٢] إِلَيْك عَنِّي[٣]، أَبِي تَعَرَّضْتِ؟ أَمْ إِلَيَّ تَشَوَّقْتِ[٤]! لا حانَ[٥] حِينُكَ، هَيْهاتَ! غُرِّي غَيْرِي، لاحاجَةَ لِي فِيكِ، قَدْ طَلَّقْتُك ثَلاثاً لارَجْعَةَ فِيها، فَعَيْشُكِ قَصِيرٌ، وَخَطَرُكِ[٦] يَسِيرٌ، وَأَمَلُكِ حَقِيرٌ. اهٍ مِن قِلَّةِ ٱلزّادِ، وَطُولِ ٱلطَّرِيقِ، وَبُعْدِ ٱلسَّفَرِ، وَعَظِيمِ ٱلْمَوْرِدِ.

(ح - ٧٧) عليّ والدنيا:

(السدول: الستر، والملة: الرماد الحار، والتململ: عدم الاستقرار، والسليم: الملدوغ).

يستفتح المقطع بمشاهد حية شاهدها احد اصحاب الإمام فوصف الموقف الذي شاهده والكلام الذي سمعه من الإمام عليه السلام.

وعن الموقف قال:

١ ـ (فأشهد لقد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله) فكان الموقف في الليل التي أرخى الستر على العامة، فكانت في نومها وعليّ في يقظته الروحية.

٢ ـ (وهو قائم في محرابه) في صلته مع ربّه بالعبادة، وربما عند قيام الليل.

٣ ـ (قابض على لحيته) وهي حالة شخصية للتأثر بالموقف الروحي.

٤ ـ (يتململ تململ السليم) فهو يتوجه إلى ربّه بانقطاع روحي كالملدوغ على اثر لسع.

٥ ـ (ويبكي بكاء الحزين) الذي لا يجد سوى البكاء إلى الله منقذاً من الحالة التي هو فيها وهي مسألة الخيار بين النصر باستخدام الدنيا استناداً إلى أن الغاية تبرر الواسطة و بين الالتزام بالسياسة الاسلامية بأن الله لايطاع من حيث يعصى.

بالعافية.

(١) في أ و ب و ص و د : ويقول.

(٢) في أ و ب و ص و د: ويقول.

(٣) في هـ. ب: أي أبعدي.

(٤) في ب: تشوقت، وفي هـ. ب: في نسخة: تشوقت، والتشوّق: التـزيّن، وفـي هـ. ص: يـروى بالفاء، أي: تطلّعت، وبالقاف من الشوق.

(٥) في هـ. ب: هذا دعاء، وفي هـ. ص: أي لا كنت ولا حمّلت.

(٦) في هـ. ب: أمرك.

وعن كلام الإمام قال:

١ ـ (يا دنيا يا دنيا) منبّهاً على أن أساس الشر فى الحياة، وهو الاعترار بالدنيا، فهي راس الحية في انواع الشر الحاكمة في الحياة الشخصية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية وغيرها.

٢ ـ (إليك عني) فلا امان منها إلّا بالابتعاد عنها كالحية التي يتقى شرها بالابتعاد منها .

٣ ـ(أبي تعرّضت) بالتعدي، وهو المعارضة للوقيعة بالانسان.

(أم إليّ تشوّقت؟) بالايقاع في حبالة حب الدنيا.

(لا حان حينك) دعاء عليها اي لا حضر وقتك.

٤ ـ (هيهات! غري غيري)؛ فإنّ الاغترار بمغريات الدنيا انما يكون بسبب الحاجة فقال عنها:

٥ ـ (لا حاجة لي فيك . قد طلقتك ثلاثا لا رجعة فيها)، ثمّ سرد اسبابا لهذا الطلاق البائن، اشارة إلى الوعي الكامل لآثار الدنيا على الإنسان في الذي يريد الحياة الحرة بقوله:

أوّلاً: (فعيشك قصير) فمهما عاش الإنسان في الدنيا فهو بالنسبة إلى الاخرة الخالدة عيش قصير.

ثانياً: (وخطرك يسير)؛ لأنّه خطر زائل، والآخرة خلود ابدي.

ثالثاً: (وأملك حقير) اذا قيس بالنسبة إلى الآخرة الباقية.

وعن واجبات الاعتبار بهذه الاسباب الثلاثة قال:

١ ـ (آه من قلّة الزاد) فمهما كان الإنسان مجداً في اداء المسؤوليات فهي بالنسبة إلى الى ما يفتقر اليه في الآخرة قليلة.

٢ ـ (وطول الطريق) للوصول إلى ما وعد الله سبحانه في الآخرة.

٣ ـ(وبعد السفر) من جهة الاستعداد له بما يفتقر إليه.

٤ ـ (وعظيم المورد) حيث يرد كلّ انسان على الله سبحانه للحساب.

وهذه الاسباب تستوجب الحذر الكامل من الدنيا لمن له الرؤية الواضحة لآثار الدنيا

في الدنيا لمن سبق من الأمم الذين هم عبرة لمن خلفهم من البشر.

قال ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في شرح نهج البلاغة، ما نصّه:«فأما ضرار بن ضمرة فإن الرياشي روى خبره ، ونقلته أنا من كتاب عبد الله بن إسماعيل بن أحمد الحلبي في "التذييل على نهج البلاغة" ، قال : دخل ضرار على معاوية –وكان ضرار من صحابة علي عليه السلام –فقال له معاوية : يا ضرار ، صف لي عليا ، قال :أو تعفيني ! قال : لا أعفيك ، قال : ما أصف منه !كان والله شديد القوى ، بعيد المدى ، يتفجر العلم من أنحائه ، والحكمة من أرجائه ، حسن المعاشرة ، سهل المباشرة خشن المأكل قصير الملبس ، غزير العبرة ، طويل الفكرة ، يقلب كفه ، ويخاطب نفسه ، وكان فينا كأحدنا ، يجيبنا إذا سألنا ، ويبتدئنا إذا سكتنا ، ونحن مع تقريبه لنا أشد ما يكون صاحب لصاحب هيبة ، لا نبتدئه الكلام لعظمته ، يحب المساكين ، ويقرب أهل الدين ، وأشهد لقد رأيته في بعض مواقفه . . . وتمام الكلام مذكور في الكتاب . وذكر أبو عمر بن عبد البر في كتاب ، ،الاستيعاب ، ، هذا الخبر ، فقال : حدثنا عبد الله بن محمّد بن يوسف ، قال : حدثنا يحيى بن مالك بن عائد قال : حدثنا أبو الحسن محمّد بن محمّد بن مقلة البغدادي بمصر . وحدثنا أبو بكر محمّد بن الحسن بن دريد ، قال : حدثنا العكلي ، عن الحرمازي ، عن رجل من همدان ، قال : قال معاوية لضرار الضبابي : يا ضرار صف لي عليا ، قال : اعفني يا أمير المؤمنين ، قال : لتصفنه ، قال : أما إذ لابد من وصفه ، فكان والله بعيد المدى ، شديد القوى ، يقول فصلا ، ويحكم عدلا ، يتفجر العلم من جوانبه ، وتنطق الحكمة من نواحيه ، يستوحش من الدنيا وزهرتها ، ويأنس بالليل ووحشته ، وكان غزير العبرة ، طويل الفكرة ، يعجبه من اللباس ما قصر ، ومن الطعام ما خشن . كان فينا كأحدنا ، يجيبنا إذا سألناه ، وينبئنا إذا استفتيناه ، ونحن والله مع تقريبه إيانا وقربه منا لا نكاد نكلمه هيبة له . يعظم أهل الدين ويقرب المساكين لا يطمع القوى في باطله ولا ييئس الضعيف من عدله واشهد لقد رايته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله وغارت نجومه قابضا على لحيته يتململ تململ السليم ويبكي بكاء الحزين ويقول يا دنيا غري غيري ا بي تعرضت أم إلى تشوقت هيهات هيهات قد باينتك ثلاثا لا رجعه لي فيها فعمرك قصير وخطرك حقير آه من قلة الزاد وبعد

السفر ووحشة الطريق فبكى معاوية وقال: رحم الله أبا حسن كان والله كذلك فكيف حزنك عليه يا ضرار قال: حزن من ذبح ولدها في حجرها».[(١)]

[٧٨]

وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ لِلسّائِلِ[(٢)] ٱلشّامِيِّ[(٣)] لَمّا سَأَلَهُ[(٤)]: أَكانَ مَسِيرُنا[(٥)] إِلَى ٱلشّامِ بِقَضاءٍ مِنَ ٱللّٰهِ وَقَدَرٍ؟ بَعْدَ كَلامٍ طَوِيلٍ هذا مُخْتارُهُ:

وَيْحَكَ[(٦)]! لَعَلَّكَ ظَنَنْتَ قَضاءً لازِماً وَقَدَراً حاتِماً! وَلَوْ[(٧)] كانَ ذلِكَ كَذلِكَ لَبَطَلَ ٱلثَّوابُ وَٱلْعِقابُ، وَسَقَطَ ٱلْوَعْدُ وَٱلْوَعِيدُ، إِنَّ ٱللّٰهَ سُبْحانَهُ أَمَرَ عِبادَهُ تَخْيِيراً، وَنَهاهُمْ تَحْذِيراً، وَكَلَّفَ يَسِيراً، وَلَمْ يُكَلِّفْ عَسِيراً، وَأَعْطى عَلَى ٱلْقَلِيلِ كَثِيراً، وَلَمْ يُعْصَ مَغْلُوباً، وَلَمْ يُطَعْ مُكْرِهاً، وَلَمْ يُرْسِلِ ٱلأَنبِياءَ لَعِباً، وَلَمْ يُنْزِلِ ٱلْكُتُبَ لِلْعِبادِ عَبَثاً، وَلا خَلَقَ ٱلسَّماواتِ وَٱلأَرْضَ وَما بَيْنَهُما باطِلاً ﴿ذلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ ٱلنّارِ﴾[(٨)].

(ح ـ ٧٨) القضاء والقدر:

القضاء: هو حكم الله النافذ بارادته تعالى الحاكم على الاشياء وهو على كلّ شئ قدير.

والقدر: حكم الله المقدر على العلل والاسباب المادية للاشياء، ويتغير بتغيرها بارادته تعالى، وهما من صفات الذات المقدسة باعتبار الذات، ومن اثارهما الجبر والتفويض باعتبار ارادة الإنسان من المخلوقين، وفي الجبر سلب لارادة الفاعل مطلقا، وفي النفويض سلب لارادة الله سبحانه، ومذهب اهل البيت فيهما: انّه لاجبر ولا تفويض بل امر بين الامرين، باعتبار أن الله على كل شئ قدير، ومن ذلك تفويض الأمر مقيداً بقدرته

(١) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٨ : ٢٢٥ ـ ٢٢٦.
(٢) لم ترد «للسائل» في ب، وفي أ: للسائل، وفي هـ. أ: في نسخة: للشامي.
(٣) لم ترد «الشامي» في أ.
(٤) في ب: لمّا سأل.
(٥) في ب: مسيره، وفي ص: مسيرك، وفي هـ. ب: في نسخة: مسيرك.
(٦) في ب: فقال ويحك.
(٧) في ط: لو.
(٨) اقتباس من سورة ص: ٣٨ / ٢٧ .

على سلب ذلك، وللتفصيل يراجع المواد في المعجم.

وتواجد الشامي يحدد واقعة السؤال والجواب بحرب صفين عام ٣٧، ويدعوا إلى التساؤل لوجود عنصر غريب على المجتمع العراقي الذي يتبع الإمام غالباً، ولعله كان من موالي الإمام من اهل الشام، وقد هاجر الى الكوفة، وقد يظهر من الخطاب الجاد من الإمام في الجواب الدور المريب له، ولله اعلم، فقال عليه السلام:

١ ـ (ويحك) والويح: الويل، وهذا دعاءٌ على السائل، منصوب، وتقديره: الزمك الله ويحاً.

٢ ـ (لعلك ظننت قضاء لازما) كما هو المفهوم من القضاء الالهي، وهو حكم الله تعالى النافذ الذي لا مردّ له.

٣ ـ(وقدرا حاتما) والقدر ما قدره الله سبحانه على أساس العلل والاسباب الطبيعيّة، وهو على قسمين:

الأوّل: ما هو كذلك من دون ارادة في التغيير، وهو الحتم الذي يقع حتماً.

والثاني: ما لله سبحانه تغييره بارادته الحاكم على الكون.

وفي الجواب فصّل الإمام بين مقامين، اولهما: من صفات الله سبحانه التي تختص به ولا يعلمها سواه، وهو القضاء اللازم والقدر الحاتم، وارادته الحاكمة.

وثانيهما: من صفات الإنسان وما عليه حياته من العمل حسب واجباته الاسلامية مع العلم بأن الله على كلّ شيئ قدير، ومن ذلك تغيير الاسباب بما يراه سبحانه اولى بالصواب.

ثم استدل على هذه العقيدة بالنسبة إلى الإنسان بوجوه بقوله:

(ولو كان كذلك) بأن كان الانسان مجبوراً من دون قدرة له في الاختيار وكان مسلوب الارادة في الافعال، وابتدأ بالجواب النقضي قائلا:

اولا: (لبطل الثواب والعقاب)؛ فإنّ كلا منهما انما يتحقق بعمل الإنسان باختياره، ومع سلب الاختيار يكون العامل هو الله سبحانه، فلا يكون أي موضوع للثواب والعقاب للانسان.

ثانياً: (وسقط الوعد والوعيد) فإنّهما من فروع الثواب على ما وعد الله سبحانه

العاملين، والعقاب على ما اوعد الله بارتكاب المعاصي.

ثم ذكر الجواب حلاً قائلا:

ثالثاً: (وإن الله سبحانه أمر عباده تخييرا) حيث امرهم بما امر مع التخيير لهم بين الفعل والترك، بقوله:﴿لا يكلف الله نفسا إلّا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت﴾ [١].

رابعاً: (ونهاهم تحذيرا) حيث قال تعالى:﴿واعلموا أن الله يعلم ما في انفسكم فاحذروه﴾ [٢].

خامساً: (وكلف يسيرا) بقوله :﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾.[٣]

(ولم يكلف عسيرا) اقتباساً من قوله تعالى :﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾.

سادساً: (وأعطى على القليل كثيراً)؛ فإنّ الاعمال التي يقوم بها الإنسان في حياته كواجبات اسلامية بالنسبة إلى عطاياه سبحانه قليلة جداً، وثوابه اكثر مما يستحقه الانسان.

سابعاً: (ولم يعص مغلوبا)؛ فإنّ ما يرتكبه الإنسان العاصى انما هو غلبة على نفسه وليس غلبة على الله سبحانه.

(ولم يطع مكرها) حيث منح الله عباده الحرية والاختيار في فعل الطاعات.

ثامناً: (ولم يرسل الأنبياء لعبا)؛ فإنّ هدف الرسالة والنبوة انما هو الهداية الى ما فيه خير العباد، ومع الجبر يكون هذا الهدف لعبا لا اثر له.

تاسعاً: (ولم ينزل الكتب للعباد عبثا)؛ فإنّ انزال الكتب مع سلب الاختيار من العباد للعمل على مقتضى ارشاداته واوامر يكون عبثا، فإنّها قانون اساسي للمجتمع الاسلامي، ومع العقيدة بالحرية يكون القانون الاساسي لغواً.

عاشراً: (ولا خلق السماوات والأرض وما بينهما باطلا)؛ فإنّ حكمة الله سبحانه في

---

(١) البقرة: ٢٨٦.
(٢) البقرة: ٢٣٥.
(٣) البقرة: ١٨٥.

الخلق جارية في الامور التكوينيّة عامة في السماوات وفي الارض وما بينهما، كما هو ظاهر لمن درس الايات في الافاق وفي الانفس، ومنها: خلق الإنسان مع الحرية والاختيار لما يريد من الافعال خيراً أو شراً، (انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا)(١).

فان هذه النقاط العشر تبطل الاعتقاد بالقضاء اللازم والقدر الحاتم في افعال الإنسان من دون اختيار، بل الإنسان مكلف بالواجبات حسب تسلسل الاسباب والمسببات، وان كان الله سبحانه قادراً على تغييرهما؛ لأنّه على كلّ شئ قدير.

وختم المقطع بأن القول بالجبر والتفويض المطلق ظن من لا يؤمن بقدرة الله تعالى مستشهدا بقوله تعالى:﴿ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار﴾.(٢)

[٧٩]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

خُذِ ٱلْحِكْمَةَ أَنّى(٣) كانَتْ، فَإِنَّ ٱلْحِكْمَةَ تَكُونُ فِي صَدْرِ ٱلْمُنافِقِ فَتَخْتَلِجُ(٤) فِي صَدْرِهِ حَتّى تَخْرُجَ فَتَسْكُنَ إِلى صَواحِبِها(٥) فِي صَدْرِ ٱلْمُؤْمِنِ.

(ح - ٧٩) منبع الحكمة:

الحكمة: الكلام الحق، والحق حق اينما كان، ولا يختلف منبعه وموضعه ولا يختلف حقيقة الحق اينما وجد، فإنّه ذهب والذهب لا يقل قيمته لا ينقص حتى اذا وجد في المزبلة. والتلوث بالادران عارض زمني ينتهي بغسله حتّى يظهر ذهبا احمر، كما يستخرج الذهب من معدنه بالتصفية والتخليص، ولذلك قال عليه السلام:

١ ـ (خذ الحكمة أنى كانت) من المواضع الجديرة بها أو المواقع التي لا تليق بها؛ فإنّ قيمة الحكمة نفسها لا بمواضعها.

---

(١) الانسان : ٣.
(٢) سورة ص : ٢٧.
(٣) في ب: أين، وفي هـ. د: أين ـ ش.
(٤) في ب: فتتلجلج،وفي د: فيختلج، وفي هـ د : فتتلجلج ـ ض ح ب ش، وفي هـ. ب: تتحرّك.
(٥) في هـ. ب: جمع صاحبة، وهي الحكمة في صدر المؤمن.

٢ ـ (فإن الحكمة تكون في صدر المنافق) الذي لا يقدرها، ولا يليق بها كما لا تليق هي به، وكأنّه عقد معلق على اعناق الخنازير والكلاب.

٣ ـ(فتلجلج في صدره) والتلجلج: التحرك؛ لأنّه لا يعرف قيمتها، فلا يعني بها كما لا يعني الخنازير بعقد الذهب المعلق بعنقها.

٤ ـ (حتى تخرج) من صدر المنافق؛ لعدم استعمالها وتطبيقها في الحياة، كالكتاب الذي لا يحتفظ به إلّا من يقدره، ولا ينتفع به حتّى يخرج من سلطنته بالموت، فيباع إلى من ينتفع به.

٥ ـ (فتسكن إلى صواحبها في صدر المؤمن)؛ لأنّ المؤمن هو الذي يقدر الحكمة اينما كانت، ويسعى اليها ويحافظ عليها بالعمل بها، فتكون موطنها صدر المؤمن الواعي يقيمتها لكونه هو صاحبها.

قال ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في شرح نهج البلاغة، ما نصّه:« قد ذكر شيخنا أبو الحسين ﷺ هذا الخبر في كتاب الغرر ورواه عن الأصبغ بن نباته قال: قام شيخ إلى علي عليه السلام فقال: أخبرنا عن مسيرنا إلى الشام اكان بقضاء الله وقدره فقال: والذي فلق الحبة وبرا النسمة ما وطئنا موطئا ولا هبطنا واديا إلّا بقضاء الله وقدره، فقال الشيخ: فعند الله احتسب عنائي ما أرى لي من الاجر شيئا، فقال: مه أيها الشيخ لقد عظم الله أجركم في مسيركم وأنتم سائرون وفي منصرفكم وأنتم منصرفون ولم تكونوا في شئ من حالاتكم مكرهين ولا إليها مضطرين فقال الشيخ وكيف القضاء والقدر ساقانا فقال: ويحك لعلك ظننت قضاء لازما وقدرا حتما لو كان ذلك كذلك لبطل الثواب والعقاب والوعد والوعيد والامر والنهى ولم تأت لائمة من الله لمذنب ولا محمدة لمحسن ولم يكن المحسن أولى بالمدح من المسئ ولا المسئ أولى بالذم من المحسن تلك مقاله عباد الأوثان وجنود الشيطان وشهود الزور وأهل العمى عن الصواب وهم قدرية هذه الأمة ومجوسها ان الله سبحانه أمر تخييرا ونهى تحذيرا وكلف يسيرا ولم يعص مغلوبا ولم يطع مكرها ولم يرسل الرسل إلى خلقه عبثا ولم يخلق السماوات والأرض وما بينهما باطلا ﴿ذلك ظن الذين

كفروا فويل للذين كفروا من النار﴾[١] فقال الشيخ: فما القضاء والقدر اللذان ما سرنا إلّا بهما فقال هو الامر من الله والحكم ثم تلا قوله سبحانه:﴿وقضى ربك إلّا تعبدوا إلّا إياه﴾[٢]، فنهض الشيخ مسرورا وهو يقول:

أنت الامام الذي نرجو بطاعته ... يوم النشور من الرحمن رضوانا

أوضحت من ديننا ما كان ملتبسا ... جزاك ربك عنا فيه احسانا

ذكر ذلك أبو الحسين في بيان أن القضاء والقدر قد يكون بمعنى الحكم والامر ، وأنه من الألفاظ المشتركة».[٣]

[٨٠]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

الحكمة ضالَّة المؤمن، فخذ الحكمة ولو من أهل النفاق.

(ح - ٨٠) **الحكمة ضالة:**

قال الرَّضيّ رحمه الله تعالىٰ ـ وقد قال[٤] عليعليه السلام[٥] **في مثل ذلك: الحكمة ضالَّة المؤمن، فخذ الحكمة ولو من أهل النفاق.**

الضالة: الشيئ المفقود، والمؤمن بحكم ايمانه بأن الحق حق اينما كان ولا يختلف في ذلك الزمان والمكان، فانه يقدر الحكمة اينما كانت ومن أي مصدر صدرت، ولأي غرض قيلت، فالمؤمن يتابع الحصول على الحكمة كالشيئ المفقود منه وحتى لو كانت عند اهل النفاق؛ فإنّ المكان لا يضر بقيمة الحكمة، فيجب الاخذ بالحكمة اينما وجدت.

---

(١) سورة الـ ٢٧ .
(٢) سورة الإسراء : ٢٣ .
(٣) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٨ : ٢٢٧ ـ ٢٢٨.
(٤) لم ترد «قال الرضي.. الى هنا» في د، وجعلت هذه العبارة حكمة مستقلة برأسها وفيه: وقال عليه السلام في مثل ذلك...الخ .
(٥) في أ و ب و ص: قال الرضي: وقد قال علي.

[٨١]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

قِيمَةُ كُلِّ ٱمْرِئٍ ما يُحْسِنُهُ[١].

قالَ الرَّضِيُّ رَحِمَهُ ٱللهُ تعالىٰ[٢]: وَهذِهِ ٱلْكَلِمَةُ ٱلَّتِي[٣] لاتُصابُ لَها قِيمَةٌ، وَلاتُوزَنُ بِها حِكْمَةٌ وَلاتُقْرَنُ إِلَيْها كَلِمَةٌ.

(ح - ٨١) **قيمة المرء:**

"ما" في "ما يحسنه" موصولة، وتعني الحكمة أن الإنسان قيمته بالذي يتقنه من الاعمال ويحسنه، وليس بالذي يقال عنه أو يعلق عله، وكم يحتفظ التاريخ من اناس اعلنوا اعلانات صاخبة عن اعمال لم توجد إلّا في عالم الخيال، وخاصة السياسيين الابطال والتجار ذويب الامال سواءً منهم تجار العلوم أو الاعيان والاموال، فان الحقيقة الثابتة الخالدة: أن ما يحسنه المرء هو قيمته، دون النسب أو الحسب؛ لأنّ غير ذلك كلّه دعاوى فارغة لا تدوم، ومن اجل ذلك يتخصص اصحاب العلوم في فن خاص بل في فرع من فروع المعارف، وقد اشتهر عن الشيخ ألبهائي (ت / ١٠٣٠) كم في من ذي فن غلب على ذي فنون، وهذا هو السر في تقدم الامم الصناعية، والله اعلم.

[٨٢]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ[٤]:

أُوصِيكُمْ بِخَمْسٍ لَوْ ضَرَبْتُمْ إِلَيْها آباطَ ٱلْإِبِلِ[٥] لَكانَتْ لِذلِكَ أَهْلاً[٦]: لايَرْجُوَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلّا رَبَّهُ، وَلا يَخافَنَّ إِلّا ذَنْبَهُ، وَلا يَسْتَحِيَنَّ[٧] أَحَدٌ مِنْكُمْ إِذا سُئِلَ عَمّا لايَعْلَمُ أَنْ يَقُولَ

---

(١) في أ و ص: ما يحسن، وفي هـ. د: ما يحسن ـ ف ن.
(٢) لم ترد «قال الرضي رحمه الله تعالىٰ» في أ و ب و ص. ولم ترد «رحمه الله تعالىٰ» في د.
(٣) لم ترد «التي» في ص.
(٤) لم ترد «وقال عليه السلام» في ب.
(٥) في هـ. ص: أي لو سافرتم لتعلّمها والاستيصاء بها.
(٦) في هـ. ص: أهلاً لنفعها لكم وعظم عائدتها عليكم.
(٧) في د: ولاستحين، وفي هـ. د: ولا يستحين ـ ض ح ب.

لا أَعْلَمُ، وَلا يَسْتَحِيِيَنَّ[١] أَحَدٌ إِذا لَمْ يَعْلَمِ ٱلشَّيْءَ أَنْ يَتَعَلَّمَهُ، وَعَلَيْكُمْ[٢] بِالصَّبْرِ فَإِنَّ ٱلصَّبْرَ مِنَ ٱلْإِيمانِ كَالرَّأْسِ مِنَ ٱلْجَسَدِ[٣]، لا خَيْرَ فِي جَسَدٍ لا رَأْسَ مَعَهُ، وَلا فِي إِيمانٍ لا صَبْرَ مَعَهُ.

(ح - ٨٢) اوصيكم بخمس:

تتضمّن الحكمة اربع وصايا ناهية وواحدة آمرة، وهي الصبر، وأخّرها عن غيرها لانها في الحقيقة تقارن كلّ الوصايا المتقدمة ولا تتحقق غيرها إلّا بها، فقال عليه السلام:

١ ـ (أوصيكم بخمس) هي الرجاء والخوف والحياء والتعلم والصبر.

٢ ـ (لو ضربتم إليها آباط الإبل لكانت لذلك أهلا) وضرب الابط كناية عن السفر بسرعة؛ فإنّ ضرب الابل على الابط حثّ لها على السير.

وهذه الوصايا الخمس لها اثارها المباشرة في بناء شخصية الإنسان في نفسه والمنعكسة على المجتمع الذي يعيش فيه الانسان.

الأوّل: (لا يرجونّ أحد منكم إلّا ربّه)؛ فإنّ الرجاء من الناس لابدّ وان يخيب؛ لأنّ الناس لا ينظرون إلّا الى مصالح أنفسهم، فلا يستجيبون إلّا لما فيه لهم مصلحة، ومصالح البشر تتغير تبعاً لتغير مواقفهم، دون الله سبحانه.

الثانية: (ولا يخافن إلّا ذنبه) سواءً الذنب المتعلق بحقوق الله أو يحقوق المجتمع أو بحقوق النفس والاسرة، فان من يشعر بالمسؤولية يعرف حدود نفسه ولا يتعداها.

الثالثة: (ولا يستحين أحد إذا سئل عما لا يعلم أن يقول لا أعلم)؛ فإنّ تعويد النفس على عدم التدخل فيما ليس له به علم به مريح لنفسه كما انه مريح للغير؛ فإنّ لا ادري نصف العلم.

الرابعةص (ولا يستحين أحد إذا لم يعلم الشئ أن يتعلمه)؛ فإنّ طلب العلم فريضة

(١) في د: لا يستحين.

(٢) لم ترد «عليكم» في أ ب ص، وفي هـ. د: وعليك ـ م، وفي ف ل ش: بالضمير.

(٣) في هـ. ص: وانما كان كذلك؛ لأنّ الايمان عمل الصالحات، وهنّ باقيات، واجتناب المحرمات، وهن مشتهيات، وطبيعيات، كشفاء الغيظ والاستعلاء، والرضا بمكروه القضاء، والاقسام الثلاثة كلّها لا تقوم إلّا بالصبر، والله أعلم.

اسلاميّة لا بد وأن يسعى اليه كل من يؤمن بالاسلام، فلا حياء في العلم، وانما الحياء في الجهل واهمال التعلّم.

الخامسة: (وعليكم بالصبر) وهو المرافق لكل الصور الاربعة المتقدمة.

وفي التعليل لهذا الاخير تعليلا يكفي لما تقدم، فقال:

(فإن الصبر من الإيمان كالرأس من الجسد، ولا خير في جسد لا رأس معه ولا إيمان لا صبر معه) فلا يتحقق شيئ مما تقدم بدون الصبر، بل لا يحتقق شيئ في الحياة بدون الصبر.

[٨٣]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ لِرَجُلٍ أَفْرَطَ فِي ٱلثَّناءِ عَلَيْهِ، وَكانَ لَهُ مُتَّهِماً[١]:

أَنَا دُونَ ما تَقُولُ وَفَوْقَ مافِي نَفْسِكَ.

(ح ـ ٨٣) **الثناء المفرط:**

لكل شيئ حدود، وكل شيئ جاوز حده انقلب إلى ضده، ومن ذلك الثناء؛ فإنّ من الطبيعي أن يكون العمل الصالح مستوجبا للثناء ولكن الافراط فيه يكشف عن خصلة اخرى ترافق الثناء زيادة عليه، كالغلو عن المتعارف حسب الدواعي المتوفرة لهما، وحيث أن الرجل في هذه المقالة كان متهما وكان الإمام واقفا على حقيقته، قال:

(أنا دون ما تقول)؛ لأنّ الثناء المفرط ليس ثناءً خالصاً.

(وفوق ما في نفسك)؛ لأنّ هذا الثناء المفرط نابع من النفاق، ومحاولة لتغطية الأستياء إليه بالافراط في الثناء حتى لا يتوهم النفاق، وهو اعلم به.

---

(١) في هـ. ب: أي يبغض عليّاً عليه السلام.

[٨٤]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

بَقِيَّةُ ٱلسَّيْفِ أَنْمَى[١] عَدَداً وَأَكْثَرُ[٢] وَلَداً[٣].

(ح ـ ٨٤) بقيّة السيف:

السيف كناية عن القتل، والبقية: من يبقى بعد الحرب من المقاتلين؛ فإنّ هؤلاء الذين نجوا من القتل على علم ويقين بأن العدو يتربص بهم للقضاء عليهم في مرحلة جديدة أو قتل حضارتهم وثقافتهم بالخطط التي يستخدمونها من قتل روح المقاومة فيهم، وطبيعيّ أن القوة الغالبة تنح نحو هذا الهدف، ونتيجة ذلك لمن ينجو من الحرب القاء السلاح ورفض المقاومة المسلحة، واستخدام بديل للمقاومة المسلحة بطريقة لا يمكن للعدو استئصال وجودهم، وذلك بامرين لايمكن ان يكون حجة للعدو يمكنه استخدامها ضدهم.

أوّلاً: المحافظة على النفوس، وبالنتيجة يكون العدد المتبقي مصونا من القتل.

ثانياً: تكثير الكثافة السكانية؛ للعلم بأن العدو يريد استئصال القوم من الوجود، بأي نحو كان، باستدراجهم في مواجهة مسلحة لقضاء عليهم.

[٨٥]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

مَنْ تَرَكَ قَوْلَ «لا أَدْرِي» أُصِيبَتْ مَقاتِلُهُ[٤].

---

(١) في أ: أبقى، وفي ص: أبقى، وفي هـ. ص: في نسخة: أنمى، وفي هـ. د: أنمى ـ ح.

(٢) في ص: وأنمى، وفي هـ. ص: في نسخة: وأكثر.

(٣) في هـ. ب: هذا مثل زين العابدين عليه السلام.

(٤) في هـ. ب: في نسخة: مقالته: في نسخة: كلمته، وفي هـ. أ: كلمته، وفي هـ. د: أُصيبت كلمته ـ م وحاشية ف و ش، وفي ن: مقالته. وفي هـ. ص: كأن يقال: قول لا أدري نصف العلم، انتهى من الشرح.

(ح ـ ٨٥) **ترك قول "لا أدري":**

المقتل: الموضع الذي يسبب القتل، وهو الرأس والرقبة والقلب، فإنّه ليس هناك من يؤخذ على قول لا ادري لا قانونا ولا عرفاً، فان للجاهل جهله دون من قال: "ادري"؛ فإنّ ذلك دعوى تفتقر إلى اثبات، وقد تنتهي بالإقرار على النفس ويكون ذلك سبباً لإصابة الآلة القاتلة من النفس أو اصابة المواقع التي تقتله من اعضاء جسمه كالراس والرقبة والقلب. فيما اذا ترك كلمة لا ادري.

[٨٦]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

رَأْيُ ٱلشَّيْخِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ جَلَدِ ٱلْغُلامِ.

وَيُرْوَىَ: «مِنْ مَشْهَدِ[1] ٱلْغُلامِ»:

(ح ـ ٨٦) **رأي الشيخ:**

الشيخوخة في العمر ترافق تجربة تستمر بطول عمر الشيخ في الحياة، ولا يستغنى عن التجارب احد في الحياة وخاصة في ساحة المعركة حيث تفتقر فيها إلى القوّة لمواجهة العدو والراي الصائب في الوقت المناسب للمواجهة حتّى يتحقق النصر، و راي الشيخ المجرب اولى واحب من القوة المجردة من التجربة، كما هو في حالة الغلام، وكذلك من المشهد وهو الدور الذي يقوم الغلام ويشاهده الجميع؛ لأنّ القوّة والمظاهر الفارغة من التجربة لا تضمن النصر.

[٨٧]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

عَجِبْتُ لِمَنْ يَقْنَطُ وَمَعَهُ ٱلإِسْتِغْفارُ!

---

(١) في هـ. ب: حضور.

(ح - ٨٨) **الاستغفار:**

لقد جعل الله سبحانه الرحيم بعباده الاستغفار وسيلة لتطهير النفس لمن انزلق في المعاصي، ومعه لا يبقى معه مجال للقنوط وهو اليأس من رحمة الله مهما كانت الذنوب عظيمة. وقد واجهني شيخ حاج في عرفات عام ١٣٨٣ وطلب مني الاستغفار له، وكلما ذكرته بدعاء التوبة كان يقول: ان ذنبي اكبر، فتعجبت وقلت: الله اكبر من ذنبك، فقال: انّه قتل اكثر من مئتي جندي في منطقة جبلية هو من اهلها، وانه لا يظن ان الله سيغفر له. فذكرته بكلام الإمام هذا فاستكان، وخشيت من هذا الإنسان وتركته حيث كان.

[٨٨]

وَحَكى عَنْهُ أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ ٱلْباقِرِ عليهما السلام أَنَّهُ عليه السلام[١] قالَ:

كانَ فِي الْأَرْضِ أَمانانِ مِنْ عَذابِ ٱللّٰهِ[٢] سُبْحانَهُ وَقَدْ رُفِعَ[٣] أَحَدُهُما فَدُونَكُمْ ٱلْآخَرَ[٤] فَتَمَسَّكُوا بِهِ؛ أَمَّا ٱلْأَمانُ ٱلَّذِي رُفِعَ فَهُوَ رَسُولُ[٥] ٱللّٰهِ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ؛ وَأَمَّا ٱلْأَمانُ ٱلْباقِي فَالاسْتِغْفارُ، قالَ ٱللّٰهُ تَعالى[٦]: ﴿وَما كانَ ٱللّٰهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَما كانَ ٱللّٰهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[٧].

قال الرَّضيّ رحمه الله تعالىٰ[٨]: وَهذا مِنْ مَحاسِنِ ٱلاسْتِخْراجِ وَلَطائِفِ ٱلاسْتِنباطِ.

قال الجلالي: الاستنباط هو اظهار ماليس بظاهر، ويسمى من يستخرج الماء من الارض: مستنبطاً، والنبط: الظهور، وبهذا المعنى يترادف الاستنباط والاستخراج ؛ لانهما يظهران ما ليس بظاهر، ومن ذلك تفسير قوله تعالى:﴿لعلمه الذين يستنبطونه منهم﴾[٩]

---

(١) في ب : صلّى الله عليه.
(٢) في أ و ب و ص و د: زيادة سبحانه، وفي هـ. د: لم ترد هذه الزيادة في ص ب.
(٣) في ب و ص: فرفع، وفي هـ. ص: في نسخة: وقد رفع. وفي هـ. د: فرُفع ـ ش.
(٤) في هـ. ب: أي الزموا الآخر.
(٥) في أ و ص: فرسول.
(٦) في أ : عزّ من قائل، وفي ب: عزّوجلّ وفي ص: جل من قائل.
(٧) الأنفال : ٨ / ٣٣.
(٨) لم ترد «قال الرضي رحمه الله تعالىٰ» في أ ب ص د.
(٩) الانفال : ٣٣.

فان المعني بالخطاب أهل مكة بعدم العذاب مع وجود النبيﷺ بينهم وحالكونهم يستغفرون، لمكان الواو الحالية، وقد استنبط الامام من ذلك أمراً ليس بظاهر في الآية وهو تعميم الحكم لكافة أهل الأرض، وليس خصوص أهل مكة بقوله:

(كان في الارض أمانان من عذاب الله) ولولا هذا التعميم لانحصرت الاية بعصر النبيﷺ خاصة.

(وَقَدْ رُفِعَ أَحَدُهُما فَدُونَكُمْ ٱلْآخَرَ فَتَمَسَّكُوا بِهِ) وفسرهما بقوله:

أولا: (أَمَّا ٱلْأَمانُ ٱلَّذِي رُفِعَ فَهُوَ رَسُولُ ٱللّهِ صَلَّى ٱللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)

وثانياً: (وَأَمَّا ٱلْأَمانُ ٱلْباقِي فَالاسْتِغْفارُ) وانه ليس يعذب الله من يستغفره، وهو الآمر بالاستغفار؟ قالَ ٱللّهُ تَعالى: ﴿أفلا يتوبون الى ٱللّه ويستغفرونه والله غفور رحيم ﴾[1] ولعل هذا هو السرّ في عدم نزول العذاب في العواصم الفاسدة لوجود من يستغفر الله فيها .

[٨٩]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ[2]:

مَنْ أَصْلَحَ ما بَيْنَهُ وَبَيْنَ ٱللّهِ أَصْلَحَ ٱللّهُ ما بَيْنَهُ وَبَيْنَ ٱلنّاسِ.

وَمَنْ أَصْلَحَ أَمْرَ آخِرَتِهِ أَصْلَحَ ٱللّهُ لَهُ أَمْرَ دُنْياهُ، وَمَنْ كانَ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ واعِظٌ كانَ عَلَيْهِ مِنَ اللّهِ حافِظٌ.

(ح ـ ٨٩) الاصلاح:

الصلاح: الاستقامة والخلوص: الفساد، وصلاح المجتمع لا يكون الا بصلاح الافراد، وصلاح الافراد لا يكون إلّا بالقناعة الشخصية بالاستقامة على الثوابت فيما بينه وبين الله سبحانه، فاذا تحققت الركيزة هذه في حياة الفرد تحققت آثارها في النفس والمجتمع، وقد أشار الإمام اليها في ثلاث نقاط:

(١) المائدة : ٧٤.

(٢) في هـ . د: في م ل ش زيادة ما يلي: إذا أقبلت الدنيا على قوم أعارتهم محاسن غيرهم، وإذا أدبرت عنهم سلبتهم محاسن أنفسهم.

أوّلاً: (من أصلح ما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس)؛ فإنّ صلاح الإنسان في نفسه يوجب التعامل مع الآخرين على أساس الصلاح، ولكل فعل رد فعل، فيتعامل الناس معه على أساس الصلاح الذي التزم به.

ثانياً: (ومن أصلح أمر آخرته أصلح الله له أمر دنياه)؛ لأنّ صالح الآخرة من لوازم الاصلاح بينه وبين الله، والعلم السبق بالحساب في الآخرة يوجب سلوك طريق الصلاح في الدنيا امتثالا لأوامره تعالى.

ثالثاً: (ومن كان له من نفسه واعظ كان عليه من الله حافظ)؛ لأنّ وعظ النفس بالاصلاح من لوازم الاصلاح فيما بينه وبين الله، فتكون الاوامر والنهي الالٰهيّة واقية له من الوقوع في المهالك وحافظ اله عند المزالق (فان الله حافظا وهو ارحم الراحمين)[١].

[٩٠]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

ٱلْفَقِيهُ كُلُّ ٱلْفَقِيهِ مَنْ لَمْ يُقَنِّطِ ٱلنَّاسَ مِنْ رَحْمَةِ ٱللّٰهِ، وَلَمْ يُؤْيِسْهُم مِنْ رَوْحِ اللّٰهِ[٢]، وَلَمْ يُؤْمِنْهُمْ مِنْ مَكْرِ ٱللّٰهِ.

(ح ـ ٩٠) الفقيه الكامل:

الفقه ـ لغة ـ: الفهم، ومن يفهم الاسلام في مبادئه ووسائله واهدافه يكون ذا رؤية واضحة في الحياة، واشار الى أن الفقضه حقاً (الفقيه كلّ الفقيه) من يتواجد فيه الصفات التالية:

١ ـ (من لم يقنط الناس من رحمة الله) والقنوط: اليأس، قال تعالى:﴿لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا﴾.[٣]

٢ ـ(ولم يؤيسهم من روح الله) والروح ـ بالفتح ـ: الرأفة، قال تعالى:﴿ولا تيأسوا من

---

(١) يوسف: ٦٤..

(٢) في هـ. ب: رحمة.
(٣) الزمر: ٥٣.

روح الله انه لا ييأس من روح الله إلّا القوم الكافرون﴾.[١]

٣ ـ(ولم يؤمنهم من مكر الله) والمكر: التخطيط، قال تعالى:﴿ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين﴾[٢].

ومن تواجدت فيه هذه الصفات الثلاثة هو الفقيه الكامل صاحب الرؤية الواضحة للمبادي والوسائل والاهداف الاسلاميّة.

[٩١]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

إِنَّ هذِهِ ٱلْقُلُوبَ تَمَلُّ[٣] كَما تَمَلُّ ٱلْأَبْدانُ، فَابْتَغُوا لَها طَرائِفَ الْحِكْمَةِ[٤].

(ح ـ ٩١) طرائف الحكم:

(الطريف: الشيئ المتطرف، والحكمة: الكلام الحق، والملل: الضجر).

الإنسان يتعب من العمل المستمر عادة، ويفتقر إلى الراحة ليلاكما هو الغالب أو نهاراً، وكذلك كل الإنسان يمل من التفكير في موضوع واحد على الاستمرار، وربما يؤدّي الاستمرار على التفكير في الشيئ الخاص الى الاعراض عنه؛ فإنّ التفكير غذاء روحي، فكما يملّ الطبع من اكل طعام خاص طول الحياة، كذلك العقل فانه يفتقر إلى التنوّع في التفكير بما يرفع هذا الضجر، ويكون الإنسان قائما بما يؤديه من رغبة ونشاط، فيفتقر العمل المستمر إلى شيئ يرفّه عن النفس بما يستحقه لكي يستعيد نشاطه من جديد.

قال ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في شرح نهج البلاغة، ما نصّه:«لو قال : إنها تمل كما تمل الأبدان ، فأحمضوا[٥] كما نقل عن غيره لحمل ذلك على أنه أراد نقلها إلى

---

(١) يوسف : ٨٧.
(٢) آل عمران : ٥٤.
(٣) في هـ. ب: من الملالة.
(٤) في هـ. د: طرائف الحكم ـ ض ب.
(٥) يقال : أحمض القوم إحماضا ، إذا أفاضوا فيما يؤنسهم من الحديث والكلام ، كما يقال : فكه ومتفكه .

الفكاهات والاخبار والاشعار ، ولكنه لم يقل ذلك ، ولكن قال : " فابتغوا لها طرائف الحكمة " ، فوجب أن يحمل كلامه ﷺ على أنه أراد أن القلوب تمل من الأنظار العقلية ، في البراهين الكلامية على التوحيد والعدل ، فابتغوا لها عند ملالها طرائف الحكمة ، أي الأمثال الحكمية الراجعة إلى الحكمة الخلقية ، كما نحن ذاكروه في كثير من فصول هذا الباب ، مثل مدح الصبر ، والشجاعة ، والزهد والعفة ، وذم الغضب والشهوة ، والهوى ، وما يرجع إلى سياسة الانسان نفسه ، وولده ، ومنزله ، وصديقه ، وسلطانه ونحو ذلك فإن هذا علم آخر وفن آخر ، لا تحتاج القلوب فيه إلى فكر واستنباط ، فتتعب وتكل بترادف النظر والتأمل عليها ، وفيه أيضا لذه عظيمه للنفس».[١]

[٩٢]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

أَوْضَعُ[٢] ٱلْعِلْمِ ماوَقَفَ عَلَى ٱللِّسانِ[٣]، وَأَرْفَعُهُ ما ظَهَرَ فِيٱلْجَوارِحِ وَٱلْأَرْكانِ[٤].

(ح - ٩٢) درجات العلم:

(الاوضع: الادنى، والارفع: الأعلى، والجوارح: اليد والرجل، والاركان: العقل) .

لكل شئ درجات، قال تعالى:﴿ولكل درجات بما عملوا وما ربك بغافل عما يعلمون﴾.[٥]

وقد أشار الإمام إلى مرتبتين من هذه الدرجات بقوله:

أوّلاً: (أوضع العلم ما وقف على اللسان)؛ فإنّه مجرد قول وكلام فارغ لا أثر له، فهذا أدنى مرتبة العلم حيث لا أثر له في حياة الانسان.

---

(١) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٨ : ٢٢٦.

(٢) في هـ . ب: أذل أو أقل.

(٣) في هـ . ص: صدق ﷺ؛ لأنّ المراد من العلم: العمل، ولم يحصل المراد بهذا وانما يحمله لغيره ويؤكد به الحجة علىٰ نفسه، فعدمه خير من وجوده .

(٤) في هـ . ص: صدق ﷺ؛ لأنّه حصل به فائدة العلم، وفي هـ . د: هذه الحكمة ساقطة من ف.

(٥) الانعام : ١٣٢.

ثانياً: (وأرفعه ما ظهر في الجوارح والأركان)؛ فإنّ العمل بالجوارح كاليد في خدمة العاجز، وبالاركان كالعقل بتعليم الجاهل أثر بيّن للعلم؛ اذ لولا استيلاء هذا الوعي على ضمير الإنسان لم ينتج العمل على طبق المسؤولية الاسلامية، وهذا أعلى درجة للعلم حيث تظهر آثاره، وقد قال تعالى:﴿يرفع الله الذين امنوا والذين اوتوا العلم درجات﴾.(١)

[٩٣]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

لا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: «ٱللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ(٢) مِنَ ٱلْفِتْنَةِ»؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ إِلّا وَهُوَ مُشْتَمِلٌ عَلى فِتْنَةٍ(٣)، وَلكِنْ مَنِ ٱسْتَعاذَ فَلْيَسْتَعِذْ مِنْ مُضِلّاتِ ٱلْفِتَنِ، فَإِنَّ ٱللّهَ سُبْحانَهُ يَقُولُ: ﴿وَٱعْلَمُوا(٤) أَنَّما أَمْوالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾(٥) وَمَعْنى ذٰلِكَ أَنَّهُ سُبْحانَهُ يَخْتَبِرُ عِبادَهُ(٦) بِالأَمْوالِ وَٱلْأَوْلادِ لِيَتَبَيَّنَ ٱلسّاخِطُ لِرِزْقِهِ(٧) وَٱلرّاضِي بِقِسْمِهِ، وَإِنْ كانَ سُبْحانَهُ أَعْلَمَ بِهِم مِنْ أَنْفُسِهِمْ، وَلكِن لِتَظْهَرَ(٨) ٱلْأَفْعالُ ٱلَّتِي بِها يُسْتَحَقُّ ٱلثَّوابُ وَٱلْعِقابُ، لأَنَّ بَعْضَهُمْ يُحِبُّ ٱلذُّكُورَ وَيَكْرَهُ الإِناثَ، وَبَعْضَهُمْ يُحِبُّ تَثْمِيرَ(٩) ٱلْمالِ، وَيَكْرَهُ ٱنْثِلامَ(١٠) ٱلْحالِ.

قال الرَّضِيّ رَحِمَهُ الله تعالىٰ(١١): وَهذا مِنْ غَرِيبِ ما سُمِعَ مِنْهُ فِي التَّفْسِيرِ.

(ح ـ ٩٣) الفتنة:

معنى الفتنة ـ لغة ـ: الامتحان، وقد نهى الإمام عن الاستعاذة من الفتنة؛ لأنّ حياة كلّ

(١) المجادلة : ١١.
(٢) في ب: بالله وفي هـ. ب : في نسخة: بك.
(٣) في هـ. ب: لأن الفتنة يكون حسناً كالتكليف والأولاد والأموال.
(٤) لم ترد «واعلموا» في ص.
(٥) التغابن: ٦٤ / ١٥.
(٦) في أ و ب و ص د: يختبرهم، وفي هـ. د: يختبر عباده ـ خ.
(٧) في هـ. ب: أي ليعلم الله الساخط، وإذا رفع فمعناه أظهر.
(٨) في ب: ليظهر، ولتظهر ـ معاً ـ، وفي ص: ليظهر.
(٩) في هـ. ب: تكثير الأموال.
(١٠) في هـ. ب: انكسار.
(١١) لم ترد «قال الرضي رحمه الله تعالىٰ» في أ ب ص د.

انسان ملئية بالامتحانات في كلّ الحالات، فقال عليه السلام:

١ ـ (لا يقولن أحدكم: «اللهم إني أعوذ بك من الفتنة»)، والاستعاذة: اللجوء إلى شئ تحفظاً من خطر.

وعن سبب هذا النهي قال:

٢ ـ (؛ لأنّه ليس أحد إلّا وهو مشتمل على فتنة)؛ فإنّ حياة كلّ انسان ترافق انواع الامتحانات من مختلف الناس في الحياة، ممّن هو قريب وبعيد وصديق أو عدوّ وحتى من الطبيعة التي تستولي على جميع الناس من الفصول الاربعة والحوادث العامة.

وعن البديل للاستعاذة اللائقة قال:

٣ ـ (ولكن من استعاذ فليستعذ من مضلات الفتن)؛ فإنّ الامتحانات على أقسام، ومنها ما هي تضل السبيل كما هي في فتن الحروب والبلايا والمحن الواردة على الإنسان، فيجب الاستعاذة منها؛ لانها مواضع الخطر من تزلزل الاعتقاد والتأثر بالعواطف، فيجب الاستعادة منها كما يستعاذ من الشيطان.

ثم استدل على هذا النهي بأمرين بأن الفتنة استعملت في القرآن بمعنى الامتحان.

أوّلاً: (فإن الله سبحانه يقول : ﴿واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة﴾.[١]

فان الفتنة في هذه الاية ليست بمعنى المرض الذي يصيب الإنسان، بل بمعنى الامتحان، وقد فسره عليه السلام بقوله:

(ومعنى ذلك انّه يختبرهم بالأموال والأولاد) فالفتنة بمعنى الامتحان والاختبار.

وعن الحكمة والهدف في الامتحان قال:

(ليتبيّن الساخط لرزقه والراضي بقسمه)؛ فإنّ من لا يقدر ما رزقه الله بما له من العفاف والكفاف مما ليس لمن هو دونه، يكون ساخطا على مارزقه الله، مع أن الذي يفقد ذلك يمتنّاه ولا يجده، وهذا لا يعرف قدره حتى يسلب منه.

وعلى العكس الراضي بما قسم الله له يكون شاكراً ومرتاحاً نفسيا، ولا يكون ساخطاً،

---

(١) الانفال : ٢٨.

ويعيش في راحة نفسية لا يعيشها الساخط الواجد لرزقه.

(وإن كان سبحانه أعلم بهم من أنفسهم) ولكن لتظهر الافعال التي بها يستحقّ الثواب والعقاب، فلولا هذا الامتحان لما عرف الساخط لرزق الله من الراضي بقسمه، ولما استحق الساخط العقاب والراضي الثواب.

وثانياً: ان الله سبحانه في الآية جعل الاموال والاولاد فتنة وامتحاناً، ليتختبر الناس بهما، ويعرف الملتزم بواجبه الاسلامي تجاههما، ويعرف الساخط على ما رزق الله من الراضي بقسمه فيهما، ارشاداً إلى موردين:

١ ـ (لأن بعضهم يحب الذكور ويكره الإناث) والله سبحانه امر بحبهم جميعاً والرضا بالقسمة، وقد كان عادت الجاهليّة كراهة الاناث وقتلهنّ.

٢ ـ (وبعضهم يحب تثمير المال ويكره انثلام الحال) والتثمير: الاستثمار، والانثلام: النقص للمال؛ فإنّ الخلق الاسلامي بالنسبة إلى المال أن يحب ما يقسمه الله سبحانه سواءً الربح أو الخسارة رضىً برضا الله، فاذا فرح عند الاستثمار أو كره عند النقصان يكشف عن عدم الثقة بالرحمن، قال تعالى:﴿كيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم﴾.[١]

قال ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في شرح نهج البلاغة، ما نصّه:« الفتنة لفظ مشترك ، فتارة تطلق على الجائحة والبلية تصيب الانسان ، تقول : قد افتتن زيد وفتن فهو مفتون إذا أصابته مصيبة فذهب ماله أو عقله أو نحو ذلك ، قال تعالى :﴿إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ﴾ يعنى الذين عذبوهم بمكة ليرتدوا عن الاسلام ، وتارة تطلق على الاختبار والامتحان ، يقال : فتنت الذهب إذا أدخلته النار لتنظر ما جودته ، ودينار مفتون ، وتارة تطلق على الاحراق ، قال تعالى :﴿يوم هم على النار يفتنون ﴾[٢] وورق مفتون ، أي فضه محرقة ، ويقال للحرة : فتين كأن حجارتها محرقة ، وتارة تطلق على الضلال ، يقال: رجل فاتن ومفتن ، أي مضل عن الحق جاء ثلاثيا ورباعيا ، قال تعالى : ﴿ما أنتم عليه بفاتنين○

(١) الحديد : ٢٣.

(٢) سورة الذاريات : ١٣ .

إلا من هو صال الجحيم﴾ [١]، أي بمضلين ، وقرئ: "قوم مفتنين" ، فمن قال : إني أعوذ بك من الفتنة ، وأراد الجائحة ، أو الاحراق أو الضلال ، فلا بأس بذلك وإن أراد الاختبار والامتحان فغير جائز ، لان الله تعالى أعلم بالمصلحة ، وله أن يختبر عباده لا ليعلم حالهم ، بل ليعلم بعض عباده حال بعض ، وعندي أن أصل اللفظة هو الاختبار والامتحان ، وأن الاعتبارات الأخرى راجعه إليها ، وإذا تأملت علمت صحه ما ذكرناه». [٢]

قال الجلالي: ليس للفتنة معنى سوى الامتحان، كما يظهر للمتأمل في القرآن، والتفصيل الذي ذكره الإمام في هذا البيان، وانما اطلقت الفتنة على معنى آخر كالبلية ونحوها لانها امتحان للانسان لما يصيبه منها حتّى يعرف مدى التزامه بالايمان، والله المستعان.

[٩٤]

وَسُئِلَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ عَنِ ٱلْخَيْرِ ما هُوَ؟

فَقالَ: لَيْسَ ٱلْخَيْرُ أَنْ يَكْثُرَ مالُكَ وَوَلَدُكَ [٣]، وَلكِنَّ ٱلْخَيْرَ أَنْ يَكْثُرَ عِلْمُكَ، وَأَن [٤] يَعْظُمَ حِلْمُكَ، وَأَنْ تُباهِيَ [٥] ٱلنّاسَ بِعِبادَةِ رَبِّكَ، فَإِنْ أَحْسَنْتَ حَمِدْتَ ٱللّهَ، وَإِنْ أَسَأْتَ ٱسْتَغْفَرْتَ ٱللّهَ، وَلا خَيْرَ فِي ٱلدُّنْيا إِلّا لِرَجُلَيْنِ، رَجُلٍ أَذْنَبَ ذُنُوباً فَهُوَ يَتَدارَكُها بِالتَّوْبَةِ، وَرَجُلٍ يُسارِعُ فِي ٱلْخَيْراتِ.

---

(١) سورة الصافات : ١٦٢ ، ١٦٣ .
(٢) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٨ : ٢٤٨ ـ ٢٤٩.
(٣) في هـ . ص: كانت الجاهلية تعدّ هذا الخير، لعدم إيقانهم بالآخرة، وإنّما يعتبرون نفع الدنيا، فأراد أن ينبّههم على أنّ النفع هو نفع الآخرة لا الدنيا.
(٤) في هـ . د: لم ترد «ان» في ب.
(٥) في هـ . ص: المراد بالمباهات ـ هاهنا ـ أن تريد زيادة قدر حظّك منها علىٰ حظوظهم كما قال تعالىٰ: ﴿يبتغون إلى ربّهم الوسيلة أيّهم أقرب﴾. فأما الاخلاص فلابد منه، والله أعلم.
روى أن الباقر قال لابنه الصادق عليهما السلام: «يابني إنّ الله خبّأ ثلاثة في ثلاثة؛ خبّأ رضاه في طاعته. فلا تحقرن من الطاعة شيئاً فلعلّ رضاه فيه، وخبّأ سخطه في معصيته فلا تحتقرنّ من المعصية شيئاً فلعلّ سخطه فيه، وخبّأ وليّه في خلقه فلا تحقرن أحداً فلعلّه ذلك الولي، انتهىٰ.

(ح - ٩٤) الخير ما هو؟

الخير ـ لغة ـ :ما فيه الصلاح والنفع واللذة، وضده: الشر، ويختلف تطبيق ذلك باختلاف الاهداف التي يعيش الإنسان من اجلها، فهناك من يراه في المال، وفي الجاه، وفي المظاهر المادية وغيرها، والإمام يحدد الخير بالعلم بتمهيد نقاط بقوله:

١ ـ (ليس الخير أن يكثر مالك)؛ فإنّ كثرة المال وان كانت توجب نفعاً ولذة مادية، ولكنها زائلة، وبزوالها ينقلب اصحابها في حالة ضر وذلة بعد فقد ذلك المال.

٢ ـ (وولدك)؛ فإنّ الاولاد وان كانوا قوة وعشيرة، فلا ضمان من استمرارهم في الحياة أو الوفاء بالوالدين والالتزام بواجباتهم تجاه الابوين .

٣ ـ(ولكن الخير أن يكثر علمك)؛ لأنّ العلم هو الذي يرافق الإنسان في الحياة، لا ينتقل عنه في كلّ الحالات؛ وإن لم ينفعه بعد الممات فلا يضره في الحياة.

٤ ـ (ويعظم حلمك) والحلم: الصبر والاناة والعقل والعفو، وهي حالة تكسب النفس الراحة والسكون.

٥ ـ (وأن تباهي الناس بعبادة ربك)؛ فإنّ العبادة شرف، وليس بالمباهات بالمادّة والماديات.

٦ ـ(فإن أحسنت حمدت الله) حيث لم يمكن الاحسان الا بقدرته تعالى في تسهيل الاسباب.

٧ ـ (وإن أسأت استغفرت الله) عملا بأوامره بالاستغفار والتوبة للمحو الاساءة.

وهذه النقاط السبعة تحدد الخير في الحياة وختمها بقوله:

(ولا خير في الدنيا إلّا لرجلين : رجل أذنب ذنوبا فهو يتداركها بالتوبة) فتكون ماحية للذنوب ويصبح طاهرا منها.

(ورجل يسارع في الخيرات) عملا بقوله تعالى:﴿فاستبقوا الخيرات﴾ [1].

---

(١) البقرة: ١٤٨.

[٩٥]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

لا يَقِلُّ عَمَلٌ مَعَ ٱلتَّقْوى[١]، وَكَيْفَ يَقِلُّ ما يُتَقَبَّلُ[٢]!

(ح - ٩٥) التقوى:

التقوى: الوقاية عن الانحراف، في السلوك الذي يمنع من الانحراف في العقيدة، فاذا حصلت التقوى كان العمل هو المطلوب، لاستلزام التقوى عمل الخير وتجنب الشر، فلا يكون العمل المنبعث من التقوى قليلا، بل انه ولو كان قليلا من حيث الكمية لكنّه مقبول من حيث الكيفية؛ لأنّ ما يتقبل ليس قليلاً عند الله والتاريخ.

قال ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في شرح نهج البلاغة، ما نصّه:«هكذا الرواية أعلمهم " ، والصحيح " أعملهم " ، لان استدلاله بالآية يقتضى ذلك ، وكذا قوله فيما بعد . " إنّ وليّ محمّد من أطاع الله . . . " إلى آخر الفصل ، فلم يذكر العلم ، وإنما ذكر العمل . واللحمة بالضم : النسب والقرابة ، وهذا مثل الحديث المرفوع : " ائتوني بأعمالكم ، ولا تأتوني بأنسابكم ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم " ، وفى الحديث الصحيح : " يا فاطمة بنت محمّد ، إني لا أغنى عنك من الله شيئا " . وقال رجل لجعفر بن محمّدعليه السلام : أرأيت قوله صلى الله عليه وآله : " إن فاطمة أحصنت فرجها فحرم الله ذريتها على النار " ، أليس هذا أمانا لكل فاطمي في الدنيا ؟ فقال : إنك لأحمق ، إنما أراد حسنا وحسينا ، لأنهما من لحمه أهل البيت ، فأما من عداهما فمن قعد به عمله لم ينهض به نسبه».[٣]

[٩٦]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

إِنَّ أَوْلَى النّاسِ بِالأَنْبِياء أَعْلَمُهُمْ بِما جاؤُوا بِهِ، ثُمَّ تَلا عَلَيْهِ السَّلامُ: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنّاسِ

---

(١) في ب وص: تقوى، وفي هـ. د: تقوى ــ ش.

(٢) في ط: يقبل.

(٣) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٨ : ٢٥٢.

بِإِبْراهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ آمَنُوا﴾ الآية[١].

ثُمَّ قالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ: إِنَّ وَلِيَّ مُحَمَّدٍ مَنْ أَطاعَ ٱللّهَ وَإِنْ بَعُدَتْ لُحْمَتُهُ[٢]**، وَإِنَّ عَدُوَّ مُحَمَّدٍ مَنْ عَصَى ٱللّهَ وَإِنْ قَرُبَتْ قَرابَتُهُ**[٣].

(ح ـ ٩٦) الولاية للأنبياء:

الاولوية لأيّ إنسان يخضع لجهة مشتركة بين الاطراف، وقد حدد الإمام الاولوية للناس بالنسبة الى الانبياء، ومنهم النبيّ محمّدﷺ فقال:

عن اولوية الأنبياء عامة:

أوّلاً: (إن أولى الناس بالأنبياء أعلمهم بما جاءوا به)؛ لأنّ الجهة المشتركة بين الناس والأنبياء هو الرسالة التي بشر بها الأنبياء، فمن كان اعلم بتلك الرسالة يكون اولى؛ لأنّ علمه يستلزم العمل.

(ثم تلا قوله تعالى:﴿إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا﴾[٤].

فيكون النبيّ محمّدﷺ اولى بجدّه ابراهيم من غيره من سلالة اسحاق؛ لأنّه اعلم برسالة ابراهيم من غيره اللذين لم يتبعوه، فيكون النبيّ محمّدﷺ والذين آمنوا بالنبى محمّدﷺ اولى بالنبي ابراهيم.

وعن الولاية للنبي محمّدﷺ قال:

ثانياً: (إن وليّ محمّد من أطاع الله وإن بعدت لحمته) واللحمة هي النسب؛ فإنّ الجهة المشتركة مع نبوة النبي محمّدﷺ ليست القرابة النسبية المجردة، بل هي طاعة الله سبحانه.

(وإن عدو محمّد من عصى الله وإن قربت قرابته) من مشركي قريش.

قال ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في شرح نهج البلاغة، ما نصّه:« هذا نهى عن

---

(١) آل عمران : ٣ / ٦٨.
(٢) في هـ . ب: كسلمان.
(٣) في هـ . ب: كأبي جهل.
(٤) آل عمران : ٦٨.

التعرض للعبادة مع الجهل بالمعبود ، كما يصنع اليوم كثير من الناس ، ويظنون أنهم خير الناس ، والعقلاء الألباء من الناس يضحكون منهم ، ويستهزئون بهم ، والحرورية : الخوارج ، وقد سبق القول فيهم . وفى نسبتهم إلى حروراء[١]. يقول عليه السلام : ترك التنفل بالعبادات مع سلامه العقيدة الأصلية ، خير من الاشتغال بالنوافل وأوراد الصلاة مع عدم العلم ، وهو المعنى بقوله : " في شك " ، فإذا كان عدم التنفل خيرا من التنفل مع الشك فهو مع الجهل المحض – وهو الاعتقاد الفاسد – أولى بأن يكون».[٢]

قال الجلالي: ما أشبه الليلة بالبارحة فيما يصنعه اليوم كثير من القوم، نبّهنا الله من نومة الغافلين، وما ذكره الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) من الصبح في عملهم وان كان صحيحاً إلّا أن الاستدلال بالآية يقتضي خلاف ذلك؛ حيث أن فيها قوله: (وهذا النبيّ) ولا شك أنّ النبى صلى الله عليه وآله كان اعلم واعمل بما جاء به ابراهيم عليه السلام من غيره من الانبياء، وذلك يستلزم سبق العلم، والعلم يستوجب العمل، فكان النبى صلى الله عليه وآله اعمل الناس بابراهيم عليه السلام، والله اعلم.

[٩٧]

وقال عَلَيْهِ ٱلسَّلام ـ وَقَدْ سَمِعَ[٣] رَجُلاً[٤] مِنَ ٱلْحَرُورِيَّةِ[٥] يَتَهَجَّدُ[٦] وَيَقْرَأُ ـ:
نَوْمٌ عَلى يَقِينٍ خَيْرٌ مِنْ صَلاةٍ عَلَى[٧] شَكٍّ.

---

(١) حروراء : قرية بظاهر الكوفة ، بها الخوارج الذين خالفوا علي بن أبي طالب ، وبها كان أول تحكيمهم واجتماعهم حين خالفوا عليه ".
(٢) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٨ : ٢٥٣.
(٣) في ط: وسمع عليه السلام رجلاً من الحرورية يتهجّد ويقرأ فقال.
(٤) في هـ. د: سمع قوماً ـ ع.
(٥) في هـ. أ: من حروراء، وهي اسم موضع ينسب إليها الخوارج؛ لأنّهم كانوا مجتمعين فيها، وفي هـ. ب: حروراء اسم موضع نزل به الخوارج وجردوا السلاح بوجه أمير المؤمنين، وفي هـ. ط: حروراء: قرية بظاهر الكوفة، نزل بها الخوارج الذين خالفوا علي بن أبي طالب؛ وبها كان أوّل تحكيمهم واجتماعهم حين خالفوا عليه.
(٦) في هـ. ب: أي لاينام، ويقرأ: أي القرآن.
(٧) في د: في شك، وفي هـ. د: على شك ـ ح.

(ح ـ ٩٧) الشك واليقين:

(الحرورية: طائفة من الخوارج الذين لا يؤمنون بحكومة مركزية اسلامية، والتهجّد: صلاة اليل).

وقد علق الإمام تلازم العقيدة والعمل؛ فإنّ الرسول القائدﷺ كان يحكم بما انزل الله ويتهجد والحرورية[١] كانوا من العباد ويتهجدون كما يتهجد رسول اللهﷺ ولكنهم لا يؤمنون بالقيادة الاسلامية، فالعبادة منهم صلاة في شك من العقيدة، حالها حال الصلاة بدون طهارة، وبما أن صلاة التهجّد ليست فريضة بل سنة مستحبة، فمن ترك التهجد وهو على يقين في عقيدته، فيكون افضل ممّن يتهجد وهو لا يعرف العقيدة الصحيحة.

[٩٨]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

ٱعْقِلُوا ٱلْخَبَرَ[٢] إِذا سَمِعْتُمُوهُ عَقْلَ رِعايَةٍ؛ لاعَقْلَ رِوايَةٍ[٣]، فَإِنَّ رُواةَ ٱلْعِلْمِ كَثِيرٌ، وَرُعاتَهُ قَلِيلٌ.

(ح ـ ٩٨) ضبط الاخبار:

الخبر: ما يحتمل الصدق والكذب، وليس نقل الخبر الكاذب إلّا اشاعة للكذب، والإمام إلى قاعدة هامة في ضبط الاخبار، والعقل: هو الضبط، كما يعقل البعير لئلا يتحرك عن موضعه، أو فهمها ووعيها، فيقول:

١ ـ (إعقلوا الخبر إذا سمعتموه) فلا تجعلوا الخبر ينتشر بل لابد من أن ينضبط.

٢ ـ (عقل رعاية) بأن يكون الضبط رعاية للخبر أو فهمه فهماً كاملا؛ لما له من اثار ايجابية أو سلبية.

٣ ـ (لا عقل رواية) كما يضبط الاخبار في وسائل الضبط المعتادة، وفي عصرنا هي

---

(١) نسبة الى حروراء : قرية بظاهر الكوفة .
(٢) في ب: الخبر.
(٣) في ب: رواية، وفي هـ. ب: رواية.

الجرائد العامة التي لا يؤمن بمحتواها احد من الناس، وانما ينظر اغلب الناس اليها نظرة عابرة ويرميها في سلة المهملات.

وعن السبب في ذلك قال:

أوّلاً: (فإن رواة العلم كثير) ولهم طبقات مختلفة ودرجات متفاوتة وفروع كثيرة واهداف خطيرة، تستوجب دراسة حياة كلّ واحد واحد منهم، وتقييم شخصيتهم استناداً إلى تلك الدوافع والاهداف.

ثانياً: (ورعاته قليل) فلا يلتزم بواجبات العلم إلّا قليل من الناس الذين يسمعون الخبر ويضبطوه بالوعي والرعاية فهما وعلماً، لا بالنقل والرواية نقلا وأثراً.

قال ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في شرح نهج البلاغة، ما نصّه:«نهاهم عليه السلام عن أن يقتصروا إذا سمعوا منه أو من غيره أطرافا من العلم والحكمة ، على أن يرووا ذلك رواية كما يفعله اليوم المحدثون ، وكما يقرأ أكثر الناس القرآن دراسة ولا يدرى من معانيه إلا اليسير . وأمرهم أن يعقلوا ما يسمعونه عقل رعاية أي معرفة وفهم . ثم قال لهم : " إن رواه العلم كثير ، ورعاته قليل " أي من يراعيه ويتدبره ، وصدق عليه السلام !».[١]

قال الجلالي: ولا يختلف الحال بين ما كان يفعله المحدثون في يومه عن يومنا هذا، وما يقرأ اكثر الناس القرآن في عصره وعصرنا، ورايت سيخا تركياً يقرأ القرآن احسن قراءة ولا يفهم من معاني المفردات ولا كلمة واحدة، ولا حول ولا قوة إلّا بالله، وانا لله وانا اليه راجعون.

[٩٩]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ وَقَدْ سَمِعَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ رَجُلاً يَقُولُ: إِنّا لِلّهِ وَإِنّا إِلَيْهِ راجِعُونَ:

إِنَّ قَوْلَنا: إِنّا لِلّهِ، إِقْرارٌ عَلى أَنْفُسِنا بِالْمُلْكِ.

وَقَوْلَنا: وَإِنّا إِلَيْهِ راجِعُونَ، إِقْرارٌ عَلى أَنْفُسِنا بِالْهُلْكِ.

(١) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٨ : ٢٥٤.

(ح - ٩٩) قول "إنّا لله وإنّا إليه راجعون":

تتضمّن الحكمة من جملتين شرحهما الإمام بقوله:

أوّلاً: (إن قولنا : إنا لله، إقرار على أنفسنا بالملك)؛ فإنّ خالق الشيئ مالكه من دون حاجة إلى الاقرار، فالاقرار حجة زائدة بأن الخلق كلهم عباد الله تعالى.

ثانياً: (وقولنا : وإنا إليه راجعون، إقرار على أنفسنا بالهلك) والهلك: العدم؛ فإنّ خلق انفسنا كان من العدم، والموت امر طبيعيّ لكل انسان، والاقرار بذلك حجة اخرى على النفس.

فليست الحالة التي يعيش الإنسان فيها في الحياة سوى مرحلة لوجود الجسم الانسان في الدنيا.

قال ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في شرح نهج البلاغة، ما نصّه:«قوله: إنا لله، اعتراف بأنا مملوكون لله وعبيد له ، لأن هذه اللام لام التمليك ، كما تقول : الدار لزيد ، فأما قوله :﴿وإنا إليه راجعون ﴾[١] فهو ، إقرار واعتراف بالنشور والقيامة ، لان هذا هو معنى الرجوع إليه سبحانه ، واقتنع أمير المؤمنين عن التصريح بذلك فذكر الهلك ، فقال : إنه إقرار على أنفسنا بالهلك ، لان هلكنا مفض إلى رجوعنا يوم القيامة إليه سبحانه ، فعبر بمقدمة الشئ عن الشئ نفسه ، كما يقال : الفقر الموت ، والحمى الموت ، ونحو ذلك . ويمكن أن يفسر ذلك على قول مثبتي النفس الناطقة بتفسير آخر فيقال : إن النفس ما دامت في أسر تدابير البدن فهي بمعزل عن مبادئها ، لأنها مشتغلة مستغرقة بغير ذلك ، فإذا مات البدن رجعت النفس إلى مبادئها ، فقوله :﴿وإنا إليه راجعون﴾ إقرار بما لا يصح الرجوع بهذا التفسير إلا معه وهو الموت المعبر عنه بالهلك ».[٢]

---

(١) سورة البقرة :١٥٦ .

(٢) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٨ : ٢٥٥.

[١٠٠]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ وَقَدْ مَدَحَهُ قَوْمٌ فِي وَجْهِهِ:

ٱللَّهُمَّ إِنَّكَ أَعَلَمُ بِي مِنْ نَفْسِي، وَأَنَا أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِنْهُم. ٱللَّهُمَّ ٱجْعَلْنا[١] خَيْراً مِمّا يَظُنُّونَ، وَٱغْفِرْ لَنا مالا يَعْلَمُونَ.

(ح ـ ١٠٠) المدح:

من عادة اصحاب الدنيا مدح الإنسان في وجهه؛ لكسب ثقته بالكلام وقضاء حاجته من المرام، والإنسان بطبعه يتأثر بالمدح ويتحاشى اللوم الصريح، ويكره الذم والقبيح. وقد أشار الإمام إلى نقاط توجب وقاية الإنسان من الوقوع من فخ مديح أي انسان، فقال:

أوّلاً: ـ(اللهم إنك أعلم بي من نفسي) فوجه الخطاب إلى الله سبحانه من دون أهتمام لمدح البشر.

ثانياً: ـ(وأنا أعلم بنفسي منهم) فهم ـ لأيّ سبب كان مدحهم ـ انما ينظرون إلى ظواهر الامور، ولا يعرفون غيرهم كما يعرفون انفسهم؛ فإنّ ﴿الإنسان على نفسه بصيرة﴾.[٢]

ثالثاً: ـ(اللهم اجعلنا خيرا ممّا يظنون) فالدعاء إلى الله سبحانه بالخير، ولا قيمة لمدح الانسان.

رابعاً: ـ(واغفر لنا ما لا يعلمون)؛ فإنّ حسنات الابرار سيئات المقربين.

وبهذه النقاط الاربع اكد الإمامؑ على ضرورة التمسك بالمبادي الاسلاميّة من التوجه إلى الله وعدم الاغترار بالمدح؛ مؤكدا على الثوابت الاسلاميّة بالاعتماد على الله وحده.

[١٠١]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

لا يَسْتَقِيمُ قَضاءُ ٱلْحَوائِجِ إِلّا بِثَلاثٍ: بِاسْتِصْغارِها لِتَعْظُمَ، وَبِاسْتِكْتامِها لِتَظْهَرَ،

---

(١) في ص: اجعلني. وفي هـ د: اجعلني ـ ح.
(٢) القيامة : ١٤.

وَبِتَعْجِيلِها لِتَهْنَأَ[١].

(ح ـ ١٠١) قضاء الحوائج:

يختلف الناس في دوافعهم لقضاء حوائج الآخرين، فمنهم من يجدها نقطة ضعف يستخدمها لحاجته الشخصية فيكون مقايضاً، ويولد في نفس صاحب الحاجة روح الحقد على هذا الموقف المادي.

والحكمة تشير أن قضاء الحوائج من المنطلق الاسلامي له صراط مستقيم يتوقف على ثلاثة امور:

أوّلاً: (باستصغارها لتعظم)؛ فإنّ من يقوم بقضاء الحاجة اذا اسصغرها اصبح ذلك عظيما عندالله.

ثانياً: (وباستكتامها لتظهر)؛ فإنّ كتمان ذلك من قبله لا يبقى إلى الابد، وعلى الاغلب يعلن عن ذلك من قضيت حاجته بنفسه أو بسبب غيره؛ فإنّ الحقائق تظهر في التاريخ.

ثالثاً: (وبتعجيلها لتهنأ)؛ فإنّ تأخير ذلك قد يفوت الحاجة، وقد يزيد الحاجة عسراً والتعجيل يجعل ذلك هنيئا لصاحب الحاجة.

وهذه النقاط الثلاث تضمن كرامة المحتاج ولا يتولد في نفسه عقدة النقص أو شعور بالذل، ويكون من يقوم بقضاء الحاجة موديا دوره الاسلامي في اسعاد من يفتقر اليها من افراد المجتمع.

[١٠٢]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

يَأْتِي عَلَى ٱلنّاسِ زَمانٌ لايُقَرَّبُ فِيهِ إِلَّا ٱلْماحِلُ[٢]**، وَلا يُظَرَّفُ فِيهِ إِلَّا ٱلْفاجِرُ**[٣]**، وَلا**

---

(١) في هـ. ص: كأن يقال: لكل شيء أُس، وأُس الحاجة تعجيل قضائها، وكان يقال: المنع أروح من التأخير، انتهى من الشرح.

(٢) في هـ. ب: في نسخة: إلا الماجن، وفي هـ. د: وروي: الاّ الماجن ـك وحاشية ش. وفي هـ. أ: المحل المكر، والماحل: المكّار، وفي هـ. ب: الماحل: الماكر ،وفي هـ. ص: المحل المكر والخديعة، وانما يقرّبونه لانتفاعهم بتحيّله.

يُضَعَّفُ فِيهِ إِلَّا ٱلْمُنْصِفُ؛ يَعُدُّونَ ٱلصَّدَقَةَ فِيهِ غُرْماً، وَصِلَةَ ٱلرَّحِمِ مَنّاً، وَٱلْعِبادَةَ ٱسْتِطالَةً[١] عَلَى ٱلنّاسِ! فَعِنْدَ[٢] ذلِكَ يَكُونُ ٱلسُّلْطانُ بِمَشُورَةِ الْإِماءِ[٣]، وَإِمارَةِ ٱلصِّبْيانِ وَتَدْبِيرِ ٱلْخِصْيانِ.

(ح - ١٠٢) مستقبل الامة:

للامة آجال كما هي لافراد البشر، قال تعالى:﴿ما تسبق من امة اجلها وما يستأخرون﴾.[٤]

ويشير الإمام إلى مستقبل الأمّة الاسلامية بالذات، فإنّها في دور الرسول الاعظم ﷺ كانت تسير على المبادي والوسائل والاهداف الاسلامية التي صفتها ﷺ في حياته. والأمّة في طول عمرها الطبيعي تواجه عوامل الانحراف في مستقبلها، وقد أشار الإمام إلى انواع الانحراف بقوله:

(يأتي على الناس زمان) يتحقق فيه الانحراف عن الخط الاسلامي بالتدريج، ومنها:

١ ـ (لا يقرب فيه إلّا الماحل) وهو النمّام، فيتقرب إلى الآخرين بالتطوع للجيش للاخبار التي تهم معارضاً لقوله تعالى:﴿ولا تجسسوا﴾.[٥]

٢ ـ (ولا يظرف فيه إلّا الفاجر) والظرافة: البراعة، والفجور: العدول عن الحق، فتكون الظرافة بالخلاعة والمجون والفسق، وقد قال تعالى:﴿واما الذين فسقوا فمأواهم النار﴾.[٦]

٣ ـ(ولا يضعف فيه إلّا المنصف) فيستضعف المثقف الملتزم بمبادئه، كما كان يقول

---

(٣) في هـ. ص: أي لا يعدّ الإنسان ظريفاً ـ أي أديباً ـ إلّا إذا كان خليعاً ماجناً يتظاهر بالفسق، انتهى من الشرح.

(١) في هـ. ب: طولاً وفضلاً، وفي هـ. ص: الى هنا أخلاق السوقة وعامة الناس.

(٢) في هـ. ص: من هنا أخلاق الأُمراء والسلاطين، وهذه أخلاق ظاهرة في بني العباس ومن لحق بهم من دولة الأعاجم إلى زمن الناس هذا، واعلم انّه عليه السلام يذكر جملة الفساد الذي يقع في الأُمّة وان اختلفت أقطاره، والله أعلم.

(٣) في هـ. د: النساء ـ ب.

(٤) المومنون : ٤٣.

(٥) الحجرات : ١٢.

(٦) السجدة : ٢٠.

الكفرة: ﴿ما نفقه كثيرا ممّا تقول وانا لنراك فينا ضعيفا﴾.[١]

٤ ـ (يعدون الصدقة فيه غرما) والغرم، ما يدفع كرهاً، مع أن الله جعل الصدقة حقا للفقراء بقوله:﴿وفي اموالهم حق معلوم للسائل والمحروم﴾.[٢]

٥ ـ (وصلة الرحم منّا) والمنّ: الفخر بما انعم، مع أن صلة الرحم واجبة، قال تعالى:﴿واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام﴾.[٣]

٦ ـ (والعبادة استطالة على الناس) والاستطالة: الاستعلاء بسبب العبادة التي هي فريضة على كلّ مسلم للتقرب إلى الله، وقال تعالى:﴿فاعبد الله مخلصا له الدين﴾.[٤]

والى اثار هذه النقاط الست وبسبب غياب المسؤولية الاسلامية يكون الدور الطوائف ثلاث يتعزز فيها هذه النقاط:

أوّلاً: (فعند ذلك يكون السلطان بمشورة النساء)؛ فإنّ النساء اكثر تأثيراً بالعوامل المذكورة، وحيث انهن اعقل من الرجال لا يباشرن الامور بل يستخدمن السلطان بجعله تحت نفوذ المشورة من الداخل.

ثانياً: (وإمارة الصبيان) وهم بحكم حداثة السن يفقدون التجربة الكافية التي يتمتع بها الشيوخ، فيستخدمون كواجه لمصالح غيرهم.

ثالثاً: (وتدبير الخصيان) وهم يعتبرون همزة الوصل بين الداخل والخارج بحكم طبعتهم في العصور المختلفة، وفي عصرنا يقوم بهذا الدور الخدم والسكرتيرات.

والانحراف في تواريخ كلّ الامم يزداد تدريجيا في حضارة كلّ امة حتّى تتحقق هذه النقاط بالتدريج، ويتبعها السقوط النتم بالثورة المسلحة القاضية عليها.

---

(١) هود: ٩١.
(٢) الذاريات: ١٩.
(٣) النساء: ١.
(٤) الزمر: ٢.

[١٠٣]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ[١] ـ وَقَدْ رُئِيَ عَلَيْهِ إِزارٌ خَلَقٌ مَرْقُوعٌ، فَقِيلَ لَهُ فِي ذلِكَ، فَقالَ[٢] ـ: يَخْشَعُ لَهُ ٱلْقَلْبُ، وَتَذِلُّ بِهِ ٱلنَّفْسُ، وَيَقْتَدِي بِهِ ٱلْمُؤْمِنُونَ.

(ح ـ ١٠٣) الدنيا والآخرة:

تحتوي هذه الحكمة في هذه الطبعة المعتمدة على حكمين احدهما: في الازار الخلق، والثانية: في الدنيا والآخرة، وقد فصل بينهما الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ)، ونعم ما فعل؛ لاختلافهما موضوعاً.[٣]

الإزار الخلق:

(الازار: ثوب محيط بالنصف الاسفل من البدن، والخلق: البالي، والرقعة: سد الخرق).

أشار إلى الاسباب التي توجب على القائد المسلم أن يستخدم الازار الخلق في حياته وهي ثلاث:

١ ـ (يخشع له القلب)؛ فإنّ اللباس الجديد يوجب الغرور، ومن ابتلي بحب لبس الجديد لابد وان يستبدل كلّ يوم لبساً جديدا.

٢ ـ (وتذل به النفس) الانسانية، فلا تطمع في مغريات الحياة الآخرى غير اللبس.

٣ ـ(ويقتدي به المؤمنون) حيث أن الإمام قدوة يحاول المؤمنون الاقتداء به كقائد فيقلدوه في حياتهم ويتمتعون بالخشوع وذل النفس الامارة بالسوء.

وهذه النقاط الثلاث تكون درساً عمليا للمجتمع الاسلامي .

[تابع ١٠٣]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

إِنَّ ٱلدُّنْيا وَٱلْآخِرَةَ عَدُوّانِ مُتَفاوِتانِ[٤]، وَسَبِيلانِ مُخْتَلِفانِ، فَمَنْ أَحَبَّ ٱلدُّنْيا وَتَوَلّاها

(١) لم ترد «وقال عليه السلام» في أ.
(٢) في ب زيادة : عليه السلام.
(٣) راجع: الشرح ١٨: ٢٦٣، ط / ١٩٦٠.
(٤) في هـ. ص: في نسخة: متقاولان، متقاومان.

أَبْغَضَ ٱلْآخِرَةَ وَعَادَاها، وَهُما بِمَنْزِلَةِ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ، وَماشٍ بَيْنَهُما كُلَّما قَرُبَ مِنْ واحِدٍ بَعُدَ مِنَ ٱلآخَرِ[1]، وَهُما بَعْدُ ضَرَّتانِ!

(ح ـ ١٠٣) خصائص الدنيا والآخرة:

فعن خصائص الدنيا والآخرة قال:أوّلاً: (إن الدنيا والآخرة عدوان متفاوتان) والتفاوت: التباعد؛ لاختلاف طبيعة كلّ واحد منهما عن الآخر، فالدنيا تدعوا الى الاهتمام بالحاضر، والآخرة تدعوا إلى الاهتمام بالنتائج.

ثانياً: (وسبيلان مختلفان) وطريق كلّ واحد منهما يختلف عن الآخر، فطريق الدنيا يؤدّي إلى حاجات النفس المادية، وطريق الآخرة إلى الحاجات الروحية .

ثالثاً: (فمن أحب الدنيا وتولاها أبغض الآخرة وعاداها) حيث لا يمكن الجمع بينهما في الذات ولا في الطريق.

رابعاً: (وهما بمنزلة المشرق والمغرب وماش بينهما) فالدنيا والآخرة جهتان متقابلتان، والإنسان الماشي بينهما اذا اتجه إلى جهة احدهما ابتعد بنفس الدرجة عن الجهة المقابلة، فلا يمكن الجمع بينهما الا بالتوقف بين الجهتين حتى يسلم في البين.

خامساً: (وهما بعد ضرتان) والضرة: امرأة الزوج، فلا يمكن الرضوخ لرغباتهما معاً، بل لابدّ للحد الوسط الذي لا يرضيهما معاً.

وهذه النقاط الخمس توجب انتخاب احدى الطريقين وسلوك ما يعتقد به الإنسان في الحياة، اما المادة الفانية في الدنيا، أو الخلود في الآخرة، والسير على القيم التي تخلد في التاريخ، والله العاصم.

---

(١) في هـ. ب: ان قرب واحد بعد من الآخر.

[١٠٤]

وَعَنْ نَوْفٍ ٱلْبِكالِيِّ[١]، قالَ: رَأَيْتُ أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنينَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ ذاتَ لَيْلَةٍ وَقَدْ خَرَجَ مِنْ فِراشِهِ فَنَظَرَ إِلَى ٱلنُّجُومِ[٢]، فَقالَ:

(ح - ١٠٤) نوف البكالي:

قال ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في شرح نهج البلاغة، ما نصّه:«قال صاحب الصحاح : نوف البكالي كان صاحب علي عليه السلام . وقال ثعلب : هو منسوب إلى قبيلة تدعى بكالة ، ولم يذكر من أي العرب هي ، و الظاهر أنها من اليمن ، وأما بكيل فحيّ من همدان ، وإليهم أشار الكميت بقوله : فقد شركت فيه بكيل وأرحب. وأما البكالي في نسب نوف فلا أعرفه».[٣]

(ح - ١٠٤) طوبى للزاهدين:

يا نَوْفُ، أَراقِدٌ أَنْتَ أَمْ رامِقٌ[٤]؟ فَقُلْتُ: بَلْ رامِقٌ يا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ[٥]؛ قالَ: يا نَوْفُ طُوبى لِلزّاهِدِينَ فِي ٱلدُّنْيا، ٱلرّاغِبِينَ فِي ٱلآخِرَةِ! أُوْلئِكَ قَوْمٌ ٱتَّخَذُوا ٱلْأَرْضَ بِساطاً، وَتُرابَها فِراشاً، وَماءَها طِيباً، وَٱلْقُرْآنَ شِعاراً، وَٱلدُّعاءَ دِثاراً، ثُمَّ قَرَضُوا[٦] ٱلدُّنْيا قَرْضاً عَلى مِنْهاجِ ٱلْمَسِيحِ.

(رقد: نام، ورمق: اطال النظر، وطوبى: السعادة، والزهد: عدم التعلق بالدنيا، والبساط: السجاد يبسط في الارض، والفراش: ما يبسط للنوم، والشعار: ما يكن البدن من الثياب، والدثار: ما يعلو البدن من الثياب، والقرض: القطع، والمسيح: عيسى بن مريم).

---

(١) في ط: البكائي، وقيل: البكالي ـ باللام ـ وهو الأصح، وفي هـ . ص: قال في الصحاح: نوف البكالي كان صاحب علي عليه السلام، وقال ثعلب: هو منسوب إلى قبيلة تدعى «بكالة»، ولم يذكر من أي العرب هي، والظاهر أنّها من اليمن، انتهىٰ من الشرح.

(٢) في هـ . د: في النجوم ـ ب.

(٣) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٨ : ٢٦٥.

(٤) في هـ . ب: أي ناظر، وفي هـ . ص: أي مستيقظ ينظر الى السماء والنجوم.

(٥) في هـ . د: لم ترد «يا أمير المؤمنين» في ب.

(٦) في هـ . ص: أي قطعوا، وفي هـ . ص: قرضوا الدنيا، أي حلقوها وتركوها وراء ظهورهم، انتهى من الشرح، ويحتمل أن يكون بمعنى قطعوا منها ما كانوا يحتاجون إليه، ولم يأخذوا أكثر من ذلك، والله أعلم.

يتضمّن المقطع صفات الزاهدين، فقال:

(يا نوف، طوبى للزاهدين في الدنيا) وطوبى: السعادة، والزهد: عدم التعلق بالدنيا، ولا يستلزم الانقطاع دائماً.

(الراغبين في الآخرة) بعدم تعلق قلوبهم بالمادّة والماديات، وسرد من صفاتهم بقوله:

١ ـ (أولئك قوم اتخذوا الأرض بساطا) وهو السجاد يبسط على الارض للجلوس عليه، فيستغنون عن السجاد بالارض نفسها.

٢ ـ (وترابها فراشا) وهو ما يعد للنوم، فهم يستغنون عن ذلك بالنوم على الارض .

٣ ـ(وماؤها طيبا) بالنظافة الطبيعية من دون استخدام انواع الطيب .

٤ ـ (والقرآن شعارا) فهم يصحبون القرآن في كلّ حالاتهم اليوميّة.

٥ ـ (والدعاء دثارا) وهو ما يظهر من اعلى الثياب على البدن، فيظهر من الزاهدين كثرة الدعاء في المناسبات المختلفة.

٦٣ ـ (ثم قرضوا الدنيا قرضا) والقرض: القطع، بالتخلي عن الدنيا وكل مظاهرها المادية.

٧ ـ (على منهاج المسيح) وهو النبي عيسى بن مريم، الذي كانت حياته التخلي عن الماديات والدنيا، والتوجه إلى الروحيات.

وهذه النقاط السبع من ابرز صفات من ينقطع عن الدنيا ويتوجه بكله إلى الحاجات الروحية في الحياة، وما اقلهم كالسيد المسيح عليه السلام.

(ح ـ ١٠٤) ساعة الدعاء:

يا نَوْفُ، إِنَّ داوُدَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ قامَ فِي مِثْلِ هذِهِ ٱلسّاعَةِ مِنَ ٱللَّيْلِ، فَقالَ: إِنَّها ساعَةٌ[١] لايَدْعُو فِيها عَبْدٌ إِلَّا ٱسْتُجِيبَ لَهُ إِلّا أَن يَكُونَ عَشّاراً[٢]، أَوْ عَرِيفاً[٣]، أَوْ

---

(١) في ط: لساعة.

(٢) في هـ. ب: وهو العشّار: من يأخذ العشر في الطريق، وفي هـ. ص: قوله:« عشاراً»: هو الذي يأخذ العشور، وقلّما يسلم من الظلم وان أخذها بأمر محق.

(٣) في هـ. ب: «العريف» من يعرّف الناس للظلمة، وفي هـ. ص: العريف: نقيب القبيلة ورئيسهم، وقلّما يسلمون من الظلم، يروى عن النبي صلى الله عليه وآله: «العرافة حق، ولكن العرفاء في النار».

شُرْطِيّاً[١]، أَوْ صاحِبَ عَرْطَبَةٍ ـ وَهِيَ[٢] ٱلطُّنْبُورُ ـ أَوْصاحِبَ كُوبَةٍ ـ وَهِيَ[٣] ٱلطَّبْلُ.

وَقَدْ قِيلَ أَيْضاً: إِنَّ ٱلْعَرْطَبَةَ ٱلطَّبْلُ، وَٱلْكُوبَةَ ٱلطُّنْبُورُ.

ويتضمّن هذا المقطع وقت الدعاء، حيث تعم الهدوء والسكينة الطبيعة، ولا يخالط الفكر شئ سوى الايمان بالله تعالى والتركيز بالتوجه الى الله وحده لا شريك له، فقال:

(يا نوف، إن داودعليه السلام قام في مثل هذه الساعة من الليل) التي هي ساعة التهجد والعبادة.

(فقال : إنها ساعة لا يدعو فيها عبد إلّا استجيب له) لانها اقرب ساعة لخلوص الدعاء إلى الله سبحانه، وقد استثنى من الاستجابة جماعة، هم:

(إلا أن يكون عشارا) وهو من ياخذ العشور والمكوس من الناس ظلما.

٢ ـ (أو عريفا) وهو الجاسوس الذي يتجسس على احوال الآخرين.

٣ ـ(أو شرطيا) والشرطي من شرط مع الحاكم على امنه وسلامته.

٤ ـ (أو صاحب عرطبة) وهي الطنبور.

٥ ـ (أو صاحب كوبة) وهي الطبل.

فان هذه الجماعات بحكم عملهم المبتني على الظلم للعباد لا يستجاب دعاؤهم حتّى يتوبوا إلى الله سبحانه توبة نصوحاً.

[١٠٥]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

إِنَّ ٱللّٰهَ ٱفْتَرَضَ عَلَيْكُمْ فَرائِضَ[٤] فَلاتُضَيِّعُوها، وَحَدَّ لَكُمْ حُدُوداً[٥] فَلاتَعْتَدُوها،

---

(١) في هـ. ص: الشرطي، واحد الشرط، وهم أعوان السلطان، قيل: سمّوا بذلك لأنّهم شرطوا أنفسهم، أي أظهروها بعلامات، وقيل: لأنّهم أُعدّوا للأمانة، وقلّما يخلص عملهم من الظلم، والله أعلم.

(٢) في ب: وهو.

(٣) في ب: وهو.

(٤) في هـ. د: الفرائض ب.

(٥) في هـ. ب : في نسخة: حدّاً، وفي هـ. د: وجدّ لكم جدوداً ـ ن.

وَنَهاكُمْ عَنْ أَشْياءَ فَلاتَنْتَهِكُوها[١]، وَسَكَتَ لَكُمْ عَنْ أَشْياءَ وَلَمْ يَدَعْها[٢] نِسْياناً فَلاتَتَكَلَّفُوها.

(ح - ١٠٥) احكام الاسلام:

اصطلح الفقهاء على تقسيم الاحكام الاسلامية الى خمس، هي: الواجبات والمحرمات والمستحبات والمكروهات والمباحات، على تفصيل مشروح في الفقه والاصول.

والإمام يحددها في هذه الحكمة بأربع مع الاشارة إلى مسؤولية المسلم تجاهها، فقال:

الأوّل: الفرائض: (إن الله افترض عليكم الفرائض فلا تضيعوها) والفريضة: ما اوجبه تعالى بنص القرآن الكريم أو السنة النبوية، فقال في الميراث: ﴿فريضة من الله﴾[٣] وعلى المسلم أن لا يضيع هذه الفرائض، ويدخل تحت هذا العنوان الواجبات والثوابت الاسلامية كالصلاة والصوم والزكاة وغيرها.

الثاني: الحدود (وحد لكم حدودا فلا تعتدوها) كالطلاق من الايقاعات؛ قال تعالى في الطلاق :﴿تلك حدود الله فلا تعتدوها﴾ [٤].

والحد ـ هنا ـ غاية الشيئ المباح، والطلاق من الامور المكروهة، وهو نهاية الأمر المباح في العلاقة الزوجية، فلا يجوز التعدي بالفصل والعدد، ويدخل تحت هذا الحد المستحبات، فإنّها حدود الفضيلة، فلا يجوز تشريع بدعة لامور يزيد عليها، وليس المراد الحد بمعنى العقوبة، فإنّها تدخل في الفرائض.

الثالث: المناهي (ونهاكم عن أشياء فلا تنتهكوها) والانتهاك: الاستهانة، قال تعالى:﴿و ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾.[٥] وهي المحرمات الشرعية والرذائل

---

(١) في هـ. ب: الانتهاك خرق الستر.
(٢) في هـ. ب: يتركها.
(٣) النساء : ١١ .
(٤) البقرة: ٢٢٩.
(٥) الحشر : ٧.

الاخلاقية.

الرابع: السكوت عنها (وسكت لكم عن أشياء ولم يدعها نسيانا فلا تتكلفوها) والتكلف: التحمل بصعوبة، فاراد الله سبحانه الوسع للانسان ولم يكلف احداً بها، فتكون له الحرية في التصرف بالمباحات وعدم الاشتغال بها، فان التعمق فيها يوجب الحيرة ولا تؤثر في الحياة العملية لا بالنفس ولا بالمجتمع.

وهذا هو التقسيم الرباعي أو التقسيم الخماسي، وان كان التقسيم الخماسي اوضح.

[١٠٦]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

لا يَتْرُكُ ٱلنّاسُ شَيْئاً مِنْ أَمْرِ[١] دِينِهِمْ لاسْتِصْلاحِ دُنْياهُمْ إِلّا فَتَحَ ٱللّهُ عَلَيْهِمْ ما هُوَ أَضَرُّ مِنْهُ.

(ح ـ ١٠٦) الاولويات:

لكل انسان في الحياة اولويات يقدمها على غيرها، فاذا كان الخيار بين الدين والدنيا فانه يقدم اهل كلّ منهما ما يؤمن به. والإمام يشير الى أنّه ليس للدين بديل؛ فإنّ اهمل الانسان الجانب الديني في الحياة فلا يبقى مكانه شاغراً بل يملؤه امر دنيوي اخر، فيستولي الدنيا بتلك النسبة على حياة هذا الإنسان من دون أن يوضع للدين فيها تلك النسبة، فيكون مكان الدين باب جديد من الدنيا، ولا يكون زيادة الدنيا له سوى زيادة هم وغم وضرر، وعلى النقيض تماما من التزم بواجباته وكان الجانب الديني له مكانته في القرارات، ويكون في التوازن صلاح دينه ودنياه في حاضره وعقباه.

---

(١) في هـ. د: لم ترد «أمر» في ف ن ل.

[١٠٧]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

رُبَّ عالِمٍ قَدْ[١] قَتَلَهُ جَهْلُهُ[٢] وَعِلْمُهُ مَعَهُ لايَنْفَعُهُ[٣].

(ح ـ ١٠٧) **العالم الجاهل:**

يشير الإمام إلى أن الكمال لله وحده، وان كلّ أن انسان ليس له صفة الكمال المطلق؛ فإنّ العالم ـ مثلا ـ بالرغم من كونه بصفة الكمال بالعلم، فهو من جهة أخرى لا يخلوا من صفة الضد وهو الجهل من جهة اخرى، فمن العلماء من لا يعمل بعلمه ولا يؤدي مسؤولية العلم وهو يجهل بهذا الواجب؛ فإنّ العالم غير العامل بعلمه جاهل من هذه الناحية، وهذا الجهل قد يقتله بالرغم من أن علمه معه؛ فإنّ العلم وسيلة للتطبيق، فعدم استخدامه عند الحاجة يكون العالم كالمريض الذي معه الدواء ولا ينتفع به حتّى يموت.

[١٠٨]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

لَقَدْ عُلِّقَ بِنِياطِ[٤] هذَا ٱلْإِنْسانِ بِضْعَةٌ[٥]، وهِيَ[٦] أَعْجَبُ ما فِيهِ وَذلِكَ[٧] «ٱلْقَلْبُ»، وَلَهُ[٨] مَوادُّ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ وَأَضْدادٌ مِنْ خِلافِها، فَإِنْ سَنَحَ[٩] لَهُ ٱلرَّجاءُ أَذَلَّهُ ٱلطَّمَعُ، وَإِنْ هاجَ[١٠] بِهِ ٱلطَّمَعُ أَهْلَكَهُ ٱلْحِرْصُ، وَإِنْ مَلَكَهُ ٱلْيَأْسُ قَتَلَهُ ٱلْأَسَفُ[١١]، وَإِنْ عَرَضَ لَهُ

---

(١) في هـ. د: لم ترد «قد» في ع.

(٢) في ب: الجهل، وفي هـ.ب: جهله ـ صح.

(٣) في هـ. ص: هذا الكلام قاله عليه السلام في شأن طلحة والزبير في خطبة خطبها في أوّل خروجهما إلى العراق، وقد تقدّم نقلها، والله العالم.

(٤) في هـ. ب: النياط: عرق متصل بالقلب.

(٥) في هـ. ص: بفتح الباء، القطعة من اللحم.

(٦) في ط و د: هي، وفي هـ. د: وهي ـ ف م.

(٧) في هـ. د: وهو ـ ح.

(٨) العبارة في ط هكذا: وهو القلب وذلك ان له.

(٩) في هـ. ب: عرض.

(١٠) في هـ. ب: حرض.

(١١) في هـ. ب: الحزن.

ٱلْغَضَبُ ٱشْتَدَّ بِهِ ٱلْغَيْظُ، وَإِنْ أَسْعَدَهُ ٱلرِّضا نَسِيَ ٱلتَّحَفُّظَ، وَإِنْ غالَهُ[١] ٱلْخَوْفُ شَغَلَهُ ٱلحَذَرُ، وَإِنِ ٱتَّسَعَ لَهُ ٱلْأَمْنُ[٢] ٱسْتَلَبَتْهُ ٱلْعِزَّةُ[٣]، وَإِنْ أَصابَتْهُ مُصِيبَةٌ فَضَحَهُ ٱلْجَزَعُ، وَإِنْ أَفادَ مالاً أَطْغاهُ ٱلْغِنى، وَإِنْ عَضَّتْهُ[٤] ٱلْفاقَةُ شَغَلَهُ ٱلْبَلاءُ، وَإِنْ جَهَدَهُ ٱلْجُوعُ قَعَدَ بِهِ ٱلضَّعْفُ[٥]، وَإِنْ أَفْرَطَ[٦] بِهِ ٱلشِّبَعُ كَظَّتْهُ[٧] ٱلْبِطْنَةُ، فَكُلُّ[٨] تَقْصِيرٍ بِهِ مُضِرٌّ، وَكُلُّ إِفْراطٍ لَهُ مُفْسِدٌ.

(ح - ١٠٨) الحكمة واضدادها:

يتضمّن المقطع ما هو المطلوب اسلاميا من التوازن في السير التكاملي وتجنب الافراط والتفريط معاً، فان الكمال لله وحده، واشار إلى مقدمة عن القلب وهو العقل، ثمّ الحكمة واضدادها الكثيرة الابتلاء في حياة الانسان، ثمّ ختمها بقاعدة عامة تدعوا إلى التوازن وسلوك الحد الوسط بين الافراط والتفريط.

وعن التقدم قال:

(لقد علق بنياط هذا الإنسان بضعة هي أعجب ما فيه وذلك القلب) والنيط: العرق، والبضعة: القطعة، والقلب: العقل).

والعقل المفكر في الإنسان اعجب ما فيه من الاعضاء الحاكمة على جميع اعضاء الجسم من الراس الى القدم بواسطة امور تربطهابكلّ موضع من الجسم بواسطة العروق المنتشرة في الجسم، ولم يتمكن العلم تحديد العقل إلّا بآثاره، وتحيرت العقول في معرفة حقيقته وان وصلت إلى تحديد مصدر الآثار من موضع المخ في الراس، وأن العقل هو الذي يميز حقيقة الإنسان، وهو المخاطب والمعاقب والمعاتب والمطالب، وبالرغم من

---

(١) في أ: باله، وفي هـ. أ: عاله، وفي هـ. أ: كلاهما مروي عنه، وفي هـ. ب: في نسخة: عاله: في نسخة: ناله. وفي هـ. د: ناله ـ ب.
(٢) في ط: الأمر.
(٣) في ب و ص: الغرّة.
(٤) في هـ. ب: عضته ـ من العضّ ـ.
(٥) في ط: قعدت به الضعة.
(٦) في هـ. ب: أسرف.
(٧) في هـ. ب: جعله كضاً، هضمته البطنة.
(٨) في ب و ص: وكل.

العلم بوجوده ومعرفة اثاره لم يتمكن الوصول إلى حقيقته، فهو اعجب جزء في جسم الانسان.

الحكمة واضدادها:

فعن الحكمة واضدادها قال:

(وذلك أن له مواد من الحكمة وأضداد من خلافها) الحكمة: وهي الكلام الحق، واستعيرت هنا لفضائل الاخلاق. لانها حق ينبغي الاتصاف به، وعبّر عن ذلك بمواد الحكمة: وعبر عن اضدادها بقوله: (من خلافها) أي ان هذه الاضداد تخالف مواد الحكمة في الطبعية والاثر.

ثم سرد كلا ممّن المواد والاضداد الشائعة في الحياة بقوله:

أوّلاً: الرجاء (فإن سنح له الرجاء أذله الطمع) والرجاء: خصلة حميدة في الفكر بانتظار ما هو محبوب، وهو محبوب ممّن هو حقيق بالرجاء كالباري سبحانه وتعالى، وضده المفرط: الطمع .

ثانياً: الطمع (وإن هاج به الطمع أهلكه الحرص) والطمع خصلة رذيلة؛ لأنّه رجاء من غير استحقاق، وارادة بالمخاطرة من دون عمل، والحرص: شدة التمسك بالشيء، وقد يوجب الهلاك؛ لدوام الخوف من أن يفلت منه بسبب الحوادث والطوارئ.

ثالثاً: اليأس (وإن ملكه اليأس قتله الأسف) واليأس: القنوط، وهو فرط الرجاء والافراط فيه يؤدي الى الاسف، وهو الحزن والتلهف.

رابعاً: الغضب (وإن عرض له الغضب اشتد به الغيظ) والغضب: قوة تبعث على دفع الضرر، والافراط فيها: شدة الغيظ الذي يخرج الغضبان من حالة التوازن .

خامساً: الرضى (وإن أسعده الرضى نسي التحفظ) والرضا: ترك السخط، يقبول ما قضى الله تعالى من نزول الشدائد مما لا يستيقن فساده، فيكون في حياته سعيداً، والافراط منه: ترك التحفظ، فلابد من الجمع بين التحفظ والرضا.

سادسا: الخوف (وإن غاله الخوف شغله الحذر) والغول: الاخذ غفلةً، والخوف: تألم القلب بسبب توقع مكروه في المستقبل، والافراط فيه: الحذر واليقظة المستمرة؛ فإنّ

بذلك تسلب عنه الراحة النفسيّة.

سابعا: السعة (وإن اتسع له الأمن استلبته الغرة) والسعة: الوسعة في الحياة مادياً، والغرة: الغفلة، فإنّها افراط في السعة .

ثامنا: المال (وإن أفاد مالا أطغاه الغنى) وذلك بأن استفاد المال بالكسب والتجارة ونحوها من الطرق المتيسرة للحصول على المال؛ فإنّ مجرد الحصول على المال يوجب الطغيان بالغنى، وهو افراط في المال الحلال المكتسب.

تاسعا: المصيبة (وإن أصابته مصيبة فضحه الجزع) والمصيبة: البلاء والشدة من المكروه، والافراط فيه: الجزع، وهو اظهار عدم الصبر على ما حل به من المكروه.

عاشرا: الفاقة (وإن عضته الفاقة شغله البلاء) والفاقة: الحاجة، والبلاء: الامتحان، فيشتغل عن اداء مسؤوليته بالسعي لرفع الفاقة بالتركيز على الامتحان به، واسبابه ونتائجه.

الحادي عشر: الجوع (وإن جهده الجوع قعد به الضعف) والجهد: التعب، والتفريط فيه: اهمال الواجب والخلود الى الضعف، مع أن المفروض فيه المقاومة .

الثاني عشر: الشبع (وإن أفرط به الشبع كظته البطنة) الشبع: الامتلاء من الطعام، والافراط فيه: تجاوز الحد في جانب الزيادة، والكظة: الامتلاء المفرط، والبطنة: الامتلاء الشديد من الطعام، وهو افراط الصبر.

وهذه النقاط الاثني عشر حالات متعارفة في المجتمع يمتحن بها الافراد في حياتهم الاجتماعية على مختلف الطبقات.

التوازن:

وعن القاعدة العامة في التوازن في هذه النقاط أشار إلى الحد الوسط بين الافراط والتفريط بقوله:

(فكل تقصير به مضر وكل إفراط له مفسد)؛ فإنّ تجاوز الحد من جانب الزيادة هو الافراط، ومفسد لسلوك الإنسان في الحياة، وكذلك كلّ تجاوز من جانب النقيصة هو التفريط فتكون مضراً في حياة الإنسان؛ لكونه تقصيرا بالواجب وهو التوازن بين الافراط

والتفريط وسلوك الحد الوسط بينهما، قال تعالى في الانفاق:﴿والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما﴾.[١]

[١٠٩]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

نَحْنُ ٱلنُّمْرُقَةُ[٢] ٱلْوُسْطى بِها يَلْحَقُ ٱلتّالِي[٣]، وَإِلَيْها يَرْجِعُ ٱلْغالِي.

(ح ـ ١٠٩) آل محمّد ﷺ:

(النمرقة: الوسادة، والغلو: تجاوز الحد).

وصف الامام آل محمّد باوصاف ثلاثة تجعلهم المرجع الذي لا تستغنى عنه الامة لتبيطق الحكم الاسلاميّ، فقال:

اولا: (نحن النمرقة الوسطى)؛ فإنّ الوسائد التي يعتمد عليها في الجلوس تختلف حجما وعدداً، والكبرى ملصقة بالارض، ويعلوها الوسطى، ثمّ الصغرى، فلا يستغنى عنها الجالس للحكم بين الناس.

ثانياً: (بها يلحق التالي) ممّن تأخر من العصور في المستقبل.

ثالثاً: (وإليها يرجع الغالي) الذي تجاوز الحد في المبادي والوسائل والاهداف الاسلامية.

قال ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في شرح نهج البلاغة، ما نصّه:«النمرق والنمرقة بالضم فيهما : وساده صغيرة ، ويجوز النمرقة بالكسر فيهما ، ويقال للطنفسة فوق الرحل نمرقة . والمعنى أن كل فضيلة فإنها مجنحة بطرفين معدودين من الرذائل كما أوضحناه آنفا ، والمراد أن آل محمّد عليهم السلام هم الامر المتوسط بين الطرفين المذمومين فكل من جاوزهم فالواجب أن يرجع إليهم ، وكل من قصر عنهم فالواجب أن يلحق بهم . فإن قلت :

---

(١) الفرقان : ٦٧.

(٢) في هـ. ص: النمرقة بالضم ومثلها النمرق مضموماً وسادة صغيرة، ويجوز الكسر فيهما ويقال للطنفسة فوق الرحل: نمرقة، انتهى من الشرح.

(٣) العبارة في ط هكذا: نحن النمرقة الوسطى التي يلحق بها التالي.

فلم استعار لفظ النمرقة لهذا المعنى ؟ قلت : لما كانوا يقولون : قد ركب فلان من الامر منكرا وقد ارتكب الرأي الفلاني ، وكانت الطنفسة فوق الرحل مما يركب ، استعار لفظ النمرقة لما يراه الانسان مذهبا يرجع إليه ويكون كالراكب له ، والجالس عليه ، والمتورك فوقه . ويجوز أيضا أن تكون لفظة " الوسطى " يراد بها الفضلى ، يقال : هذه هي الطريقة الوسطى ، والخليقة الوسطى ، أي الفضلى ، ومنه قوله تعالى :﴿قال أوسطهم﴾[١] أي أفضلهم ، منه :﴿جعلناكم أمة وسطا﴾[٢]».[٣]

[١١٠]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

لا يُقِيمُ أَمْرَاللّهِ سُبْحانَهُ[٤]، إِلّا مَنْ لايُصانِعُ[٥]، وَلا يُضارِعُ[٦]، وَلا يَتَّبِعُ ٱلْمَطامِعَ[٧].

(ح ـ ١١٠) **اقامة امر الله:**

اكمل الله هذا الدين بقوله:﴿اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دنيا﴾.[٨] حيث طبق النبي محمّدﷺ في حياته المبادي والوسائل والاهداف الاسلامية، لكي يكون سننه المقدسة قدوة للاجيال المسلمة في المستقبل. ومن السنة الشريفة: السياسية المفتوحة التي طبقهاﷺ في حياته، ومن سماتها البازة رفض الوسائل التالية:

أوّلاً: المصانعة (لا يقيم أمر الله سبحانه إلّا من لا يصانع) والمصانعة: المساومة على

(١) سورة القلم : ٢٨.
(٢) سورة البقرة :١٤٣ .
(٣) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٨ : ٢٧٣.
(٤) لم ترد «سبحانه» في أ.
(٥) في هـ . ب: أي من لا يماكر، من الصنيعة الرديئة، وفي هـ . ص: أي لا يتخذ الصنائع، أي الخلصان، ولا يصانعهم بالمعاملة، فلا يعصيهم بالمنع، وان يستوفي الحقوق منهم ويمنعهم.
(٦) في هـ . ب: أي لا يتشبه بالاعمش من البكاء، وفي هـ . ص: أي لا يضرع، أي يضعف، أي يعامل بالضعف والرخاوة.
(٧) في هـ . ص: أي لا يتبع المطامع أي يتعرض للاعراض الدنيوية.
(٨) المائدة : ٣ .

المبادئ الاسلامية كما هو شأن السياسيين .

ثانياً: المضارغة (ولا يضارع) والمضارعة: المشابهة باستخدام الاساليب التي يستخدمها اعداء الاسلام.

ثالثا: اتباع الميول الشخصية (ولا يتبع المطامع) بالتنكر للثوابت الاسلامية.

فإنّ هذه النقاط تاكيد على أن الوسائل التي يستخدم في سبيل الاسلام يجب أن تكون اسلامية؛ فإنّه لا يطاع الله من حيث يعصى، وان الغاية لا تبرر الواسطة في الاسلام.

[١١١]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ، وَقَدْ تُوُفِّيَ سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ ٱلْأَنْصارِيُّ بِالْكُوفَةِ بَعْدَ[١] منصرفه[٢] معه مِنْ صِفِّينَ[٣]، وَكانَ مِنْ[٤] أَحَبِّ ٱلنّاسِ إِلَيْهِ:

لَوْ أَحَبَّنِي جَبَلٌ لَتَهافَتَ[٥].

قال الرَّضيُّ رحمه اللهُ تعالىٰ[٦]: وَمَعْنى ذلِكَ أَنَّ ٱلْمِحْنَةَ[٧] تَغْلُظُ عَلَيْهِ، فَتُسْرِعُ[٨] الْمَصائِبُ إِلَيْهِ، وَلا يُفْعَلُ ذلِكَ إِلّا بِالْأَتْقِياءِ ٱلْأَبْرارِ وَٱلْمُصْطَفَيْنَ[٩] ٱلْأَخْيارِ.

(ح - ١١١) الحب الحقيقي:

التهافت: التساقط، وتشير هذه الحكمة على قصرها إلى أن الحب الحقيقي لا يكون إلّا بالذوبان بسبب الحب، فان للحب درجات، أدونها الحب لخصال لا يجدها المحب في

---

(١) لم ترد «بعد» في أ و ب.
(٢) في أ و ب وط و د: مرجعه، وفي هـ. ب: مرجعه، أي: رجوعه، وفي هـ. د: عند مرجعه ـ م، وفي م ف ل ش: بالكوفة ومرجعه من صفّين.
(٣) في ط: من صفين معه.
(٤) لم ترد «من» في ط، وفي هـ. د: لم ترد «من» في ض و ب.
(٥) في هـ. ب: أي سقط، يعني كل من أحبني أصابته المشقة، وفي هـ. ص: أي سقط قطعة قطعة، وذلك مبالغة في كثرة ما يلحقه ومحبّيه من المصائب في الاسلام، انتهى من شرح ميثم.
(٦) لم ترد «قال الرضي رحمه الله تعالىٰ» في أ ب ص د.
(٧) في ص: المحبّة.
(٨) في ب: فيسرع فتسرع.
(٩) في د: والمصطفين.

غير الإنسان المحبوب من الجمال وغيره، واعلاها أن تحبه لأنّه محبوب عند الله عزوجل من دون أية علاقة بالمادّة والماديات، وهذا يجب يتعدى إلى كلّ ما له علاقة بالمحبوب، ولا يكون إلّا بالذوبان في شخصية المحبوب بعد الانسلاخ من شخصية نفسه، فيكون يده يده ولسانه لسانه وقلبه قلبه كالجبل اذا اراد أن يصبح ترابا وكانت له الارادة لتهافت، وانقلبت شخصيته الجبلية إلى غيرها. وهذا لا ينافي ما ذكره الرضي ان لم يؤيّده.

[١١٢]

وَقالَ الرضيُ:وَهذا مِثْلُ قَوْلِهِ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

«مَنْ أَحَبَّنا أَهْلَ ٱلْبَيْتِ فَلْيَسْتَعِدَّ لِلْفَقْرِ جِلْباباً»[١].

وَقَدْ يُؤَوَّلُ ذلِكَ عَلى مَعْنىً اخَرَ لَيْسَ هذا مَوْضِعَ ذِكْرِهِ.

(ح - ١١٢) حب اهل البيت:

(الجلباب: الثوب الواسع) وحيث لم يذكر متعلق الفقر، فانه يحتمل امران:

الأوّل: الفقر المادي، بمعنى الحاجة ؛ لان الحب انما ينشأ لما يشاهده الإنسان من صفات المحبوب الحميدة، والحب الحقيقيّ هو التأثر بتلك الصفات وتطبيقها في الحياة، ومن يحب اهل البيت لابدّ وان يسير على سيرتهم في الحياة، والتي أهمها الزهد في الدنيا والاكتفاء بما يفتقر إليه في الحياة.

وإلى ذلك أشار الإمام بهذه الحكمة؛ فإنّ الحب يستدعي الاستعداد لتقبل آثار الحب، ومن اثار حب أهل البيت الاستعداد للفقر بما يقتضيه من الشرائط والاسباب ومنها: الجلباب.

الثاني: الفقر المعنوي، بالانقطاع إلى الله سبحانه وحده من دون اعتماد على الناس، ولعله ما أشار اليه الرضي (ت /٤٠٦) من دون ذكر له؛ فان الفقر هو فقد ما يحتاج إليه، ولا يختصّ ذلك بالماديات فقط، ومن أجل ذلك لا يسمى فقد ما لا حاجة إليه فقراً؛ فإنّ كلّ

---

(١) في هـ. د: وروي للفقر تجفافاً ـ ك.

موجود في الوجود فقير إلى الله سبحانه في كلّ حال، ولا غني في الوجود سوى الله سبحانه، وكلما ما في الوجود يفتقر إليه.

واهل البيت النبوي هم السائرون على خطى جدهم الرسول الاعظمﷺ، فمن احبهم لابدّ وان يستعد بلبس جلبات الفقر إلى الله وحده، وهو لباس التقوى، قال تعالى:﴿يا بني ادم قد انزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير ذلك من ايات الله لعلكم تذكرون﴾.[١]

[١١٣]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

لا مالَ أَعْوَدُ[٢] مِنَ ٱلْعَقْلِ، وَلا وَحْدَةَ أَوْحَشُ مِنَ ٱلْعُجْبِ، وَلا عَقْلَ كَالتَّدْبيرِ، وَلاكَرَمَ كَالتَّقْوى[٣]، وَلاقَرِينَ كَحُسْنِ ٱلْخُلْقِ، وَلامِيراثَ كَالْأَدَبِ[٤]، وَلاقائِدَ كَالتَّوْفِيقِ[٥]، وَلا تِجارَةَ كَالْعَمَلِ ٱلصّالِحِ[٦]، وَلا رِبْحَ[٧] كَالثَّوابِ[٨]، وَلا وَرَعَ كَالْوُقُوفِ عِنْدَ ٱلشُّبْهَةِ[٩]، وَلا زُهْدَ كَالزُّهْدِ فِي ٱلْحَرامِ[١٠]، وَلا عِلْمَ كَالتَّفَكُّرِ[١١]، وَلاعِبادَةَ كَأَداءِ ٱلْفَرائِضِ.

---

(١) الاعراف : ٢٦.

(٢) في هـ. ب: أنفع.

(٣) في هـ. ص: قال الله عزّ من قال: ﴿إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم﴾، وحسن الخلق الطبيعي يأمرك بإسداء الخير، والقرين هو الذي يحمل قرينه علىٰ فعل الخير والشرّ، كما قال:

عن المرء لا تسأل وأبصر قرينه   فإنّ القرين بالمقارن مقتدي

(٤) في هـ. ص: قالت الحكماء: ما ورّثت الآباء أبناءها كالأدب، انتهى من الشرح.

(٥) في هـ. ص: لأن التوفيق قائد من جهة الله تعالىٰ، والإنسان أعمى إلّا من بصّره الله.

(٦) في هـ. ص: التجارة هي المبايعة طلباً للنماء، والأعمال الصالحة مبايعة الله تعالىٰ.

(٧) في ط: ولا زرع.

(٨) في هـ. ص: وذلك لأنّه يضعف على رأس المال ـ وهو العمل ـ أضعافاً كثيرة، ثم هو دائم.

(٩) في هـ. ص: هذا هو الورع في الحقيقة، إمّا ترك معلوم المحرّمات فهو داخل في حقيقة الاسلام.

(١٠) في هـ. ص: الزهد احتقار ما يُرغب فيه وصرف النفس عنه.

(١١) في هـ. ص: التفكر: النظر في الدلائل العقلية والقولية، وتركه عنه اعراض عنها؛ والمعرض كمن لا يرى ولا يسمع.

وَلا إِيمانَ كَالْحَياءِ وَٱلصَّبْرِ، وَلا حَسَبَ كَالتَّواضُعِ، وَلاشَرَفَ كَالْعِلْمِ وَلا عِزَّ كَالْحِلْمِ[١] وَلا مُظاهَرَةَ أَوْثَقُ مِنْ مُشاوَرَةٍ[٢].

(ح - ١١٣) حكم جامعة:

سرد الإمام في هذا المقطع (١٨) حكمة جامعة واعمال صالحة لا يستغني عنها الانسان المسلم في حياته، هي:

١ ـ (لا مال أعود من العقل) والمال: ما يملك من الاشياء، وانما يطلبه الناس ليعود عليهم بالراحة بتحصيل ما يحتاجون اليه، ولا يعود عليهم بذلك إلّا بواسطة استخدام العقل، فعليه يكون العقل اعود مال يفتقر إليه الانسان، وبدونه يضيع المال ويستخدم فيما ينفع.

٢ ـ (ولا وحدة أوحش من العجب) وهو الاعجاب بالنفس، فإنّه يوجب العزلة عن المجتمع؛ لأنّ بالعجب يترفع عن الاستئناس بهم، فيصبح وحيداً بسبب العجب الموجب للوحدة القاتلة.

٣ ـ(ولا عقل كالتدبير) وهو معالجة الامور بما يقتضي صلاحها؛ فإنّ ذلك يستلزم التخطيط للوقاية من المشاكل والوقاية خير من العلاج.

٤ ـ (ولا كرم كالتقوى) فالكرم هنا بمعنى الكرامة، كما قال تعالى:﴿ان اكرمكم عند الله اتقاكم﴾.[٣]

٥ ـ (ولا قرين كحسن الخلق) والقرين: الصاحب؛ فإنّ حسن الخلق الصق صاحب بالإنسان، واول من ينتفع الإنسان منه قبل غيره بالراحة النفسية.

٦ ـ (ولا ميراث كالأدب) وهو التهذيب في السلوك وهو احسن ما يرثه الإنسان جيلا بعد جيل، ولا يتعلمه إلّا في المدرسة الاولى من مدرسة الابوة.

٧ ـ (ولا قائد كالتوفيق) وهو توافق الاسباب والشرائط لحصول المطلوب؛ فإنّ ذلك

---

(١) لم ترد «ولا عزّ كالحلم» في ش، وفي هـ. د: عبارة «ولا عزّ كالحلم» ساقطة من ش.
(٢) في ط: المشاورة، وفي هـ. د: المشاورة ـ ض ح ب.
(٣) الحجرات : ١٣.

يقود إلى المطلوب، وفى حالة اختلالها لا يكون الطالب إلّا ضالاً.

٨ ـ (ولا تجارة كالعمل الصالح) ؛ لأنّه رأس مال صالح، والتجارة به يوجب توفر العمل الصالح في المجتمع، ولا يستغنى أي مجتمع من ذلك.

٩ ـ (ولا ربح كالثواب)؛ فإنّ الثواب في الدنيا السعادة، وفي الآخرة الخلود، ولا اربح من ذلك في التجارات.

١٠ ـ (ولا ورع كالوقوف عند الشبهة)؛ فإنّ الشبهة بحكم طبيعتها تقتضي التوقف حتّى ينجلي الامور، واي قرار يكون خلاف ذلك فانه ينافي الورع.

١١ ـ (ولا زهد كالزهد في الحرام) والزهد: الرغبة عن الشيئ؛ فإنّ الرغبة عن المحرم اعلى من الرغبة عن المباحات غير المحرمة.

١٢ ـ (ولا علم كالتفكر)؛ فإنّ العلم المجرد عن التفكير ليس إلّا تقليداً محضا، قال تعالى:﴿ان تقوموا لله مثنى وفرادي ثمّ تتفكروا﴾.[1]

١٣ ـ (ولا عبادة كأداء الفرائض)؛ لأنّ الفرائض في اعلى قائمة الاولويات من العبادة مما يعاقب على تركها دون غيرها من العبادات.

١٤ ـ (ولا إيمان كالحياء والصبر) فانهما من ثمرات الايمان، ويكشفان عن درجة الايمان في الانسان.

١٥ ـ (ولا حسب كالتواضع) حيث انّه حسب محسوس في حاضر المجلس، وبه يقوّم الإنسان خلقيا من اول نظرة ولقاء، اما الحسب في النسب فيفتقر إلى اثبات ولا يتحقق في اول لقاء.

١٦ ـ (ولا شرف كالعلم)؛ فإنّ أي شرف اخر مصيره إلى الزوال من المال والجمال وغيرهما، دون العلم الذي يخلد في الدفاتر والصدور إلى يوم النشور.

١٧ ـ (ولا عز كالحلم)؛ فإنّ الحليم يترفع عن أن ينزل قيمة نفسه بالمقابلة للئيم بالاتهامات الباطلة، فيكون عزيزا، ولولا ذلك لكان في مرتبة من قابله باللؤم.

---

(١) سبأ: ٤٦.

١٨ ـ (ولا مظاهرة أوثق من المشاورة)؛ فإنّ المشورة توجب مشاركة الناس في عقولهم، ومساندتهم له في مواقفه الصائبة التي لا يمكن معرفة وجه الصواب فيها إلّا بالمشاورة، ومن اجل ذلك امر الله نبيه بذلك في قوله تعالى:﴿وشاورهم في الامر﴾.[١]

ولا يستغني أي انسان في الحياة من هذه الحكم الخالدت والاعمال الصالحات ليكون عضوا صالحا في المجتمع الذي يعيش فيه.

[١١٤]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

إِذَا ٱسْتَوْلَى ٱلصَّلاحُ عَلَى ٱلزَّمانِ وَأَهْلِهِ ثُمَّ أَساءَ رَجُلٌ ٱلظَّنَّ بِرَجُلٍ لَمْ تَظْهَرْ مِنْهُ خِزْيَةٌ[٢] فَقَدْ ظَلَمَ[٣]، وَإِذَا ٱسْتَوْلَى ٱلْفَسادُ عَلَى ٱلزَّمانِ وَأَهْلِهِ فَأَحْسَنَ رَجُلٌ ٱلظَّنَّ بِرَجُلٍ فَقَدْ غَرَرَ[٤].

(ح ـ ١١٤) مقياس الصلاح:

(الحوبة: المعصية، والغرر: الخطر).

هذه الحكمة تشير الى ان مقياس الصلاح والفساد هو البيئة التي يتربى فيها الإنسان، فكما أن البيت الذي ينشأ فيه الانسان له اثره في تربية الفرد؛ لأنّه يكتسب من اخلاق الاسرة من الام والاب ومن ارتبط بهما، فكذلك المجتمع الذي يغلب عليه الصلاح والفساد له اثره في تربية الإنسان، فقال عليه السلام:

١ ـ (إذا استولى الصلاح على الزمان وأهله) فمن الطبيعي أن يحسن الظن بهذه السنّة التي يغلب عليها الصلاح، وهؤلاء الناس هم الصالحون، وبالنتيجة:

٢ ـ (ثم أساء رجل الظن برجل لم تظهر منه خزية فقد ظلم)؛ لأنّ سوء الظن بمن لم

---

(١) ال عمران : ١٥٩.

(٢) في هـ. د: حوبة ـ ح.

(٣) في هـ. ص: أي وضع سوء الظن في غير موضعه، وهو عليه السلام يريد أنّ الحكم للأكثر، فيحكم على المجهول بحكم أكثر أبناء جنسه حتىٰ ينكشف حاله فيحكم عليه بنفسه. فالناس بزمانهم أشبه منهم بآبائهم، فإنّ المجبول على الخير لايزال طبعه يسرق من طباع مخالطيه حتى يتخلّق به، والله أعلم.

(٤) في هـ. ب: أوقعه في خطر.

يتلبس بالمعصية ظلمٌ ؛ لغلبة الصلاح في المجتمع.

وعن الحالة المناقضة قال:

٣ ـ(وإذا استولى الفساد على الزمان وأهله) فمن الطبيعي أن يفقد الثقة، وان لا يحسن الظن بهذه النيّة في المجتمع الذي يعيش فيها، وبالنتيجة:

٤ ـ (فأحسن رجل الظن برجل فقد غرر) أي جعل نفسه في خطر؛ لعلمه بغلبة الفساد، فلا يلومنّ الا نفسه، فان الحكم على الاعم الاغلب، وليس الشاذ النادر، فإنّه لا يخلوا أي مجتمع من افراد صالحون مثاليّون بهم يأمن الآخرون من العذاب.

[١١٥]

وَقِيلَ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ: كَيْفَ تَجِدُكَ يا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ؟ فَقالَ:

كَيْفَ يَكُونُ حالُ[1] مَنْ يَفْنى بِبَقائِهِ، وَيَسْقَمُ بِصِحَّتِهِ، وَيُؤْتى مِنْ مَأْمَنِهِ؟

(ح ـ ١١٥) كيف الحال؟

يكثر السؤال عن الحال عادة، مع أن الاحوال متشابهة بين الناس جميعاً في الحياة، واشار الامام هنا إلى ثلاث منها بقوله:

أوّلاً: (كيف يكون من يفنى ببقائه)؛ فإنّ كلّ لحظة من البقاء في الدنيا لحظة فناء البقاء في تلك اللحظة في سلسلة مترابطة حتّى الفناء بالموت.

ثانياً: (ويسقم بصحته)؛ فإنّ الصحة بالتقدم مع العمر الذي يواجه الاسقام المختلفة في مسيرة الحياة، وكلما امتدت به الحياة اكثر زادت العلل والاسقام فيه.

ثالثاً: (ويؤتى من مأمنه) وهو محل الامن؛ فإنّ الموت يأتيه في الحياة التي يطمئن بها وهي في امان حتى تقضي عليه بغتة.

فان هذه الحالات الثلاث لمن تأملها حالات لا تخصّ انسانا دون انسان، بل هي حالة عامة ، وليس المسؤول عنها بأعلم من السائل.

---

(١) في هـ. د: لم ترد «حال» في ن ف ل.

[١١٦]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

كَمْ مِنْ مُسْتَدْرَجٍ بِالْإِحْسانِ إِلَيْهِ، وَمَغْرُورٍ بِالسَّتْرِ عَلَيْهِ، وَمَفْتُونٍ بِحُسْنِ ٱلْقَوْلِ فِيهِ! وَمَا ٱبْتَلَى ٱللّهُ أَحَداً بِمِثْلِ ٱلْإِمْلاءِ لَهُ[١].

(ح ـ ١١٦) الامهال امتحان:

(الاستدراج: الفسح للتلبس بالجريمة، والمغرور: المخدوع، والفتنة: الامتحان، والاملاء: الامهال).

من الثوابت الاسلامية انّه لا قصاص قبل الجناية، ولا جريمة قبل التلبس بها، وقد وعد الله سبحانه العذاب على اهل المعاصي، ولكنهم يعدون في الحياة متنعمون بها من دون عذاب ظاهر، والإمام يشير إلى ان الامهال هو امتحان من الله سبحانه للعصاة لسببين:

اولهما: فسح المجال لهم بالتوبة.

وثانياً: الاستدراج، فيما لو اصروا على المعصية وهو تلبس العاصي بالمعصية أكثر فأكثر فيكون حجة عليه، كما هو المشاهد في مصير الظلمة والفسقة والمجرمين في الدنيا، فقال:

١ ـ (كم من مستدرج بالاحسان إليه) فهو يعد الاحسان خيراً، فبدل أن يشكرها ويتوب، فانه يستمر في المعصية، فينقلب الاحسان استدراجاً وحجة عليه.

٢ ـ (ومغرور بالستر عليه)؛ فإنّ الستر على الجاني قد يكون لمعرفة نواياه الحقيقية، فهو مخدوع بالستر، مع أن الستر شبكة خفية للرقابة على نواياه.

٣ ـ(ومفتون بحسن القول فيه!)؛ فإنّ المديح وخاصة من المنافقين ليس إلّا لمعرفة ما يرغب فيه، فيكون المدح وسيلة للامتحان، وهو يظنه مدحاً حقيقيا.

٤ ـ (وما ابتلى الله أحدا بمثل الاملاء له) والابتلاء: الامتحان، والاملاء: الامهال؛ فإنّ الامهال يجعله يتلبس بالجريمة اكثر فاكثر، فيكون الاثبات عليه اوضح وأوضح، فهو أشدّ

(١) في هـ . ب: الاملاء: المهلة، وفي هـ . ص: الامـلاء: هـو مـواتـرة النـعم وصـرف المـصائب المذكرات مع انّه عاصٍ.

انواع الامتحان، واثبتها على استحقاق العقوبة والامتهان، اعاذنا الله منها.

[١١٧]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

هَلَكَ فِيَّ رَجُلانِ: مُحِبٌّ غالٍ، وَمُبْغِضٌ قالٍ.

(ح - ١١٧) الغال والقال:

(الهلاك: الفناء، والغلو: تجاوز الحد، والقلي: شدة البغض).

لقد سار الامام علي عليه السلام على خطى الرسول القائد صلى الله عليه وآله في كلّ مسيرة حياته في مكة والمدينة في سلمه وحربه، ولم يتخط السيرة النبوية التي كان هو اعرف بها من غيره لحظة في حياته، وكان حبه وبغضه لغيره من منطلق المبادي والوسائل والاهداف الاسلامية، وكذلك تضم في هذه الحكمة الحب والبغض من الآخرين، فيعتبر الغلو انحرافا عن الحب الاسلامي القائم على المبادي الاسلامية، والبغض الشديد انحرافا عن المبادي الاسلاميّة كذلك، ومصير الطائفتين الهلاك؛ للانحراف عن المبادي والوسائل والاهداف الاسلامية.

قال ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في شرح نهج البلاغة، ما نصّه:« قد تقدم القول في مثل هذا، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله : " والله لولا " أني أشفق أن تقول طوائف من أمتي فيك ما قالت النصارى في ابن مريم ، لقلت فيك اليوم مقالا لا تمر بأحد من الناس إلا أخذوا التراب من تحت قدميك للبركة . ومع كونه صلى الله عليه وآله لم يقل فيه ذلك المقال فقد غلت فيه غلاة كثيرة العدد منتشرة في الدنيا ، يعتقدون فيه ما يعتقد النصارى في ابن مريم ، وأشنع من ذلك الاعتقاد . فأما المبغض القالي فقد رأينا من يبغضه ، ولكن ما رأينا من يلعنه ويصرح بالبراءة منه ، ويقال: إن في عمان وما والاها من صحار وما يجرى مجراها قوما يعتقدون فيه ما كانت الخوارج تعتقده فيه ، وأنا أبرأ إلى الله منهما».[١]

---

(١) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٨ : ٢٨٢.

[١١٨]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

إِضاعَةُ ٱلْفُرْصَةِ غُصَّةٌ.

(ح ـ ١١٨) **اضاعة الفرصة:**

(الفرصة: الوقت المناسب، والغصة: الهم)؛ فإنّ اضاعة الوقت المناسب لأي عمل يوجب الهم والحزن؛ فإنّ لكل عمل وقت يناسبه ،فاذا فات الوقت استحال اعادته، فلا يمكن تداركه إلّا بالحزن، ومن اظهرها فرصة الشباب من العمر، ولا تجدب شيخا إلّا وهو متحسر على ما فاته في شبابه. وبنسبة ما اضاع تزداد غصته.

[١١٩]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

مَثَلُ ٱلدُّنْيا كَمَثَلِ ٱلْحَيَّةِ؛ لَيِّنٌ مَسُّها وَٱلسُّمُّ ٱلنّاقِعُ[١] فِي جَوْفِها؛ يَهْوِي[٢] إِلَيْهَا الْغِرُّ[٣] ٱلْجاهِلُ، وَيَحْذَرُها ذُوٱللُّبِّ ٱلعاقِلُ.

(ح ـ ١١٩) **مثل الدنيا:**

هذه الحكمة في مثل الدنيا قال:

١ ـ (مثل الدنيا كمثل الحية) كلاهما يؤثران في حياة الإنسان اثراً قاضيا.

٢ ـ (ليّن مسّها) ففي المظهر يتفقان في حسن المنظر المغري لكلّ منهما.

٣ ـ(والسم الناقع في جوفها) والناقع: القاتل؛ فإنّ واقعهما يختلف عن ظاهرهما، فالسم القاتل في جوف الحية تقتل من تقتل بواسطة نابها الذي في جوفها، ومغريات الدنيا كذلك؛ فإنّ ظاهرها يختلف عن واقعها حيث تسلب من الإنسان شطراً من عمره الذي يجب أن يستخدم في بناء مستقبله.

---

(١) في هـ. ب: من النقوع.
(٢) في هـ. ب: يسعى.
(٣) في هـ. ب: الغافل.

٤ ـ (يهوي إليها الغر) وهو الذي لا تجربة له ولا خبرة فينخدع بمظاهر الدنيا.

(الجاهل) الذي لا علم له فتيأثر بالمظاهر.

٥ ـ (ويحذرها ذو اللب العاقل) واللب: العقل، فيستخدم عقله لمعرفة ما ينفعه مما يضره، ويحذر من مغريات الحياة من المادّة والماديات.

[١٢٠]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ وَقَدْ سُئِلَ عَنْ قُرَيْشٍ[١]:

أَمّا بَنُو مَخْزُومٍ فَرَيْحانَةُ قُرَيْشٍ، يُحِبُّ[٢] حَدِيثَ رِجالِهِمْ، وَٱلنِّكاحَ فِي نِسائِهِمْ، وَأَمّا بَنُو عَبْدِ شَمْسٍ فَأَبْعَدُها رَأْياً، وَأَمْنَعُها لِما وَرَاءَ ظُهُورِها، وَأَمّا نَحْنُ فَأَبْذَلُ لِما فِي أَيْدِينا، وَأَسْمَحُ عِنْدَ ٱلْمَوْتِ[٣] بِنُفُوسِنا، وَهُمْ أَكْثَرُ[٤] وَأَمْكَرُ وَأَنْكَرُ، وَنَحْنُ أَفْصَحُ وَأَنْصَحُ وَأَصْبَحُ[٥].

(ح ـ ١٢٠) قبائل قريش:

اشار الإمام إلى اهمية النسب في توارث الجينات الحية وتاثيرها على الاحساب المتوارثة وان كان للبيئة الدور الاكبر في تغيير هذه الجينات، ولكنها بحكم الطبيعة الموروثة لها اثرها الطبيعي في تكوين شخصية الفرد واثرها البيئي في استدامة العادات الموروثة.

وهذا لا يستلزم التفاخر بالنسب المجرد عن العمل، فكما قالعليه السلام في الحكمة ٢٢ (من أبطأ به نسبه لم يسرع به حسبه)، وقال تعالى:﴿ان اكرمكم عند الله اتقاكم﴾.[٦] فان التقوى والتربية الاسلاميّة هي التي تتحكم في بناء الشخصية الاسلامية وتقويمها.

وذكر الإمام من خصائص قبائل قريش ثلاث؛ لشهرتها وكثرتها، وهم بنو مخزوم وبنو

---

(١) في ب و ط و د زيادة اقفال، ولم ترد في هذه النسخ: وقالعليه السلام.
(٢) في ب: تحب، وفي هـ. ب: يُحَبّ.
(٣) في هـ. ب: الحرب.
(٤) في هـ. ب: بالعدد.
(٥) في هـ. ب: أصبح: أوضح بالوجه.
(٦) الحجرات: ١٣.

عبد شمس وبنو هاشم، وقد فصل الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) اخبارهم في الشرح.[(١)]

فقريش هو ابن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

ويتصل بنو مخزوم إلى قريش من مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك، المتعدم ذكره، ومنهم: خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي (ت / ٢١) ابن عبد الله بن عمر بن مخزوم المذكور.

وبنو عبد شمس بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن المتقدم ذكره، ومنهم معاوية بن أبي سفيان (ت / ٦٠) واسمه صخر بن حرب بن أُميّة بن عبد شمس المذكور.

وبنو هاشم واسمه عمرو بن عبد مناف بن قصي بن المتقدم ذكره، ومنهم: النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله بن عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم المذكور. والامام علي بن أبي طالب واسمه عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم المذكور.

فقال الإمام عن خصائص بني مخزوم:

١ ـ (فريحانة قريش) والريحان: كلّ نبات طيب الرائحة، وهي كلمة مدح جليلة.

٢ ـ (نحب حديث رجالهم) لما فيهم من الشجاعة ومواقف الرجولة في تاريخهم، وحديث الرجال في كلّ عصر وزمان ـ وخاصة في العصور البدائية ـ يعتبر مدرسة عائلية تتخرج الاجيال على تلك الثقافة المتوارثة.

٣ ـ (والنكاح في نسائهم) لمواقفهن في تربية الاجيال بعيدة عن الفساد والانحراف الخلقي.

وعن بني عبد شمس قال:

١ ـ (فأبعدها رأيا) فانهم ينظرون إلى الامور ابعد ما ينظره الإنسان العادي ويخططون للمستقبل البعيد جداً، كما هو ظاهر من تاريخ أبي سفيان ومعاوية.

---

(١) راجع: الشرح ١٨: ٢٨٥ ـ ٣٠٩.

٢ ـ (وأمنعها لما وراء ظهورها) بدوافع الروح القومية والقبليّة، مساندة لكل من اجتمع معهم في ظهور الاباء والنسب، سواءً كان على حق أو باطل .

وعن بني هاشم قال:

١ ـ (وأما نحن فأبذل لما في أيدينا) بالانفاق في سبيل الله في الحال عملاً بالواجب الحاضر من دون ادخار للمستقبل، كما كانت عليه سيرة الرسول الاعظم.

٢ ـ (وأسمح عند الموت بنفوسنا) بالمساهمة العملية في الغزوات والحروب كما هو مشروح ومعروف من مواقف النبي واهل بيته الطاهرين.

ثم لخّص الفروق بين بني عبد شمس وبنى هاشم بقوله:

١ ـ (وهم أكثر) عدداً.

٢ ـ (وأمكر) تخطيطا للمستقبل بأيّة وسيلة كانت.

٣ ـ(وأنكر) أي منكراً في الافعال والاقوال، ومنها مواقف أبي سفيان في حروبه ضد الاسلام، ومعاوية في حربه ضد الامام علي ويزيد في حربه ضد الامام الحسين، وغيرهم كما هو مشروح في التاريخ.

وعن خصائص بني هاشم في قبال ذلك أشار الى:

١ ـ (ونحن أفصح) والكلام والثقافة ، فقد اهتموا بالجانب الثقافي في تربية الاجيال فلا بي طالب اشعارا معروفة وكاأ الامام علي ومن بعده من ائمة اهل البيت.

٢ ـ (وأنصح) للامة بالتاكيد على الثوابت الاسلامية.

٣ ـ(وأصبح) وجوها بطلاقة وجوههم في المجتمع، وقد توارث سلالة اهل البيت هذه الخصائص في حياتهم، ولا نجد في عصرنا سيدا إلّا ونجد له هذه الخصال الثلاث باختلاف الدرجات.

ومما قال الاستاذ المعاصر عمر رضا كحالة حفظه الله في القبائل المذكورة في كتابه "معجم قبائل العرب" مانصه:«قريش : قبيلة عظيمة اختلف في تسميتها ونسبتها ، فقالوا : قريش من القرش ، وهو الكسب والجمع . وقالوا : التقريش التفتيش ، فكان يقرش) أي فهر ابن مالك (عن خلة كل ذي خلة ، فيسدها بفضله ، فمن كان محتاجا أغناه ، ومن كان

عاريا كساه ، ومن كان طريدا آواه ، ومن كان خائفا حماه ، ومن كان ضالا هداه. وقالوا : سميت بقريش بن مخلد ابن غالب بن فهر ، وكان صاحب عيرهم ، فكانوا يقولون : عير قريش ، وخرجت ، عير قريش . وقيل : الصحيح انها سميت لاجتماعها من قولهم فلان يتقرش مال فلان أي يجمعه شيئا إلى شئ . وأما نسبتها فقالوا : قريش ولد مالك ابن النضر بن كنانة . وقالوا : هم من ولد فهر بن مالك ، ورجحه الزبير بن بكار ، وغيره . واعتمد جمهور النسابين ان أبا قريش هو النضر بن كنانة بن خزيمة ابن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان .

وتنقسم قريش إلى قسمين عظيمين : قريش البطاح ، وقريش الظواهر ، فقريش البطاح الذين ينزلون الشعب بين أخشبي مكة ، وقريش الظواهر الذين ينزلون خارج الشعب .

أما قريش البطاح فهي قبائل كعب بن لؤي ، وهم : بنو عبد مناف ، بنو عبد العزى ، بنو عبد الدار ، بنو زهرة ، بنو تيم ، بنو مخزوم ، بنو جمح ، بنو سهم ابني عمرو بن هصيص بن كعب ، وبنو عدي بن كعب . وأما قريش الظواهر فهي : قبائل بني عامر بن لؤي بن يخلد بن النضر ، وهم : الحارث ومالك ، وقد درجا ، والحارث ومحارب ابنا فهر ، وتيم الأدرم بن غالب بن فهر ، وقيس بن فهر ، وقد درج ».[1]

ومما قال أيضا: قريش : يطلق قريش في الوقت الحاضر على قسمين من الناس : الأول الاشراف القرشيون ، بقايا قريش ، سواء كانوا أشرافا ، من بقايا قريش المقيمين في منى ، وعرفات ، وما جاورهما .

والثاني يطلق على فرع من فروع قبيلة ثقيف يسمى بقريش ، ودياره في جهات الطائف ، ومنه طبقتان : بدو ، وحضر .

فالحاضرة تقطن في الأدوية القريبة من الطائف ، كالوهط ، والوهيط ، والمثنا ،

---

(١) معجم قبائل العرب؛ للدكتور عمر كحالة ٣ : ٩٤٧ – ٩٤٨، وراجع: نهاية الإرب . وفي الأنساب بطن من النمر بن قاسط . والصحاح ١ :٤٩٥، القاموس ٢: ٢٨٤ . والفائق للزمخشري ٢ : ١٦٦، والأنساب؛ للسمعاني ق ٣ / ١ : ٤٣٤ ، البيان والاعراب للمقريزي : ٣٩ .

وسواها.

والبادية ما زالت تعيش عيشة البداوة على رعي الماشية ، واستثمار خيراتها . (راجع: قلب جزيرة العرب لفؤاد حمزة ص ١٣٥ ، ١٥٨ ، ما رأيت وما سمعت لخير الدين الزركلي ص ١٠١ . الارتسامات اللطاف للأمير شكيب ارسلان ص ٢٧١ . ملوك العرب لأمين الريحاني ج ١ ص ٣٢. تاريخ سينا لنعوم شقير ص ٦٦٣. الرحلة اليمانية لشرف البركاتي ص ١٠٧ . الرحلة الحجازية للبتنوني ص ٥٢) ».[١]

وعن بني مخزوم قال :«مخزوم بن يقظة : بطن من لؤي بن غالب ، من قريش ، من العدنانية ، وهم : بنو يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن خزيمة بن مدركة ابن إلياس بن مضر . وقد فضلهم هشام ابن عبد الملك الأموي في العطاء . (راجع: جمهرة أنساب العرب لابن حزم ص ١٤٠ - ١٣١ نهاية الإرب للقلقشندي مخطوط ق ٢ - ١٦٨ لسان العرب لابن منظور ج ١٥ ص ٦٨. الاشتقاق لابن دريد ص ٦٠ . الصحاح للجوهري ج ٢ ص ٢٨١ . تاج العروس للزبيدي ج ٦ ص ٢٦٣ ج ٨ ص ٢٧٦ . الانباء على قبائل الرواة لابن عبد البر ص ٧١ . تاريخ ابن خلدون ج ٢ ص ٣٦٢ الأنساب للسمعاني ق ١ - ٥١٤ . صبح الأعشى للقلقشندي ج ١ ص ٣٥٤، ٣٥٥. تاريخ أبي الفداء ج ١ ص ١١٤ . الأغاني للأصفهاني طبعة دار الكتب ج ١١ ص ٣٠٧ - ٣٠٣. الأغاني للأصفهاني طبعة الساسي ج ١٩ ص ٧٧ ، ٧٩ ، ٨٩)».[٢]

وعن عبد شمس قال :«عبد شمس بن عبد مناف : بطن من قريش ، من العدنانية ، وهم : بنو عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب . كانوا متقاسمين مع بني هاشم رياسة عبد مناف . ومنهم : العبلات ، وهو بنو أمية الاصغر ، ومن أيامهم : يوم شمطة ، كان بين بني هاشم ، وبين عبد شمس ، وهو من أيام الفجار .) تاريخ ابن خلدون ج ٢ ص ٣٢٨. مجمع الامثال للميداني ج ٢ ص ٢٦١ . لسان العرب لابن منظور ج ٧ ص ٤٢٠ . نهاية الارب للنويري ج ٢ ص ٣٥٩ . صبح الاعشى للقلقشندي ج ١ ص ٣٥٧ ، ج ٢ ص ٦٤ .

---

(١) معجم قبائل العرب؛ للدكتور عمر كحالة ٣ : ٩٥٨.

(٢) معجم قبائل العرب؛ للدكتور عمر كحالة ٣ : ١٠٥٨.

الانساب للسمعاني ق ١ - ٣٨٢ . الانباء على قبائل الرواة لابن عبد البر ص ٧ . نهاية الارب للقلقشندي مخطوط ق ١ - ١٤٢ . جمهرة أنساب العرب لابن حزم ص ١٠٦ - ٦٧ . المعارف لابن قتيبة ص ٢٤)».[1]

[١٢١]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

شَتَّانَ بَيْنَ[2] عَمَلَيْنِ؛ عَمَلٌ تَذْهَبُ لَذَّتُهُ، وَتَبْقى تَبِعَتُهُ؛ وَعَمَلٌ تَذْهَبُ مَؤُونَتُهُ وَيَبْقى أَجْرُهُ.

(ح ـ ١٢١) فضيلة الاعمال:

اشار الإمام إلى المقاييس للاعمال، وان التفضيل انما يكون باعتبار النتائج، وان المقياس في النتائج هي دوامها، فان من الطبيعي أن اي عمل يكون له مبرراته، وحتى الطغاة فانهم يبررون ما يعملون من الطغيان ويظهرونه بصورة قانونية حيث اعتقادهم، ولكن النتائج وحدها هي التي تقرر صحة هذه المبررات، فقال:

(شتان ما بين عملين) أي بعد بين نوعين من العمل.

الأوّل: (عمل تذهب لذته وتبقى تبعته) فلهذا العمل اثر يبرره وهو اللذة التي يتمتع بها العامل، ولكن هذه اللذة زائلة ونتيجتها التبعة الباقية كما هو الشان في ملذات الدنيا.

الثاني: (وعمل تذهب مؤونته ويبقى أجره) والمؤونة: ما يدخر من القوت، وهذا الاثر المبرر هو بقاء الاجر كما هو الشأن في اعمال الخير الصالحة من بناء المصالح العامة.

وتكفى هذه المقارنة العابرة في مقاييس الفضيلة في الاعمال، وعلى الله الاتكال.

---

(١) معجم قبائل العرب؛ للدكتور عمر كحالة ٢ : ٧٢٤.

(٢) في ط: ما بين، وفي هـ. د: ما بين ـ ض ح ب.

[١٢٢]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ[١] وَقَدْ تَبِعَ جِنازَةً فَسَمِعَ رَجُلاً يَضْحَكُ، فَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ[٢]: كَأَنَّ ٱلْمَوْتَ فِيها عَلى غَيْرِنا كُتِبَ، وَكأَنَّ ٱلْحَقَّ فِيها عَلى غَيْرِنا وَجَبَ، وَكَأَنَّ ٱلَّذِي نَرى مِنَ ٱلْأَمْواتِ سَفْرٌ عَمّا قَلِيلٍ إِلَيْنا راجِعُونَ، نُبَوِّئُوهُمْ أَجْداثَهُمْ، وَنَأْكُلُ تُراثَهُمْ كَأَنّا مُخَلَّدُونَ بَعْدَهُمْ[٣]، قَدْ[٤] نَسِينا كُلَّ واعِظٍ[٥] وَواعِظَةٍ، وَرُمِينا بِكُلِّ فادِحٍ[٦] جائِحَةٍ[٧].

(ح ـ ١٢٢) عظة الجنازة:

ما اكثر العبر واقل الاعتبار، والحادثة التي لا يعتبر منها بما ينبغي الاعتبار منها ـ افضع ومنها الضحك مع الجنازة، وهي النعش التي يجعل للميت، واكد على موارد الاعتبار في نقاط بقوله:

١ ـ (كأن الموت فيها على غيرنا كتب) فإنّه لا يبقى على الارض احد، فلا فرق بين المحمول على النعش والمتبوع والتابع خلقة في تشييعه في هذه الدنيا.

٢ ـ (وكأن الحق فيها على غيرنا وجب)؛ فإنّ الموت حق، والحق لا فرق فيه بيننا وبين غيرنا.

٣ ـ (وكأن الذي نرى من الأموات سفر عما قليل إلينا راجعون) فالسفر: المسافرون فانهم حقا مسافرون ولكنّه إلى غير رجعة.

٤ ـ (نبوئهم أجداثهم ونأكل تراثهم كانا مخلدون بعدهم) والمبوأ: المنزل، والجدث: القبر، والتراث: الارث، فان من يخلف الميت ينزله في القبر ويأخذ نصيبه من الارث، بل قد يتنازع في ذلك وكأنّه لا يموت مثله.

---

(١) لم ترد «وقال عليه السلام» في د.
(٢) لم ترد «عليه السلام» في ط.
(٣) لم ترد «كأنّا مخلّدون بعدهم» في أ ب و ص، وفي هـ. ب: كأنّا مخلّدون ـ ص ح، وفي هـ. د: عبارة «كانا مخلدون بعدهم» ساقطة من م ن ف ل ش.
(٤) لم ترد «قد» في د، وفي هـ. د: قد نسينا ـ ل، ثم نسينا ـ ض ب ش.
(٥) لم ترد «واعظ و» في أ و ب، وفي هـ. أ واعظ واعظةٍ.
(٦) لم ترد «فادح و» في أ و ب و ص و د، وفي هـ. ص: في نسخة: فادح وفادحة.
(٧) في هـ. ب زيادة: وداهية مستأصلة.

٥ ـ (ثم قد نسينا كلّ واعظ وواعظة) من الحوادث المتتالية؛ فإنّ الاموات ذكورا واناثا بعظون من يخلفهم بأن الموت سيلحقهم كذلك.

٦ ـ (ورمينا بكل جائحة) الفادح: المصيبة، والجانحة: الافة؛ فإنّ المصائب والعاهات في طريق كل انسان في الحياة يرمى بها في لحظات.

وهذه النقاط الست من دروس الوعظ للجنازة التي ينبغي ان يعتبر بها من يتبعها.

[١٢٣]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ(١)

طُوبى لِمَنْ ذَلَّ فِي نَفْسِهِ، وَطابَ كَسْبُهُ، وَصَلَحَتْ سَرِيرَتُهُ، وَحَسُنَتْ خَلِيقَتُهُ، وَأَنْفَقَ ٱلْفَضْلَ مِنْ مالِهِ، وَأَمْسَكَ ٱلْفَضْلَ مِنْ لِسانِهِ(٢)، وَعَزَلَ عَنِ ٱلنّاسِ شَرَّهُ، وَوَسِعَتْهُ ٱلسُّنَّةُ، وَلَمْ يُنسَبْ إِلى بِدْعَةٍ(٣).

قالَ الرَّضيّ رَحِمَهُ الله تعالىٰ(٤): أَقُولُ(٥): وَمِنَ ٱلنّاسِ مَنْ يَنْسُبُ هذَا ٱلْكَلامَ إِلى رَسُولِ ٱللّهِ، صَلَّى ٱللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ(٦).

(ح ـ ١٢٣) موجبات السعادة:

سرد المقطع موجبات السعادة للانسان في الحياة بقوله:

١ ـ (طوبى) وهي كلمة دعاء دالة على السعادة وطيب الحياة.

٢ ـ (لمن ذل في نفسه) ولا يصف بالغرور على غيره من البشر.

٣ ـ (وطاب كسبه) بالاكتساب من الطرق المشروعة.

---

(١) لم ترد «وقال عليه السلام» في د.
(٢) في هـ . ص: في نسخة: قوله.
(٣) في هـ . أ: في الأصل: البدعة، وفي هـ . ب: في نسخة: البدعة. في هـ . د: البدعة ـ ب وحاشية ش، وفي الأصل: البدعة ـ ف.
(٤) لم ترد «قال الرضي رحمه الله تعالىٰ، أقول» في أ و ب و ص و د، وفي هـ . ص: في نسخة: قال الرضي رضي الله عنه.
(٥) في د: أقول.
(٦) في ط و ب زيادة: وكذلك الذي قبله.

٤ ـ (وصلحت سريرته) وهي النية، فلا يقصد إلّا الخير للجميع.

٥ ـ (وحسنت خليقته) فاتصف بالاخلاق الاسلاميّة الفاضلة.

٦ ـ (وأنفق الفضل من ماله)؛ فإنّ في المجتمع من يحتاج إلى مالا يحتاج إليه هذا.

٧ ـ (وأمسك الفضل من لسانه) فلا يتكلم إلّا فيما يعنيه ويترك ما لا يعينه.

٨ ـ (وعزل عن الناس شره) فلا يتدخل في شؤون غيره كما لايحب أن يتدخل احد في شؤونه الخاصة.

٩ ـ (ووسعته السنة) بالعمل على سنة الرسول القائدﷺ في الحياة.

١٠ ـ (ولم ينسب إلى البدعة) وهي ادخال ما ليس من الدين في الدين.

فإنّ هذه النقاط التسع المقرونة بالدعاء توجب سعادة الإنسان في الحياة.

[١٢٤]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

غَيْرَةُ[١] ٱلْمَرْأَةِ كُفْرٌ[٢]، وَغَيْرَةُ ٱلرَّجُلِ إِيمانٌ[٣].

(ح ـ ١٢٤) الغيرة:

الغيرة: هي الحمية، ويختلف احكامها باختلاف اسبابها، وقد أشارت الحكمة بأن (غيرة المرأة كفر) والكفر لغة : الستر؛ فإنّ المرأة بغيرتها على زوجها تغطي فكرها في الثابتة الاسلامية والحقوق الزوجية المشروحة في الاسلام، والتي تتقبلها المراة المسلمة كواجب شرعي، فتكون الغيرة منها شكراً لهذا الواجب الشرعي.

وعلى النقيض بالنسبة إلى الرجل، (فان غيرة الرجل ايمان) لانها دفاع عن كرامة زوجية وهي من الحقوق الاسلامية في الزواج الاسلامي .

---

(١) في هـ . ب: غيرتها على أن يتزوج بعلها ضرّة لها.

(٢) في هـ . ص: أي عصيان، وفيه دليل على أنّ العصيان كفر، أي كفر ضد الشكر؛ وذلك انّه جحد لحقّ الإنعام.

(٣) في هـ . ص: أي طاعة، وفيه دليل على أنّ العمل من الايمان؛ لأنّه إقرار بحق الانعام.

[١٢٥]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

لَأَنْسُبَنَّ ٱلْإِسْلامَ نِسْبَةً لَمْ يَنْسُبْها أَحَدٌ قَبْلِي: ٱلْإِسْلامُ هُوَ ٱلتَّسْلِيمُ، وَٱلتَّسْلِيمُ هُوَ ٱلْيَقِينُ، وَٱلْيَقِينُ هُوَ ٱلتَّصْدِيقُ، وَٱلتَّصْدِيقُ هُوَ ٱلْإِقْرارُ، وَالْإِقْرارُ هُوَ ٱلْأَداءُ، وَٱلْأَداءُ هُوَ ٱلْعَمَلُ.

(ح ـ ١٢٥) **تعريف الاسلام:**

تعريف الاسلام مبتدأ من النظرية إلى التطبيق في سلسلة مترابطة من الصفات والمعرفة بحلقات هذه السلسلة يكون الاسلام دينا حياً في حياة المسلمين، فقال:

(لأنسبن الاسلام نسبة لم ينسبها أحد قبلي) والنسبة ـ هنا ـ التعريف، كما يعرف أي انسان بالنسب، وهذا التعريف باعتباره تعريفا يربط بين النظرية والتطبيق في الاسلام لم يسبق من احد قبل الامام.

وشرح السلسلة مترابطة في صفات ، هي:

١ ـ (الاسلام هو التسليم)؛ فإنّ الايمان بالله تعالى يلازم التسليم لارادته تعالى في الحياة الشخصيّة والاجتماعية وغيرهما.

٢ ـ (والتسليم هو اليقين) ولا يمكن حصول التسليم حقيقة إلّا باليقين بأنّه تعالى هو المستحق للتسليم المطلق الله دون غيره.

٣ ـ(واليقين هو التصديق) وهو الاعتقاد بالجنان بالشهادتين.

٤ ـ (والتصديق هو الاقرار)؛ فإنّ الاعتقاد في الجنان يستلزم الاقرار باللسان والنطق بكلمة الشهادة.

٥ ـ (والاقرار هو الأداء) وهو تحقق اثر هذا الاقرار في الخارج؛ فإنّ الاقرار باللسان من دون اثر له في الخارج يكون لغواً.

٦ ـ (والأداء هو العمل)؛ فإنّ الاثر الخارجي الحقيقي لا يكون إلّا بالعمل بالرسالة الاسلامية في الحياة الشخصية والاسرية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية وغيرها من العبادات والمعاملات وغيرها.

فالاسلام حقيقة واقعة في حياة كلّ مسلم، وليست نظرية بحتة مجردة عن الحياة، بل

نظرية تستلزم حلقات مترابطة تنتهي إلى العمل.

[١٢٦]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

عَجِبْتُ لِلْبَخِيلِ يَسْتَعْجِلُ ٱلْفَقْرَ ٱلَّذِي مِنْهُ هَرَبَ[١]، وَيَفُوتُهُ ٱلْغِنَى ٱلَّذِي إِيّاهُ طَلَبَ[٢]. فَيَعِيشُ فِي ٱلدُّنْيا عَيْشَ ٱلْفُقَراءِ، وَيُحاسَبُ فِي ٱلْآخِرَةِ حِسابَ ٱلْأَغْنِياءِ.

وَعَجِبْتُ لِلْمُتَكَبِّرِ ٱلَّذِي كانَ بِالْأَمْسِ نُطْفَةً وَيَكُونُ غَداً جِيفَةً.

وَعَجِبْتُ لِمَنْ شَكَّ فِي ٱللّهِ وَهُوَ يَرى خَلْقَ ٱللّهِ.

وَعَجِبْتُ لِمَنْ نَسِيَ ٱلْمَوْتَ وَهُوَ يَرى المَوْتَى[٣].

وَعَجِبْتُ لِمَنْ أَنْكَرَ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرى وَهُوَ يَرَى ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولى.

وَعَجِبْتُ لِعامِرِ دَارَ[٤] ٱلْفَناءِ وَتارِكِ دَارَ[٥] ٱلْبَقاءِ.

(ح ـ ١٢٦) موجبات العجب:

تستعرض الحكمة من موجبات العجب فقال عليه السلام:

الأوّل:(عجبت للبخيل يستعجل الفقر الذي منه هرب) فإنّه ببخله عن الشئ يفتقر إليه، والسبب في بخله هو عدم الافتقار إليه في المستقبل، فيكون قد استعجل الفقر الذي يخاف منه في المستقبل وواجهه في الحال بالبخل.

(ويفوته الغنى الذي إياه طلب)؛ فإنّ هدفه من البخل هو الغنى عند الحاجة الى الشئ، وهو ببخله اصبح فقيراً الى الشئ في الحال، ففاته الغنى.

(فيعيش في الدنيا عيش الفقراء) لبخله في الحال بدون شك والمستقبل مجهول لا

---

(١) في هـ. ص: وذلك لأن طلبه المال وحفظه له من خوف الفقر في زعمه، فلما لم ينتفع به كان حاله حال الفقراء الذي فرّ منه.

(٢) في هـ. ص: وانما فاته الغنىٰ، لأن طلبه المال لينتفع به انتفاع الأغنياء فلم ينتفع به.

(٣) في ب و ص: من يموت.

(٤) في هـ. أ: دارِ ودارَ معاً وفي هـ. ص : في نسخة: لدار.

(٥) في هـ. أ: دارِ ودارَ معاً وفي هـ. ص: في نسخة: لدار.

يعلمه احد سوى الله، فيكون عيشه عيش من يفتقر إلى ما يبخل به .

(ويحاسب في الآخرة حساب الأغنياء) لتملكه الشئ فهو لا يعتبر فقيراً، بسبب كونه بخيلا فيكون عليه المحاسبة بسبب ما يملك وان افتقر فيكون البخل من موارد العجب.

الثاني:(وعجبت للمتكبر) في نفسه على الآخرين مع علمه بنفسه احسن من غيره من حقيقتين، هما :

(الذي كان بالأمس نطفة) من منيّ يمنى فقذفه ابوه في رحم امه، وهذا لا يكون سببا للكبرياء .

(ويكون غدا جيفة) بالموت، وهذا ايضا ليس سبباً للكبرياء.

وبين الامس والغد هو حامل جيفة اينما حل وارتحل؛ فإنّ كلما يملكه ويحصل عليه الإنسان من المادة والماديات لا تزيد ولا تنقص من شخصيته شيئا في نفسه، ولا يكون موجبا للتكبر على الآخرين في انفسها.

الثالث: (وعجبت لمن شك في الله وهو يرى خلق الله)؛ فإنّ الآثار تدل على وجود المؤثر، ومن يتأمل الآثار في الآفاق والانفس لايسعه إلّا الايمان، كما تؤكّد على ذلك ايات القرآن في مواضع كثيرة، منها: قوله تعالى:﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم﴾.[1] فكيف ينكر دلالة هذه الآثار، ويستدل بها في حياته اليومية على حاجاته الشخصية؟

الرابع :(وعجبت لمن نسي الموت وهو يرى الموتى) فليس هناك من صغير أو كبير لم يسمع بموت احد قريب أو بعيد، وفي مشاهدة الاموات دلالة واضحة على حقيقة الموت، فكيف يرى الاثر وينسى المؤثر على كثرة ذلك في الحياة؟

الخامس: (وعجبت لمن أنكر النشأة الأخرى وهو يرى النشأة الأولى)؛ فإنّ كلا من الخلق والمعاد يشتركان في حقيقة واحدة، وهي سبقهما العدم، فافتقر إلى موجد، فمن اوجد الانسان في اول مرة من العدم الى الوجود لهو قادر على أن يعيده مرة اخرى كما

---

(١) فصلت : ٥٣.

فعل اول مرة، قال تعالى:﴿كما بدأنا أول خلق نعيده﴾.[1]

السادس: (وعجبت لعامر دآر الفناء وتارك دار البقاء)؛ فإنّ العلم بالبقاء والفناء يوجب التوازن بعمران الدارين من دون أي تفريق في البين، كما قال الإمام السجاد: «اعمل لدنياك كأنك تعيش ابداً واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا».

فإنّ هذه النقاط الست حقا لموجبة للعجب لمن يتأمل فيها.

[١٢٧]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

مَنْ قَصَّرَ فِي ٱلْعَمَلِ ٱبْتُلِيَ بِالْهَمِّ، وَلا حاجَةَ لِلّٰهِ فِيمَنْ لَيْسَ لِلّٰهِ فِي نَفْسِهِ ومَالِهِ[2] نَصِيبٌ.

(ح - ١٢٧) **العمل لله:**

في هذه الطبعة المعتمدة جعلهما حكمة واحدة، ولعله باعتبار أن المراد العمل العبادي لابد وان يكون لله، وما ليس له لا يتقبله الله.

وقد جعلها الشارح حكمتين مستقلتين [ظ] ونعم ما فعل؛ فإنّ الذيل لا يختص بالعمل العبادي، مع أن العبادة يجب أن تكون خالصة لله تعالى، اضافة الى أن الاطلاق يقتضي تعدد الحكمتين، وهما:

أوّلاً: في العمل؛ فإنّ أي عمل من الاعمال ـ من العبادة أو غيرها ـ يجب أن يؤدّى على ما هو المطلوب في العمل من دون خلل، بل بالتأكد من كمالها مرة بعد اخرى حتّى يتأكد من الاتقان، ومن يقصر في أي عمل كان ولا يؤدي واجبه المطلوب في العمل لابدّ وان يبتلى ويمتحن بالهم؛ لاحتمال وجود النقص والخلل، وعلى النقيض تماما من لم يقصر فادى واجبه وراقب عمله ثلاث مرات، فانه يترك العمل واثقا من دون هم لتاكده من الكمال.

---

(١) الانبياء: ١٠٤.

(٢) في ط و د: ماله ونفسه، وفي هـ. د: في نفسه وماله ـ م ف ن ل ش.

(ظ) راجع: شرح النهج ١٨ : ٣١٦ و٣١٧.

ثانياً: في حقوق الله؛ فإنّ الله سبحانه فرض على العباد احكاما هي حقوقه، ويجب اداؤها سواءً منها ما في نفس الإنسان من العبادات كالصلاة والصوم والحج، وما في اموال الإنسان كالصدقة والزكوات، قال تعالى:﴿وفي اموالهم حق معلوم للسائل والمحروم﴾.(١)

فان لله سبحانه نصيب في مال كلّ انسان بالصدقات، وفي نفس كلّ انسان بالعبادات، فيكون الله سبحانه وليا قال تعالى:﴿انما وليكم الله ورسوله والذين امنوا﴾.(٢)

وأما من لم يؤد حقوق الله في نفسه وماله فيتركه ونفسه؛ لأنّه (لا حاجة لله فيمن) لم يؤدّي مسؤولياته الاسلامية؛ لأنّه ليس مؤديا لحقوق الله،و(ليس لله في ماله ونفسه نصيب) بل كلما يفكر هذا الإنسان هو مصالحه الخاصة فقط.

[١٢٨]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

تَوَقَّوُا ٱلْبَرْدَ فِي أَوَّلِهِ، وَتَلَقَّوْهُ فِي آخِرِهِ، فَإِنَّهُ يَفْعَلُ فِي ٱلْأَبْدانِ(٣) كَفِعْلِهِ فِي ٱلْأَشْجارِ، أَوَّلُهُ يُحرِقُ، وَآخِرُهُ يُورِقُ(٤).

(ح - ١٢٨) الشتاء والربيع:

البرد: انعدام الحرارة، وهنا اشارة إلى فصل الشتاء من الفصول الاربعة وتشير الحكمة إلى حقيقة مدعمة بالتجربة الحسية فقال:

١ ـ (توقوا البرد في أوله) والوقاية: الحذر؛ فإنّ الجسم غير متعود على البرد وخاصة في حالة تساقط الثلج والبرد التي تصاحب اعراض السعال والزكام، والوقاية خير من العلاج.

٢ ـ (وتلقوه في آخره) والتلقي: الاستقبال، حيث أن الجسم قد تعود على الطبيعة من

---

(١) الذاريات : ١٩.
(٢) المائدة : ٥٥ .
(٣) في هـ . د: بالأبدان ـ ف.
(٤) في هـ . ب: أي أول البرد يحرق وآخر البرد يورق كالربيع.

فصل الشتاء، فلا يكون معرضا بنفس الدرجة التي كانت في البداية، وقد استدل على هذه بالتجربة العامة من الاثر الطبيعي لفصل الشتاء من الاشجار فقال:

٣ ـ(فإنه يفعل في الأبدان كفعله في الأشجار)؛ لأنّ الطبيعة الحاكمة تفرق بين الاشياء وتاثيرها على كلّ الموجودات على حد سواءً، وان اختلفت الموجودات مناعة من جانبها.

٤ ـ (أوله يحرق)؛ فإنّ الشتاء يحرق الاوراق من الاشجار، فتصبح الاشجار عارية منها الاوراق تماماً وكأنّها محروقة بعد أن ابتدأ تساقطها في فصل الخريف تدريجيا، ولكن من دون ابادة لها.

٥ ـ (وآخره يورق) وفي اخر الشتاء يتعقب فصل الربيع الذي يكون سببا لأن تورق الاشجار من جديد.

فبنفس الطريقة يؤثر الشتاء في حياة الإنسان، فيجب التوقي في الشتاء والانفتاح على جمال الطبيعة في الربيع.

[١٢٩]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

عِظَمُ[١] ٱلْخالِقِ عِنْدَكَ يُصَغِّرُ ٱلْمَخْلُوقَ فِي عَيْنِكَ.

(ح ـ ١٢٩) عظمة الخالق:

العظمة لغة الكبر في الجسم من حيث الابعاد الثلاثة من الماديات، واما المعنويات والمجردات فالامر فيها نسبي حسب ما تدركه العقول باختلاف درجات المعرفة والادراك، وما تقصر عن ادراك العقول اياه فهو العظيم المطلق الذي لا يستحق العظمة على الحقيقة والاطلاق سواه، وهو الله، فاذا وصل الإنسان إلى هذه الحقيقة وان العظمة حقا خاصة بالله سبحانه دون سواه، فطبيعيّ أن يصغر في عين الإنسان الباصرة كلّ

(١) في ب: عَظِّم، وفي هـ. د: عظم بتشديد الظاء من باب التفعيل ـ ش.

المحسوسات المادية مهما كبرت حجما، وفي عين الإنسان البصيرة كلّ المعقولات مهما علت وارتفعت.

قال ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في شرح نهج البلاغة، ما نصّه:«لا نسبة للمخلوق إلى الخالق أصلا وخصوصا البشر ، لأنهم بالنسبة إلى فلك القمر كالذرة ، ونسبة فلك القمر كالذرة بالنسبة إلى قرص الشمس ، بل هم دون هذه النسبة مما يعجز الحاسب الحاذق عن حساب ذلك ، وفلك القمر بالنسبة إلى الفلك المحيط دون هذه النسبة ، ونسبة الفلك المحيط إلى البارئ سبحانه كنسبة العدم المحض والنفي الصرف إلى الموجود البائن ، بل هذا القياس أيضا غير صحيح ، لان المعدوم يمكن أن يصير موجودا بائنا ، والفلك لا يتصور أن يكون صانع العالم الواجب الوجود لذاته . وعلى الجملة فالامر أعظم من كل عظيم ، وأجل من كل جليل ، ولا طاقة للعقول و الأذهان أن تعبر عن جلالة ذلك الجناب وعظمته ، بل لو قيل ، إنها لا طاقة لها أن تعبر عن جلال مصنوعاته الأولى المتقدمة علينا بالرتبة العقلية والزمانية لكان ذلك القول حقا وصدقا ، فمن هو المخلوق ليقال : إن عظم الخالق يصغره في العين ، ولكن كلامه عليه السلام محمول على مخاطبة العامة الذين تضيق أفهامهم عما ذكرناه».[١]

[١٣٠]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ: وَقَدْ رَجَعَ مِنْ صِفِّينَ فَأَشْرَفَ عَلَى ٱلْقُبُورِ بِظاهِرِ ٱلْكُوفَةِ:

يا أَهْلَ ٱلدِّيارِ ٱلْمُوحِشَةِ، وَٱلْمحالِّ ٱلْمُقْفِرَةِ، وَٱلْقُبُورِ ٱلْمُظْلِمَةِ، يا أَهْلَ ٱلتُّرْبَةِ، يا أَهْلَ ٱلْغُرْبَةِ، يا أهل الوحدة[٢]، يا أَهْلَ ٱلْوَحْدَةِ يا أَهْلَ ٱلْوَحْشَةِ، أَنْتُمْ لَنا فَرَطٌ سابِقٌ[٣]، وَنَحْنُ لَكُمْ تَبَعٌ لاحِقٌ، أَمَّا ٱلدُّورُ فَقَدْ سُكِنَتْ، وَأَمَّا ٱلْأَزْواجُ فَقَدْ نُكِحَتْ، وَأَمَّا ٱلْأَمْوالُ فَقَدْ قُسِمَتْ، هذا خَبَرُما عِنْدَنا فَما خَبَرُ ما عِنْدَكُمْ؟

---

(١) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٨ : ٢٢١.
(٢) في هـ. د: عبارة «يا أهل الوحدة» ساقطة من ب.
(٣) في هـ. د: أنتم فرط سابق ـ ع.

ثُمَّ ٱلْتَفَتَ إِلى أَصْحابِهِ فَقالَ: أَما لَوْ أُذِنَ لَهُمْ فِي ٱلْكَلامِ لَأَخْبَرُوكُمْ أَنَّ خَيْرَ ٱلزّادِ ٱلتَّقْوى.

(ح - ١٣٠) اهل القبور:

وصف في زيارته لاهل القبور اياهم بصفات صادقة عنهم بقوله:

١ ـ (يا أهل الديار الموحشة) فليس عند القبور من انيس سوى الحيوانات البرية والحشرات.

٢ ـ (والمحال المقفرة) والقفر: المكان الذي لا يسكنه احد كالصحراء الجرداء.

٣ ـ(والقبور المظلمة) فما اظلمها! حيث علت الاجساد طبقات التراب والحجر والمدر.

٤ ـ (يا أهل التربة)؛ فإنّ التراب، وهو ما يعم من سطح الارض يطوق الاجساد، فلا صاحب لهم سواه.

٥ ـ (يا أهل الغربة) حيث انهم في غربة عن الاولاد والاصحاب والاموال وغيرها.

٦ ـ (يا أهل الوحدة) فلا شريك للميت في القبر.

٧ ـ (يا أهل الوحشة) فهم يستوحشون بسبب الغربة والاحباء يستوحشون منهم بسبب الموت.

٨ ـ (أنتم لنا فرط سابق) والفرط: الذي يتقدم على الماء، فهم سابقون على غيرهم، وكل يعلم بالمتابعة للسابق.

٩ ـ (ونحن لكم تبع لاحق) حيث أن الفرط السابق هو الدليل لمن يلحق.

١٠ ـ (أما الدور فقد سكنت) من قبل غيركم ممّن ورثه أو اشتراه، فلم يكن الدار الا عارية في الحياة.

١١ ـ (وأما الأزواج فقد نكحت) مع أن النكاح أحكم عقيدة وصلة بين اثنين في الحياة.

١٢ ـ (وأما الأموال فقد قسمت) بين الورثة ولم يصطحب الميت شيئا معه .

وهذه النقاط الاثنى عشر صادقة في الاموات عامة، وان خص احد منهم بالاستثناء فهو استثناء.

وختم المقطع بقوله:

(هذا خبر ما عندنا) عن الاموات في الدور والازواج والاموال التي كان الميت في حياته يهتم بها اهتماماً خاصاً، اما بسبب المصلحة الشخصية أو المسؤولية الدينيّة.

(فما خبر ما عندكم؟) من الحياة بعد الموت، فان هذا الخبر مجهول عند الاحياء جهلا تاماً.

(ثم التفت إلى أصحابه فقال: أما لو أذن لهم في الكلام لأخبروكم أن خير الزاد التقوى) اقتباساً من قوله تعالى:﴿وتزودا فإنّ خير الزاد التقوى﴾ [١]؛ فان تجرد الروح من الاجساد يجعلها في عالم المجردات التي لا يمكنها الكلام باللسان الذي هو آلة الاجسام، ولكن حقيقة الموقف المسيطر عليهم يقول بلسان الحال صدق المقال الذي ذكر به الباري المتعال.

[١٣١]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ وَقَدْ سَمِعَ رَجُلاً يَذُمُّ ٱلدُّنْيا:

ذامها وحقيقتها ومسؤولياتها والمعتبر بها.

سرد الإمام هذه الخصائص الاربع عن الدنيا حينما سمع رجلا يذم الدنيا، والسياق يقتضي أن الرجل الذي ذم الدنيا كان يبرر الاجرام مستنداً إلى الدنيا، ومبرئاً نفسه من ذلك، فوجه الإمام إليه هذا الخطاب، وخصه بالعتاب على نفسه الامارة بالسوء، وليس على الدنيا التيب تسير على طبيعتها، ولخّص الكلام في حقائق اربع في ذام الدنيا وحقيقتها ومسؤلياتها والمعتبر بها.

(ح ـ ١٣١) ذام الدنيا:

أَيُّهَا ٱلذّامُّ لِلدُّنْيَا، ٱلْمُغْتَرُّ[٢] بِغُرُورِهَا ٱلْمُنْخَدِعُ بِأَباطِيلِها[٣]؛ أَتَغْتَرُّ بِالدُّنْيا[٤] ثُمَّ تَذُمُّها!

---

(١) البقرة: ١٩٧.

(٢) في هـ. ص: في نسخة: انغتر.

(٣) لم ترد «المغتر بغرورها المنخدع بأباطيلها» في أ، وفي هـ. د: العبارة ساقطة من م ف ن، وفي ل: المغتر بغرورها بم تذمها، وفي س: المغتر بغرورها ثم تذمّها.

أَنْتَ ٱلْمُتَجَرِّمُ[١] عَلَيْها، أَمْ هِيَ ٱلْمُتَجَرِّمَةُ[٢] عَلَيْكَ! مَتَى ٱسْتَهْوَتْكَ، أَمْ مَتى غَرَّتْكَ؟ أَبِمَصارِعِ آبائِكَ مِنَ ٱلْبِلى، أَمْ بِمَضاجِعِ أُمَّهاتِكَ تَحْتَ ٱلثَّرى! كَمْ عَلَّلْتَ[٣] بِكَفَّيْكَ، وَكَمْ[٤] مَرَّضْتَ[٥] بِيَدَيْكَ، تَبْغِي[٦] لَهُمُ ٱلشِّفاءَ، وَتَسْتَوْصِفُ[٧] لَهُمُ ٱلْأَطِبّاءَ[٨].

لَمْ يَنْفَعْ أَحَدَهُمْ إِشْفاقُكَ[٩]، وَلَمْ تُسْعَف[١٠] فِيهِ[١١] بِطِلْبَتِكَ، وَلَمْ تَدْفَعْ عَنْهُ بِقُوَّتِكَ! وَقَدْ مَثَّلَتْ لَكَ بِهِ ٱلدُّنْيا نَفْسَكَ، وَبِمَصْرَعِهِ مَصْرَعَكَ. وخاطب الإمام ذام الدنيا معاتبا في نقاط بقوله:

١ ـ (أيها الذام للدنيا) من دون ذم لنفسك التي اغترت بمغريات الدنيا عن علم وعمد.

٢ ـ (المغتر بغرورها)؛ فإنّ الخيار بالعبر بمغريات الدنيا كان في ذمك.

٣ ـ (المخدوع بأباطيلها) من المادّة والماديات والعناوين الخياليّة مع العلم بأنّها خداعة وانها تستخدم الدعايات والاباطيل، وانخدعت بها.

٤ ـ (أتغتر بالدنيا، ثمّ تذمها؟) بعد أن كان الاغترار منك بالاختيار من دون اي اكراه أو اجبار.

٥ ـ (أنت المتجرم عليها أم هي المتجرمة عليك ؟) والجرم: الذنب؛ فإنّ ذمها يستلزم أن تكون الدنبا هي المتجرمة، مع أن اختيارك يستلزم انك انت المتجرم.

٦ ـ (متى استهوتك؟) بالاغتزاز عن عمد وقصد من دون اختيارك لهوى النفس؟ فإنّها

---

(٤) لم ترد «المنخدع بأباطيلها اتغتر بالدنيا» في ب و ص.
(١) هـ. ب: المنجرم: المجرم.
(٢) في أ: المتبرمة.
(٣) في هـ. ب: أزلت العلة.
(٤) لم ترد «كم» في أ.
(٥) في د: ومرّضت، وفي هـ. د: وكم مرضت ـ ض ح ب ن ل ش، وفي هـ. ب: أزلت المرض.
(٦) في د: تبغي، وفي هـ. د: تبتغي ـ ض ح.
(٧) هـ. ب: طلبت الصفة: الدواء.
(٨) في ط و د زيادة: «غداة ولا يغني عنهم دواؤك، ولا يجدي عليهم بكاؤك» وفي هـ. د: العبارة ساقطة م ن ب ل ش، وفي م: غداة لا يغنى عنه.
(٩) في هـ. ب: اشفاقك: شفقتك.
(١٠) في هـ. ب: لم تسعف، أي: لم تعط.
(١١) في هـ. د: لم ترد «فيه» في ب.

ستهوي كل الناس ولم يستجب لها من ضبط نفسه وعقل هواها.

٧ ـ (أم متى غرتك ؟) بسلب اختيارك؟ فإنّ مغريات الدنيا قائمة ما دامت الدنيا باقية، ولا يغتر بها إلّا من اطلق عنان اختياره؛ فإنّ في الدنيا المغريات كما أن فيها العبر، فلماذا اخترت المغريات وتركت العبر؟ وقد أشار إلى العبر التي أعرض عنها ذام الدنيا بقوله:

٨ ـ (أبمصارع آبائك من البلى؟) والمصرع: موقع السقوط، والبلى: الفساد؛ فإنّ نظرة سريعة إلى تاريخ الآباء والاجداد توجب العبر الكثيرة من الدنيا لمن له الخيار في الجري وراء المغريات وتركها. ولا يعدم احد في الحياة من هذه النظرة.

٩ ـ (أم بمضاجع أمهاتك تحت الثرى ؟) والثرى: التراب؛ فإنّ قبور الامهات والخلائق في التراب عبرة اخرى حية في ضمير كلّ انسان.

وختم نقاط العتاب هذه بحالة عامة لافراد العائلة في الجميع الاسلامي فقال تجاه الوالدين والاسرة.

أوّلاً: (كم عللت بكفيك) والتعليل، العناية بعلة المريض حتّى يبرأ ويميل الى الشفاء.

ثانياً: (وكم مرضت بيديك)؛ فإنّ التمريض يساهم فيه افراد العائلة صغيراً وكبيراً.

ثالثاً: (تبغي لهم الشفاء) والهدف من التعليل والتمريض هو شفاء الولد.

رابعاً: (وتستوصف لهم الأطباء) بطلب وصفة المرض والعلاج من الطبيب.

خامساً: (غداة لا يغض عنهم دواؤك) لانهم في مرض الموت الذي لا دواء له.

سادساً: (ولا يجدي عليهم بكاؤك) لانهم لا ينتفعون بالبكاء شيئا قط.

سابعاً: (لم ينفع أحدهم إشفاقك) والشفقة: الخوف، وسواءً خفت أم لم تخف فإنّ الموت لا رادع له.

ثامناً: (ولم تسعف فيه بطلبتك) والاستسعاف: اعطاء ما يفتقر اليه الانسان، والطلبة: الحاجة.

فلم تتمكن من الاسعاف أو الدواء أي فائدة للوصول إلى المطلوب، وهو شفاء المريض من مرض الموت.

تاسعاً: (ولم تدفع عنهم بقوتك) فلم تتمكن من دفع الموت عنه بالقوة.

ونتيجة هذه النقاط التسع في حالات موت الآباء والامهات قال:

عاشراً: (قد مثلت لك به الدنيا نفسك)؛ فإنّ الدنيا ضربت لك مثلا بموت الآباء والامهات تكفيك، فانك نفسك سوف تكون كالآباء والامهات عند الموت.

(وبمصرعه مصرعك)؛ فإنّ مصرع الاب الميت هو مثال لمصرعك انت، بلا فرق؛ فإنّ كلّ واحد منكما يكون صريعا للموت الذي لا مفر منه.

وهذه النقاط والحالات تستوجب أن لا تذم الدنيا؛ لأنّ الدنيا تسير بحكم طبيعتها كسائر المخلوقات، والذم انما يتوجه لمن يغتر بمغرياتها ولا يعتبر بموارد الاعتبار فيها.

حقيقة الدنيا:

إِنَّ ٱلدُّنْيا دارُ صِدْقٍ لِمَنْ صَدَقَها، وَدارُ عافِيَةٍ[1] لِمَنْ فَهِمَ عَنْها، وَدارُ غِنىً لِمَنْ تَزَوَّدَ مِنْها، وَدارُ مَوْعِظَةٍ لِمَنِ ٱتَّعَظَ بِها، مَسْجِدُ أَحِبّاءِ ٱللّهِ، وَمُصَلّى مَلائِكَةِ ٱللّهِ، وَمَهْبِطُ وَحْيِ ٱللّهِ، وَمَتْجَرُ أَوْلِياءِ ٱللّهِ؛ ٱكْتَسَبُوا فِيهَا ٱلرَّحْمَةَ، وَرَبِحُوا فِيهَا ٱلْجَنَّةَ.

والتأمل في طبيعة الدنيا يوقفنا على الحقائق التالية:

١ ـ (إن الدنيا دار صدق لمن صدقها)؛ لأنّ الدنيا صادقة فيما اخبرت من الزوال والفناء وانقضاء ملاذها.

٢ ـ (ودار عافية لمن فهم عنها) بالوعي لما اخبرت من تاريخ الماضي من الافراد والامم من الاباء والامهات في الاسرة وغيرهما.

٣ ـ (ودار غنى لمن تزود منها) بزاد التقوى كما امر الله واصبح غنياً بالعمل الصالح.

٤ ـ (ودار موعظة لمن اتعظ بها) بالاعتبار بموارد الاعتبار فيها.

٥ ـ (مسجد أحباء الله) حيث يتخذها من يحب الله مسجداً كما كان عليه الأنبياء والصالحون.

٦ ـ (ومصلى ملائكة الله) حيث صلى الملائكة فيها في هبوطهم اليها.

٧ ـ (ومهبط وحي الله) حيث ارسل الله الملائكة بالوحي إلى الأنبياء فيها.

---

(١) في هـ. ص: في نسخة: عاقبة.

٨ ـ (ومتجر أولياء الله) حيث يستعدون بالاعمال الصالحة للربح بها في الآخرة.

٩ ـ (اكتسبوا فيها الرحمة) من الله بالعمل الصالح.

١٠ ـ (وربحوا فيها الجنّة) للاخرة قبل الموت بما قدموا من الاعمال الصالحة النافعة للنفس والمجتمع.

وهذه النقاط العشر حقيقة لازمة للدنيا، فهي وسيلة لعمل الخير، كما هي مسرح لعمل الشر، فلا يكون الذم على الدنيا في نفسها، بل على من يستخدمها في سبيل الشر وتركه لعمل الخير.

مسؤولية الدنيا:

فَمَنْ ذا يَذُمُّها وَقَدْ آذَنَتْ بِبَيْنِها، وَنادَتْ بِفِراقِها، وَنَعَتْ نَفْسَها وَأَهْلَها، فَمَثَّلَتْ لَهُم بِبَلائِهَا ٱلْبَلاءَ، وَشَوَّقَتْهُمْ بِسُرُورِها إِلَى ٱلسُّرُورِ!

راحَتْ[1] بِعافِيَةٍ، وَٱبْتَكَرَتْ[2] بِفَجِيعَةٍ، تَرْغِيباً وَتَرْهِيباً وَتَخْوِيفاً وَتَحْذِيراً.

يستعرض في هذا المقطع انحاء من مسؤوليات الدنيا باعتبارها خلق من آيات الله، فإنّها بلسان الحال تدعوا الى الوعي واليقظة والاعتبار، وقد سرد من ذلك بقوله:

١ ـ (فمن ذا يذمها وقد آذنت ببينها) والاذان: الاعلام، والبينونة: البعد، فكل شئ فيها يعلن عن زوالها، فليس من تزعم دولة مخلد، ولا من دار وعقار قائم إلى الابد، ولا اهل ولا ولد بباق سوى الله الواحد الاحد.

٢ ـ (ونادت بفراقها) في كلّ انسان يموت ودار ينهدم ودولة تنهار ومحل تحرقها النار ومتاع يسلبها السراق والثوار ودكان يتركها التجار.

٣ ـ (ونعت نفسها وأهلها) والنعي: الاعلان بالموت، فالدنيا تنعى نفسها من زوال المادّة والماديات والعناوين واهلها بموت السابقين ولحوق اللاحقين.

٤ ـ (فمثلت لهم ببلائها البلاء) فاصحبت الدنيا مثالا في بلائها لبلاء الآخرين في الدنيا والآخرة.

---

(١) في هـ. ب: من الرواح.
(٢) في هـ. ب: من البكور، أي غدت.

٥ ـ (وشوقتهم بسرورها إلى السرور) لانها المثال للسرور كما هي المثال للبلاء.

٦ ـ (راحت بعافية) الرواح: الذهاب ليلا وقت العشاء، حيث يذهب كلّ انسان إلى محله الاخير للسكن، والدنيا تذهب إلى ما هي طبيعتها بعافية وسلامة من اداء دورها المسؤول.

٧ ـ (وابتكرت بفجيعة) والبكور: الحضور في اول النهار، والفجيعة: النقمة، فإنّ الدنيا تأتي كل يوم بنقمة جديدة في الحياة.

وعن اهداف هذا الدور المسؤول للدنيا قال:

أوّلاً: (ترغيبا) للعمل الصالح في الدنيا؛ لما فيه من الثواب في الدنيا والآخرة.

ثانياً: (وترهيبا) من المعاصي والمخالفات التي يترتب عليها العقاب في الدنيا والآخرة.

ثالثاً: (وتخويفا) بالفزع مما صدر من المخالفات المستوجبة للتوبة وتصحيح الاعمال.

رابعاً: (وتحذيرا) باليقظة من الوقوع في المخالفات والانخداع بالمغريات.

وهذه النقاط توجب المدح للدنيا لا الذم؛ لأنّ بها يتمكن الإنسان من ضمان الوصول إلى الغايات الحميدة التي تؤمن لنفسه السعادة في الدنيا والآخرة.

العبرة:

فَذَمَّها رِجالٌ غَداةَ النَّدامَةِ، وَحَمِدَها آخَرُونَ يَوْمَ ٱلْقِيامَةِ، ذَكَّرَتْهُمُ ٱلدُّنْيا فَتَذَكَّرُوا[1]، وَحَدَّثَتْهُمْ فَصَدَّقُوا، وَوَعَظَتْهُمْ فَاتَّعَظُوا.

ونتيجة معرفة حقيقة الدنيا واياتها التي ينبغي الاعتبار بها في حياة الإنسان، واشار إلى امرين منها، هي التوبة والندامة في الدنيا، والتنعم في يوم القيامة بسبب العمل في الدنيا فقال:

١ ـ (فذمها رجال غداة الندامة) على الانحراف عن الواجبات في الدنيا، والندامة هي الحجر الاساسي للتوبة بشرائطها ولوازمها.

---

(١) في أ و ب و ص: فذكروا، وفي هـ. د: فتذاكروا ـ ض ب.

٢ ـ (وحمدها آخرون يوم القيامة) بسبب التزامهم بواجباتهم في الدنيا وذلك عملا بالاصول التالية:

٣ ـ(ذكرتهم الدنيا فتذكروا) واعتبروا بموارد الاعتبار فيها من القصص والاخبار والتوايخ والاثار.

٤ ـ (وحدثتهم فصدقوا) بسرد اخبار الماضي من الافراد والامم؛ فإنّ تاريخ احوالهم تشرح نقاط القوة والضعف التي أدت إلى سقوطهم.

٥ ـ(ووعظتهم فاتعظوا) والوعظ: النصيحة، فاتخذوا بها من المواعظ العامة اليومية في حياة كل فرد واسرة ومجتمع، وفي كلّ محلة وقرية وبلد ووطن من الموت الذي لا يرحم احداً.

[١٣٢]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

إِنَّ لِلّهِ مَلَكاً يُنادِي فِي كُلِّ يَوْمٍ: لِدُواْ لِلْمَوْتِ، وَٱجْمَعُوا لِلْفَناءِ، وَٱبْنُوا لِلْخَرابِ.

(ح ـ ١٣٢) **الواعظ اليومي:**

الملك روح مجرد من المادة ونداؤه بلسان الحال حيث لا يسمعه انسان على أي حال، وقد حدد الإمام النقاط التي ينادي بها في كلّ يوم بقوله للناس أجمعين.

اولا: (لدوا للموت)؛ فإنّ عاقبة الولادة في الدنيا هو الموت.

ثانياً: (واجمعوا للفناء)؛ فإنّ كلّ ما فيها من المادّة والماديات تنتهي إلى الفناء.

ثالثاً: (وابنوا للخراب) فلا يخلد بناء في التاريخ إلى الابد.

وهذا الواعظ اليومي محسوس لكل انسان في كلّ مولود ومال وبناء.

قال ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في شرح نهج البلاغة، ما نصّه:«هذه اللام عند أهل العربية تسمى لام العاقبة ، ومثل هذا قوله تعالى : ﴿فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا

وحزنا﴾[١]، أو ليس أنهم التقطوه لهذه العلة، بل التقطوه فكان عاقبة التقاطهم إياه العداوة والحزن، ومثله: "فللموت ما تلد الوالدة". ومثله قوله تعالى: ﴿ولقد ذرأنا لجهنم﴾[٢]، أو ليس أنه ذرأهم ليعذبهم في جهنم، بل ذرأهم وكان عاقبة ذرئهم أن صاروا فيها، وبهذا الحرف يحصل الجواب عن كثير من الآيات المتشابهة التي تتعلق بها المجبرة. وأما فحوى هذا القول وخلاصته فهو التنبيه على أن الدنيا دار فناء وعطب، لا دار بقاء وسلامة، وأن الولد يموت، والدور تخرب وما يجمع من الأموال يفنى».[٣]

[١٣٣]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

ٱلدُّنْيا دارُ مَمَرٍّ إلى دَارِ مَقَرٍّ، وَٱلنّاسُ فِيها رَجُلانِ: رَجُلٌ باعَ فِيها[٤] نَفْسَهُ فَأَوْبَقَها[٥]، وَرَجُلٌ ٱبْتاعَ[٦] نَفْسَهُ فَأَعْتَقَها.

(ح ـ ١٣٣) رجال الدنيا:

من طبيعة الدنيا انها (دار ممر) من الحياة إلى الموت (إلى دار مقر) بالاستقرار فيها الى الابد مخلداً، وهذه الطبيعة حقيقة لا ينكرها احد، والناس بالنسبة إلى هذه الحقيقة احد رجلين:

الأوّل: (رجل باع فيها نفسه فأوبقها) والوبق: الهلاك؛ فإنّ الله أكرم بني الانسان، فمن يبيع نفسه للشهوات يصبح اسيراً، وعاقبة الاسر الهلاك.

الثاني: (ورجل ابتاع نفسه فأعتقها) والابتياع: الشراء؛ فإنّ من يشتري نفسه يحررها من ذل العبودية للشهوات وينعم بالحرية.

---

(١) القصص: ٨.
(٢) الاعراف: ١٧٩.
(٣) شرح نهج البلاغة؛ ابن أبي الحديد ١٨: ٢٢٨.
(٤) لم ترد «فيها» في د، وفي هـ. د: باع فيها ـ ب.
(٥) أوبقها: أهلكها.
(٦) هـ. ص: أي اشترىٰ.

وشتان ما بين الرجلين!.

[١٣٤]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

لايَكُونُ ٱلصَّدِيقُ صَدِيقاً حَتّى يَحْفَظَ أَخاهُ فِي ثَلاثٍ: فِي نَكْبَتِهِ[١]، وَغَيْبَتِهِ، وَوَفاتِهِ.

(ح - ١٣٤) **الصديق:**

الصداقة تنبع من الصدق في الاعمال وليس الدعوى بالاقوال، فما اكثر اصدقاء الذبابة يجتمعون عند الحلاء حتّى في الخلاء، ولا يكون لهم ذكر ولا اثر عند الامتحان والبلاء.

وقف أشار الإمام إلى اصول الصداقة التي بها يتميز الصديق من العدو، بقوله:

(لا يكون الصديق صديقا حتّى يحفظ أخاه في ثلاث) والحفظ: القيام بواجبات الصداقه في مقام العمل، هي:

أوّلاً: (في نكبته) وهي المصيبة؛ فإنّ المواساة فيها شرط أساسي يتفرع منه التزامات كثيرة.

ثانياً: (وغيبته) فعند الحضور يتجامل الانسان حتّى مع العدو، وعند الغياب تظهر الحقائق.

ثالثاً: (ووفاته) باعتبار أن الوفاة غياب ابدي تتضح فيه حقيقة الصداقة صدقاً، فما اكثر من ينسى كل سيرة حسنة بعد الوفاة، وما اكثر الامثله لذلك في الحياة.

[١٣٥]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

مَنْ أُعْطِيَ أَرْبَعاً لَمْ يُحْرَمْ أَرْبَعاً: مَنْ أُعْطِيَ ٱلدُّعاءَ لَمْ يُحْرَم ٱلْإِجابَةَ، وَمَنْ أُعْطِيَ ٱلتَّوْبَةَ لَمْ يُحْرَم ٱلْقَبُولَ، وَمَنْ أُعْطِيَ ٱلاسْتِغْفارَ لَمْ يُحْرَم ٱلْمَغْفِرَةَ، وَمَنْ أُعْطِيَ ٱلشُّكْرَ لَمْ يُحْرَم

---

(١) في هـ. ص: «في نكبته» أي يؤسّيه وينصره ويعينه ويخلّصه، «وفي غيبته» يحفظه في من وراءه ووفاته ويقوم ويخلف على أهله وماله.

ٱلزِّيادَةَ.

وَتَصْدِيقُ[١] ذلِكَ فِي كِتابِ ٱللّهِ تَعالى، قالَ فِي ٱلدُّعاءِ: ﴿ٱدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[٢].

وَقالَ فِي ٱلْإِسْتِغْفارِ ﴿ومن يَعْمَلْ سُوءاً أَوْيَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللّهَ يَجِدِٱللّهَ غَفُوراً رَحِيماً﴾[٣].

وَقالَ فِي ٱلشُّكْرِ :﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[٤].

وَقالَ فِي ٱلتَّوْبَةِ: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوءَ بِجَهالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولئِكَ يَتوبُ ٱللّهُ عَلَيْهِمْ وَكانَ ٱللّهُ عَلِيماً حَكِيماً﴾[٥].

(ح - ١٣٥) أربع بأربع:

يستعرض المقطع سلسلة مترابطة في السير إلى الله سبحانه في اربع مراحل، وكل مرحلة منها لها آثارها الخاصة بها في تكامل النفس الانسانية، أشار اليها بقوله: (من أعطي أربعا...).

المرحلة الاولى: الدعاء (من أعطي الدعاء لم يحرم الإجابة)؛ فإنّ الدعاء اول خطوة يتقدم بها العبد نحو الله سبحانه، وبذلك يتكامل نفسيا للاستعداد لمرحلة أعلى.

المرحلة الثانية: التوبة: (ومن أعطي التوبة لم يحرم القبول)؛ فإنّ التوبة من المعاصي والذنوب إلى من وسعت رحمته العالمين فتح باب الرحمة على النفس، والله يقبل التوبة الصادقة، فيتكامل نفسيا لمرحلة أعلى.

المرحلة الثالثة: الاستغفار (ومن أعطي الاستغفار لم يحرم المغفرة) الاستغفار لما هو تقصير سواءً كان معصية أم لا، ولمغفرة: الرحمة الالهيّة الواسعة، فانه لايحرم المستغفر منها، وبذلك يتهيأ للمرحلة الآخرة من تكامل النفس ، وهي:

---

(١) في ط زيادة: «قال الرضي رحمه الله تعالىٰ» وفي هـ. ص: في نسخة الشرح: قال الرضي رضي الله عنه: وتصديق ذلك... الخ، قال في الشرح في بعض الروايات ان ما نسب إلى الرّضي رحمه الله من استنباط هذه المعاني من الكتاب العزيز منسوب الى أمير المؤمنين عليه السلام.

(٢) غافر: ٤٠ / ٦٠.

(٣) النساء : ٤ / ١١٠.

(٤) ابراهيم: ١٤ / ٧.

(٥) النساء : ٤ / ١٧.

المرحلة الرابعة: الشكر (ومن أعطي الشكر لم يحرم الزيادة) كما وعد الله سبحانه ﴿وانّ الله لا يخلف الميعاد﴾.[١]

قال ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في شرح نهج البلاغة، ما نصّه:«في بعض الروايات أن ما نسب إلى الرضي ﷺ من استنباط هذه المعاني من الكتاب العزيز من متن كلام أمير المؤمنين عليه السلام ، وقد سبق القول في كل واحدة من هذه الأربع مستقصى».[٢]

[١٣٦]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

ٱلصَّلاةُ قُرْبانُ كُلِّ تَقِيٍّ[٣]، وَٱلْحَجُّ جِهادُ كُلِّ ضَعِيفٍ، وَلِكُلِّ شَيْءٍ زَكاةٌ، وَزَكاةُ ٱلْبَدَنِ ٱلصِّيامُ[٤]، وَجِهادُ ٱلْمَرْأَةِ حُسْنُ ٱلتَّبَعُّلِ.

(ح ـ ١٣٦) ضروريات الحياة:

تشير هذه الحكمة إلى ضروريات الحياة لكل انسان مسلم واع للمبادي والوسائل والاهداف الاسلامية، بتأمينها شخصيا في الحياة الروحية والاقتصاديّة والاسرية وسردها عليه السلام بقوله:

أوّلاً: (الصلاة قربان كلّ تقي) والمسلم في صلاته يتقرب إلى الله سبحانه في صلة شخصية مباشرة، يدفعه الى ذلك تقوى الله وحده.

ثانياً: (والحج جهاد كلّ ضعيف) باعتباره شعار الاسلام في كلّ عام على الخاص والعام، فمن لم يتمكن من المساهمة في الدفاع عن الاسلام في ساحة المعركة يقوم بدوره في المساهمة بالحج.

ثالثاً: (ولكل شئ زكاة) كما هو مشروح في الفقه الاسلاميّ، واستخدامها في دعم

---

(١) الرعد : ٣١.

(٢) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٨ : ٢٣١.

(٣) في هـ ص : أي يتقرّبون بها ويتوسّلون بها الى نيل حاجاتهم، ومن المخصوصات صلاة الحاجة، وجاء عن النبي ﷺ : «أقرب ما يكون العبد إلى ربّه وهو ساجد».

(٤) في ص: الصوم، وفي هـ. ص: في نسخة: الصيام.

الجانب الاقتصادي في المجتمع الاسلامي.

رابعاً: (وزكاة البدن الصيام) الذي به يتحسس الم الجوع والعطش للمستضعفين، فيكون نموا روحيا وصحة جسميا وتعاطفا اجتماعيا.

خامساً: (وجهاد المرأة حسن التبعل) والبعل: الزوج؛ فإنّ نظام الاسرة لا يتقوم بدون المرأة، فهي التي تدبرها اكثر من غيرها من افراد الاسرة، ومن اجل ذلك خصها بالذكر؛ فإنّ وراء كل رجل امرأة.

وهذه النقاط الخمس تشكل ضروريات الحياة الاساسية لا يستغني منها الا الشاذ النادر، والله على كلّ شئ قادر.

[١٣٧]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

ٱسْتَنْزِلُوا ٱلرِّزْقَ بِالصَّدَقَةِ.

(ح - ١٣٧) الصدقة والرزق:

هذه الحكمة القصيرة تشير إلى اثر الصدقة في زيادة الرزق، وهو ما ينتفع به من الاموال والمتاع، والصدقة ما يعطى من الانفاق في سبيل الله، وانما سميت صدقة لانها تصدق الايمان بالمبادي والوسائل والاهداف الاسلامية.

وقد قال سبحانه: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ في سَبِيلِ ٱلله كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِاْئَةُ حَبَّةٍ﴾ [١] وحيث أن هذه المعادلة الرياضة يكون النتيجة سبعمئة وهذا العدد اشبه ما يكون بنزول المطر من السماء، فاستغار له الإمام قوله: (استنزلوا الرزق بالصدقة).

والسبب في ذلك أن الصدقة تصدق شخصية المتصدق بالالتزام الاسلامي الذي هو معدل الثقة في المجتمع، وكل ما يتصدق به في الواقع يصبح اعلانا عن التزامه اي نجاح

(١) البقرة: ٢٦١.

في اي عمل يتوقف على الثقة، وبتكاثر الصدقة تتكاثر الثقة.

[١٣٨]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

مَنْ أَيْقَنَ بِالْخَلَفِ جادَ بِالْعَطِيَّةِ.

(ح - ١٣٨) **العطية:**

(الخلف: العوض، والعطية: العطاء من دون مقابل).

يشير الإمام إلى من يستحق العطية والواجب الاقتصادي على المسلم لمساعدة المحتاج اليها، وان الله الذي اعطى الشئ يبارك للمعطي بالعوض، قال تعالى:﴿وما تنفقوا من خير يوفّ اليكم وانتم لا تظلمون﴾ [1] ومن أيقن بهذه الحقيقة يجود بالعطية من دون مقابل، لعلمه بأن الله سبحانه يعوض ذلك ويوف له، ولا يخلف الله وعده.

[١٣٩]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

تَنْزِلُ ٱلْمَعُونَةُ عَلى قَدْرِ ٱلْمَؤُونَةِ.

(ح - ١٣٩) **المعونة بقدر الحاجة:**

(المعونة: العون، والمؤونة: ما يدخر من القوت ليوم الشدة).

تشير الحكمة إلى أن العون انما يكون بقدر الحاجة الحقيقية التي تظهر عند الشدة، فيدخر من القوت بسبب ذلك؛ فإنّ المحتاج حقيقة لا تفوته المساعدة من المجتمع الاسلامي المسؤول؛ فإنّ المسلم يشعر بحاجة اخيه المسلم ويقوم بما يتمكن لسد الحاجة، دون من يتظاهر بالحاجة، ومن التظاهر دعوى الحاجة مع صحة الجسم والقدرة على العمل لدفع الحاجة كسلاً، ومن هذا المنطلق تكثر المعونات للمتضررين جسمياً اكثر

---

(١) البقرة: ٢٧٢.

من غيرهم لظهور الحاجة فيهم.

[١٤٠]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

ما عَالَ ٱمْرُؤٌ[(١)] ٱقْتَصَدَ.

(ح - ١٤٠) الاقتصاد:

(العيلة: الفقر، والاقتصاد: الانفاق قدر الحاجة).

تشير الحكمة إلى اهم قاعدة اقتصادية في الحياة، هي التوازن في الدخل والخرج، ويتفرع منها قانون العرض والطلب في المجتمع.

فان من يضبط حسابه اليومي ولا ينفق اكثر مما يحتاج، لا يفتقر في الحياة، وعلى العكس تماما من ينفق اكثر مما يحتاج اليه من الكماليات، فانه يقع في الدين حتّى ينتهي إلى الفقر، بل هو الفقر ولا يشعر به، ودراسة تواريخ الخسران في التجارة تنتهي إلى اهمال هذه القاعدة والاسراف، قال تعالى: ﴿كلوا واشربوا ولا تسرفوا انّه لا يحب المسرفين﴾.[(٢)]

[١٤١]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

قِلَّةُ ٱلْعِيالِ أَحَدُ ٱلْيَسارَيْنِ، وَ[(٣)]ٱلتَّوَدُّدُ نِصْفُ ٱلْعَقْلِ، وَٱلْهَمُّ نِصْفُ ٱلْهَرَمِ.

(ح - ١٤١) قلة العيال:

العول: القيام بامر من يفتقر إلى المعيشة، والعائل: المفتقر إلى ذلك من افراد العائلة الذين يعيشون في بيت واحد، واليسر: السهولة في الغنى.

---

(١) في ص: من، وفي هـ. ص : في نسخة: امرؤ، وفي هـ. د: ما عال من اقتصد ـ ح ب.
(٢) الأعراف : ٣١.
(٣) وردت العبارتين التاليتين في ط بشكل مستقل بالارقام ١٣٨ و ١٣٩.

وتشير الحكمة إلى أن اليسر يسران، احدهما: الغنى بما يفتقر إليه العيال من افراد العائلة الواحدة، وثانيها: قلة من يفتقر منهم.

ورب العائلة الذي يريد اليسر في الحياة لابدّ وان يحقق احد الامرين، اما المال أو قلة العيال.

[١٤٢]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

ٱلتَّوَدُّدُ نِصْفُ ٱلْعَقْلِ، وَٱلْهَمُّ نِصْفُ ٱلْهَرَمِ.

(ح - ١٤٢) التودد:

الود: كثرة الحب، وقد حددت الحكمة التودد بأنه نصف العقل؛ لأنّ الحياة الاجتماعية مبني على الحب الاصيل في التعامل مع الآخرين؛ فإنّ الحب يولد الحب؛ لأنّ لكل فعل رد فعل مشابه، فاذا لا يمكن الحب والود فتكون الدرجة الثانية وهي التودد واظهار الحب والمجاملة، وهذه الخصلة ان لم توجب الحب فانها لا تولّد البغض، وتنفي آثاره السيّئة غالبا، وسواءً كان له اثر في الآخرين أم لا فانه يؤثر في نفسية الإنسان نفسه، فيكون طاهر الضمير وكفى بذلك اثراً.

[١٤٣]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

ٱلْهَمُّ نِصْفُ ٱلْهَرَمِ.

(ح - ١٤٣) الهم:

الهم هو الحزن، ولاي سبب كان ذلك فإنّه يؤثر في نفسية الإنسان، واذا انكسر الإنسان روحياً ظهر ذلك في سلوكه الشخصي بالنسبة إلى نفسه واسرته والمجتمع عامة، ولا يقتصر ذلك على الاثر الروحي، بل يؤثر في الجسم ايضا، فيظهر في ملامح وجهه ونظراته ومواقفه، ويتقدم خطوة خطوة نحو الهدم في اقصى العمر الملازم مع ضعف الشيخوخة،

وما اكثر اسباب الشيوخة المبكرة في الشباب بسبب الهم والغم.

[١٤٤]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

يَنْزِلُ ٱلصَّبْرُ عَلى قَدْرِ ٱلْمُصِيبَةِ، وَمَنْ ضَرَبَ عَلى فَخِذِهِ عِنْدَ مُصِيبَتِهِ حَبِطَ أَجْرُهُ[١].

(ح ـ ١٤٤) **الصبر انضباط:**

يتضمّن الحكمة أن الصبر هو ضبط النفس عن المكروه، فيكون الصبر مقاومة وانضباط ضد النفس، ومقاومة كلّ شيئ يقدّر بحسبه، ولا يجوز التعدي؛ فإنّ التعدي لا يكون مقاومة بل تعديا، والله لا يحب المعتدين.

واشار الإمام إلى أنه يجب أن يتحقق الصبر على قدر المصيبة الواردة ولا يتعداها. وعند مصيبة الموت حدد الله سبحانه ذلك بقوله:﴿الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا إليه راجعون﴾ [٢].

فيجب أن يكون الصبر ـ في الموت ـ بالاسترجاع فقط، وما تعداه لا يكون حبسا للنفس ولا مقاومة، بل انقيادا لهوى النفس، واكد على هذا الانحراف بقوله:

(ومن ضرب يده على فخذه عند مصيبته حبط عمله) والاحباط: سقوط أجر الصابرين الذين وعد الله تعالى بها بقوله:﴿ولنجزين الذين صبروا اجرهم باحسن ما كانوا يعملون﴾.[٣]

واكتفى بهذا المثال عما هو أشدّ، من العادات الجاهلية من الدعاء بالويل والثبور وجز الشعور التي لا تزال معضمها قائمة، ولا يلام على فاعلها لائمة، والعصمة لاهلها.

---

(١) في هـ. د: عمله ـ ب.
(٢) البقرة: ١٥٦.
(٣) النحل : ٢٦.

[١٤٥]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

كَمْ مِنْ صائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيامِهِ إِلَّا ٱلظَّمأُ[١]، وَكَمْ مِنْ قائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِن قِيامِهِ إِلَّا ٱلْعَناءُ[٢]. حَبَّذا نَوْمُ ٱلْأَكْياسِ وَإِفْطارُهُمْ.

(ح - ١٤٥) الاكياس:

الكيس: الفطنة وحسن الفهم، ومن ذلك فهم الاسلام في مبادئه ووسائله واهدافه؛ فإنّ العبادة تعد فارغة من الروح اذا لم يتحقق اهدافها، وقد أشار إلى نوعين من العبادة المقربة إلى الله، هما: الصوم والصلاة، فقد قال الله عن الصوم: ﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [٣]؛ فإنّ الهدف من الصوم التقوى، ولذلك قال عليه السلام:

(كم من صائم ليس له من صيامه الا الجوع والظمأ) وهو العطش الشديد، فيكون عبادة الصوم له عملية شاقة فاقدة لروح العبادة وهي التقوى.

وقال تعالى عن الصلاة :﴿إن الصلاة تنهي عن الفحشاء والمنكر﴾[٤] وهذا هو الهدف من الصلاة، ولذلك قال الإمام:

(وكم من قائم ليس له من قيامه إلّا السهر والعناء) بالصلاة الفاقدة للنيّة المقربة إلى الله في النهي عن ارتكاب الفحشاء والمنكر.

وعن نتيجة هذه المقارنة قال:

(حبذا نوم الأكياس وإفطارهم) وحبذا كلمه مركبة من (حب) و(ذا)، وهي اشارة إلى الحب لما يصدر من الكيّس الفطن للمبادي والوسائل والاهداف الاسلاميّة في كلّ مرافق الحياة ومنها العبادات كالصلاة والصوم، فان النوم افضل من الصلاة الفاقدة لشرائطها والافطار افضل من الصوم الفاقد لشرائطه ومنها النيّة المقربة إلى الله تعالى، وانما الاعمال

---

(١) في ب: «الظمأ والجوع»، وفي ط و د: «إلّا الجوع والظمأ».
(٢) في ط و د: «إلّا السهر والعناء»، وفي هـ. د: من قيامه إلّا العناء ـ م ف ن ل ش.
(٣) البقرة: ١٨٣.
(٤) العنكبوت : ٤٥.

بالنيات.

[١٤٦]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

سُوسُوا[١] إِيمانَكُمْ[٢] بِالصَّدَقَةِ[٣]، وَحَصِّنُوا أَمْوالَكُمْ بِالزَّكاةِ، وَٱدْفَعُوا أَمْواجَ ٱلْبَلاءِ بِالدُّعاءِ.

(ح ـ ١٤٦) السياسة الرشيدة:

يشير الإمام إلى السياسة الرشيدة التي يستخدمها الإنسان المسلم في حياته اليومية، وهي تقوم بالتوازن بين اعمدة ثلاثة هي: العقيدة والاقتصاد والدعاء، فقال:

أوّلاً: (سوسوا إيمانكم بالصدقة) والسياسة: التدبير بالمنهاج اليومي في الحياة، والايمان: العقيدة الاسلامية المبتنية على الكتاب والسنة، ولا يكون ذلك بالعمل الذي يصدقه، ومنها الصدقة على الفقراء، فإنّها تصديق عملي يدل على الايمان.

ثانياً: (وحصنوا أموالكم بالزكاة)؛ فإنّه لا ضمان من الحوادث الطبيعية وغيرها في القضاء على الاموال، والزكاة حق معلوم للسائل والمحروم، فاذا قام صاحب المال باداء ذلك كان ضمانا لها من جانبهم، فلا يعتدي احد منهم عليها؛ لعلمهم بأنّه يقوم بواجبه هذا بالاضافة إلى الحصانة الالهية.

ثالثاً: (وادفعوا أمواج البلاء بالدعاء)؛ فإنّ الدعاء تعبئة روحية يفتقر اليها الإنسان في حياته اليوميّة في مواجهة انواع الامتحانات اليومية التي تتوجه إلى الإنسان كأمواج البحر من جوانب لا يتوقعها، والتعبئة الروحية الداعية إلى ضبط النفس تدفعها، فلا تؤثر في

---

(١) في هـ . ب: سوسوا، أي: احفظوا من السائس، وهو الصحيح.
(٢) في هـ . ص: انما كانت سياسة له واستصلاحاً لأنّه لا يعطي الفقراء لله إلّا من أيقن بالمعاد والجزاء، ولهذا قال الكفّار: ﴿أَنُطْعِمُ من لو يشاء الله أطعمه﴾، فاذا كرر النفقة على هذا الوجه رسخ يقينه، والله أعلم.
(٣) العبارة من هنا ساقطة من ب والظاهر سقوط عدّة أوراق، والموجود في أول الصفحة التالية الّا القوم الخاسرون. وهي من الحكمة (٣٦٨).

حياته الشخصية ويستمر على واجباته ومسؤولياته بروح المقاومة الاسلاميّة العالية.

[١٤٧]

وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ لِكُمَيْلِ بْنِ زِيادٍ ٱلنَّخَعِيِّ رحمه الله(١):

قالَ كُمَيْلُ بْنُ زِيادٍ: أَخَذَ بِيَدِي أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طالِبٍ صلوات الله عَلَيهِ(٢) فَأَخْرَجَنِي إِلَى ٱلْجَبّانِ(٣)، فَلَمّا أَصْحَرَ(٤) تَنَفَّسَ ٱلصُّعَداءَ(٥)، ثُمَّ قالَ:

(ح - ١٤٧) كميل بن زياد النخعي:

(الجبان: المقبرة، واصحر: أي وصل إلى الصحراء، والصعداء: التنفس بشهيق وزفير طويل).

وقد تقدمت ترجمة كميل بن زياد النخعي في الكتاب رقم (٦٠) فراجع.

(ح - ١٤٧ / ١) القلوب اوعية:

يا كُمَيْلُ بْنَ زِيادٍ، إِنَّ هذِهِ ٱلْقُلُوبَ أَوْعِيَةٌ(٦) فَخَيْرُها أَوْعَاهَا(٧)، فَاحْفَظْ عَنِّي ما أَقُولُ لَكَ.

يخاطب الإمام كميل بحقيقة القلب وهو العقل بقوله:

(يا كميل بن زياد: إن هذه القلوب أوعية فخيرها أوعاها . فاحفظ عني ما أقول لك)؛ فإنّ الافكار تختزن في العقل، وتستخدم عند الحاجة اليها في الحياة، وبما انها لا تنحصر الا بالضبط فلا بد من الانتقاء والاختيار، فخير القلوب (اوعاها) للحقائق، وقد امر بحفظ الحقائق التالية:

(ح - ١٤٧ / ٢) اصناف الناس:

---

(١) لم ترد «رحمه الله» في ط.
(٢) في ط: عليه السلام.
(٣) في هـ . ص: هو الجبانة، صحراء البلد.
(٤) في هـ . ص: بلغ الصحراء، وصار ذا صحراء.
(٥) في هـ . ص: هو نفس بمدّ طويل مرفوع.
(٦) في هـ . ص: للعلم.
(٧) هذا حثّ له على التحفّظ.

ٱلنّاسُ ثَلاثَةٌ[١]: فَعالِمٌ رَبّانِيٌّ[٢]، وَمُتَعَلِّمٌ عَلى سَبِيلِ نَجاةٍ[٣]، وَهَمَجٌ رَعَاعٌ، أَتْباعُ كُلِّ ناعِقٍ يَمِيلُونَ مَعَ كُلِّ رِيحٍ، لَمْ يَسْتَضِيئُوا بِنُورِ ٱلْعِلْمِ، وَلَمْ يَلْجَئُوا إِلى رُكْنٍ وَثِيقٍ.

والحقيقة الاولى: أن الناس على طبقات مخلتفة يختلفون قلة وكثرة، واهم الطبقات التي يتكون منها المجتمع هي ثلاث (الناس ثلاثة):

أوّلاً: (فعالم رباني) له رؤية واضحة للمبادي والوسائل والاهداف الاسلامية القائمة على حكم رب العالمين، المستخرج من القرآن الكريم والسنّة النبوية المطهرة، وعلم هذا يغني عن وصفه، لانه يتحرك على الرؤية الواضحة.

ثانياً: (ومتعلم على سبيل نجاة) وهو الذي يطلب العلم من منابعه الاصيلة، ويكفى في وصفه بانه سائر على سبيل النجاة، ومن سار على الدرب وصل.

ثالثاً: (وهمج) وهم من ليس له العلم ولا هو متعلم، بل يعيش في الحياة لمأكله ومشربه، فهؤلاء هم الذين يفتقرون إلى توصيفهم بما يحدد المسؤوليات تجاههم، فقال:

١ ـ (رعاع) العوام الاحداث في العمر من لا تجربة لهم في الحياة الثقافية.

٢ ـ (أتباع كلّ ناعق) بسبب فقدان الثقافة والتجربة.

٣ ـ(يميلون مع كلّ ريح) فيتاثرون باية دعاية من داعية حق أو باطل حسب الاهواء.

٤ ـ (لم يستضيئوا بنور العلم) لفقدان الثقافة التي توجههم الى الصراط المستقيم.

٥ ـ (ولم يلجأوا إلى ركن وثيق) من قيادة ثقة يتخذ القرارات الصائبة لصالحهم.

(ح - ١٤٧ / ٣) العلم خير:

يا كُمَيْلُ، ٱلْعِلْمُ خَيْرٌ مِنَ ٱلْمالِ، ٱلْعِلْمُ يَحْرُسُكَ، وَأَنْتَ تَحْرُسُ ٱلْمالَ، وَٱلْمالُ تَنْقُصُهُ ٱلنَّفَقَةُ، وَٱلْعِلْمُ يَزْكُو عَلَى ٱلْإِنْفاقِ، وَصَنِيعُ الْمالِ يَزُولُ بِزَوالِهِ.

وعن الحقيقة الثانية قال:

---

(١) في هـ. ص: هذا تقسيم صحيح مستغرق لأقسام الناس.

(٢) في هـ. ص: عالم ربّاني، هو الذي يربّ العلم فيوضح أدلّته وينفي الشبه عنه .

(٣) في د: النجاة، وفي هـ. د: نجاة ـ ص ح ب، وفي هـ. ص: أي تابع لأهل الحق، فهو ناج لعلمه بالحق، وهذا القسم هو المعني بقول القاسم: مقلّد الحق ناج، فلابد من أن تعرفوا أهل الحق حتى تبايعوا.

(يا كميل العلم خير من المال) أن العامة يرون أن المال خير من العلم، وأشار الإمام إلى السبب في الدعوى هذه بقوله:

أوّلاً: ـ (والعلم يحرسك وأنت تحرس المال) ولا يمكن المحافظة على مال بدون حراسة ظاهرة أو سرية، والحراسة نفسها لاضمان فيها من عدم الخيانة فيها، ولكن العلم لا يحتاج إلى حراسة، بل هو الذي يحرس المال من الضياع باستخدامه فيما ينفع .

ثانياً: (المال تنقصه النفقة) فيقدر ما ينفق من المال ينقص، ولا يمكن للمال أن ينمو بنفسه إلّا بالاستثمار.

ثالثاً: (والعلم يزكوا على الانفاق) والزكاة: النمو، ففى البحث في العلوم تزداد آفاق المعرفة، وتظهر حقائق جديدة لم تكن معروفة قبل البحث والدراسة.

رابعاً: (وصنيع المال يزول بزواله) فكلما يستخدم المال في سبيله لا يدوم؛ لأنّه امر مادي، وكل امر مادي ينتهي إلى الزوال كالمال نفسه.

(ح - ١٤٧ / ٤) **معرفة العلم:**

يا كُمَيْلُ بْنَ زِيادٍ، مَعْرِفَةُ ٱلْعِلْمِ دِينٌ يُدانُ بِهِ[1]، بِهِ يَكْسِبُ ٱلْإِنْسانُ ٱلطّاعَةَ فِي حَياتِهِ، وَجَمِيلَ ٱلْأُحْدُوثَةِ بَعْدَ وَفاتِهِ، وَٱلْعِلْمُ حاكِمٌ وَٱلْمالُ مَحْكُومٌ عَلَيْهِ.

وعن الحقيقة الثالثة قال:

ـ (يا كميل العلم دين يدان به) حيث حث القرآن الكريم عليه من اكر مرابه وجعله معرفة الحق بقوله: ﴿وليعلم الذين اتوا العلم انّه الحق من ربك﴾.[2] وسرد الاسباب الداعية إلى ذلك بقوله:

أوّلاً: (به يكسب الإنسان الطاعة في حياته) قطبع الله سبحانه عن معرفة وعلم ورؤية واضحة .

ثانياً: (وجميل الأحدوثة بعد وفاته) حيث يخلد في التاريخ بالالتزام بالثوابت.

ثالثاً: (والعلم حاكم والمال محكوم عليه) فلا يكون للعلم الفضل إلّا العلم الذي يحكم

---

(١) في هـ. د: يدان الله به ـ م ن.

(٢) الحج : ٥٤.

على كل شئ، ومنها المال.

(ح - ١٤٧ / ٥) **العلماء:**

يا كُمَيْلُ بْنَ زِيادٍ، هَلَكَ خُزّانُ ٱلْأَمْوالِ وَهُمْ أَحْياءٌ وَٱلْعُلَماءُ باقُونَ ما بَقِيَ ٱلدَّهْرُ، أَعْيانُهُم مَفْقُودَةٌ، وَأَمْثالُهُم فِي ٱلْقُلُوبِ مَوْجُودَةٌ.

وعن الحقيقة الرابعة قال:

(يا كميل هلك خزان الأموال وهم أحياء) لانهم انما يخزنون ما هو هالك ظنا منهم بأنه يوجب حياتهم، وغفلة عن أن الحياة لا تتوقف على الخزن، وانما الخزن في نفسه هم يقصّر الحياة.

(والعلماء باقون ما بقي الدهر)؛ فإنّ الخلود في الحضارات البائدة ليست لاصحاب الاموال والتجار، وما كان اكثرهم في الماضي والحاضر، وانما الخلود لاصحاب العلم في كلّ حضارة تعرف عنهم باثارهم، ولا يعرف عن اموال التجار في الاسواق إلّا النزر القليل، وحتى هذا القليل يعرف بسبب العلماء الذين دونوها. ثم أشار إلى اثرين ظاهرين للعلماء بقوله:

أوّلاً: (أعيانهم مفقودة) بالموت الذي لا يرحم احداً.

ثانياً: (وأمثالهم في القلوب موجودة) بوجود حكمهم المتوارثة جيلا بعد جيل، والتي لا تعرف حدوداً اقليميّة في المكان ولا حدود زمينة في التاريخ.

(ح - ١٤٧ / ٦) **طلاب العلم:**

ها إِنَّ هاهُنا لَعِلْماً جَمًّا ـ وَأَشارَ عَلَيْه ٱلسَّلام بِيَدِهِ إِلى[١] صَدْرِهِ ـ لَوْ أَصَبْتُ لَهُ حَمَلَةً[٢]! بَلَى[٣] أُصِيبُ[٤] لَقِناً غَيْرَ مَأْمُونٍ عَلَيْهِ، مُسْتَعْمِلاً آلَةَ ٱلدِّينِ لِلدُّنْيا، وَ[٥]مُسْتَظْهِراً بِنِعَمِ ٱللّهِ

---

(١) في أ: وأشار إلىٰ.
(٢) في هـ . ص: قوله: «لو أصبت له حملة» يحتمل أن تكون «لو» شرطية، وجوابها ما دل عليه الكلام السابق، ويحتمل أن تكون «لو» مصدرية للتمنّي.
(٣) في هـ . ص: الايجاب للنفي المعهود من الكلام الأوّل.
(٤) في هـ . د: أصبت ـ ض ب.
(٥) لم ترد «و» في ص.

عَلى عِبادِهِ، وَبِحُجَجِهِ عَلى أَوْلِيائِهِ؛ أَوْ مُنْقاداً[١] لِحَمَلَةِ[٢] ٱلْحَقِّ لا بَصِيرَةَ لَهُ فِي أَحْنائِهِ[٣]؛ يَنقَدِحُ ٱلشَّكُّ فِي قَلْبِهِ لِأَوَّلِ عارِضٍ مِنْ[٤] شُبْهَةٍ. أَلا لا ذا وَلا ذاكَ[٥]؛ أَوْ مَنْهُوماً بِاللَّذَّةِ سَلِسَ ٱلْقِيادِ لِلشَّهْوَةِ[٦]، أَوْ مُغْرَماً بِالْجَمْعِ وَٱلْادِّخارِ، لَيْسا مِنْ رُعاةِ ٱلدِّينِ فِي شَيْءٍ، أَقْرَبُ شَيْءٍ شَبَهاً بِهِمَا ٱلْأَنْعامُ[٧] ٱلسائِمَةُ، كَذلِكَ يَمُوتُ ٱلْعِلْمُ بِمَوْتِ حامِلِيهِ[٨].

وعن الحقيقة الخامسة قال مقدمة:

(ها، إن ههنا لعلما جما ـ وأشار إلى صدره ـ لو أصبت له حملة) والحامل، طالب العلم الذي ينتفع بهذا العلم؛ فإنّ التجربة التي عاشها الإمام منذ فجر الرسالة الاسلامية في مكة وخلال السيرة النبوية وما يقربها من الخلفاء قبله وإلى عصره، لتجربة كافية لمعرفة الحقائق التي رافقت تاريخ الاسلام منذ البداية حتى عصره.

والجيل الذي يعيش في عصره بعيد عن هذه الحقائق ؛ لانهم يعيشون في فترة زمينة متأخرة، وفي الكوفة التي هي مدينة متأخرة عن مسرح الاحداث الاسلامية الاولى في التاريخ الاسلامي، وهذه الامور كلها تجعل الجيل الذي عاصر الإمام في الكوفة بعيداً عن الانتفاع بهذه التجربة الطويلة.

ثم صنف طلاب العلم إلى طوائف ووصفهم بما يكشف عن عدم استعدادهم لتحمل علومه فقال:

---

(١) في هـ. أ: في نسخة: متقلّداً.
(٢) في ص: لجملة.
(٣) في هـ. ص: أي اعطافه، وتفاصيله وغوامضه.
(٤) في هـ. د: لم ترد «من» في ف.
(٥) في هـ. ص: «ذاك» اشارة الى القسم الأول، و «ذا» إشارة الى الثاني، والخبر محذوف، أي أهل أو صالح.
(٦) في هـ. ص: أي همّه ما تدعو إليه شهوة بطنه وفرجه، وبشارته وتنعّمه، والمغرم بالجمع والادخار، حاله حال الذي قبله، في ان همّهما طلب الدنيا والإعراض عن العلم، وان كان أحدهما ينفق المال في اللّذات، والآخر يبخل به حتىٰ على نفسه.
(٧) في هـ. ص: وذلك لأن الأنعام لا همَّ لها إلّا الأكل وطلب الأعلاف، فمن كان همّه لمّ الأموال فهو شبيهها.
(٨) في هـ. ص: أي كما أموت وأنا منطوٍ على علمي لم يأخذه عني أحد فيموت علمي بموتي، يموت علم كل ذي علم بموته.

الأوّل: اللقن (بلى أصبت لقنا) وهو السريع الفهم ولكن فيه من الصفات:

١ ـ (غير مأمون عليه) فما الفائدة فيمن يفهم ولا يعتمد عليه؟

٢ ـ (مستعملا آلة الدين للدنيا) ولسرعة فهمه يستخدم الدين غطاء للمصالح الدنيوية من المنافع الشخصية أو القبلية، وفي ذلك انحراف عن الاسلام في اهدافه.

٣ ـ(ومستظهرا بنعم الله على عباده) والاستظهار: هو الغلبة على الامرين بالفخر والمباهات، وليس لتحقيق الاهداف التي هي تثقيف الناس بالثقافة الاسلاميّة.

٤ ـ (وبحججه على أوليائه) وهي الاستظهار بالحجة لمقابلة اولياء الله وليس لمقابلة اعداء الله.

الثاني: المنقاد (أو منقادا لحملة الحق) والانقياد: التقليد لاهل الحق، ولكن فيه الصفات التالية:

١ ـ (لا بصيرة له في أحنائه) والاحناء: النواحي، وهي الاساس الذي يستند الحق إليه من الدليل ؛ لكونه مقلداً منقاداً، ونتيجة التقليد الاعمى للاخرين ـ وان كانوا على حق ـ ان:

٢ ـ (ينقدح الشك في قلبه لأول عارض من شبهة) سواءً من القاء الشيطان الجن أو الانس، فينموا الشك فيه حتى ينقلب عن موقفه. وهذا ذم صريح للتقليد الاعمى الذي يعيش فيه اغلب مجمعنا الحاضر، والى نتيجة هذا الشك أشار بقوله:

٣ ـ(ألا، لا ذا ولا ذاك)؛ فإنّ المقلد بعد الشك يصبح لا عالماً لفقدانه العلم، ولا طالبا للعلم؛ لمكان الشبهة.

الثالث: المنهوم (أو منهوما باللذة) والنهم: الشهوة في الشيءالى حد الافراط، والتضحية بكلّ شيء في سبيل الحصول عليه من الجاه والمال والطعام؛ فإنّ اللذة التي يحصل عليها هو هدفه في الحياة، وليس العلم للعلم أو الدين، ومن الطبيعي أن يكون المنهم هذا:

(سلس القياد للشهوة) فينقاد حسبما تقوده شهواته النفسية للامور المادية والماديات مستخدما العلم في سبيل الحصول على شهواته من المال والجاه والجنس والطعام، كلّ حسب ميوله وشهواته.

الرابع: المغرم (أو مغرما بالجمع والادخار) فيكون ولعه وهمه مال الدنيا، ويكون العلم وسيلة للوصول الى هذه الغاية فقط.

وقد ذكر الإمام هاتين الطائفتين الآخيرتين (الثالث والرابع) بوصف جامع لهما بقوله:

(ليسا من رعاة الدين في شئ)؛ فإنّ الانقياد للشهوات والولع بالمادّة والماديات ليس من الاسلام، بل جاء الدين لتحرير العقول من عبادة المادة والماديات والعناوين الخيالية في اصولها وانواعها واقسامها، فلا لقاة بينها وبين الدين في شئ من الاصول والفروع.

(أقرب شئ شبها بهما الأنعام السائمة)؛ فإنّ المنهوم للشهوة لا يرى لأيّ شئ قيمة سوى شهواته الحيوانية والجنسية كالبهيمة التي همها علفها، والمغرم بجمع المال والجواهر والادخار مثله، لا همّ له سوى ما يرضي نفسه في الحال، من دون نظرة إلى نتائج الاعمال في المستقبل، وهذا شأن الحيوانات من الانعام الغنم والبقر والابل حيث لا ترى شيئا سوى ما يؤمّن حاجة بطنها وفرجها في يومها تأمينا لشهواتها من دون تفكير لمستقبلها ولا مصدر ما تتقوت منها، والله اكرم الإنسان بالعقل وميزه عن غيره من الحيوانات. وهذان الطابعان من طلاب العلم يجمّدان العقل في استخدام العلم للاهداف الحيوانية ونكران الانسانية.

النتيجة الحتمية.

وأشار إلى النتيجة الحتمية من هذه الاصناف الاربعة من طلاب العلم بقوله:

(كذلك يموت العلم بموت حامليه)؛ فإنّ هؤلاء الاصناف ليسوا من طلاب العلم للعلم والدين، بل هم طلاب اشياء اخر تحت غطاء العلم، فلا يكون للعلم طالب، فيموت، والمجتمع الذي يموت فيه العلم ليس مجتمعاً انسانيا، بل هو مجتمع الحيوانات، اعاذنا الله منه.

(ح - ١٤٧ / ٨) حجة الله:

اَللَّهُمَّ بَلى، لاتَخْلُو اَلْأَرْضُ مِنْ قائِم لِلّهِ بِحُجَّةٍ: إمّا ظاهِراً مَشْهُوراً[1]، وَإمّا خائِفاً

---

(١) في هـ. ص: هو من كان على مثل حاله حين قيامه بأمور الامامة.

مَغْمُوراً[١]، لِئَلّا تَبْطُلَ حُجَجُ ٱللّٰهِ وَبَيِّناتُهُ.

وَكَمْ[٢] ذا، وَأَيْنَ[٣] أُوْلَئِكَ[٤]؟ أُوْلئِكَ ـ وَٱللّٰهِ ـ ٱلْأَقَلُّونَ عَدَداً، وَٱلْأَعْظَمُونَ[٥] قَدْراً، بِهِمْ[٦] يَحْفَظُ ٱللّٰهُ حُجَجَهُ، وَبَيِّناتِهِ[٧] حَتّى يُودِعُوها نُظَراءَهُمْ، وَيَزْرَعُوها فِي قُلُوبِ أَشْباهِهِمْ[٨]. هَجَمَ بِهِمُ ٱلْعِلْمُ عَلى حَقِيقَةِ ٱلْبَصِيرَةِ[٩]، وَباشَرُوا رَوْحَ ٱلْيَقِينِ، وَٱسْتَلانُوا مَا ٱسْتَوْعَرَهُ[١٠] ٱلْمُتْرَفُونَ، وَأَنِسُوا بِمَاٱسْتَوْحَشَ مِنْهُ ٱلْجاهِلُونَ[١١]، وَصَحِبُوا ٱلدُّنْيا[١٢] بِأَبْدانٍ أَرْواحُها مُعَلَّقَةٌ بِالْمَحَلِّ ٱلْأَعْلى، أُوْلئِكَ خُلَفاءُ ٱللّٰهِ[١٣] فِي أَرْضِهِ، وَٱلدُّعاةُ إِلى دِينِهِ[١٤]، آهِ آهِ شَوْقاً إِلى رُؤْيَتِهِمْ!

ٱنْصَرِفْ[١٥] إِذا شِئْتَ.

اشار في هذا المقطع إلى أن فقدان طلبة العلم للدين والعلم، لا يستلزم فقدان الحجة على الارض، فإنّ الله سبحانه لا يترك الناس سدى، ومن أجل ذلك ارسل الانبياء والرسل حجة على الخلق، وكان الاوصياء في الخلافة دعاةً للحق كما هو مشروح في علم الكلام بقاعدة اللطف العام من ذي الجلال والاكرام على جميع الانام، فقال عليه السلام:

(١) في هـ . ص: هو من كان على مثل حاله في زمن من تقدّم عليه، فلقد كان يجهله أكثر الناس، وزاد أولاده خفاء خوفهم وفرارهم من الناس.
(٢) في هـ . ص: تعجب من قلّتهم.
(٣) في هـ . ص: استبعد وجدانهم نظراً إلى قلّتهم لأنّهم يجرون القليل مجرى العدم.
(٤) لم ترد «اولئك» في ط.
(٥) في ط زيادة: عند الله.
(٦) لم ترد بهم في أ وفي ط: يحفظ الله بهم.
(٧) في هـ . د: يحفظ الله حججه وبيناته بهم ـ ف ن، يحفظ الله حججه وبيّناته ـ م، بهم يحفظ الله حججه ـ ل.
(٨) في ط: أشباههم.
(٩) في هـ . ص: أي أوصلهم العلم الصحيح إلى البصيرة النافذة، وروح اليقين: برده وثلجه.
(١٠) في هـ . ص: من تحمل المشاق في مباينة الظالمين ورضوا بالبلاء ورفضوا النعماء.
(١١) في هـ . ص: أي من العلوم والأفعال مما نفر عنه الجاهلون ونسبوه باعتماده إلى البدعة.
(١٢) في هـ . ص: قوله: «وصحبوا الدنيا...الخ» هذا اللفظ قد استعمله في وصف المصطفين كثيراً، ومعناه ان أرواحهم وهممهم وفكرهم فيما عند الله.
(١٣) في هـ . ص: أي الذين استخلفهم من أنبيائه لما رفع الوحي.
(١٤) في هـ . ص: أي ينتهون إلى اقامته كما دعت الأنبياء إلى شرعه.
(١٥) في ط . د زيادة: ياكميل.

٢ ـ (اللهم بلى) مستدركاً على الاصناف الاربعة من حملة العلم الذين هم لا يطلبون العلم للدين، بل للدنيا.

٣ ـ(لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة) يكون سائراً على خطى الأنبياء والرسل في الدعوة إلى الدين واحياء علوم سيد المرسلين.

٣ ـ(إما ظاهرا مشهورا) ويعني به نفسه في عصره، حيث انتهت اليه الخلافة بالشورى، فكان ظاهرا بخلافته ومشهوراً بعلمه وشخصه.

٤ ـ (أو خائفا مغمورا) والغمر: الخفاء خوفا من الحكم الظالم الذي يحاول التعتيم على شخصيته بالدعايات ضدّه.

وعن السبب في الحكمة في هذه الارادة الالٰهيّة قال:

٥ ـ (لئلا تبطل حجج الله وبيناته)؛ فإنّ الهدف من الحجة سواءً في الانبياء والرسل أو الخلفاء والاوصياء هو بيان الحجج الداعية إلى طريق الله، بأيّة وسيلة ممكنة، حيث الظروف والاحوال، فاذا لا يتسنى ذلك في الظاهر فلابد وأن يكون بأي طريق اخر ممكن، حيث انّه ليس الهدف شخصياً، بل الهدف استمرار الفكرة حسب المستطاع، وعلى هذه كانت سيرة النبيّ الاعظمﷺ في الدعوة سراً في مكة، ثمّ اعلانها، وعلى سيرته سائر اهل البيت في حياتهم حتّى مماتهم مسترخصين كل شئ في سبيل الله.

ثم أشار إلى ندرة هذه الطبقة من حجج الله بقوله:

٦ ـ (وكم ذا وأين أولئك؟) فإنّ ندرة هؤلاء تدعوا إلى التساؤل عن عددهم واماكن وجودهم، وطبيعة الخوف والستر يدعوا إلى اخفاء ذلك عدداً ومكانا حتّى لا يصبحوا هدفا للاستئصال من قبل أعدائهم، ولكن اوصافهم تدل على شخصياتهم، فهم:

(ح - ١٤٧/٩) صفات الحجج:

وقد سرد اوصاف الحجج بما يعرف اشخاصهم لمن يتامل فيها، فقال:

١ ـ (أولئك ـ والله ـ الأقلون عددا)؛ فإنّ المسؤوليات الكبار لا بتحملها إلّا القليل من الناس ذوي الرؤية الواضحة في الحياة من حيث المبادي والوسائل والاهداف.

٢ ـ (والأعظمون قدرا) لعظم المسؤولية التي يتحملونها في توجيه المجتمع إلى

الثوابت الاسلاميّة رغم التعتيم الشامل من الاعداء.

٣ ـ(يحفظ الله بهم حججه وبيناته) فهم يحافظون على المبادي في حياتهم العملية وسلوكهم العام بالتحصن بالعلم والمعرفة ضد الانحراف الفكري في المجتمع .

٤ ـ (حتى يودعوها نظراءهم) من الحجج الاسلامية والبيانات الالٰهيّة في التفسير والتأليف، فتكون وديعة عند من يستأهلها من المتهدين والمؤمنين بالاهداف الاسلامية.

٥ ـ (ويزرعوها في قلوب أشباههم) بالدرس والوعظ والارشاد لمن يجدونه سائراً على خطى الاسلام وسالكا على سيرة رسول الله ﷺ في الحياة.

٦ ـ (هجم بهم العلم على حقيقة البصيرة)؛ فإنّ حبهم للعلم الحقيقي ليس حالة عابرة فريدة، بل حالة غامرة لحياتهم كلها برؤية واضحة لما يتطلب العلم الحقيقي وما في سبيله من الاشواك والمعوّقات.

٧ ـ (وباشروا روح اليقين) بأن وفقوا على زلال منابع العلم والمعرفة بتجاوز علم اليقين إلى عين اليقين بالمباشرة، وليس بالنظريات المجردة.

٨ ـ (واستلانوا ما استوعره المترفون) والوعر: الخشن؛ فإنّ حجج الله يستسهلون كلّ صعب في الحياة، فتكون المواقف الوعرة لهم لينة بارادتهم القاطعة على النقيض من اصحاب الترف المتنعمين في الحياة، اللذين لا يتمكنون من الحياة الوعرة.

٩ ـ (وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون)؛ فإنّ الجاهل لا يريد التعب في سبيل العلم ولا بأنس إلّا بالملذات الدنياوية، وحجج الله على نقيض ذلك فهم يتتأنسون بذلك لان رضاهم رضا الله وليس رضا انفسهم.

١٠ ـ (وصحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمحل الأعلى)؛ فإنّ هؤلاء الحجج لله على الارض يعيشون في الدنيا بابدانهم الجسمية، ولكن ارواحهم ليست منطبعة للابدان بل هي ارواح منطبعة للمحل القدس الاعلى، من الجسم والمادّة والماديات، وهي محل التجرد المطلق وفناء الذات في سبيل الله.

فان هذه الاوصاف العشر لا يتمتّع بها إلّا النادر من البشر الذي يكون حجة لله على الآخرين. وختم هذه الصفات بصفتين لهم بقوله:

أوّلاً: (أولئك خلفاء الله في أرضه) لانهم جسدوا ارادة الله في حياتهم، ووهبوه انفسهم.

ثانياً: (والدعاة إلى دينه) وهذا ما يستدل به الآخرون على الدعوة الصادقة إلى دين الله في المباديً والوسائل والاهداف.

ثم ختم المقطع مشيراً إلى قلة هؤلاء وندرتهم بقوله:

(آه آه، شوقا إلى رؤيتهم!) لقلتهم عدداً وندرتهم وصفاً في كلّ عصر وزمان .

(انصرف إذا شئت) فانه ليس بعد التوجع من قلة هولاء أي كلام في المقام.

[١٤٨]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

ٱلْمَرْءُ مَخْبُوءٌ تَحْتَ لِسانِهِ[١].

(ح - ١٤٨) **اللسان ترجمان:**

الخباء: الستر، وكل انسان في الحياة لا يعرف الا حينما يتكلم، فيكتشف شخصيته من خلال كلامه وبسبب لسانه؛ فإنّ كان تاجراً يتكلم بمنطق التجار في اي حديث يخوضه ويقوم بتعيين الامور الشرعية من هذا المنطلق، ومن كان شاعراً لا يرى للاشياء الا قيمة الادب، ومن كان موسيقيا يسمع الاصوات ونغماتها ويقيس كلّ شئ عليها.

وليس المقياس لمعرفة أي انسان معرفة حقيقة الا عند ما يتكلم، ومن خلال استخدام المفردات والاستعارات يمكن الوقوف على شخصيته الحقيقية.

[١٤٩]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

هَلَكَ ٱمْرُؤٌ لَمْ يَعْرِفْ قَدْرَهُ[٢].

---

(١) في هـ . ص: قال في الشرح: قد تكرر هذا المعنى مراراً، فأما هذه اللفظة فلا نظير لها في الايجاز والدلالة على المقصود، وهي من ألفاظه عليه السلام المعدودة. ووردت هذه العبارة في أ و د قبل الكلمة السابقة.

(٢) في هـ . ص: قال في الشرح: هذه الكلمة من كلماته المعدودة عليه السلام .

(ح ـ ١٤٩) **منزلة الانسان:**

القدر: المنزلة والرتبة، ولكل انسان منزلة خاصة به، اكتسبها بسعيه وتربيته في المحيط الذي عاش فيه، ويجب أن تعرف هذه المنزلة؛ لانها حد لا يجوز تجاوزه، فاذا تجاوزه لم يحصل على النتيجة التي يتواخاها، وهو الهلاك؛ فإنّ الصبي الذي يتصرف تصرف الشيوخ أو الشيخ الذي يتصابى يجعل نفسه سخرة للاخرين، وهو الهلاك المبين.

[١٥٠]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ: لِرَجُلٍ سَأَلَهُ أَنْ يَعِظَهُ:

لاتَكُنْ مِمَّنْ يَرْجُو ٱلْآخِرَةَ بِغَيْرِ الْعَمَلِ[١]، وَيُرَجِّي ٱلتَّوْبَةَ بِطُولِ ٱلْأَمَلِ[٢]، يَقُولُ فِي ٱلدُّنْيا بِقَوْلِ ٱلزّاهِدِينَ، وَيَعْمَلُ فِيها بِعَمَلِ ٱلرّاغِبِينَ[٣]، إِنْ أُعْطِيَ مِنْها لَمْ يَشْبَعْ[٤]، وَإِنْ مُنِعَ[٥] مِنْها لَمْ يَقْنَعْ[٦]، يَعْجِزُ عَنْ شُكْرِ ما أُوتِيَ[٧]، وَيَبْتَغِي ٱلزِّيادَةَ فِيما بَقِيَ، يَنْهى وَلا يَنْتَهِي، وَيَأْمُرُ بِما لايَأْتِي[٨]، يُحِبُّ ٱلصّالِحِينَ وَلا يَعْمَلُ عَمَلَهُمْ، وَيُبْغِضُ ٱلْمُذْنِبِينَ وَهُوَ أَحَدُهُمْ، يَكْرَهُ ٱلْمَوْتَ لِكَثْرَةِ ذُنُوبِهِ، وَيُقِيمُ عَلى مايَكْرَهُ ٱلْمَوْتَ لَهُ[٩]، إِنْ سَقِمَ ظَلَّ نادِماً[١٠]، وَإِنْ صَحَّ أَمِنَ لاهِياً، يُعْجِبُ بِنَفْسِهِ إِذا عُوفِيَ وَيَقْنَطُ إِذَا ٱبْتُلِيَ، إِنْ أَصابَهُ بَلاءٌ دَعا مُضْطَرّاً، وَإِنْ نالَهُ رَخاءٌ أَعْرَضَ مُغْتَرّاً، تَغْلِبُهُ نَفْسُهُ عَلى ما يَظُنُّ وَلا يَغْلِبُها عَلى ما

---

(١) في هـ. ص: هذا نهي عن التقصير في العمل والتمنّي على الله عزّوجلّ.
(٢) في هـ. ص: نهى عن تأخير التوبة أملاً بطول العمر.
(٣) في هـ. ص: نهى عن تحقير الدنيا بالقول دون الفعل، وترى علىٰ هـذه الطـريقة كـثيراً مـمّن يعظ ويتكلّم بالحكمة على زعمه، فما كان أعلمه عليه السلام بما يكون من طرائق الناس بعده؟.
(٤) في هـ. ص: وذلك لأن جبلّة الإنسان طلب الزيادة، وإنّما يقهر النفس باليقين.
(٥) في هـ. د: متع ـ ب.
(٦) في هـ. ص: كذلك طبيعة النفس وإنّما يقهرها اليقين.
(٧) في هـ. ص: أي يقصّر في الأفعال والأقوال التي هي شكر، كما قال تعالىٰ: ﴿اعملوا آل داود شكراً﴾، ﴿لئن شكرتم لأزيدنّكم﴾.
(٨) في هـ. د: ويأمر الناس بما لم يأت ـ ح، وفي هـ. ص: أي بما لا يفعل.
(٩) وهو الذنب، وفي هـ. د: من أجله ـ ح.
(١٠) يندم على ما فرّط في أيّام الصحّة، فإذا عادت له الصحة التهىٰ.

يَسْتَيْقِنُ[١]، يَخافُ عَلى غَيْرِهِ بِأَدْنى مِنْ ذَنْبِهِ، وَيَرْجُو لِنَفْسِهِ بِأَكْثَرَ مِنْ عَمَلِهِ، إِنِ ٱسْتَغْنى بَطِرَ وَفُتِنَ[٢]، وَإِنِ ٱفْتَقَرَ قَنَطَ[٣] وَوَهَنَ[٤]، يُقَصِّرُ إِذا عَمِلَ، وَيُبالِغُ إِذا سَأَلَ، إِنْ[٥] عَرَضَتْ لَهُ شَهْوَةٌ أَسْلَفَ ٱلْمَعْصِيَةَ وَسَوَّفَ ٱلتَّوْبَةَ[٦]، وَإِنْ عَرَتْهُ[٧] مِحْنَةٌ ٱنفَرَجَ عَنْ شَرائِطِ ٱلْمِلَّةِ[٨]، يَصِفُ ٱلْعِبْرَةَ وَلا يَعْتَبِرُ[٩]، وَيُبالِغُ فِي ٱلْمَوْعِظَةِ وَلا يَتَّعِظُ، فَهُوَ بِالْقَوْلِ مُدِلٌّ[١٠]، وَمِنَ ٱلْعَمَلِ مُقِلٌّ، يُنافِسُ فِيما يَفْنى[١١]، وَيُسامِحُ فِيما يَبْقى[١٢]، يَرَى ٱلْغُنْمَ مَغْرَماً[١٣]، وَٱلْغُرْمَ مَغْنَماً[١٤]، يَخْشَى ٱلْمَوْتَ، وَلا يُبادِرُ ٱلْفَوْتَ[١٥]، يَسْتَعْظِمُ مِنْ مَعْصِيَةِ غَيْرِهِ ما يَسْتَقِلُّ أَكْثَرَ مِنْهُ مِنْ نَفْسِهِ، وَيَسْتَكْثِرُ مِنْ طاعَتِهِ ما يَحْقِرُهُ[١٦] مِنْ طاعَةِ غَيْرِهِ، فَهُوَ عَلَى ٱلنّاسِ طاعِنٌ، وَلِنَفْسِهِ مُداهِنٌ.

ٱللَّغْوُ[١٧] مَعَ ٱلْأَغْنِياءِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ ٱلذِّكْرِ مَعَ ٱلْفُقَراءِ. يَحْكُمُ عَلى غَيْرِهِ لِنَفْسِهِ، وَلا

---

(١) في هـ. ص: أي تحمله نفسه على طلب الدنيا ومشتهياتها ويقطعه ذلك عن طلب الآخرة، مع أنّ ذلك المطلوب مظنون لا وثوق بحصوله ولا يغلبها، ويكلفها طلب الآخرة التي من سعىٰ لها سعيها نالها قطعاً.
(٢) بطر: أي اغتر بالنعمة، والغرور فتنة.
(٣) في هـ. ص: بفتح العين «يقنط» بكسرها، وفيه لغة أُخرىٰ: «قنِط» بكسر العين «يقنَط» بفتحها، ومعناه: ييئس، انتهى من الشرح.
(٤) في هـ. ب: ضعف.
(٥) في ص: إذا.
(٦) أسلف: قدم، وسوّف: أخّر.
(٧) في هـ. ص: أي غشيته ونابته.
(٨) في هـ. ص: أي خرج عن قانون الدين بالجزع والسخط.
(٩) العبرة ـ بالكسر ـ: تنبّه النفس لما يصيب غيرها. فلا ترتكبه.
(١٠) أدلّ على أقرانه: استعلىٰ عليهم، من الدلال.
(١١) في هـ. ص: يعني ملك الدنيا وزينتها.
(١٢) في هـ. ص: من نعيم الآخرة.
(١٣) في هـ. ص: أي التفقه لوجه الله، فهي نصيب الإنسان من دنياه.
(١٤) في هـ. ص: النفقة لأغراض الدنيا.
(١٥) الفوت: فوات الفرصة، والمبادرة: المعاجلة قبل أن تذهب.
(١٦) في هـ. ص: في نسخة: يحتقره، وفي هـ. د: ما يحقر ـ ب.
(١٧) في أ و ص: اللهو، وفي هـ. ص: في نسخة: اللغو، أي: الخوض معهم فيما لا يغني؛ استمالة لهم وتقرّباً إليهم، ولا يرى لنفسه حقّاً على غيره ان يتباعد عن المعصية.

يَحْكُمُ عَلَيْها لِغَيْرِهِ، يُرْشِدُ[١] غَيْرَهُ وَيُغْوِي نَفْسَهُ[٢]، فَهُوَ يُطاعُ وَيَعْصِي، وَيَسْتَوْفِي وَلا يُوفِي[٣]، وَيَخْشَى ٱلْخَلْقَ فِي غَيْرِ رَبِّهِ[٤]، وَلايَخْشى رَبَّهُ فِي خَلْقِهِ[٥].

قال الرَّضيّ رحمه الله تعالىٰ[٦]:

وَلَوْ لَمْ يَكُن فِي هذَا ٱلْكِتابِ إِلّا هذَا ٱلْكَلامُ لَكَفى بِهِ مَوْعِظَةً ناجِعَةً، وَحِكْمَةً بالِغَةً، وَبَصِيرَةً لِمُبْصِرٍ، وَعِبْرَةً لِناظِرٍ مُفَكِّرٍ[٧].

الموعظة الناجعة.

تتضمّن هذه الموعظة ثلاثين مادة يجب على المسلم الاجتناب عنها؛ لاستلزامها الكذب والنفاق في المواقف بين القول والعمل، وسردها في سلسلة لشيوعها في حياة الإنسان، عصمنا الله منها:

١ ـ (لا تكن ممّن يرجوا الآخرة بغير العمل)؛ فإنّ الله سبحانه قال:﴿وَأَن لَّيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ وان سعيه سوف يرى﴾[٨]، وقال :﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره﴾.[٩]

(ويرجي التوبة بطول الأمل) والارجاء: التأخير، فإنّه لا يعلم متى يأتي ملك الموت؛ فإنّ المسلم لا يرجو الا مع العمل، ولا يرجئ التوبة ؛ لأن الارجاء يستلزم الرجاء بغير عمل.

٢ ـ (يقول في الدنيا بقول الزاهدين) كما هو شأن أغلب الواعظين من المسلمين وغيرهم.

(ويعمل فيها بعمل الراغبين) في الدنيا، على العكس من اقواله تماما، وهذا نفاق،

---

(١) في هـ. د: ويرشد ـ ض ب م.
(٢) في أ و ص: يرشد غيره ويغوي نفسه.
(٣) في هـ. ص: أي لا ينصف من نفسه.
(٤) في هـ. ص: أي يترك ما يقبح لله، بل خشية العقوبة أو المذمة.
(٥) في هـ. ص: أي لا يعطي الناس حقوقهم ولا يكف عن أذاهم خوفاً من الله.
(٦) لم ترد «قال الرضي رحمه الله تعالىٰ» في أ و د، وفي هـ. ص: في نسخة: قال الرضي.
(٧) في هـ. ص: وكم وكم على هذه الطريقة ممّن يتحلّى بالعلم والديانة، فكأنّه عليه السلام كان يرى ما سيحدث في هذه الاُمّة.
(٨) النجم : ٥٣ / ٣٩.
(٩) الزلزلة : ٧.

والمسلم يجتنب عن كلّ انواع النفاق.

٣ ـ(إن أعطي منها لم يشبع) بسبب الحرص الذي يعول عليه، فلا يقنع بشئ في حد خاص.

(وإن منع منها لم يقنع) بل يظهر الجزع والفزع والشكوى؛ لأنّه منع منها؛ فإنّ المسلم يقتنع بما قسمه الله وبما يصل إليه.

٤ ـ (يعجز عن شكر ما أوتي) فلا يؤدي شكر ما انعم الله عليه في اقلها،وهي نعمة الحياة .

(ويبتغي الزيادة فيما بقي) مع أن الشكر سبب في الزيادة، وهو لم يقوم به، والمسلم يشكر الله على كلّ حالة في الاصل والزيادة وغيرهما.

٥ ـ (ينهي ولا ينتهي) فيكون عاملا بلا عمل، فهو والمنافق في درجة واحدة.

٦ ـ (ويأمر بما لا يأتي) قال تعالى:﴿أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم﴾ [1].

٧ ـ (يحب الصالحين ولا يعمل عملهم)؛ فإنّ الحب يستلزم العمل الصالح مثلهم.

(ويبغض المذنبين وهو أحدهم) فيستلزم انّه يبعض نفسه؛ لأنّه منهم، والمسلم يحب الصالحين ويكون منهم دون المذنبين.

٨ ـ (يكره الموت لكثرة ذنوبه) وخشية العقاب بسبب الذنوب.

(ويقيم على ما يكره الموت من اجله) والاقامة: الاستمرار على العمل بالذنب الذي يكره الموت من اجله، وذلك يكشف عن كذبه في دعوى كراهته للموت، والمسلم لا يكذب في دعواه.

٩ ـ (إن سقم ظل نادما) على ذنوبه بسبب المرض الذي طرأ على حياته.

(وإن صح أمن لاهيا) يناقض بذلك الندم الذي اعلنه في المرض، والمسلم يدعوا الله في الحالتين السقم والصحة وعلى كلّ حال.

١٠ ـ (يعجب بنفسه إذا عوفي) من المرض الذي ألم به فيأخذه العجب .

---

(١) البقرة: ٤٤.

(ويقنط إذا ابتلي) بالمرض الذي هو امتحان، وعند ذلك يظهر حقيقة المواقف، والمسلم يتعدى العجب والقنوط في كلّ الحالات.

١١ ـ (إن أصابه بلاء دعا مضطرا) ليرتفع البلاء عنه متوجها إلى الله سبحانه، ومتوسلا بكل الصالحين.

(وإن ناله رخاء اعترض مغترا) وكأنّه لا يفتقر إلى الله سبحانه في حالة الرخاء، والمسلم يبتعد عن الغرور ويلتزم بالدعاء على كلّ حال من البلاء والرخاء.

١٢ ـ (تغلبه نفسه على ما يظن) فيجرى وراء الظن في الامور الدنيويّة وشهوات النفس.

(ولا يغلبها على ما يستيقن) وهو مستيقن بالجزاء العادل، فلا يعتبر بذلك في حياته، والمسلم يتغلب على هوى نفسه؛ لأنّه على بصيرة من امره.

١٣ ـ (يخاف على غيره بأدنى من ذنبه) فيرى المعائب في غيره، حتّى الصغيرة منها ويخاف عليه منها، دون نفسه.

(ويرجو لنفسه بأكثر من عمله) ولا يخاف من ذنوبه ويرجو لنفسه ما لا يرجوه لغيره.

١٤ ـ (إن استغنى بطر وفتن) البطر: الغرور، والفتنة: الامتحان، فعند الغنى يحصل ذلك.

(وإن افتقر قنط ووهن) والقنوط: اليأس، والوهن: الضعف، وهما يحصلان عند الفقر، والمتوكل على الله لا يفترق فيه الحال.

١٥ ـ (يقصر إذا عمل) فلا يؤدي واجبه كما هو مسؤول عنه من دون تقصير.

(ويبالغ إذا سأل) فلا يسمح بالتقصير من جانب الآخرين، والمسلم في الحالتين يقوم بدوره المسؤول من دون تقصير أو مبالغة.

١٦ ـ (إن عرضت له شهوة أسلف المعصية وسوّف التوبة) والسلفة: التقديم بارتكاب المعصية، والتسويف: التأخير بالتوبة.

(وإن عرته محنة انفرج عن شرائط الملة) والمحنة: المصيبة، والانفراج: البعد، وشرائط الملة: هي الثوابت الاسلامية من الصبر حتّى يجعل الله له مخرجاً، والمسلم في الحالتين يصبر ويقدم التوبة ويترك المعصية.

١٧ ـ (يصف العبرة ولا يعتبر) بما يصف من انواع العبر الموجبة للاعتبار .

(ويبالغ في الموعظة ولا يتعظ) بما يعظ وكأنّ الوعظ كتب لغيره، والمسلم يعتبر بما يسمعه ويتعظ بالمواعظ كما يصفها لغيره؛ لأنّه يعتبر نفسه واحداً منهم.

١٨ ـ (فهو بالقول مدل) والادلال: الاستعلاء، فيستعلي على الآخرين بحسن البيان قولا وخطابة، كما هو شأن الخطباء في المساجد.

(ومن العمل مقل) حيث لا يعمل بما يقوله للاخرين، والمسلم في حياته لا سستعلي على احد لا بالقول ولا بالعمل، ويعمل بواجباته ومسؤولياته كما هو المفروض عليه.

١٩ ـ (ينافس فيما يفنى) والمنافسة: المباهاة في الدنيا الفانية ومظاهرها الخادعة .

(ويسامح فيما يبقى) من الثواب في الآخرة على الاعمال الصالحة، والمسلم على العكس من ذلك.

٢٠ ـ (يرى الغنم مغرما، والغرم مغنما) والغنم: الغنيمة، والغرم: الغرامة، فيرى عمل الخير في سبيل الله أو الانفاق خسارة، والمسلم في حياته يرى الانفاق عملاً في سبيل الله غنيمة للاخرة.

٢١ ـ (يخشى الموت ولا يبادر الفوت) للفرصة المتاحة في الدنيا للتوبة قبل الموت؛ فإنّ المسلم يبادر فوت الفرصة فيتوب في الدنيا قبل الموت.

٢٢ ـ (يستعظم من معصية غيره ما يستقل أكثر منه من نفسه) فيرى ما يصدر من نفسه من المعاصي صغيرة، والمسلم على العكس من ذلك.

٢٣ ـ (ويستكثر من طاعته ما يحقره من طاعة غيره) فيرى اعماله الخيرية اكثر من غيره، والمسلم لا يستكثر طاعة نفسه ولا يستصغر طاعة غيره.

٢٤ ـ (فهو على الناس طاعن ولنفسه مداهن) فيتصانع بتلمس الاعذار لنفسه دون غيره، والمسلم على العكس، حيث يلتمس الاعذار لغيره دون نفسه.

٢٥ ـ (اللغو مع الأغنياء أحب إليه من الذكر مع الفقراء) فيلتحق بحلقة الاغنياء ويرى ذلك فخراً، ويستنكف من حلقة الذكر للفقراء، والمسلم على العكس من ذلك.

٢٦ ـ (يحكم على غيره لنفسه ولا يحكم عليها لغيره) وهذا هو الحكم ظلماً، والمسلم

يحكم بالعدل في كلّ الحالات، وعلى كلّ الاشخاص بما فيهم هو نفسه.

٢٧ ـ (ويرشد غيره ويغوي نفسه) بالعصيان، وهذا هو النفاق، والمسلم صريح في مواقفه والتزاماته بالنسبة الى نفسه وغيره على حد سواء.

٢٨ ـ (فهو يطاع ويعصى) حيث أن الآخرين يطيعونه في ارشاداته، وهو في نفسه يعصي الله تعالى، والمسلم يدعوا إلى طاعة الله وحده في كلّ الحالات بما منهم نفسه.

٢٩ ـ (ويستوفي ولا يوفي) فيطالب بالوفاء من الآخرين بالتزاماتهم وواجباتهم تجاه النفس والامة والمجتمع والله سبحانه، ولكنه لا يوفي هو بذلك . والمسلم يوفي بذلك ويستوفي في كل الحالات.

٢٠ ـ (ويخشى الخلق في غير ربّه ولا يخشى ربّه في خلقه)؛ فإنّ الخشية من الخلق تستلزم ارضاءهم، والجري حسب اهوائهم، وخشية الله تعالى يستلزم رضا الله دون الخلق، والمسلم انما يخشى الله وحده، قال الله تعالى:﴿انما يخشى الله من عباده العلماء﴾.[١]

وهذه النقاط المتمّمة للثلاثين نقاط يجب على كلّ مسلم الاجتناب عنها، والالتزام باضدادها أو نقائضها، وعدم التفريق بينها في الحالات. وقد ختمها الإمامعليه السلام بخشية الله اشارة إلى أن المسلم الملتزم الذي يتجنب هذه الحالات الثلاثين يكون من العلماء الصالحين، جعلنا الله جميعاً منهم، امين رب العالمين.

قال ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في شرح نهج البلاغة، ما نصّه:«هكذا قرأناه ووجدناه في كثير من النسخ ، ووجدناه في كثير منها " لكل أمر عاقبة " ، وهو الأليق ومثل هذا المعنى قولهم في المثل : لكل سائل قرار ، وقد أخذه الطائي فقال :

فكانت لوعة ثم استقرت ‏ ‏ ‏ ‏ كذلك لكل سائلة قرار

وقال الكميت في مثل هذا :

فالآن صرت إلى أُميّة ‏ ‏ ‏ ‏ والأمور إلى مصاير

---

(١) فاطر : ٢٨.

فأما الرواية الأولى وهي : " لكل امرئ " فنظائرها في القرآن كثيرة ، نحو قوله تعالى :﴿ يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه فمنهم شقي وسعيد﴾[١] ، وقوله :) يوم يتذكر الانسان ما سعى ○ وبرزت الجحيم لمن يرى ○ فأما من طغى ○ وآثر الحياة الدنيا فإن الجحيم هي المأوى ○ وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى ○ فإن الجنّة هي المأوى)[٢] ، وغير ذلك من الآيات».[٣]

[١٥١]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

لِكُلِّ ٱمْرِئٍ عاقِبَةٌ حُلْوَةٌ أَوْ مُرَّةٌ.

(ح - ١٥١) العاقبة:

الإنسان رهن عمله في الحياة، ولايصدر العمل إلّا من عامل، فلكل عامل عاقبة نتيجة عمله في الدنيا ان خيرا فخيرا وان شراً فشراً، قال تعالى:﴿وَأَن لَّيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ وان سعيه سوف يرى﴾[٤]، فيكون عاقبة المرء نتيجة عمله، قال تعالى:﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾[٥]، وذلك كلّه في الدنيا والآخرة؛ فإنّ النتائج تظهر في الدنيا عمل الإنسان وسعيه، كما تظهر في الآخرة بالثواب والعقاب المقدر لذلك.

---

(١) سورة هود : ١٠٥ .
(٢) سورة والنازعات : ٣٥ ـ ٤١.
(٣) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٨ : ٢٦١.
(٤) النجم : ٥٣ / ٣٩.
(٥) الزلزلة : ٧.

[١٥٢]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

لِكُلِّ مُقْبِلٍ إِدْبارٌ، وَما أَدْبَرَ فَكأَنْ(١) لَمْ يَكُنْ(٢).

(ح ـ ١٥٢) حياة الحاضر:

تشير الحكمة إلى أن الحياة هي حياة الوقت الحاضر؛ فإنّ المستقبل بعد لم يحصل فهو معلق على اسباب كثيرة بعضها أو اكثرها خارجة عن قدرة الإنسان.

واما الحاضر فهو ما اقبل على الإنسان وله تجربة شخصية لها بالحس والوجدان، والزمن الحاضر هو مدة حياة هذا المقبل من جاه أو مال أو ما شابه، وليس له حقيقة حياة فيما عدى الزمن الحاضر.

فان المقبل بعد هذا الزمن الحاضر يكون في خبر كان، وكأنّه لم يكن، فإنّه لا فرق في العدم بين ما لم يوجد بعد أو وجد وانعدم.

والاعتبار يقتضي عدم الاغترار بالمستقبل ولا بالماضي، بل أن يعيش الإنسان في حدود يومه.

قال ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في شرح نهج البلاغة، ما نصّه:«وقالت الحكماء: الصبر ضربان: جسمي ونفسي، فالجسمي تحمل المشاق بقدر القوة البدنية، وليس ذلك بفضيلة تامه، ولذلك قال الشاعر:

والصبر بالأرواح يعرف فضله   صبر الملوك وليس بالأجسام

وهذا النوع إما في الفعل كالمشي ورفع الحجر أو في رفع الانفعال كالصبر على المرض واحتمال الضرب المفظع. وأما النفسي ففيه تتعلق الفضيلة، وهو ضربان: صبر عن مشتهى، ويقال له: عفة، وصبر على تحمل مكروه أو محبوب. وتختلف أسماؤه بحسب اختلاف مواقعه، فإن كان في نزول مصيبة لم يتعد به اسم الصبر، ويضاده الجزع والهلع والحزن، وإن كان في احتمال الغنى سمى ضبط النفس، ويضاده البطر والأشر والرفع وإن

---

(١) في أ و ص: كأن.

(٢) وردت هذه الحكمة في أ و ص د: قبل قوله: «لايعدم الصبور الظفر».

كان في محاربة سمى شجاعة ويضاده الجبن ، وإن كان في إمساك النفس عن قضاء وطر الغضب سمى حلما ، ويضاده التذمر والاستشاطة ، وإن كان في نائبة مضجرة سمى سعة صدر ، و يضاده الضجر وضيق العطن والتبرم ، وإن كان في إمساك كلام في الضمير سمى كتمان السر ، ويضاده الإفشاء ، وإن كان عن فضول العيش سمى قناعة وزهدا ويضاده الحرص والشره . فهذه كلها أنواع الصبر ، ولكن اللفظ العرفي واقع على الصبر الجسماني ، وعلى ما يكون في نزول المصائب ، وتنفرد باقي الأنواع بأسماء تخصها».(١)

[١٥٣]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

لايَعْدَمُ ٱلصَّبُورُ ٱلظَّفَرَ(٢) وَإِنْ طالَ بِهِ ٱلزَّمانُ(٣).

(ح ـ ١٥٣) **الصبر ظفر:**

الصبر هو ضبط النفس من الانفلات حيث شهواتها وانضباطها لارادة حكيمة تقتضيها المواقف، واثر الانضباط هذا ثابت عاجلا أو اجلاً؛ لأنّ السبب فيه الحكمة وليس الطيش، والعقل وليس الشهوات.

[١٥٤]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

ٱلرّاضِي بِفِعْلِ قَوْمٍ كَالدّاخِلِ فِيهِ مَعَهُمْ، وَعَلى كُلِّ داخِلٍ فِي باطِلٍ إِثْمانِ: إِثْمُ الْعَمَلِ بِهِ، وَإِثْمُ ٱلرِّضا بِهِ.

(ح ـ ١٥٤) **الرضا مشاركة:**

لا يتحقق أي عمل متعمّد إلّا عن نية، وانما الاعمال بالنيات؛ فإنّ النيات الحسنة تنتج

---

(١) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٨ : ٢٦٦.
(٢) في هـ. ص: وغايته، بل الظفر في الآخرة ان لم يعجّل في الدنيا.
(٣) وردت هذه الحكمة في د بعد الحكمة «لكل مقبل إدبار...».

الاعمال الحسنة، والنيّة الطالحة تنتج الاعمال القبيحة، والراضي بالعمل شريك في النيّة مع صاحب العمل، وهو وان لم يكن مباشراً للعمل ولا يلزمه حكم المباشر، ولكن حقيقة المشاركة في النيّة بالرضا ثابتة، بحيث لو سنحت له الفرصة لقام بالفعل الذي قام به صاحب النية.

والعقوبات انما هي على اثم العمل وليس على اثم الرضى الذي يكشف عن التجري، فقال عليه السلام: (نية المؤمن خير من عمله).

قال ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في شرح نهج البلاغة، ما نصّه:«لا فرق بين الرضا بالفعل وبين المشاركة فيه ، ألا ترى أنه إذا كان ذلك الفعل قبيحا استحق الراضي به الذم كما يستحقه الفاعل له ! والرضا يفسر على وجهين : الإرادة ، وترك الاعتراض ، فإن كان الإرادة فلا ريب أنه يستحق الذم لان مريد القبيح فاعل للقبيح ، وإن كان ترك الاعتراض مع القدرة على الاعتراض فلا ريب أنه يستحق الذم أيضا ، لان تارك النهى عن المنكر مع ارتفاع الموانع يستحق الذم . فأما قوله عليه السلام " وعلى كل داخل في باطل إثمان " ، فإن أراد الداخل فيه بأن يفعله حقيقة فلا شبهة في أنه يأثم من جهتين : إحداهما من حيث إنه أراد القبيح . والأخرى من حيث إنه فعله ، وإن كان قوم من أصحابنا قالوا : إن عقاب المراد هو عقاب الإرادة . وإن أراد أن الراضي بالقبيح فقط يستحق إثمين : أحدهما لأنه رضي به ، والاخر لأنه كالفاعل ، فليس الامر على ذلك ، لأنه أو ليس بفاعل للقبيح حقيقة ليستحق الاثم من جهة الإرادة ومن جهة الفعلية جميعا ، فوجب إذن أن يحمل كلامه عليه السلام (على الوجه الأول».[1]

[١٥٥]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

ٱسْتَعْصِمُوا[2] بِالذِّمَمِ فِي أَوْتادِها[3].

---

(١) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٨ : ٣٦٢.

(٢) في أ و د: اعتصموا، وفي هـ. د: استعصموا ــ ح ل.

(ح - ١٥٥) الذمة:

الذمة: العهد والعقد، قال تعالى:﴿واوفوا بالعهد ان العهد كان مسؤولا﴾[٤] ؛ فإنّ العهد مقياس للثقة بين الطرفين، والاخلال به من أي طرف كان يوجب فقدان الثقة التي لابدّ وان تنجر إلى المواجهة، فلابد من الاعتصام بها كالوتد الذي يستحكم الخيام وبدون استحكام الاوتاد تكون الخيمة معرضة للسقوط، وكذلك العهود؛ فإنّ استحكامها يستلزم استحكام المجتمع الملتزم بها.

[١٥٦]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

عَلَيْكُمْ بِطاعَةِ مَنْ لا تُعْذَرُونَ بِجَهالَتِهِ[٥].

(ح - ١٥٦) الطاعة:

تأمر الحكمة بطاعة من توجد فيه مؤهلات الطاعة بالفحص عنه، وان الجهل بشخصه ليس عذراً، فان من يفتقر إلى الطبيب لابدّ وان يفحص عنه، ولا يتحرك المريض مهملاً معتذراً بعدم معرفة طبيب بشخصه، وكل جماعة تفتقر إلى من يقودهالتطبيق الحكم العادل ممّن يجتمع فيه المؤهلات المطلوبة للقيادة، ولا يكون الجهل بشخصه عذراً بل يجب الفحص عنه وطاعته، قال تعالى:﴿اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم﴾.[٦]

[١٥٧]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

---

(٣) وردت هذه الحكمة في د بعد الحكمة: «الراضي بفعل...».
(٤) الاسراء: ٣٤.
(٥) في ط: في جهالته. ولم ترد هذه الحكمة في أ هنا.
(٦) سبأ : ٥٩.

قَدْ بُصِّرْتُمْ إِنْ أَبْصَرْتُمْ[١]، وَقَدْ هُدِيتُمْ إِنِ اهْتَدَيْتُمْ، وَأُسْمِعْتُمْ إِنِ اسْتَمَعْتُمْ[٢].

(ح ـ ١٥٧) الحجة القائمة:

تشير الحكمة إلى واجبات القائد الاسلامي تجاه الشعب، وقد أشار إلى ثلاث منها بقوله:

أوّلاً: (قد بصرتم إن أبصرتم)؛ فإنّ الواجب على القائد ان يجعل الشعب واقفا على الحقائق بالرؤية للاسباب والنتائج أن ارادوا معرفة ذلك.

ثانياً: (وقد هديتم إن اهتديتم) والواجب ايضا أن يهدي الشعب إلى المواقف الاسلامية الصحيحة السائرة على الكتاب والسنّة ان ارادوا الهداية اليها.

ثالثاً: (وأسمعتم إن استمتعتم) وذلك يجب أن يكون اعلانا عاما وليس في غرف مغلقة بين اصحاب المصالح، ان اراد الشعب سماع هذا الاعلان العام.

وفي الحالات الثلاث ليس هناك اي اكراه على الشعب في رفض الرؤية والهداية والسماع، كما ليس للقائد فرضها فرضا على الشعب، وانما عليه القيام بواجبه القيادي فيها ﴿ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيّ عن بينة﴾.[٣]

[١٥٨]

وَقالَ عَلَيْهِ السَّلامُ:

عاتِبْ أَخاكَ بِالْإِحْسانِ إِلَيْهِ، وَارْدُدْ شَرَّهُ بِالْإِنْعامِ عَلَيْهِ[٤].

(ح ـ ١٥٨) من واجبات الاخوة:

يختلف الاخ عن غيره بمزيد العناية؛ لمكان الرابطة الاخويّة الاسلامية.

---

(١) في هـ . ص: أي إنّما تؤتون من قبل أنفسكم وأن الحق قد استبان، وظاهره العموم وسرّه الخصوص في أمر واحد مما قامت عليه الدلالة، والله أعلم.
(٢) لم ترد «وأسمعتم إن سمعتم» في أ، وفي هـ د:«واسمعتم ان سمعتم» ساقطة من ح ف ن م ل.
(٣) الانفال : ٤٢.
(٤) في هـ . ص: هذا من قوله: تعالىٰ: ﴿إدفع بالّتي هي أحسن السَّيّئة﴾ فهي عامة في إساءة العدوّ والصديق، والله أعلم.

وان أي انسان ـ وان كان اخا قريبا في النسب ـ ليس كاملاً معصوماً من تقديم المصالح الشخصية على حقوق الاخوة، والعادة الطبيعية عادة العتاب بالكلام والعقاب بالعمل، والإمام يشير أن العتاب والعقاب رد فعل لا يردع عن الخطأ، وان البديل الاسلامي هو الاحسان والعمل.

والنعمة: المال، فإنّه يستاصل روح العداء من بين الاخوان الذين يؤمنون بالاسلام عقيدة وشريعة، قال تعالى:﴿ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنّه وليّ حميم)[1].

[١٥٩]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

مَنْ وَضَعَ نَفْسَهُ مَواضِعَ ٱلتُّهْمَةِ فَلا يَلُومَنَّ مَنْ أَساءَ بِهِ ٱلظَّنَّ[2].

(ح ـ ١٥٩) مواضع التهمة:

التهمة: الاتهام الباطل، ومن يضع نفسه في مواضع التهمة باختياره يكون قد تسبب في اتهامه بالباطل، فكما أن من يسيئ الظن به ملام على سوء الظن، فكذلك من يضع نفسه مختاراً في موضع يوجب ذلك؛ فإنّ اللوم عليه اكثر باقدامه على امر يعرف نتيجته مسبقاً، فلا يصح لمثله أن يعتذر دفاعا عن النفس بانه قد ظن ذلك، فان ﴿بعض الظن اثم﴾.[3]

[١٦٠]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

مَنْ مَلَكَ ٱسْتَأْثَرَ.

---

(١) فصلت : ٣٤.

(٢) في هـ . ص: يروى عن النبيﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يضعنّ نفسه مواضع التهمة».

(٣) الحجرات : ١٢.

(ح ـ ١٦٠) الاستبداد:

الاستئثار: طلب الاثرة، وهي الاختصاص، ويعني الاستبداد في الحكم ضد الشورى؛ فإنّ طبيعة الملك والسلطة الاستبداد على الشعب بالمال والجاه والجيش الذي يأتمر بالاوامر اذا صدرت عن الملك على الامة. كذلك الاستبداد في الراي في كلّ صلاحية يملكها الإنسان، وقد عالج الاسلام هذه المشكلة في حياة المسلمين بالشورى في كلّ العلاقات الاجتماعية من الفرد والاسرة والمجتمع والحكم.

[١٦١]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

مَنْ[١] ٱسْتَبَدَّ بِرَأْيِهِ هَلَكَ[٢]، وَمَنْ شاوَرَ ٱلرِّجالَ شارَكَها فِي عُقُولِها.

(ح ـ ١٦١) نتيجة الاستبداد:

والاستبداد في الأمر سواءً من الفرد والاسرة والمجتمع والحكم ، له اثر واحد وهو الهلاك بالنسبة إلى كلّ من يعصطلي بناره؛ لأنّ الاستبداد رؤية للامور من جانب واحد، وفي ذلك ضياع للرؤية الواضحة لجميع الافراد المعنيين بالامر.

وأشار ﷺ إلى العلاج العملي البديل للاستبداد بقوله:

(ومن شاور الرجال شاركها في عقولها) وبذلك تتم الرؤية الواضحة من جميع الجوانب، فلا يكون فيه الهلاك، قال تعالى:﴿وشاورهم في الأمر فاذا عزمت فتوكل على الله﴾[٣]، وقال: ﴿وامرهم شورى بينهم﴾.[٤]

---

(١) في أ و د: ومن استبد. ولم ترد «وقال عليه السلام» في أ.
(٢) في هـ. ص: قالوا: من أكثر من المشورة لم يعدم عند الصواب مادحاً وعند الخطأ عاذراً، وقالوا: المشورة لقاح العقل، ورائد الصواب. ومن الفاظهم البديعة: ثمرة رأي المشير أحلى من الأرْي المنشور. انتهى من الشرح. الأري: العسل، والمنشور: المستخرج.
(٣) آل عمران : ١٥٩.
(٤) الشورى : ٣٨.

[١٦٢]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

مَنْ[١] كَتَمَ سِرَّهُ كانَتِ ٱلْخِيَرَةُ بِيَدِهِ.

(ح - ١٦٢) **كتمان السر:**

السر: ما يحجب عن الآخرين علمه، فاذا تجاوز الإنسان نفسه لم يكن سراً بل اصبح معلنا، وبعدد الافراد الذين يعلمونه يتعدد الاعلان، ولا فرق في الاعلان بين أن يكون لشخص واحد أو اكثر؛ فإنّ كلّ سر جاوز الاثنين شاع، والبديل هو الكتمان من أي انسان، ولا ينافى ذلك المشورة، وانما السر هو القرار، ومن كتمه كان بيده الاختيار.

[١٦٣]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

ٱلْفَقْرُ ٱلْمَوْتُ ٱلْأَكْبَرُ.

(ح - ١٦٣) **الفقر:**

فان الموت العادي ازهاق الروح مرة واحدة، فإنّها ميتة واحدة، لا تتكرر، واما الفقير الذي يمتد في الحياة فإنّه يموت بتكرر اللحظات، والمبتلى به يتعذب في كلّ الحالات من حين الابتلاء به إلى النجاة، ولا نجاه الا بالرجوع إلى واهب الحياة، وبيده الخير وهو على كلّ شئ قدير.

قال ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في شرح نهج البلاغة، ما نصّه:«عبده بالتشديد ، أي اتخذه عبدا ، يقال : عبده واستعبده بمعنى واحد ، والمعنى بهذا الكلام مدح من لا يقضى حقه ، أي من فعل ذلك بإنسان فقد استعبد ذلك الانسان لأنه لم يفعل معه ذلك مكافأة له عن حق قضاه إياه ، بل فعل ذلك إنعاما مبتدأ ، فقد استعبده بذلك . وقال الشاعر في نقيض هذه الحال يخاطب صاحبا له :

---

(١) في أ: ومن كتم.. ولم ترد «وقال عليه السلام» في أ.

كن كأن لم تلاقني قط في الناس ولا تجعلن ذكراي شوقا
وتيقن بأنني غير راء لك حقا حتى ترى لي حقا
وبأني مفوق ألف سهم لك إن فوقت يمينك فوقا».[١]

[١٦٤]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

مَنْ قَضى حَقَّ مَنْ لايَقْضِي حَقَّهُ فَقَدْ عَبَدَهُ.

(ح ـ ١٦٤) **قضاء الحق:**

اذا كان لكل واحد من فردين حقا على الآخر كالدين، فاذا تساوى المال المدين عند الجانبين فيتساقط قهراً من كلّ واحد منها، واذا زاد حق احدهما على الآخر وجب اداء الزيادة لصاحب الحق، وفيما اذا كانت الحقوق مختلفة ماديا أو اخلاقيا أو غيرها ففي الحال صور:

منها: أن يقضي احدهما حق الآخر، الذي هو بدوره ايضا يقضي حق الأوّل، وهذا طبيعي.

ومنها: أن يقضي احدهما حق الآخر، في حين أن الآخر لا يقضي حقه.

وعن هذه الحالة تشير الحكمة بأن القاضي للحق فيها يكون عابداً للاخر الممتنع عن قضاء حقه، وذلك لان هذا اقرار منه باستحقاق صاحب الحق حقه، وانه كالمولى الذي يجب طاعته، فهذه عبادة تشابه عبادة الله باداء حق الله بالعبادة وطاعة أوامره، ومنها امرة تعالى باداء الحقوق، ولعل مرجع الضمير هو الله، ولا يعرف السبب إلّا بمعرفة السياق.

وفي الحكمة هذه وجوه واحتمالات.

---

(١) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٨ : ٣٨٨.

[١٦٥]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

لا طاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ ٱلْخالِقِ.

(ح - ١٦٥) **الغاية والوسيلة:**

تشير الحكمة إلى أن الغاية لا تبرر الوسيلة في الاسلام؛ فإنّ الغاية هي طاعة الخالق سبحانه، ولا يمكن ذلك بواسطة معصيته في اي حال، والمخلوق لا طاعة له اذا كانت طاعته معصية لله، وانما الطاعة في غير المعصية من المباحات. وراجع المادّة في المعجم.

[١٦٦]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

لا يُعابُ ٱلْمَرْءُ بِتَأْخِيرِ حَقِّهِ، إِنَّما يُعابُ مَنْ أَخَذَ[١] ما لَيْسَ لَهُ.

(ح - ١٦٦) **تاخير الحق:**

يعود امر الحق إلى صاحب الحق، فكما أن له اسقاطه يكون له تاخيره وتعديله حسب ما يراه من المصلحة حسب الظروف والاحوال. فليس في تاخير الحق عيب من الحكيم في تصرفاته؛ لاستناده الى اسباب هو اعرف بها من غيره، وإنّما العيب في الظلم وهو اخذ ما ليس له الذي هو سرقة معلنة.

[١٦٧]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

ٱلْإِعْجابُ يَمْنَعُ مِنَ ٱلْازْدِيادِ[٢].

---

(١) في أ: مِن أخذِ، ومَن أخَذَ ـ معاً ـ.

(٢) في هـ. ص: وذلك لأنّ المعجب يعتقد أنّه قد استولىٰ على جميع الكمال فلا يطلب الزيـادة، فإن انضم هذا الاعتقاد في نفسه إلى اعتقاد الحقارة في غيره فهو المتكبر التائه.
ولم ترد هذه الحكمة في أ هنا، بل وردت بعد الحكمة ١٦٧ قوله: «لا يعاب المرء بتأخير حقه» وكذا الذي يليه.

(ح ـ ١٦٧) **العجب:**

العجب يصور الكمال للنفس والتباهي بذلك من مال أو جمال أو علم أو حال، واشار الإمام إلى الاثر المحتوم له، وهو توقف التكامل في المجالات التي يتصور العجب بنفسه الكمال لنفسه، حيث يتوقف عن تهذيب ذلك ويمنع عن ازدياد المادة الخاصة التي أعجب بنفسه، وكل شئ يتوقف لابد وان يتناقص تدريجيا مع الزمن.

قال ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في شرح نهج البلاغة، ما نصّه:«وإنما قال عليه السلام : " يمنع من الازدياد " لان المعجب بنفسه ظان أنه قد بلغ الغرض ، وإنما يطلب الزيادة من يستشعر التقصير لا من يتخيل الكمال ، وحقيقة العجب ظن الانسان بنفسه استحقاق منزلة هو غير مستحق لها ، ولهذا قال بعضهم لرجل رآه معجبا بنفسه : يسرني أن أكون عند الناس مثلك في نفسك ، وإن أكون عند نفسي مثلك عند الناس ، فتمنى حقيقة ما يقدره ذلك الرجل ، ثم تمنى أن يكون عارفا بعيوب نفسه ، كما يعرف الناس عيوب ذلك الرجل المعجب بنفسه».[١]

[١٦٨]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

ٱلْأَمْرُ قَرِيبٌ، وَالْاصْطِحابُ قَلِيلٌ.

(ح ـ ١٦٨) **الموت:**

الامر ـ في الحكمة ـ بمعنى الأمر الواقع الذي لا مفر منه، وهو الموت؛ فإنّ العلم بتحققه يستلزم العلم بقربه؛ لأنّ كلّ آت قريب، واذا قيست حالة الدنيا بالآخرة يقف على حقيقة اخرى وهي أن الاصطحاب للادولاد والاموال والذات والاصحاب انما هو صحبة قليلة زائلة اذا قيست بالنسبة إلى الخلود في الآخرة.

(١) شرح نهج البلاغة ؛ لابن أبي الحديد ١٨ : ٣٩١.

[١٦٩]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

قَدْ أَضاءَ ٱلصُّبْحُ لِذِي عَيْنَيْنِ[١].

(ح - ١٦٩) ضياء الصباح:

لا يمنع من ضياء الشمس شئ مهما كثر واشتد الموانع، فإنّها تزول؛ لانها امور عارضة وقتية وضياء الشمس اصيل ولابدّ وان يظهر عند الصباح لكل ذى عينين، وحتى الاعمى فإنّ العمي يميّزون بين الليل والنهار وان كان تمييزهم يختلف عن البصير الذي يرى الضياع بالعين.

وقد أشار الإمام بهذهالحكمة إلى أن الحقائق مهما اخفت الحقائق بالدعايات الباطلة والاساليب الوقتية الزائلة، فإنّها لابدّ وان تظهر لمن يفتح عين البصيرة وينظر إلى الامور بروح موضوعية، وان اثر الحقائق على الناس لا تخفى وان التاريخ للظالم بالمرصاد، وبه يضرب المثل لمن يتجاهل الحقائق التي يعرفها العالم والجاهل.

[١٧٠]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

تَرْكُ ٱلذَّنْبِ أَهْوَنُ مِن طَلَبِ ٱلمعوْنَةِ[٢].

(ح - ١٧٠) ترك الذنب:

(المعونة: المساعدة، وهي في المقام التوبة).

وتشير الحكمة إلى أن التوبة تطهر الإنسان من الذنب الذي هو قذارة معنوية تلوث

---

(١) في هـ. ص: يريد عليه السلام قد اتضح دليل وجوب اتّباعي، ولا يخفىٰ إلّا على أعمى البصيرة لتغابيه، كما لا يخفى نور الصبح إلّا على أعمى البصر.

(٢) في بعض النسخ : من التوبة ـ ب. وفي هـ. ص: هذا حقّ، لأنّ ترك الذّنب هو الإحجام عنه، وهذا سهل بالنظر الى تحصيل التوبة لتوقفها علىٰ شرائط يشق تحصيلها، وهذا الكلام قد يجري مجرى المَثَل يُضرب لمن يشرع في أمرٍ يخاطر فيه، ويرجو أن يتخلّص منه فيما بعدُ بوجْه من الوجوه. انتهى من الشرح.

الروح الانسانية، وعدم التلوث اهون من التطهير؛ فإنّ الوقاية أولى من العلاج؛ فإنّ الصلاح يفتقر إلى العون بامور زائدة على الارادة، وترك الذنب انما يتحقق بالارادة وحدها، فهي ايسر من التوبة التي هي طلب للمعونة.

[١٧١]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

كَمْ مِنْ أَكْلَةٍ مَنَعَتْ[١] أَكَلاتٍ[٢].

(ح - ١٧١) الاكلة المانعة:

الاكل وسيلة التغذية الجسمية التي يفتقر اليها الانسان في الحياة، ولا يختار الانسان العاقل من هذه الوسيلة إلّا ما يكون نافعاً بما يتحمله معدته، ولا يختار الضار الذي يضر بصحته، ولا يبادر إلى الاكل من دون معرفة خواصه الا من لا يهتم بصحته؛ فإنّ تاريخ الطبخ والطباخين يعكس ضحايا الاكل والآكلين، فكم من اكلة ضارة حرفت الصحة فمنعت من اكلات أو أماتت الآكل فمنعته من اكله إلى الابد، وبه يضرب المثل لما يسبب الحرمان في حياة الانسان.

[١٧٢]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

ٱلنّاسُ أَعْداءُ ما جَهِلُوا[٣].

(ح - ١٧٢) اعداء ما جهلوا:

الجهل بالشئ يستلزم الجهل بمنافعه، ومن لا يعلم شيئاً يعاديه عادةً لاسباب شخصية، منها: ان الاقرار بالجهل اقرار بالنقص، فيعادي العلم لعقدة النقص.

---

(١) في د : تمنع.
(٢) في هـ. ص: يحتمل أن يكون تحذيرا من التخمة، ويحتمل أن يكون تحذيراً من الحرام.
(٣) في هـ. ص: طبيعة النفس دفع ما لا تألفه ولا تعرفه.

ومنها: أن العلم يفرض عليه التزامات لايريد التقيد بها.

ومنها: أن المنافع للشيئ مجهولة له.

وهذه الاسباب الثلاث كلها ترجع الى تفضيل الجهل على العلم، والاسلام حث على العلم وقرنه بالايمان، وجعل لهما درجات في الفضل، فقال تعالى:﴿يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات﴾.[١]

[١٧٣]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

مَن ٱسْتَقْبَلَ وُجُوهَ ٱلْآراءِ عَرَفَ مَواقِعَ ٱلْخَطإِ[٢].

(ح - ١٧٣) **مقارنة الآراء:**

فى كلّ قضية آراء متعددة بعدد عقول البشر الذين خلقهم الله، وقلما تتفق مئة في المئة على شيئ، ولا يمكن معرفة الخطأ والصواب فيها إلّا بمضاربة الاراء المختلفة، فعند ذلك تظهر مواقع الخطأ من مواقع الصواب، فلابد لمن يطلب الحقيقة من استعراض كلّ الاراء في اي موضوع واستقبالها والتوجه اليها توجها حقيقيّاً لاستخراج الحقيقة منها.

[١٧٤]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

مَنْ أَحَدَّ سِنانَ ٱلْغَضَبِ لِلّهِ قَوِيَ عَلى قَتْلِ أَشِدّاءِ[٣] ٱلْباطِلِ.

(ح - ١٧٤) **الغضب لله:**

الحق والباطل حقيقتان في كلّ زمان ومكان، ولكل منهما اصحاب واتباع، ولا ينتصر

---

(١) المجادلة : ١١.

(٢) في هـ. ص: هذا حثّ على النظر والاعتبار، يريد عليه السلام من عرف الصواب في الفعل وعدمه قبل الشروع فيه تحرّز من مواقعة الخطأ فيه، وإن دخل فيه تغريراً ومخاطرة ثم تبيّن له الحال من بعد، فقد قيل: شرّ الرأي الدّبري.

(٣) في ص: أسُد، وفي هـ. ص: في نسخة: أشداء.

احدهما الا بالاستعداد الكامل في المواجهة، وتشير الحكمة إلى ضرورة أخذ الاستعداد كما يستعد المحارب في ساحة الحرب، حيث الوسيلة السنان وهو الرمح، وبحده اي جعله حادا بهدف الغضب لله ولتحقيق حكم الحق، فان من استعد بهذا الاستعداد الكامل برؤية واضحة للمبادي والوسائل والاهداف الاسلامية يكون المنتصر و (قوي على قتل أشداء الباطل)؛ لأنّ اهل الباطل لا يتمتعون بهذه الرؤية الواضحة التي ترى النصر في احدى الحسنيين.

[١٧٥]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

إِذا هِبْتَ أَمْراً فَقَعْ فِيهِ، فَإِنَّ شِدَّةَ تَوَقِّيهِ أَعْظَمُ مِمّا تَخافُ مِنْهُ[١].

(ح ـ ١٧٥) مقاومة الهيبة:

كل عمل جديد في حياة الإنسان يصطحبه الخوف من القصور فيه، وقد يشتد الخوف حتّى يهاب الإنسان ذلك العمل، وتشير الحكمة إلى أن افضل الحلول للهيبة التي هي من شدة الخوف: المباشرة بالعمل والتمرن يزيل الهيبة والخوف، ويصبح العمل امراً عاديا في حياة الإنسان، ولا يتعلم الإنسان السباحة في الماء إلّا بالوقوع في الماء، فيحاول الخروج حتّى يتمكن من السباحة، وهكذا كلّ شيءفي الحياة، وقد علل الامام ذلك بأن الخوف ليس في العمل نفسه بقدر ما هو في (شدة التوقى) وكثرة الاحتراز عن الخطأ فيه، وبعد المباشرة يزول الخوف تدريجيا.

[١٧٦]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

آلَةُ ٱلرِّياسَةِ سَعَةُ الصَّدْرِ.

---

(١) في هـ. ص: إذا كان أمر لابد لك منه ـ وهو حسن في الرأي، إلّا انّك تتخوّف عجزك عنه وقصورك ـ فواقعه حتى تستريح من همّه.

(ح - ١٧٦) **آلة الرياسة:**

الرياسة لأيّ مشروع اداري أو مجتمع انساني يستدعي التعامل مع افراد اصحاب اراء المختلفة، وقد يصل الى حد التعارض، واذواق متفاوتة في تحقيق المشاريع ووسائل كثيرة لتحصيلها ومصالح متعارضة في ايجادها.

ولا يمكن التغلب على هذه الاراء الا بأحد طريقين:

أوّلاً: الحكم الديكتاتوري بالحديد والنار، وهذا امر مرفوض اسلاميا، وفاشل عمليا كما يشهد به تاريخ الطغاة في العالم والادارات.

وثانياً: بسعة الصدر، بالاستماع إلى الاراء كلها بما فيها اراء المعارضة الساخطة، ثمّ اتخاذ قرار على أساس الشورى في ذلك، وتستمر الرئاسة في اداء دورها المسؤول المطلوب.

[١٧٧]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

اَزْجُرِ الْمُسِيءَ بِثَوابِ الْمُحْسِنِ[١].

(ح - ١٧٧) **زجر المسيء:**

الزجر: الردع، وتشير الحكمة بأن الردع لا يفتقر إلى العتاب والعقاب بقدر ما يفتقر إلى ما يوجب تصحيح الموقف، ومن ذلك هو ثواب المحسن؛ فإنّ جزاء الحسن بالمكافئة العادلة تدعوا المسيئ إلى الاقتداء به في الحصول على الجزاء، فينقلع بنفسه من دون حاجة إلى العتاب والعقاب.

والتاريخ يشهد بأن اهمال ثواب المحسن في المجتمع هو السبب الاصيل في زيادة الاساءة من المسيئ؛ لعلمه بالظلم الحاصل لغيره، والعكس بالعكس.

---

(١) في هـ. ص: أي أثب المحسن على احسانه حتى يكفّ المسيء عن اساءته ويحسن رغبة في الجزاء، والله أعلم.

[١٧٨]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

ٱحْصُدِ ٱلشَّرَّ مِنْ صَدْرِ غَيْرِكَ بِقَلْعِهِ مِنْ صَدْرِكَ.

(ح - ١٧٨) **اقلاع الشر:**

لكل فعل رد فعل، والشر ـ من أية جهة حصلت ـ فعلٌ، فاذا قوبل بالشر لاستلزم شراً اخرا، وهكذا إلى ما لانهاية له، ولا تتوقف هذه السلسلة إلّا بقلع منابعها التي هيب تحت اختيار الاطراف المعنية، واولى الاطراف هو نفسك أيها الإنسان، فاذا حصدت الشر من صدرك ولم تفكر فيه فطبيعيّ أن لا يخطط له غيرك ولا ينفذه، ونتيجة ذلك أن الاطراف الآخرى لا يكون لها ما يبرر الشر.

[١٧٩]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

ٱللَّجاجَةُ تَسُلُّ ٱلرَّأْيَ.

(ح - ١٧٩) **اللجاجة:**

(اللجاجة: التعصب، والسل: النزع).

والحكمة تشير الى أن التعصب الاعمى على الرأي يستلزم أن ينقلع الراي من أساسه ويواجه المسألة فقدان الراي أو بديلا مجهولا، وكلاهما مشكلة اخرى؛ حيث انّ المشكلة تفتقرإلى حل عادل، ولا يمكن اي حل عادل إلّا بتجنب الغضب الاعمى والرضوخ للحق كما يقتضيه الموقف العادل.

[١٨٠]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

ٱلطَّمَعُ رِقٌّ مُؤَبَّدٌ.

(ح - ١٨٠) **رق الطمع:**

الرق: العبودية لانسان اخر، وطبيعيّ أن العبودية تنتهي بانتهاء اسبابها من الحرية أو موت المالك أو الإباق، والطمع عبودية لهوى النفس تشابه العبودية في الرق تماما، مع زيادة صفة الابدية؛ فإنّ هذه الخصلة تلازم نفس الإنسان اينما كان وفي أي زمان أو مكان حتّى يرجع إلى عقله وفكره، ويولد من جديد انسانا يستخدم العقل الذي أنعم عليه الرحمان.

[١٨١]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

ثَمَرَةُ ٱلتَّفْرِيطِ ٱلنَّدامَةُ، وَثَمَرَةُ ٱلْحَزْمِ ٱلسَّلامَةُ.

(ح - ١٨١) **التفريط والحزم:**

(الحزم: ضبط الشيء، والتفريط: الميل عن الشيء وهو نقيض الافراط، كما أن الافراط: الميل عن الشيء زيادة).

والمطلوب في أي قرار صائب الحزم والضبط في كلّ ما يتعلق به من اسباب وشرائط، وهو طريق الصواب في الامور، وثمرة ذلك السلامة في تحقيق الاهداف المخططة المعتمدة على الاسباب والشرائط الممهدة.

والتفريط في الحزم يقتضي بقتضي نقض الاسباب والشرائط المهمدة واهمالها أو الاتكال على غيرها؛ فإنّ ثمرة هذا هي الندامة؛ لأنّه انحراف عن الحزم، وينقض ما كان المفروض اعداده.

[١٨٢]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

لا خَيْرَ فِي ٱلصَّمْتِ عَنِ ٱلْحُكْمِ[١]، كَما أَنَّهُ لا خَيْرَ فِي ٱلْقَوْلِ بِالْجَهْلِ[٢].

(ح ـ ١٨٢) **الصمت والقول:**

لكل من الصمت والقول مقام يوجب على الإنسان المسلم الالتزام به، ففي حالة الحكم المطلوب من الحاكم الكفو أن يبدي رأيه، فلا خير في صمته، فإنّه شرّ، قال تعالى:﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الامانات إلى اهلها واذا حكمتهم بين الناس أن تحكموا بالعدل﴾.[٣]

وعند حالة الجهل بالحكم المطلوب الصمت، قال تعالى:﴿ولا تقف ما ليس لك به علم﴾.[٤] ولا خير في القول المستند إلى الجهل.

[١٨٣]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

ما اخْتَلَفَت دعْوَتانِ إلّاَ كانَتْ إحْدَاهُما ضَلالَةً[٥].

(ح ـ ١٨٣) **اختلاف الدعوة:**

الدعوة إلى الله سبحانه لا تكون إلّا بما يرضي الله، وهو التمسك بحبل الله، والذي هو

---

(١) في هـ . ص: أي لا يحسن، بل قد يحرم كتم ما تعلّمه الانسان من العلم، كما لا يحسن بل قد يحرم القول في أمور الدين بغير علم، والله أعلم.

(٢) في أ و د وردت هنا الحكم التالية:

وقال عليه السلام: ما اختلفت دعوتان إلّا كانت إحداهما ضلالة.

وقال عليه السلام: ما شككت في الحق مذ رأيته.

وقال عليه السلام: ما كذبت ولا كذبت ولا ضللت ولا ضل بي.

وقال عليه السلام: للظالم البادي غداً بكفه عظة.

وقال عليه السلام: الرحيل وشيك.

وقال عليه السلام: من أبدى صفحته للحق هلك، وفي د زيادة: عند جهلة الناس.

(٣) النساء : ٥٨ .

(٤) الاسراء : ٣٦.

(٥) لم ترد هذه الحكمة في أ و د.

القرآن الكريم كقانون أساسي للاسلام والسنة النبوية الشارحة له، وما اكثر الدعوات في المذاهب والطرق والاحزاب، والمقياس فيها جميعا درجة اتفاقها على هذين الاصلين والاتفاق عليها معاً انما هو دعوة واحدة امرت بها آيات القرآن الكريم وسنة النبيّ العظيم بقوله تعالى:﴿واعتصموا بحبل الله جميعا ولاتفرقوا﴾[١].

وايّة دعوة اخرى تقوم في قبال ذلك هي دعوة ضلالة مهما كانت مبرراتها ووجهات نظر دعاتها. والله العاصم.

[١٨٤]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

ما شككت في الحق مذ اُريته[٢].

(ح - ١٨٤) **الشك في الحق:**

يشير الإمام إلى الرؤية الواضحة للمبادي والوسائل والاهداف الاسلامية بسبب انّه رآها بتعليم النبي القائد منذ صغره، وطبيعيّ أن من يغرف من زلال منابع الرسالة لا يعتريه الشك والضلالة، وتاريخ حياته في فجر الاسلام وغزوات النبيّ عليه وعلى آله الصلاة والسلام اوضح شاهد في المقام، وبالله الاعتصام.

[١٨٥]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

ماكذبت ولاكذبت، ولا ضللت ولا ضُلّ بي[٣].

---

(١) آل عمران : ١٠٣.

(٢) في هـ. ص: أي عرفته، وهذه مزيّة لهﷺ ظاهرة علىٰ غيره من الناس؛ فان أكثرهم أو كلّهم لابد أن اعتوره الشكوك.

(٣) في هـ. ص: «ماكذبت» أي: على رسول الله فيما قلت عنه، «ولا كُذِّبت» أي: لم يخبرني رسول الله بخبر كاذب، ولم أكن قط على ضلالة ولا سببت في ضلال غيري.

(ح - ١٨٥) من خصائص الإمام:

وسرد في هذه الحكمة من خصائصهﷺ الاربع بقوله:

١ ـ (ما كذبت) فهل يمكن لمن له رؤية واضحة للاسلام منذ فجر الرسالة أن يكذب؟

٢ ـ (ولا كذبت)؛ فإنّ التخرج من مدرسة النبوة والمواقف الجهادية ضد المشركين والكفار لا تدع مجالا للتكذيب.

٣ ـ (ولا ضللت)؛ فإنّ الضلال لابد وأن ينبع من الجهل بالاسلام في مباديه وثوابته، وكان الإمام اول من اسلم و هو صبي، فتربى مسلما منذ صغره.

٤ ـ (ولا ضل بي)؛ فإنّ السياسة المفتوحة التي استخدمها الإمام متبعا سنة الرسول لم تدع مجالا لأنّ يضل به احد؛ فان تاريخ حياته واضح من إلالتزام الوثيق بالقرآن الكريم والسير على سنة النبي الكريم في النظرية والتطبيق في كافة مجالات الحياة العقائدية والعباديّة والاقتصادية والاجتماعية والسياسية .

[١٨٦]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

للظالم البادئ ـ غداً ـ بكفّه عضّة[١].

(ح - ١٨٦) الظالم البادي:

الظلم جريمة في المجتمع لا يمحى اثره على النفس أو المعتدى عليه في المجتمع، بل يكون له آثار مستقبلية غير متوقعة، والظالم البادي هو من يبتدئ بالجريمة فيكون قدوة لغيرة من الظالمين، وقد أشار الإمامﷺ الى أن هذا الظلم لا ينفك من الظالم غدا في يوم القيامة، لما خلف ظلمه من الآثار حسب الاجيال، واقتبس ذلك من قوله تعالى:﴿يوم يعض الظالم على يديه﴾.[٢] والعض: استمساك الشيئ بالاسنان لاظهار الندامة حيث لا

(١) في هـ. ص: من قوله: تعالىٰ: ﴿ويوم يعضّ الظالم على يديه﴾، واشترط البدأة من قوله: تعالىٰ: ﴿ولمن انتصر بعد ظلمه﴾.
(٢) الفرقان : ٢٧.

تنفع الندامة لآثار الظلم الواضحة في المجتمع.

[١٨٧]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

الرحيل[١] وشيك[٢].

(ح - ١٨٧) **رحلة الموت:**

تشير الحكمة إلى رحلة الموت التي لا مفر منها، فإنّها وشيكة اي قريبة؛ فإنّ الرحلة بحكم طبيعتها تستغرق قطع المسافة، والحياة في الدنيا تستغرق فترة زمنيّة محددة للوصول إلى النهاية التي لا مفر منها، وكلما كان الشيئ مؤرخا فلابد من أن يصل إليه الانسان بمرور الزمن، وكل آتٍ قريب.

[١٨٨]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

من أبدى صفحته للحق هلك[٣] عند جهلة الناس[٤].

(ح - ١٨٨) **معارضة الحق:**

(الابداء: الاظهار، والصفح: الاعراض).

ان معارضة الحق بأيّة درجة تكون المعارضة، ويكون الهلاك؛ لأنّ الاسباب الداعية إلى المعارضة لا تخفى على احد وان كانت الغلبة للمعارضة في فترة زمينة على اثر الدعايات؛ فإنّ اثرها يكون وقتيا كالاعلانات التجارية، وتظهر الحقائق عاجلا أم آجلا،

(١) في هـ. ص: أي عن الدنيا إلى الآخرة.
(٢) في هـ. ص: أي سريع.
(٣) في هـ. ص: أي من أظهر أمره الذي يستحق العقوبة عليه، حث على ستر الهنات، كما قال ﷺ: «من أتى شيئاً من هذه القاذورات فليستتر بستر الله، فمن أبدى لنا صفحته أقمنا عليه حقّ الله».
هذا والحِكم الخمس هذه كلّها لم ترد في أ و د هنا، بل وردت كلّها بعد الحكمة ١٨١.
(٤) لم ترد «عند جهله الناس» في أ ب ص ط.

قال تعالى:﴿واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض﴾[١] وقال:﴿فاذا جاء امر الله قضي بالحق وخسر هنالك المبطلون﴾.[٢]

[١٨٩]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

مَنْ لَمْ يُنجِهِ ٱلصَّبْرُ أَهْلَكَهُ ٱلْجَزَعُ.

(ح - ١٨٩) **النجاة في الصبر:**

لا تخلو الحياة من مشاكل، وفي مواجهة المشاكل طريقان؛ لاثالث لهما: الصبر أو الجزع، والصبر: ضبط النفس بالتأمل في الاسباب والنتائج والتحرك حيث ما يقتضيه الموقف، وبشر الله الصابرين بقوله: ﴿اصبروا ان الله مع الصابرين﴾.[٣]

والجزع: اظهار الخوف بعدم الصبر.

وفي الخيار بين الطريقين لابد من التمسك بضمان النجاة بعناية الله في الصبر، لان الخيار الثاني يلازمة الهلاك؛ حيث انّه ليس مع الله فيتركه لوحده.

[١٩٠]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

واعَجَبا أَتَكُونُ ٱلْخِلافَةُ بِالصَّحابَةِ، وَلاتَكُونُ بِالصَّحابَةِ وَٱلْقَرابَةِ!

قال الرضيَّ رحمه الله تعالىٰ[٤]: وقد روى له شعر قريب من هذا المعنى وهو:

فَإِنْ كُنْتَ بِالشُّورى مَلَكْتَ أُمُورَهُمْ
فَكَيْفَ بِهذا وَٱلْمُشِيرُونَ غُيَّبُ

---

(١) الرعد : ١٧.
(٢) غافر : ٧٨.
(٣) الانفال : ٤٦ .
(٤) لم ترد «قال الرضي رحمه الله تعالىٰ» في أ و د. وفي هـ. ص : في نسخة: قال الرضي رحمه الله .

وَإِنْ كُنْتَ بِالْقُرْبى حَجَجْتَ خَصِيمَهُمْ
فَغَيْرُكَ أَوْلى بِالنَّبِيِّ وَأَقْرَبُ

(ح - ١٩٠) موجبات الخلافة:

تتضمّن الحكمة التعجب من الإمام والتعقيب بالاستفهام الاتكاري بقوله: (أتكون الخلافة بالصحابة والقرابة؟) ويستدل بذلك مفهوما على أن موجبات الخلافة ليس منها الصحابه ولا القرابة، بل هي اشياء اخرى غيرهما.

والبيتان المذكوران لا توافق هذه الرواية؛ لأنّ البيت الأوّل: ينتقد من طلب الخلافة بالشورى، بقوله: (فكيف بهذا والمشيرون غيب) والبيت الثاني: ينتقد من طلب الخلافة بالقرابة بقوله: (فغيرك أولى بالنبي وأقرب).

وهذه الطبعة تختلف عن طبعات اخرى وينتج أن نضبط النص في الحكمة كالاتى:

(و اعجبا! أتكون الخلافة بالصحابة ولا تكون بالصحابة والقرابة) وهذا يلائم البيتين من الشعر، فان الاستفهام الانكاري هو من دعوى ان موجب الخلافة الصحبة لوحدها ورفض دعوى أن موجب الخلافة الصحابة والقرابة معا، مع ان في الصحابة والقرابة معاً تأكيد لموجب الخلافة.

وعلى هذه رواية ابن الحديد (ت / ٦٥٦ هـ)، ما نصّه:«١٨٥) الأصل : واعجبا أن تكون الخلافة بالصحابة ولا تكون بالصحابة والقرابة . قال الرضي ﷺ تعالى وقد روى له شعر قريب من هذا المعنى وهو :

فإن كنت بالشورى ملكت أمورهم فكيف بهذا والمشيرون غيب !
وإن كنت بالقربى حججت خصيمهم فغيرك أولى بالنبي وأقرب

الشرح : حديثه عليه السلام في النثر والنظم المذكورين مع أبي كر وعمر ، أما النثر فإلى عمر توجيهه لان أبا بكر لما قال لعمر : امدد يدك ، قال له عمر : أنت صاحب رسول الله في المواطن كلها ، شدتها ورخائها ، فامدد أنت يدك ، فقال علي عليه السلام : إذا احتججت لاستحقاقه الامر بصحبته إياه في المواطن كلها ، في سلمت الامر إلى من قد شركه في ذلك ، وزاد عليه " بالقرابة " ! وأما النظم فموجه إلى أبى بكر ، لان أبا بكر حاج الأنصار في

السقيفة . فقال : نحن عترة رسول الله ﷺ وبيضته التي تفقأت عنه ، فلما بويع احتج على الناس بالبيعة ، وأنها صدرت عن أهل الحل والعقد ، فقال علي عليه السلام : أما احتجاجك على الأنصار بأنك من بيضة رسول الله ﷺ ومن قومه ، فغيرك أقرب نسبا منك إليه ، وأما احتجاجك بالاختيار ورضا الجماعة بك ، فقد كان قوم من جملة الصحابة غائبين لم يحضروا العقد فكيف يثبت ! واعلم أن الكلام في هذا تتضمنه كتب أصحابنا في الإمامة ، ولهم عن هذا القول أجوبة ليس هذا موضع ذكرها».[١]

[١٩١]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

إِنَّمَا ٱلْمَرْءُ فِي ٱلدُّنْيا غَرَضٌ[٢] تَنْتَضِلُ[٣] فِيهِ ٱلْمَنايا، وَنَهْبٌ[٤] تُبادِرُهُ[٥] ٱلْمَصائِبُ، وَمَعَ كُلِّ جُرْعَةٍ شَرَقٌ[٦]، وَفِي كُلِّ أَكْلَةٍ غُصَصٌ، وَلا يَنالُ ٱلْعَبْدُ نِعْمَةً إِلّا بِفِراقِ أُخْرى، وَلا يَسْتَقْبِلُ يَوْماً مِنْ عُمُرِهِ إِلّا بِفِراقِ آخَرَ مِنْ أَجَلِهِ، فَنَحْنُ أَعْوانُ ٱلْمَنُونِ[٧]، وَأَنْفُسُنا نَصْبُ ٱلْحُتُوفِ[٨]، فَمِنْ أَيْنَ نَرْجُو ٱلْبَقاءَ وَهذَا ٱللَّيْلُ وَٱلنَّهارُ لَمْ يَرْفَعا مِنْ شَيْءٍ شَرَفاً[٩] إِلّا أَسْرَعَا ٱلْكَرَّةَ فِي هَدْمِ ما بَنَيا، وَتَفْرِيقِ ما جَمَعا؟!

(ح ـ ١٩١) الإنسان هدف الرمي:

(الغرض: المرمى المعد لهدف الرمي: والانتضال: الاصابة، والمنية: الموت).

يستفتح الحكمة بأن الإنسان هدف للرمي بقوله:

---

(١) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٨ : ٤١٦.
(٢) في هـ . ص: هدف.
(٣) في هـ . ص: تترامى.
(٤) في هـ . ص: هو الملك المنهوب غنيمة، وجمعها نهاب، انتهى من الشرح.
(٥) في هـ . ص: أي تتبادره، وتروى :«تبادره» مضارع بادر، من الشرح.
(٦) الشرق ـ بالتحريك ـ وقوف الماء في الحلق، أي: مع كلّ لذة ألم.
(٧) في هـ . ص: وذلك لأنّه لابد أن يصدر من الانسان أفعال وأحوال طبيعية وغير طبيعية تـؤثر في النفس.
(٨) جمع حتف، وهو الهلاك.
(٩) الشرف: المكان العالي، والمراد به ـ هنا ـ كل ما علا من مكان وغيره.

(إنما المرء في الدنيا غرض) وهو المكان المعد لرمي السهام تدريباً هدفا للرماة، وقد سرد انواع الرمي التي توجه الى الانسان، فقال:

١ ـ (تنتضل فيه المنايا) والنضل: شئ يرمى؛ فإنّ المنايا هي تلك السهام التي تتوجه إلى الإنسان فتصيب البعض كلّ يوم في كلّ مكان وفي مختلف الطبقات.

٢ ـ (ونهب تبادره المصائب) والنهب: المال المنهوب الذي يسرع الناهب إلى أخذه؛ فإنّ المصائب تسرع في اخذه في نفسه وصحته وماله وعمله واسرته ومعارفه، مصيبة بعد اخرى.

٣ ـ(ومع كلّ جرعة شرق) والجرعة: شربة الماء، والشرق: توقفه في الحلق الموجب للالم في الشرب.

٤ ـ (وفي كلّ أكله غصص) والغصة: الشجى، وهو الطعام المتوقف في الحلق.

٥ ـ (ولا ينال العبد نعمة إلّا بفراق أخرى) فلا يجتمع لذتان في حالة واحدة في أي واحد حيث يجتمع الضدان.

٦ ـ (ولا يستقبل يوما من عمره إلّا بفراق آخر من أجله)؛ فإنّ حركة الزمن لا تتوقف، فهو يخطو كل يوم خطوة جديدة نحو الاجل.

وعن مستلزمات عن الرمي، قال:

٧ ـ (فنحن أعوان المنون) وهو الموت؛ فإنّ ايّة حركة يقوم بها الإنسان يكون عونا للرمى نحو هذا الهدف.

٨ ـ (وأنفسنا نصب الحتوف) والنصب: الجهة، والحتف: الهلاك؛ لأنّ الإنسان هو المرمي.

٩ ـ (فمن أين نرجو البقاء) مع كثرة هذه السهام التي تتوجه إلى الإنسان للايقاع به واصابته حتّى يقع ميتا؟.

١٠ ـ (وهذا الليل والنهار لم يرفعا من شئ شرفا إلّا أسرعا الكرة في هدم ما بنيا وتفريق ما جمعا) الشرف: المكان العالي؛ فإنّ كلّ ما يبنيه الليل والنهار من بناء مهما كان عاليا لابدّ وان يتبدل إلى خراب بالهدم.

وهذه النقاط العشر توجب الاعتبار بتوالي الليل والنهار، وما اكثر العبر واقل الاعتبار.

[١٩٢]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

يَا بْنَ آدَمَ ما كَسَبْتَ فَوْقَ قُوتِكَ فَأَنْتَ فِيهِ خازِنٌ لِغَيْرِكَ.

(ح - ١٩٢) **كسب القوت:**

القوت: ما يستهلكه الإنسان غذاءً؛ فإنّ كلما يكتسب الإنسان في الحياة زيادة على ما يستهلك ويحتاج إليه في حياته الشخصية أو الاسرية يكون ذخيرة لوقت الحاجة، وهذه الذخيرة قد تكون ضرورية لتامين المستقبل ولكنها في نفس الوقت مما لا يستهلك بالفعل فيكون المكتسب لها خازنا اما لنفسه في المستقبل أو لغيره بعد الموت، فمن اراد أن يكون خازنا فلابد أن يستعد كذلك بأداء واجباته.

[١٩٣]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

إِنَّ لِلْقُلُوبِ شَهْوَةً وَإِقْبالاً وَإِدْباراً، فَأْتُوها مِنْ قِبَلِ شَهْوَتِها وَإِقْبالِها، فَإِنَّ ٱلْقَلْبَ إِذا أُكْرِهَ عَمِيَ.

(ح - ١٩٣) **للقلوب شهوة:**

(القلب: العقل، الاقبال: الميل، والشهوة: الرغبة، والادبار :الملال).

كما يتعب جسم الإنسان من العمل فانه يتعب الفكر كذلك من التفكير، وفي حالة الاعياء لا يتمكن العقل من التفكير الصحيح، وانما يأتي التفكير الصحيح في حالة الراحة لا الغضب، فقال عليه السلام:

١ ـ (إن للقلوب شهوة) وهي الرغبة في بعض الاشياء دون غيرها للانس المسبق لها.

(وإقبالا) بالميل إلى بعض الاعمال بسابق معرفة وتجربة لها.

(وإدبارا) بالملل فيها لسابق تجربة مريرة لها.

٢ ـ (فأتوها من قبل شهوتها وإقبالها) فلا يكون استخدام الفكر فيما سستعصي على الإنسان التفكير فيه، فلا يبحث مع العقول الشاكة إلّا بما تفهمه من المعلومات .

٣ ـ (فإن القلب إذا أكره عمي)؛ فإنّ فرض المعلومات التي لا تتقبلها العقول لعدم استعدادها يكون اكراها، والاكراه لا يجدي اثرا في الحياة، بل يجعل المكره اعمى في تصرفاته، قال تعالى:﴿لا اكراه في الدين﴾ [١].

والتفكير الصحيح في الاسلام يبتني على الفكر الحر عند استعداد العقول لذلك، قال تعالى:﴿ان تقوموا لله مثنى وفرادى ثمّ تتفكروا﴾.[٢]

[١٩٤]

وَكانَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ يَقُولُ:

مَتى أَشْفِي غَيْظِي إذا غَضِبْتُ، أَحِينَ أَعْجِزُ عَنِ ٱلْانتِقامِ فَيُقالُ لِي: لَوْ صَبَرْتَ؟ أَمْ حِينَ أَقْدِرُ عَلَيْهِ، فَيُقالُ لِي: لَوْ عَفَوْتَ[٣].

(ح ـ ١٩٤) عند الغضب:

الغضب حالة غير طبيعية للانسان، يفقد فيها التوازن في التفكير، والعادة الغالبة فيها التشتفي ممن اوجب الغضب، اما بالقول كالسب واللعن، أو بالفعل كالانتقام والتعامل بالمثل ،والإمام في هذه الحكمة يشير الى انه لا يمكن التشفي من الغيظ وهو شدة الغضب. بيان ذلك: أن الغضب يتصور فيه للغاضب حالتان:

الحالة الاولى: العجز عن الانتقام، وهذا العجز يستلزم البديل، والبديل الاسلامي هو الصبر الذي امر الله به في القرآن الكريم بقوله:﴿ان الله يحب الصابرين﴾[٤].

---

(١) البقرة: ٢٥٦.

(٢) سبأ: ٤٦.

(٣) في أ: غفرت، وفي هـ. د: غفرت ـ ن وحاشيته. وفي هـ. ص: هذا حثّ على العفو وترغيب فيه لطيف، وتحقيقه: انّ شفاء الغيظ تحصيل مطلوب النفس ولا فضيلة فيه ويفوت بسبب فضيلتان شريفتان يلام الانسان على التفريط في واحدة منهما، تمايزتا باعتبار القدرة والعجز.

(٤) آل عمران : ١٤٦.

الحالة الثانية: القدرة على الانتقام، وبما أن الانتقام مرفوض اسلاميا فيكون البديل الاسلامي العفو، قال تعالى:﴿وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإنّ الله غفور رحيم﴾.[1]

ففى الحالتين لا يمكن الانتقام؛ لأنّه مرفوض اسلاميا، فلابد من البديل وهو اما الصبر أو العفو.

[١٩٥]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ وَقَدْ مَرَّ بِقَذَرٍ عَلى مَزْبَلَةٍ:

هذا ما بَخِلَ بِهِ ٱلْباخِلُونَ.

وَفِي خَبَرٍ آخَرَ أَنَّهُ قالَ[2]: هذا ما كُنْتُمْ تَتَنافَسُونَ فِيهِ بِالْأَمْسِ.

(ح - ١٩٥) القذر على المزبلة:

(القذر: الغائط، والزبل: ما ترمي الحيوانات من اوساخ جوفها، والمزبلة: موضع تجمعها، والتنافس: التسابق للحصول على الشئ).

فان كلّ ما يتنافس اهل الدنيا فيه يرجع إلى ملذات النفس، واكثرها تفننا لهم ما لذ من الطعام حيث يفتقرون إليه في حياتهم اليومية على الدوام، وقد اشار عليه السلام في هذه الحكمة إلى أن نتيجة هذا الذي يتنافس عليه اهل الدنيا هو هذا، وقد بخلوا به على المحتاجين من قبل واودعوها بطونهم لفترة زمنيّة محدودة، ثمّ رموها.

[١٩٦]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

لَمْ يَذْهَبْ مِنْ مالِكَ ما وَعَظَكَ.

---

(١) التغابن : ١٤.

(٢) في هـ . ص : في نسخة: وروي في خبر آخر انّه قال، وكتب على كلمة «بـالامس»: نسـخة، وفي أ: وروي انّه قال.

(ح - ١٩٦) الربح والخسارة:

الربح في الاموال تتقدر باعتبار ما يحصل عليه بازاء المال، ومن هذا المنطلق يبذل التجار اموالا في الاعلانات في الاسواق، وتنزيلات في الاسعار والهدايا للزبائن، وكذلك الحال في المال الذي يكون ذهابه واعظا للانسان في تصحيح مواقفه في الحياة وفي علاقاته الاجتماعية مع الآخرين من الاسرة والصحبة وعامة المجتمع؛ فإنّ هذا المال المبذول في هذا السبيل ليس خسارة، بل يعد ربحا واعلانا صامتاً غير صاخب وسلوكاً حقيقيّاً غير مشوب بالدجل.

[١٩٧]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

إِنَّ هَذِهِ[١] ٱلْقُلُوبَ تَمَلُّ كَما تَمَلُّ ٱلْأَبْدانُ فَابْتَغُوا لَها طَرائِفَ ٱلْحِكْمَةِ[٢].

(ح - ١٩٧) طرائف الحكمة:

تقدمت هذه الحكمة في الرقم (٨٩) لفظا بلفظ، ما عدى الكلمة الاخيرة، فهي هنا بصيغه المفرد، وهناك بصيغة الجمع، فراجع .

ومن هنا يستظهر ان الشريف الرضي (ت /٤٠٦) اعتمد فيها على رواية اخرى، وكان الاوفق أن يلحق بها هناك مع التنبيه، والعصمة لاهلها، واطلاق الحكمة يقتضي عدم اختصاص الحكمة بمنبع خاص، وللأمم قديما وحديثا تجارب وحكم ترفه عن النفس همومها وتكشف عن الحياة المادية غمومها، وصاحب الرؤية الواضحة يمتحن في حياته بخصوصها وعمومها، فهو اولى بالترفيه عن نفسه من غيره، والله ولي امره.

قال ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في شرح نهج البلاغة، ما نصّه: «معنى قوله سبحانه: ﴿إن الحكم إلا لله﴾ ، أي إذا أراد شيئا من أفعال نفسه فلا بد من وقوعه ، بخلاف غيره من

---

(١) لم ترد «هذه» في د، وفي هـ. د: إن هذه ــ ض ح ن.
(٢) في هـ. ص: قد مرّ تفسير هذه الكلمة، ولعلّها ممّا تكرر على الرضي رحمه الله نسياناً لاختلاف يسير، ولم توجد في أكثر النسخ هاهنا.

القادرين بالقدرة فإنه لا يجب حصول مرادهم إذا أرادوه ، الا ترى ما قبل هذه الكلمة :﴿ يا بنى لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة وما أغنى عنكم من الله من شئ إن الحكم إلّا لله ﴾ خاف عليهم من الإصابة بالعين إذا دخلوا من باب واحد ، فأمرهم أن يدخلوا من أبواب متفرقة ، ثم قال لهم :﴿ وما أغنى عنكم من الله من شئ﴾ ، أي إذا أراد الله بكم سوءا لم يدفع عنكم ذلك السوء ما أشرت به عليكم من التفرق ، ثم قال :﴿إن الحكم إلا لله ﴾ أي ليس حي من الاحياء ينفذ حكمه لا محالة ومراده لما هو من أفعاله إلا الحي القديم وحده ، فهذا هو معنى هذه الكلمة ، وضلت الخوارج عندها فأنكروا على أمير المؤمنين عليه السلام موافقته على التحكيم ، وقالوا كيف يحكم وقد قال الله سبحانه :﴿ إن الحكم إلا لله﴾ ، فغلطوا لموضع اللفظ المشترك ، وليس هذا الحكم هو ذلك الحكم ، فإذن هي كلمة حق يراد بها باطل ، لأنها حق على المفهوم الأول ، ويريد بها الخوارج نفى كل ما يسمى حكما إذا صدر عن غير الله تعالى ، وذلك باطل ، لان الله تعالى قد أمضى حكم المخلوقين في كثير من الشرائع».[١]

[١٩٨]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ: لَمّا سَمِعَ قَوْلَ ٱلْخَوارِجِ: «لا حُكْمَ إِلّا لِلّهِ»: كَلِمَةُ حَقٍّ يُرادُبِها باطِلٌ[٢].

(ح ـ ١٩٨) **كلمة حق:**

الكلمة المذكورة حق لانها مقتبسة من قوله تعالى:﴿ان الحكم إلّا لله﴾[٣]، ولكنها استخدمت لغرض باطل هو الخروج على الحكم الاسلامي القائم بالشورى، والله امر

---

(١) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٩ : ١٧.

(٢) في هـ . ص: قد بيّن عليه السلام مرادهم فيما مرّ من باب الخطب (الخطبة: ٤٠) وهو انّهم يقولون: لا إمرة، وهذا خطأ، وهو كلمة حق يراد بها باطل؛ إذ لابدّ ممّن يُمضي حكم الله؛ ولأنها من ألفاظ القرآن.

(٣) يوسف : ٦٧.

بطاعة هذا الحكم بقوله:﴿اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الأمر منكم﴾.[١]

وهذا هو شأن السياسيين الانتهازين في كلّ زمان ومكان، فانهم يستخدمون الشعارات الحقة التي لا شك في صحتها من الدعوة إلى العدالة والاخاء والمساواة وما شابه، ولكن الاعمال لا تتطابق مع الشعارات؛ لانها مغالات في الوعود من اناس ليس لهم الخيار في التنفيذ في الحال، فكيف يوفق في المستقبل؟ وهكذا كانت كلمة الخوارج.

[١٩٩]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ فِي صِفَةِ ٱلْغَوْغاءِ:

هُمُ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱجْتَمَعُوا غَلَبُوا، وَإِذا تَفَرَّقُوا لَمْ يُعْرَفُوا.

وَقِيلَ: بَلْ قالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ: هُمُ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱجْتَمَعُواْ ضَرُّوا[٢]، وَإِذا تَفَرَّقُوا نَفَعُوا.

فَقِيلَ: قَدْ عَلِمْنا[٣] مَضَرَّةَ ٱجْتِماعِهِمْ، فَما مَنْفَعَةُ ٱفْتِراقِهِمْ؟

فَقالَ: يَرْجِعُ أَصْحابُ ٱلمِهَنِ إِلى مِهَنِهِمْ فَيَنْتَفِعُ ٱلنّاسُ بِهِمْ كَرُجُوعِ ٱلْبَنّاءِ إِلى بِنائِهِ، وَٱلنَّسّاجِ إِلى مَنْسَجِهِ، وَالْخَبّازِ إِلى مَخْبَزِهِ.

(ح ـ ١٩٩) **الغوغاء:**

الغوغاء: الجماعة الخليطة من الناس، فإنّ الاختلاط من دون جامع فكري يجمعهم لا ينتج الا الضوضاء واللغط من دون أن يتحمل المسؤولية احد منهم، كما هو شأن المظاهرات السياسية في عصرنا ومصرنا، حيث يندفع جماعة مسيسة بروح عاطفية يستخدمهم اناس من وراء الستار، ويرفعون الشعارات وهم على الاغلب في العمر صغار، ويدفعهم إلى ذلك اصحاب المصالح الكبار، ولا يعلم عواقب مسيرتهم احد سوى الواحد الستار.

والغوغاء من الناس يعتبرون انفسهم ثوارا، ويعتبرهم اعداؤهم مخلين بالامن

---

(١) النساء: ٥٩.

(٢) شبّه عليه السلام حركة اجتماعهم بهيجان البحر والتطامه.

(٣) في د: عرفنا.

ويطلقون عليهم النار ويراهم اقرباؤهم مغرّرين فيجلبون عليهم العار، فكل واحد منهم ينظر اليهم بما له من منظار.

والإمامعليه السلام يصفهم وصفاً موضوعيا وقد عاصر الغوغاء في مقتل الخليفة عثمان فقال في صفتهم عن تجربة شخصية بالمشاهدة برأي العين:

أوّلاً: (هم الذين إذا اجتمعوا غلبوا) فليس الغلبة لاشخاصهم بالذات ولا لصحة دعاويهم ومطاليبهم، ولا للاسباب التي دفعتهم إلى الاجتماع، بل الغلبة انما هي بسبب الاجتماع؛ فإنّ الوحدة في المواقف لها اثرها في النصر والغلبه حقا أو باطلا، ومن اجل ذلك أكّد الاسلام على الوحدة واستخدمها اعداء الاسلام منذ غزوة الاحزاب في مختلف الصور، فكانت نتائج الوحدة دائما الغلبة.

ثانياً: (وإذا تفرقوا لم يعرفوا) وبهذا يختلف الغوغاء عن الجماعات المخالفة الممهدة لاهداف خاصة ـ سياسية أو غيرها ـ؛ فإنّ هذه الجماعات تكون معروفة بالاشخاص والاهداف والمصالح والمواقف في التاريخ، ويمكن محاسبتهم شخصيا.

ثالثاً: (هم الذين إذا اجتمعوا ضروا)؛ فإنّ الاجتماع ليس لهدف مدروس من قبل كلّ فرد منهم، بل هو مدروس ـ على الاغلب ـ من قبل جماعة تحركهم من وراء الستار، فهم وحدهم يعرفون ويخطوطون، والعامة تنفذ بعواطف جياشة غير واعية للتخطيط، فيتصرف كلّ واحد منهم تصرفا عشوائيا ولا ينتج التصرف العشوائي سوى الضرر، واذا لم يكن وراءهم من يخطط ـ وهو النادر ـ فيكون الضرر اشد؛ لأنّ التصرفات العشوائية قد يتعدى حدود العقل، ويصل إلى القتل والاضرار الذي لا مبرر له.

رابعاً: (وإذا تفرقوا نفعوا) وقد فسر منفعه افتراقهم بقوله:

(يرجع أصحاب المهن إلى مهنتهم فينتفع الناس بهم)؛ فإنّ كلّ فرد من أفراد الغوغاء له خبرة وتجربة في مهنة وصناعة اكتسبها طول حياته مهما كانت فقيرة، وبحسب هذه الخبرة يمكنه المساهمة الايجابية في خدمة الدين والشعب والوطن.

وقد أشار إلى ثلاث منهن بقوله:

١ ـ (كرجوع البناء إلى بنائه) في عمران الوطن بالبناء الذي يخدم العمران.

٢ ـ (والنساج إلى منسجه) في اعداد ما ينتفع منه الشعب في اللبس والافتراش.

٣ ـ(والخباز إلى مخبزه) في استصال مادة الجوع بما يفتقر إليه الناس في الطعام الغالب وهو الخبر.

ومن ذلك يظهر وجود هذه المهن الثلاث على مستوى عام في المجتمع الاسلامي في ذلك العصر وحاجة الشعب المسلم ـ ككل شعوب العالم ـ اليها في تطور حضارتها.

[٢٠٠]

وَقال عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ وقَدْ أُتِيَ[1] بِجانٍ وَمَعَهُ غَوْغاءُ، فَقالَ:

لا مَرْحَباً بِوُجُوهٍ لاتُرى إلّا عِنْدَ كُلِّ سَوْأَةٍ.

(ح ـ ٢٠٠) الجاني في الغوغاء:

(الجان: المرتكب للخيانة، والغوغاء: الجماعة الخليطة من الناس، والسوأة: القبيح من الفعل).

وتتضمن الحكمة ذم الغوغاء وهي في الحقيقة صفة خامسة للغوغاء على ما تقدم في الحمكة (١٩٩) من اجل ذلك عقبها الشريف الرضي(ت / ٤٠٦) بها، والله اعلم.

فان من صفات الغوغاء انها لا يجتمع إلّا عند السوأة، وهي الفعل القبيح؛ لانها لاتهتم بمصالح نفسها واسرتها ومهنتها بسبب الفراغ والبطالة أو الملل من العمل أو غيرها فتسارع إلى سماع اي شهيق وتجري وراء أي نهيق، ولايدري احد متى تفيق من نومها العميق.

[٢٠١]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

إِنَّ مَعَ كُلِّ إِنْسانٍ مَلَكَيْنِ يَحْفَظانِهِ، فَإِذا جاءَ ٱلْقَدَرُ خَلَّيا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ، وَإِنَّ الْأَجَلَ جُنَّةٌ

---

(١) لم ترد «وقال عليه السلام» في د.

حَصِينَةٌ.

(ح ـ ٢٠١) ملائكة الحفظ:

(القدر: ما قدره الله، والاجل: نهاية العمر، والجُنة: الدرع).

خلق الله الملائكة وجعل لهم واجبات يؤدونها حسب المصالح والالطاف الالهيّة العامة في الكون، كما هو مشروح في قاعدة اللطف (راجع المادة في المعجم).

ومن الطافه تعالى على الإنسان أن جعل معه ملائكة الحفظ، قال تعالى:﴿وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون﴾[١] وقال:﴿ويرسل عليكم حفظه حتّى اذا جاء احدكم الموت﴾[٢]؛ فإنّ مسؤولية ملائكة الحفظ تنهي بالموت والقدر من الله فقد قدر الله لكل انسان اجلاً ونهاية في الحياة، فقال:﴿فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾.[٣] فيكون الاجل درعاً على كلّ البلاء محصنا بارادة الله القدير على كلّ شئ.

[٢٠٢]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ، وَقَدْ قالَ لَهُ طَلْحَةُ وَٱلزُّبَيْرُ: نُبايِعُكَ عَلى أَنَّا شُرَكاؤُكَ فِي هذَا ٱلْأَمْرِ فَقالَ[٤]:

لا، وَلكِنَّكُما شَرِيكانِ فِي ٱلْقُوَّةِ وَٱلْاسْتِعانَةِ[٥]، وَعَوْنانِ عَلَى ٱلْعَجْزِ وَٱلْأَوَدِ.

(ح ـ ٢٠٢) الشركة في الخلافة:

الخلافة: رئاسة الحكم الاسلامي، وهي مسؤولية لا يتحملها إلّا واحد يمثل وحدة الدولة، فلا يكون للدولة ملكان ولا للجمهورية رئيسان إلّا أن يتنازل احدهما للاخر، فيكون الرئيس هو الوحيد في المسؤولية. وطبيعيّ أن الرئاسة تفتقر إلى اعوان لمعرفة

---

(١) الانفطار: ١١.
(٢) الانعام: ٦١.
(٣) الاعراف: ٣٤.
(٤) في هـ. د: لم ترد «فقال» في ب.
(٥) في هـ. ص: في نسخة: الاستعلاء.

الرأي الصائب في القرارات، ومن هذا المنطلق رفض الإمام اقتراح الشركة في الخلافة، ودعي في نفس الوقت إلى المشاركة في سياسة الخلافة بقوله:

(لا، ولكنكما شريكان) وحدد حدود المشاركة في سياسة الخلافة باربع، هي:

أوّلاً: (شريكان في القوة)؛ فإنّ قوة الخلافة الاسلامية ينعكس على جميع افراد الشعب المسلم بلا استثناء كما أن ضعفها يكون ضعفا للجميع؛ لأنّ الدولة تمثل الشعب كله.

ثانياً: (والاستعانة) وهي طلب العون فيما يصلح في خدمة الدين والدولة لتحكيم المبادي والوسائل والاهداف الاسلامية، ويتوقف ذلك على مشاركة المسلمين جميعا في تحقيق ذلك باعتبار أن الدولة الاسلاميّة دولة شعبية تسير على تظامن الشعب معها.

ثالثاً: (وعونان على العجز) في الرئيس لمرض أو موت أو اي عارض يمنعه من القيام بمسؤولية الرئاسة، فيكون الدور العون لسد العجز الحاصل بالاسباب الطارئة.

رابعاً: (والأود) وهو بمعنى الثقل والعوج، والأوّل: أليق فيكون المشاركة من رفع الثقل ويصبح الانحراف عما تتطلبه الخلافة النبوية بالعمل بالمبادي والوسائل والاهداف الاسلاميّة القائمة على الكتاب والسنة.

وهذه النقاط تفتح باب المشاركة في الخلافة مع وحدة الخليفة الذي هو الرمز للدولة الاسلامية.

قال ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في شرح نهج البلاغة، ما نصّه:«ولقد أحسن فيما قال لهما لما سألاه أن يشركاه في الامر ، فقال : أما المشاركة في الخلافة فكيف يكون ذلك ؟ وهل يصح أن يدبر أمر الرعية إمامان ! وهل يجمع السيفان ويحك في غمد.[١]

وإنما تشركاني في القوة والاستعانة أي إذا قوى أمرى وأمر الاسلام بى قويتما أنتما أيضا ، وإذا عجزت عن أمر ، أو تأود على أمر – أي أعوج – كنتما عونين لى ومساعدين على إصلاحه .

فإن قلت : فما معنى قوله : "والاستعانة"؟.

---

(١) عجز بيت لابي ذؤيب الهذلى ، وصدره : تريدين كيما تجمعينى وخالداً. ديوان الهـذليين ١: ١٥٩ .

قلت : الاستعانة هاهنا الفوز والظفر ، كانوا يقولون للقامر يفوز قدحه قد جرى ابنا عنان . وهما خطان يخطان في الارض يزجر بهما الطير ، واستعان الانسان ، إذا قال وقت الظفر والغلبة هذه الكلمة ».(١)

[٢٠٣]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

أَيُّهَا ٱلنّاسُ، ٱتَّقُوا ٱللّهَ ٱلَّذِي إِنْ قُلْتُمْ سَمِعَ، وَإِنْ أَضْمَرْتُمْ عَلِمَ، وَبادِرُوا الْمَوْتَ ٱلَّذِي إِنْ هَرَبْتُمْ(٢) أَدْرَكَكُمْ، وَإِنْ أَقَمْتُمْ أَخَذَكُمْ، وَإِنْ نَسِيتُمُوهُ ذَكَرَكُمْ.

(ح ـ ٢٠٣) تقوى الله:

اشار الإمام عليه السلام إلى الاسباب الداعية إلى تقوى الله المستلزمة للمبادرة للموت، والمبادرة: الاستعداد للشيئ، فقال عن السبب الداعي الى التقوى:

(أيها الناس) خطابا لكل طبقات المجتمع الإنساني مسلما أو غير مسلم.

١ ـ (اتقوا الله الذي إن قلتم سمع) فإنّه ﴿هو السميع العليم﴾.(٣)

٢ ـ (وإن أضمرتم علم) قال تعالى:﴿واسروا قولكم أو اجهروا به إنّه عليم بذات الصدور﴾.(٤)

وعن السبب في المبادرة والاستعداد للموت قال:

أوّلاً: (إن هربتم أدرككم)، قال تعالى:﴿اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيّدة﴾.(٥)

ثانياً: (وإن أقمتم أخذكم) والاقامة: السكنى في الوطن، فلا يفرق الموت بين المقيم وغيره.

---

(١) شرح نهج البلاغة؛ لابن أبي الحديد ١٩ : ٢٢.
(٢) هـ. د: هربتم منه ـ ض ع ب.
(٣) البقرة : ١٣٧.
(٤) الملك : ١٣.
(٥) النساء : ٧٨.

ثالثاً: (وإن نسيتموه ذكركم)، قال تعالى:﴿فاذا جاء اجلهم لايستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾.(١)

وكفى ذلك سببا للمبادرة الى الموت والاستعداد لأداء المسؤوليات في الحياة.

[٢٠٤]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

لا يُزْهِدَنَّكَ فِي ٱلْمَعْرُوفِ مَنْ لا يَشْكُرُهُ لَكَ، فَقَدْ يَشْكُرُكَ عَلَيْهِ مَنْ لا يَسْتَمْتِعُ بِشَيْءٍ مِنْهُ(٢)، وَقَدْ تُدْرِكُ مِنْ شُكْرِ ٱلشّاكِرِ أَكْثَرَ مِمّا أَضاعَ ٱلْكافِرُ، وَٱللّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ(٣).

(ح ـ ٢٠٤) المعروف:

المعروف: الخير والاحسان الذي يعرفه كلّ انسان بطبيعته التي خلقها الله، ولا ينكره إلّا من ينكر الطبيعة الانسانية فيتوحش بما عرفه الله تعالى من الاحسان، ويشير الإمام عليه السلام إلى أن الإنسان المسلم يجب أن ينظر الى الاحسان باعتباره مسؤولية اسلامية ولا يتأثر بالعوامل الخارجية التي تصحب عمل الخير من نقد أو شكر؛ فإنّ الرؤية الواضحة الاسلامية تستلزم العمل بعيدا عن هذه المؤثرات وان كان ثأنثيرها طبيعية، ومنها: الشكر على المعروف؛ لأنّ عمل الخير يستحق التقدير والشكر، فقال:

ـ (لا يزهدنك في المعروف من لا يشكره لك) ممّن ساعدته في خدمة لله؛ فإنّ نكران المعروف منه وان كان غير طبيعي لابدّ أن لا يؤثر بمن يعمل بمسؤوليته لله.

وقد سرد اسبابا ثلاثة للاستمرار على المعروف مهما كانت العوامل الخارجية، فقال:

أوّلاً: (فقد يشكرك عليه من لا يستمتع بشئ منه)؛ فإنّ في الناس من يستخدم عقله الذي وهبه الله في التمييز بين المعروف والمنكر، ويشكر المعروف وان كان العامل غير

(١) الاعراف : ٣٤.

(٢) في د: زيادة «بشيء منه»، وفي هـ. د: لا يستمتع فيه ـ ب.

(٣) في هـ. ص: هذا حثّ بليغ على اصطناع المعروف، لانّه رغّب فيه مع كون المبتدأ إليه لايشكره، فبالأولى مع شكره، ثم قال: وفعل الاحسان سبب لثواب الله إذا فعله فاعله لكونه حسن عند الله مرغّباً فيه لذاته.

معروف؛ فإنّ العبرة بالآثار والاعمال، وليس بالدعاوى والاقوال.

ثانياً: (وقد تدرك من شكر الشاكر أكثر بما أضاع الكافر) للنعمة؛ فإنّ شاكر النعمة الذي يقدرها يقوم بدوره بسبب تقييم العمل في ذاته، فيشكره باخلاص مجردا عن العوامل الخارجية، دون الكافر للنعمة فإنّه يشعر بعقدة النقص في الانعام عليه فيتنكر للمعروف.

ثالثاً: (والله يحب المحسنين) اقتباساً من قوله تعالى:﴿واحسنوا ان الله يحب المحسنين﴾ [1]، فان الاحسان هو المعروف، والله امر به، والمسلم يقوم بذلك لرضا الله بأداء مسؤولية الاسلامية سواء كان هناك من يشكره أم لا.

وما هي قيمة الشكر من الناس؟ وما كانوا في التاريخ إلّا قليلا، قال تعالى:﴿وقليل من عباي الشكور﴾.[2]

[٢٠٥]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

كُلُّ وِعاءٍ يَضِيقُ بِما جُعِلَ فِيهِ إِلّا وِعاءَ ٱلْعِلْمِ فَإِنَّهُ يَتَّسِعُ[3].

(ح - ٢٠٥) وعاء العلم:

تشير الحكمة إلى الفرق بين المحسوسات والمعقولات؛ فإنّ لكل شئ وعاء، ووعاء المحسوسات يضيق بما يجعل فيه ولا يتحمل اكثر من المساحة المعدة فيه، دون العلم فإنّه يزداد بالتجربة ويتطور من حالة بدائية الى مرحلة اكبر تقدما، ولا تزال العلوم التجريبية في تطور مستمر، وكلما تقدم العلم انكشف من آثار القدرة الالٰهيّة شيئا جديداً، ولم يتمكن العلم من اختراع المواد الاصلية للكيمياء وان تقدم إلى احدث التطورات.

قال ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في شرح نهج البلاغة، ما نصّه:« هذا الكلام تحته سر عظيم ، ورمز إلى معنى شريف غامض ، ومنه أخذ مثبتوا النفس الناطقة الحجة على

---

(١) البقرة: ١٩٥.

(٢) سبأ : ١٣.

(٣) في هـ. ص: وعاء العلم هو القلب، والكلام علىٰ ظاهره.

قولهم ، ومحصول ذلك أن القوى الجسمانية يكلها ويتعبها تكرار أفاعيلها عليها ، كقوة البصر يتعبها تكرار إدراك المرئيات ، حتى ربما أذهبها وأبطلها أصلا ، وكذلك قوة السمع يتعبها تكرار الأصوات ، عليها وكذلك غيرها من القوى الجسمانية ، ولكنا وجدنا القوة العاقلة بالعكس من ذلك، فان الانسان كلما تكررت عليه المعقولات ازدادت قوته العقلية سعة وانبساطا واستعدادا لادراك أمور أخرى غير ما أدركته من قبل ، حتى كان تكرار المعقولات عليها يشحذها ويصقلها ، فهي إذن مخالفة في هذا الحكم للقوى الجسمانية ، فليست منها ، لأنها لو كانت منها لكان حكمها حكم واحد من أخواتها ، وإذا لم تكن جسمانية فهي مجردة ، وهي التي نسميها بالنفس الناطقة».[١]

[٢٠٦]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

أَوَّلُ عِوَضِ ٱلْحَلِيمِ مِنْ حِلْمِهِ أَنَّ ٱلنّاسَ أَنْصارُهُ عَلَى ٱلْجاهِلِ.

(ح ـ ٢٠٦) نتيجة الحلم:

الحلم: التسلط على قوة الغضب، وهو حالة متوسطة بين الاستشاطه والانعزال، ويدل على كمال العقل باخضاع الغضب وترك الاستعجال في العقاب قولا أو فعلا.

وقد اشارت الحكمة إلى اظهر نتائج الحلم المحسوسة، وهي أن من يشاهد موقف الحليم يكون نصيراً له على الجاهل الذي لا يتصف بصفة الحلم، لا لشئ إلّا لأنّ الحلم يلازم العقل، بل هو كمال العقل، ويكشف فى الحليم الوقار في اعين النظّار.

[٢٠٧]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

إِنْ لَمْ تَكُنْ حَلِيماً[٢] فَتَحَلَّمْ[٣]، فَإِنَّهُ قَلَّ مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ إِلّا أَوْشَكَ أَن يَكُونَ مِنْهُمْ.

---

(١) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٩ : ٢٥.
(٢) في هـ. د: إذا لم تكن ـ ك.

(ح ـ ٢٠٧) التحلّم:

والتحلم: هو تكلف الحلم بكظم الغيظ، وهو اولى الدرجات للوصول إلى الحلم حتّى يصبح طبيعة ثانوية للانسان، فإنّه لا يحتاج إلى التحلم إلّا من هاج غيظه، فيفتقر إلى التمرن والمجاهدة لهوى النفس حتّى يتعوّد على الحلم، ويصبح امراً عاديا في حياته، وان الحلم افضل من التحلم تكلفا.

وأشار إلى أن هذه الدرجة الاولى ـ عادة ـ توصل إلى الدرجة الاخيرة، وهي الحلم الطبيعي بقوله: (فإنه قل من تشبه بقوم إلّا أوشك أن يكون منهم)؛ لأنّ الإنسان يولد على الفطرة والعادات والتقاليد تكتسب من الاسرة والمجتمع والبيئة التي يعيش الإنسان فيها، والخيار بيده في تغيير هذه الاخلاق بالتمرن ومن تمرن على شئ تعود عليه عادة.

[٢٠٨]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

مَنْ حاسَبَ نَفْسَهُ رَبِحَ، وَمَنْ غَفَلَ عَنْها خَسِرَ[٤]، وَمَنْ خافَ أَمِنَ، وَمَنِ ٱعْتَبَرَ أَبْصَرَ[٥]، وَمَنْ أَبْصَرَ فَهِمَ[٦]، وَمَنْ فَهِمَ عَلِمَ[٧].

(ح ـ ٢٠٨) نتيجة المحاسبة:

المحاسبة: النظر في الربح والخسران ليتبين الزيادة أو النقصان في الحساب، ليعرف

---

(٣) في هـ . ص: أي بطبعك وغريزتك.

(٤) في هـ . ص: صدق عليه السلام؛ لأنّ معنى محاسبة النفس أن تعرض أعماله علىٰ بصيرته، فحينئذٍ إذا وجد شيئاً تاب منه وتداركه بالإصلاح فيخلص، والحسنات سالمة من المحبطات، ومن غفل عنها اجتمعت عليه خطيئاته وأحاطت به فلا جرم أنّه يخسر كما قال تعالىٰ: ﴿بلى من كسب سيّئة وأحاطت به خطيئته﴾ وقال النبيﷺ: «إيّاكم ومحقّرات الذنوب فإنّها تجتمع على صاحبها فتهلكه».

و «من خاف أمن» أي من خاف من الله في الدنيا أمن في الآخرة من عذاب الله؛ لأنّ الله عدل حكيم، والخوف يحمله على التقوى، والله أعلم.

(٥) في هـ . ص: لأنّه إنّما يؤتى الإنسان من اعراضه عن الدلائل.

(٦) في هـ . ص: أي عرف دليل الحق.

(٧) في هـ . ص: أي علم الحق.

الفاضل والناقص من راس المال.

ويشير الإمام إلى نتيجة المحاسبة في نفسها، فهي ربح وان لم يربح في اصل المال؛ لأنّه يربح في معرفة امور ترتبط في سلسلة متصلة إلى العلم، والعلم هو الربح؛ لأنّه خير من الجهل، فان مع عدم العلم بالمحاسبة تكثر الظنون والاتهامات وتتولد العداوة والحزازات ولا يقلعها إلّا المداقة في المحاسبات، والله اعلم بالنيات، فقال:

١ ـ (من حاسب نفسه ربح) في اعماله اليومية خيرا أو شرا،قبل أن يحاسبه الناس والتاريخ.

٢ ـ (ومن غفل عنها خسر) حيث يعيش من دون تحمل مسؤولية كالحيوانات.

٣ ـ(ومن خاف أمن)؛ فإنّ الخوف من الانحراف يستلزم الاتقان والاستعداد للحوادث المفاجأة، وبذلك يحصل الامن منها.

٤ ـ (ومن اعتبر أبصر)؛ فإنّ موارد الاعتبار الكثيرة توجب البصيرة لما شابهها في الحياة.

٥ ـ (ومن أبصر فهم) حيث لا يمكن فهم الحقائق من دون بصيرتها على حقيقتها.

٦ ـ (ومن فهم علم) فيكون الفاهم للحقائق عالماً، والعلم خير من الجهل، فإنّه يوجب الاخذ بالقرارات العادلة في الحياة وتجنب الظنون والشبهات، والله العاصم في كلّ الحالات.

[٢٠٩]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

لَتَعْطِفَنَّ ٱلدُّنْيا عَلَيْنا بَعْدَ شِماسِها[١] عَطْفَ ٱلضَّرُوسِ[٢] عَلى وَلَدِها. وَتَلا عَقِيبَ ذلِكَ: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا فِي ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوارِثِينَ﴾[٣].

---

(١) الشماس: امتناع الدابّة من الركوب عليها.
(٢) الضروس: الناقة السيئة الخلق، تعضّ حالبها ليبقى لبنها لولدها، وذلك من فرط عطفها على ولدها.
(٣) القصص ٢٨ : ٥.

(ح - ٢٠٩) اهل البيتعليهم السلام:

(العطف: الميل، والشماس: الامتناع، والضروس: الناقة التي تعض صاحبها).

تشير الحكمة إلى حالة المستضعفين في كلّ امة - ومنهم اهل البيت - وان الطبيعة التي استخدمها أصحاب سياسية الاستضعاف بصورها المتعددة في المجتمع لابدّ وان تنهار؛ لأنّ الحكم الظالم على سلب القوّة من المجتمع حكم ظالم، والظلم لا يدوم وان طال الزمن. وقد استشهد الإمام بالآية الكريمة التي تنص على ارادة الله سبحانه بأن يجعل المستضعفين ائمة ووارثين للطبقة الحاكمة التي استضعفتهم، وهذه هي سنة الحياة لمن تامل التاريخ العام؛ لأنّ المستضعف باعتباره مصطليا بنار الاستضعاف يشعر بمواطن القوة والضعف في نفسه وفي عدوه على حد سواء، ويحاول حصانة نفسه من جانب والضرب على نقاط الضعف في العدو من جانب اخر.

وبذلك يكون سائراً على خطى النصر التي لابدّ وان تتحقق يوما في حياته أو من يسير على خطاه من بعده.

وقد تنبأ الإمام على هذا الاساس مستقبل اهل البيت في التاريخ فقال:

١ - (لتعطفن الدنيا) والعطف: الميل والحنان.

(علينا) اهل البيت كطبقة مستضعفة من قبل الامويين.

(بعد شماسها) والشماس: الامتناع كامتناع الفرس من الركوب عليه.

٢ - (عطف الضروس على ولدها) الضروس: الابل التي تعض من يحلبها بضرسها للاحتفاظ بالحليب لولدها، فتمنع حالبها من استيفاء الحليب منها عطفا وحنانا على ولدها.

فان تنكر الدنيا للمستظعفين في فترة زمنيّة تنكر وقتي يزول حين يتحقق الوعي الاسلامي، فيقترب الخطر الحقيقي من الظالمين وتتساقط الاقنعة.

وتاريخ اهل البيت يشهد على هذه الحقيقة؛ فإنّ الحكم الأموي اخذ بالسقوط تدريجيا بعد ما انكشفت الحقائق للامة وسقطت اقنعة الامويين بقتلهم الحسينعليه السلام في واقعة كربلاء عام ٦١ هـ، ولم يقم لهم بعد ذلك قائمة حتّى قضي عليهم بنو العباس في

الشرق، ومن ثم هربوا إلى الغرب.

قال ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في شرح نهج البلاغة، ما نصّه:«الشماس: مصدر شمس الفرس إذا منع من ظهره . والضروس: الناقة السيئة الخلق تعض حالبها ، والامامية تزعم أن ذلك وعد منه بالامام الغائب الذي يملك الأرض في آخر الزمان . وأصحابنا يقولون إنه وعد بإمام يملك الأرض ويستولي على الممالك ، ولا يلزم من ذلك إنه لا بد أن يكون موجودا ، وإن كان غائبا إلى أن يظهر ، بل يكفي في صحة هذا الكلام أن يخلق في آخر الوقت . وبعض أصحابنا يقول إنه إشارة إلى ملك السفاح والمنصور وابني المنصور بعده . فإنهم الذين أزالوا ملك بنى أُميّة ، وهم بنو بني هاشم ، وبطريقهم عطفت الدنيا على بنى عبد المطلب عطف الضروس . وتقول الزيدية إنه لا بد من أن يملك الأرض فاطمي يتلوه جماعة من الفاطميين على مذهب زيد ، وإن لم يكن أحد منهم الان موجودا».[١]

[٢١٠]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

إتَّقُوا اللّٰهَ تَقِيَّةَ مَنْ شَمَّرَ تَجْرِيداً، وَجَدَّ تَشْمِيراً، وَأَكْمَشَ[٢] فِي مَهَلٍ[٣]، وَبادَرَ عَنْ وَجَلٍ[٤]، وَنَظَرَ فِي كَرَّةِ ٱلْمَوْئِلِ، وَعاقِبَةِ ٱلْمَصْدَرِ، وَمَغَبَّةِ ٱلْمَرْجِعِ.

(ح - ٢١٠) لوازم التقوى:

التقوى :الوقاية، وتقوى الله سبحانه يستلزم اموراً يتقي بها الإنسان من عذاب الله تعالى، وقد أشار الإمام اليها بقوله:

١ ـ (اتقوا الله تقية من شمر تجريدا) التشمير: السرعة، والتجريد: التجرد؛ فإنّ التقوى تستلزم السرعة والتجرد من اية علقة تمنع من التقرب إلى الله، سواءً في ذلك العلاقات الماديّة أو غيرها.

---

(١) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٩ : ٢٩.

(٢) في ط: وكمش، وفي هـ. ص: أي بادر وأسرع، وفي هـ. د: وكمش ـ ب.

(٣) في هـ. ص: أي وهو ممهل منظر.

(٤) في ص: وبادر إلى الله عزّوجلّ.

٢ ـ (وجد تشميرا) أي الاجتهاد، فيكون المتقي مجدا في السرعة للتكامل.

٣ ـ(وكمش في مهل) والكمش: القبض، والمهل: مهلة الزمن، فيكون السبب في القبض من عدم التسرع المهلة الزمنيّة المطلوبة لاستعادة القوة بالراحة، ثمّ الاستمرار في السرعة جاداً مستمراً.

٤ ـ (وبادر عن وجل) المبادرة: المسارعة، والوجل: الخوف، فتكون مبادرته للعمل عن خوف من القصور في جنب المسؤولية.

٥ ـ (ونظر في كرة الموئل) الكرة: الرجعة، والموئل: المرجع، فيكون المتقي ناظراً إلى الموقع الذي منه بدأ، فيكون له مرجعا، وهو الله سبحانه، اشارة إلى قوله: ﴿انا لله وانا إليه راجعون﴾[1].

٦ ـ (وعاقبة المصدر)؛ فإنّ الله الذي خلقه هو المصدر الذي منه صدر في الخلقة، واليه يعود عاقبة العمل خيراً أو شراً.

٧ ـ (ومغبة المرجع) المغبة: موضع الغياب بعد الموت، وهو العاقبة التي تواجه الانسان وهي غائبه عن الانظار في الدنيا، وينتهي الانسان اليها في الآخرة.

وهذه النقاط السبع من لوازم تقوى الله في حياة كلّ مسلم.

[٢١١]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

ٱلْجُودُ حارِسُ ٱلْأَعْراضِ[2]، وَٱلْحِلْمُ فِدامُ[3] ٱلسَّفِيهِ، وَٱلْعَفْوُ زَكاةُ ٱلظَّفَرِ[4]، وَٱلسُّلُوُّ

---

(١) البقرة: ١٥٦.

(٢) في هـ. ص: نظيره قولهم: كل عيب فالكرم يغطيه، وقريب منه قول الرضي:

يحثو على عيب الغني يد الغنىٰ ... والفقر عن عيب الغني يحاث

(٣) في هـ. ص: الفدام: خرقة تجعل علىٰ فم الإبريق، فيشبّه الحلم بها؛ فإنّه يردّ السفيه عن السفه كما يرد الفدام الخمر عن خروج القذىٰ منها إلى الكأس.

(٤) في هـ. ص: قوله: «زكاة الظفر» أي: أنّ الظفر نعمة من الله وله في كل نعمة حق، فحقّه في هذه العفو عمّن ظفر به.

عِوَضُكَ مِمَّنْ غَدَرَ[١]، وَٱلْاسْتِشارَةُ عَيْنُ ٱلْهِدايَةِ.

وَقَدْ خاطَرَ مَنِ ٱسْتَغْنى بِرَأْيِهِ، وَٱلصَّبْرُ يُناضِلُ[٢] ٱلْحِدْثانَ، وَالْجَزَعُ مِنْ أَعْوانِ ٱلزَّمانِ[٣]، وَأَشْرَفُ ٱلْغِنى تَرْكُ ٱلْمُنى.

وَكَم مِنْ عَقْلٍ أَسِيرٍ عِنْدَ[٤] هَوى أَمِيرٍ[٥]! وَمِنَ ٱلتَّوْفِيقِ حِفْظُ ٱلتَّجْرِبَةِ، وَٱلْمَوَدَّةُ قَرابَةٌ مُسْتَفادَةٌ، وَلا تَأْمَنَنَّ مَلُولاً.

(ح - ٢١١) من جوامع الحكم:

١ ـ (الجود حارس الأعراض) والعرض: الحسب والشرف الذي يحافظ الإنسان عليه من نفسه، ويتحاشى ألسن الناس في ذلك؛ فإنّ الجود عليهم يكون واقيا لذلك كما يقي الحارس المال من السرقة.

٢ ـ (والحلم فدام السفيه) الفدام: ما يسد به الفم؛ فإنّ الحلم يسد فم السفيه من الاستمرار في الكلام الجارح، فان الجواب عليه يدعوه الى الاستمرار في كيل التهم اكثر والسكوت عنه يحد من ذلك.

٣ ـ (والعفو زكاة الظفر)؛ فإنّ لكل شئ زكاة، والظفر على العدو زكاته العفو عنه شكر للظفر عليه.

٤ ـ (والسلو عوضك ممّن غدر) السلو: ضد الغم؛ فإنّ الغدر يوجب الهم والغم طبيعتاً، فالبديل لذلك هو التسلي بما يرفع الهم والغم من عمل الخير.

٥ ـ (والاستشارة عين الهداية)؛ فإنّ الهدف من الهداية الوصول الى الحق، والاستشارة في نفسها حق؛ لانها سلوك حق، فهي عين الهداية في السلوك.

٦ ـ (وقد خاطر من استغنى برأيه)؛ فإنّ الراي الواحد قد يصيب وقد يخطئ،

(١) في هـ. ص: قوله: «عوضك ممّن غدر» معناه ان من غدر بك من أحبائك وأصدقائك فـاسلُ عنه، ويكون ما استفدته من السلوّ عوضاً عن وصاله الأول.
(٢) في هـ. ص: أي يرامي ويدافعه، أي يدفع سوء عاقبته ويجعلها خيراً.
(٣) في هـ. ص: لأنّ الجزع يجلب الغم والهم، فيؤثر في النفس.
(٤) في ص: تحت، وفي هـ. ص: في نسخة: عند.
(٥) في هـ. ص: غالب هلاك الناس في دينهم ودنياهم من الهوىٰ، فيهلكون وهم ينصرون الحق والصواب، وقلّ من ينتفع بعقله.

وبالاستشارة يعرف مواضع الخطأ والصواب، فتكون عن المخاطرة بديلا افضل .

٧ ـ (والصبر يناضل الحدثان) النضال: الدفاع، والحدثان: حوادث الدهر.

٨ ـ (والجزع من أعوان الزمان) الجزع: شدة الفزع، فكما أن الزمان بخيره وشره ينتقضي فكذلك الجزع، واذا اشتد اشتد، فلا ينبغي أن يعين الانسان شرور الزمان بالجزع على نفسه.

٩ ـ (وأشرف الغنى ترك المنى) المنية: ما يتمناه الانسان في حياته بما يستحيل عادة، ومن ذلك الغنى؛ فان كل غني يفتقر الى من هو اغنى منه باختلاف الطبقات حتّى يصل إلى الغنى عن العالمين اجمعين، فترك المنى هو اشرف الغنى.

١٠ ـ (وكم من عقل أسير تحت هوى أمير)؛ فإنّ السلطة والامارة هوى يسيطر على كلّ من هو دونها، ويخاف من سطوته صاحب العقل فلا يظهر رايه المعارض أو ينخرط تحت قوته ويستخدم في سلطته، والحالتين يكون اسراً.

١١ ـ (ومن التوفيق حفظ التجربة) التوفيق: هو موافقة ارادة الإنسان لارادة الرحمان، والتجربة نتيجة اجتماع العقل والحس، ومن ذلك حفظ التجربة، فإنّه لا ينتفع بالتجربة الا من حفظها واستمر عليها بتطويرها من حسن إلى احسن، وذلك فيه رضى الرحمان وارادة الانسان معاً، دون ما أذا اهملت.

١٢ ـ (والمودة قرابة مستفادة) فكم من علاقة تلمذ وتعلم انشأت المودة ودامت مفيدة للاجيال المتعلمة، وكانت اقرب من القرابة في النسب.

١٣ ـ (ولا تأمنن ملولا) والملول: الكثير من العمل؛ فإنّ العمل ـ اي عمل كان ـ اذا لم يصدر عن حب وعلاقة له يوجب التعب أحيانا، واذا وصل إلى حد الضجر فلا أمان منه، بل توقع الخلل فيه امر طبيعي.

[٢١٢]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

عُجْبُ ٱلْمَرْءِ بِنَفْسِهِ أَحَدُ حُسّادِ عَقْلِهِ.

(ح ـ ٢١٢) **العجب:**

العجب: الكبر باعتقاد عظمة النفس واستعلائها على الآخرين لخصال ينفرد بها، هي من نعم الله عليه الموجبة للتذلل لديه تعالى شكراً، والتواضع لغيره امتثالا لامره تعالى.

فيكون المعجب بنفسه حاسداً للنعمة التي أفرده الله بها، والعقل الذي وهبه الله، فكما أن الحسد نقص في العقل؛ لأنّه تمني زوال النعمة عن الآخرين من دون أي نفع للحاسد، فكذلك العجب نقص في العقل؛ لأنّه تجميد لحكم العقل في شكر المنعم الذي افرده بالنعمة وامره بالتواضع لافراد الامة.

[٢١٣]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

اغْضِ عَلَى ٱلْقَذى وَإِلّا لَمْ تَرْضَ أَبَداً.

(ح ـ ٢١٣) **الرضى الابدي:**

(الاغضاء: التجاهل، والقذى: ما يؤلم العين من التراب).

تشير الحكمة إلى أن رضى النفس من الامور التي تتوقف على درجة التحمل لمشاكل الحياة، التي لا يخلو منها حياة اي انسان؛ فإنّ القوّة المتخيلة هي التي توجد الاشياء الفعلية، ومنها الرضى، فاذا عود الإنسان نفسه على تحمل ما لا يتحمل عادة يصبح له عادة ثانية، فلا يتأثر بما يرد عليه من المصائب ومنها: الالم وقذى العين؛ فإنّ تجاهلها يوجب الرضى النفسي للشخص ابداً.

[٢١٤]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

مَنْ لانَ عُودُهُ كَثُفَتْ[1] أَغْصانُهُ[2].

---

(١) في أ: كثف.

(٢) في هـ. ص: أي من أحسن خلقه ولانت كلمته كثر محبّوه وأعوانه وأتباعه كالشجرة التي

(ح - ٢١٤) السماح:

استعار الإمام في وصف الإنسان الذي يتصف بصفة السماح في حياته بالشجرة ذات الاغصان الكثيفة، فان لين الجانب في الإنسان كلين العود لا يستلزم التواؤه الكسر، كما هو الحال في اغصان الاشجار الطرية قبل أن تتحول إلى خشب يابس بعد القطع.

وكذلك الإنسان المتسامح في تعامله مع الناس، فانه يكثر اعوانه واتباعه كالاغصان المتصلة بأصل الشجرة.

قال ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في شرح نهج البلاغة، ما نصّه:«تكاد هذه الكلمة أن تكون إيماء إلى قوله تعالى :﴿والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه﴾[١] ، ومعنى هذه الكلمة أن من حسن خلقه ، ولانت كلمته ، كثر محبوه وأعوانه وأتباعه . ونحوه قوله :) من لانت كلمته وجبت محبته . وقال تعالى:﴿ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك﴾[٢] ، وأصل هذه الكلمة مطابق للقواعد الحكمية ، أعني الشجرة ذات الأغصان حقيقة ، وذلك لان النبات كالحيوان في القوى النفسانية ، أعني الغاذية والمنمية ، وما يخدم الغاذية من القوى الأربع ، وهي الجاذبة ، والماسكة ، والدافعة ، والهاضمة ، فإذا كان اليبس غالبا على شجرة كانت أغصانها أخف ، وكان عودها أدق ، وإذا كانت الرطوبة غالبة كانت أغصانها أكثر ، وعودها أغلظ ، وذلك لاقتضاء اليبس الذبول ، واقتضاء الرطوبة الغلظ والعبالة والضخامة ، ألا ترى أن الانسان الذي غلب اليبس على مزاجه ، لا يزال مهلوسا[٣] نحيفا ، والذي غلبت الرطوبة عليه لا يزال ضخما عبلا».[٤]

غلبت عليها الرطوبة بكثرة فروعها.

(١) سورة الأعراف : ٥٨ .

(٢) سورة آل عمران : ١٥٩ .

(٣) رجل مهلوس : هلسه الداء وخامره .

(٤) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٩ : ٣٥.

[٢١٥]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

ٱلْخِلافُ يَهْدِمُ ٱلرَّأْيَ.

(ح - ٢١٥) **الخلاف:**

الراي: هو جولان ما في الخواطر والاعتقاد بما هو الصواب، وهذا انما يتحقق عند الاجتماع والمشورة بين الاصحاب ذي العلاقة، والخلاف عند الاجتماع يهدم المبدأ الصحيح الذي يتقوم به الراي، حيث تنعدم الرؤية الواضحة للامور على حقيقتها.

[٢١٦]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

مَنْ نالَ ٱسْتَطالَ.

(ح - ٢١٦) **الاستغناء:**

تشير الحكمة إلى أن الاستغناء يستلزم الاستعلاء، كما قال تعالى:﴿كلا أن الإنسان ليطغى أن راه استغنى﴾.[١]

فان من يحصل من الدنيا مالا أو جاها ومقاما يستطيل على الآخرين؛ لأنّه يرى في نفسه أنه اعلى ممّن ليس له ذلك المال أو الجاه والمقام، فيستحق ـ في اعتقاده ـ ذلك التقدير والاحترام وان كان احقر الانام، وليس له الا الاعتصام بالواحد العلام.

قال ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في شرح نهج البلاغة، ما نصّه:«يجوز أن يريد به : من أثرى ونال من الدنيا حظا استطال على الناس . ويجوز أن يريد به : من جاد استطال بجوده . يقال : "نالني فلان بكذا" أي جاد به عليّ ، و "رجل نال" ، أي جواد ذو نائل ، ومثله : "رجل طان" أي ذو طين، و "رجل مال" أي ذو مال».[٢]

---

(١) العلق : ٧.

(٢) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٩ : ٣٧.

[٢١٧]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

فِي تَقَلُّبِ ٱلْأَحْوالِ عِلْمُ جَواهِرِ ٱلرِّجالِ[١].

(ح - ٢١٧) تقلّب الاحوال:

الجوهر: الاصل، وتشير الحكمة إلى أن حقيقة الإنسان لا تظهر إلا في الحالات المختلفة المتفاوتة؛ فإنّ كلّ انسان يحافظ على حالته التي هو فيها لتهيؤ الاسباب له، فاذا انقلبت الحالة إلى الضد يظهر مدى تمسكه بالمبادئ التي كان يعتقد بها حقيقة في ظل تلك الاحوال المنقادة من الفقر والغنى والوظيفة والعزل عنها والقوة والضعف، ففي تقلّب هذه الحالات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية تظهر حقيقة الرجال، وليس في دعاويهم أو غيرها، ومن هذا المنطلق فان من الضروري دراسة تاريخ الإنسان في ماضيه ليمكن التعرف على حاضره والتنبؤ بمستقبله.

[٢١٨]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

حَسَدُ ٱلصَّدِيقِ مِنْ سُقْمِ ٱلمَوَدَّةِ.

(ح - ٢١٨) حسد الصديق:

(المودة: كثرة الحب، والصداقة: علاقة المودة، والحسد: تمني زوال النعمة).

الحكمة تشير إلى أن الحسد وهو نمني زوال النعمة من امراض الصداقة، ويفتقر إلى علاج لكل من حالات الصحة والمرض باختلاف المقاييس، ومنها: المودة والصداقة والحب والاخوة، ولم يخلق الله انسانا كاملا على وجه الارض سوى من عصمه الله.

(١) في هـ. ص: معناه لا تُعلَم أخلاق الإنسان إلّا بالتجربة، واختلاف الأحوال عليه، انتهى من الشرح.

[٢١٩]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

أَكْثَرُ مَصارِعِ ٱلْعُقُولِ تَحْتَ بُرُوقِ ٱلْمَطامِعِ[١].

(ح - ٢١٩) **الطمع**:

(الطمع: ارادة الشيئ الذي فيه خطر من دون استحقاق).

والحكمة تشير إلى أن الحياة مسرح صراع بين الحق والباطل، ومن الحق حصول الشيئ المطلوب من طرقه المشروعة القانونية، وحصول الشيئ من طريق غير قانوني باطل، والطمع طلب الشيئ من دون استحقاق، فهو وسيلة باطلة؛ فإنّ الغاية لا تبرر الواسطة في الاسلام، وبما أن النفس الانسانية توسوس للحصول على المطلوب بأيّة طريقة كانت، فيقع الصدام بين عقول الانام، ويصبح العقل جريحا بسيف الباطل البراق، وهو الطمع في المال والجمال والجاه والمقام، فيعم الظلام.

[٢٢٠]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

لَيْسَ مِنَ ٱلْعَدْلِ ٱلْقَضاءُ عَلَى ٱلثِّقَةِ بِالظَّنِّ.

(ح - ٢٢٠) **الظن**:

(الثقة: من يوثق به من الناس).

تشير الحكمة إلى قاعدة اصيلة في القضاء، يعرف في عصرنا بالاستصحاب، وهي (ابقاء ما كان على ما كان، فلا ينقض اليقين بالظن أو الشك بل ينقض بيقين مثله، فاذا ثبت في إنسان انّه ثقة فلا يجوز الحكم عليه في القضاء الاسلامي بأنّه غير ثقة بسبب الظنون والاتهامات إلّا أن يقام اليقين بأنّه ليس ثقة، ولا يكون الظن والشك حجة مع اليقين.

---

(١) في هـ . د: الطمع ـ ك، وفي هـ . ص: قد تقدّم كلام كثير في ذم الطمع والتحذير من اشعاره النفس.

[٢٢١]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

بِئْسَ ٱلزّادُ إِلَى ٱلْمَعادِ، ٱلْعُدْوانُ عَلَى ٱلْعِبادِ(١).

(ح ـ ٢٢١) العدوان:

العدوان: الظلم الخالص الذي لا مبرر له قط، وهذا من أفحش انواع الظلم، وطبيعيّ أن يكون أسوء شئ يفعله الإنسان في مسيرة الحياة الزائلة إلى يوم المعاد إلى الله الذي يحاسب الناس على كلّ صغيرة وكبيرة، فكيف بالظلم الخالص؟! فلا يكون له سوى المصير البائس.

[٢٢٢]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

مِنْ أَشْرَفِ أَفْعالِ(٢) **ٱلْكَرِيمِ غَفْلَتُهُ عَمّا يَعْلَمُ.**

(ح ـ ٢٢٢) التغافل:

ان صفة التغافل عما يعلم تلازم صفة العفو التي مدحها الله في كتابه الكريم بقوله:﴿فاعف عنهم واصفح ان الله يحب المحسنين﴾.(٣)

والتغافل في حقيقته عفو وصفح واحسان، فيكون اشرف الاعمال التي يقوم به الكريم تجاه المتخلف.

[٢٢٣]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

مَنْ كَساهُ ٱلْحَياءُ ثَوْبَهُ لَمْ يَرَ ٱلنّاسُ عَيْبَهُ.

---

(١) في هـ. ص: أي بئس العمل المكتسب ظلم الناس، وذلك لأنّه لا يترك وان ندم منه حتى يرضىٰ صاحبه المعتدىٰ عليه، وأنّى للإنسان امكان الارضاء.

(٢) في هـ. د: أعمال ـ ب.

(٣) المائدة: ١٣.

(ح - ٢٢٣) نتيجة الحياء:

الحياء: ظبط النفس عن ارتكاب القبائح، ومن كانت فيه هذه الخصلة الحميدة لا يتدخل في شؤون الآخرين، ولهذا رد فعل منهم، فهم أيضا لا يتدخلون في حياته، فيكون الحياء كالثوب الذي يغطي عيوبه فلا يراها الناس الا من دخل في عروقه الخناس وابتلي بالوسواس بالتدخل في امور الناس.

قال ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في شرح نهج البلاغة، ما نصّه:«قال بعض الحكماء : الحياء انقباض النفس عن القبائح ، وهو من خصائص الانسان ، لأنه لا يوجد في الفرس ولا في الغنم والبقر ، ونحو ذلك من أنواع الحيوانات ، فهو كالضحك الذي يختص به نوع الانسان ، وأول ما يظهر من قوة الفهم في الصبيان الحياء ، وقد جعله الله تعالى في الانسان ليرتدع به عما تنزع إليه نفسه من القبيح ، فلا يكون كالبهيمة ، وهو خلق مركب من جبن وعفة ، ولذلك لا يكون المستحي فاسقا ، ولا الفاسق مستحيا ، لتنافي اجتماع العفة والفسق ، وقلما يكون الشجاع مستحيا والمستحي شجاعا لتنافي اجتماع الجبن والشجاعة ، ولعزة وجود ذلك ما يجمع الشعراء بين المدح بالشجاعة والمدح بالحياء نحو قول القائل : يجرى الحياء الغض من قسماتهم في حين يجرى من أكفهم الدم».(١)

الى أن قال :« فأما كيف يكتسب الحياء ، فمن حق الانسان إذا هم بقبيح أن يتصور أجل من نفسه إنه يراه ، فإن الانسان يستحيى ممن يكبر في نفسه أن يطلع على عيبه ولذلك لا يستحيى من الحيوان غير الناطق ، ولا من الأطفال الذين لا يميزون ، ويستحيى من العالم أكثر مما يستحيى من الجاهل ومن الجماعة أكثر مما يستحيى من الواحد ، والذين يستحيى الانسان منهم ثلاثة البشر ، ونفسه ، والله تعالى ، أما البشر فهم أكثر من يستحيى منه الانسان في غالب الناس ، ثم نفسه ، ثم خالقه ، وذلك لقلة توفيقه وسوء اختياره . واعلم أن من استحيا من الناس ولم يستحيى من نفسه فنفسه عنده أخس من غيره ، ومن استحيا منهما ولم يستحى من الله تعالى فليس عارفا ، لأنه لو كان عارفا بالله

(١) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٩ : ٤٥.

لما استحيا من المخلوق دون الخالق ، ألا ترى أن الانسان لا بد أن يستحيي من الذي يعظمه ويعلم أنه يراه أو يستمع بخبره فيبكته ، ومن لا يعرف الله تعالى كيف يستعظمه ! وكيف يعلم إنه يطلع عليه ! وفي قول رسول الله ﷺ:«استحيوا من الله حق الحياء» ، أمر في ضمن كلامه هذا بمعرفته سبحانه وحث عليها ، وقال سبحانه :﴿ألم يعلم بأن الله يرى﴾؟[١] ، تنبيها على أن العبد إذا علم أن ربه يراه استحيا من ارتكاب الذنب».[٢]

[٢٢٤]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

بِكَثْرَةِ ٱلصَّمْتِ تَكُونُ ٱلْهَيْبَةُ، وَبِالنَّصَفَةِ يَكْثُرُ الواصِلُونَ[٣]، وَبِالْإِفْضالِ تَعْظُمُ ٱلْأَقْدارُ، وَبِالتَّواضُعِ تَتِمُّ ٱلنِّعْمَةُ، وَبِاحْتِمالِ ٱلْمُؤَنِ يَجِبُ ٱلسُّؤْدَدُ، وَبِالسِّيرَةِ ٱلْعادِلَةِ يُقْهَرُ ٱلْمُناوِئُ، وَبِالْحِلْمِ عَنِ ٱلسَّفِيهِ تَكْثُرُ ٱلْأَنْصارُ عَلَيْهِ.

(ح ـ ٢٢٤) وسائل واهداف:

ان اي هدف في الحياة يستلزم الوصول إليه بالوسائل المطلوبة في تحقيقها بنجاح فإنّه ابى الله ان يجري الامور إلّا باسبابها، وقد أشار الإمام إلى الاسباب الموصلة إلى الاهداف التي يقصدها عامة الناس في الحياة، بقوله:

١ ـ (بكثرة الصمت تكون الهيبة) وهي الخوف الشديد؛ فإنّ المتكلم يظهر في فلتات لسانه ما يبين عن شخصيته في العلم والفهم والمكانة الاجتماعية والاهداف التي يطمح اليها في حياته، ويعكس هويته الشخصية، وكلما كان الصمت اكثر كان الخوف منه اكثر؛ لجهالة ما يضمر ويخطط ويفكر، والصمت سبب مباشر للخوف الشديد.

٢ ـ (وبالنصفة يكثر المواصلون) والنصفة: الانصاف والتعامل بين الناس بالسلوك العادل، ويكون سببا للتواصل بين الناس ويكثر المتواصلون معه لانصافه .

---

(١) سورة العلق :١٤ .

(٢) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٩ : ٤٦ ـ ٤٧.

(٣) في ط: المواصلون، وفي هـ. د: المواصلون ـ ض ح ب.

٣ ـ(وبالإفضال تعظم الأقدار) والافضال: تقديم الفضل والمساعدة؛ فإنّ له تاثير كبير في منزلة الانسان وقدره في المجتمع.

٤ ـ (وبالتواضع تتم النعمة) وهي الانعام على الآخرين والاحسان اليهم بما انعم الله على الإنسان ما بها فضيلة، والتواضع لمن يقدم له الاحسان يسبب تماميّة النعمة.

٥ ـ(وباحتمال المؤن يجب السودد) المؤنة: ما تقوم به حياة الإنسان كالقوت؛ فإنّ بذل ذلك يكون سببا للرئاسة والسيادة، فما تقوم دولة إلّا على اداء ذلك لموظفيها بما يفتقرون اليه، ولو تضعضع ذلك لانهارت.

٦ ـ (وبالسيرة العادلة يقهر المناوي) وهو المعاند لا لسبب سوى حب العناد؛ فإنّ السيرة العادلة في الحكم يظهر حقيقته للجميع، فيكون مقهورا من دون حاجة إلى دفع أو عزل.

٧ ـ (وبالحلم عن السفيه تكثر الأنصار عليه)؛ فإنّ الحلم يكون سببا لظهور حقيقة السفه، وذلك بسبب معاضدة الناس اياه ومعارضة السفيه وان كان اباه.

[٢٢٥]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

ٱلْعَجَبُ لِغَفْلَةِ ٱلْحُسّادِ عَنْ سَلامَةِ ٱلْأَجْسادِ.

(ح ـ ٢٢٥) الحسد:

الحسد: هو تمني زوال النعمة عن المحسود، واول اثر له أن يفكر الحاسد في هذا الأمر، ويمهد ما يتصوره ضاراً بالمحسود في فكره وخططه، ولذلك فان النعمة الحاصلة لا تزول بالتمني، والتمني الباطل يؤثر في تفكيره ويشوش عقله ويضيع جهده الذي لو بذله في شئ اخر كان اضمن له في الوصول الى الحاجة، فهذا حقا يوجب العجب، لغفلة الحاسد عن اثر الحسد على سلامة الحاسد في عقله وجسده، والله العاصم.

قال ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في شرح نهج البلاغة، ما نصّه:«إنما لم يحسد الحاسد على صحة الجسد لأنه صحيح الجسد ، فقد شارك في الصحة ، وما يشارك

الانسان غيره فيه لا يحسده عليه ، ولهذا أرباب الحسد إذا مرضوا حسدوا الأصحاء على الصحة . فإن قلت : فلماذا تعجب أمير المؤمنين عليه السلام ؟ قلت : لكلامه عليه السلام وجه ، وهو أن الحسد لما تمكن في أربابه ، وصار غريزة فيهم ، تعجب كيف لا يتعدى هذا الخلق الذميم إلى أن يحسد الانسان غيره على ما يشاركه فيه ، فان زيدا إذا أبغض عمرا بغضا شديدا ود أن تزول عنه نعمته إليه ، وإن كان ذا نعمة كنعمته ، بل ربما كان أقوى وأحسن حالا . ويجوز أن يريد معنى آخر ، وهو تعجبه من غفلة الحساد ، على أن الحسد مؤثر في سلامة أجسادهم ، ومقتض سقمهم ، وهذا أيضا واضح».[1]

[٢٢٦]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

ٱلطَّامِعُ فِي وَثاقِ ٱلذُّلِّ.

(ح ـ ٢٢٦) الطمع ذل:

الطمع في الحصول على شئ من دون استحقاق يلازم ذلة النفس وركود العقل والهمة، فيكون الطامع في حبالة وثيقة للذل، ولو قطع حبل الذل هذا واعتمد على العقل واستخدم الهمة والقدرة التي وهبه الله تعالى لتدرج في الوسائل الموصلة إلى ذلك الشئ باستحقاق، فإنّه ابى الله أن يجري الامور إلّا باسبابها، ومن اسبابها استخدام الطرق المشروعة للوصول إلى ما يطمع فيه.

[٢٢٧]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ وَقَدْ سُئِلَ عَنِ ٱلْإِيمانِ:

ٱلْإِيمانُ مَعْرِفَةٌ بِالْقَلْبِ، وَإِقرارٌ بِاللِّسانِ، وَعَمَلٌ بِالْأَرْكانِ.

---

(١) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٩ : ٤٩.

(ح ـ ٢٢٧) درجات العقيدة:

اشار الإمام إلى ان العقيدة والايمان من الله تعالى تعتمد على درجات ثلاث مترابطة، يكون الضعيف فيما اوتى احدهما ضعيفا في العقيدة، وهي:

الاولى: (معرفة بالقلب) وهو الايمان بالقلب عن رؤية واضحة بالفكر الحر.

الثانية: (وإقرار باللسان) فيكون الايمان القلبىي معلنا بالاقرار.

الثالثة: (وعمل بالأركان) وهي اعضاء الجسم في تطبيق ما يدعوا إليه الايمان في الحياة من المبادئ والوسائل والاهداف الاسلاميّة. (وللتفصيل راجع المادّة في المعجم).

[٢٢٨]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

مَنْ أَصْبَحَ عَلَى ٱلدُّنْيا حَزِيناً فَقَدْ أَصْبَحَ لِقَضاءِ ٱللّٰهِ ساخِطاً.

وَمَنْ أَصْبَحَ يَشْكُو مُصِيبَةً نَزَلَتْ بِهِ فَإِنَّما يَشْكُو رَبَّهُ.

وَمَنْ أَتى غَنِيّاً فَتَواضَعَ لَهُ لِغِناهُ ذَهَبَ ثُلْثا دِينِهِ.

وَمَنْ قَرَأَ ٱلْقُرْآنَ فَماتَ فَدَخَلَ ٱلنّارَ فَهُوَ كانَ مِمَّنْ يَتَّخِذُ آياتِ ٱللّٰهِ هُزُواً.

وَمَنْ لَهِجَ(١) قَلْبُهُ بِحُبِّ ٱلدُنْيا ٱلْتاطَ(٢) قَلْبُهُ(٣) مِنْها بِثَلاثٍ: هَمٍّ لا يُغِبُّهُ(٤)، وَحِرْصٍ لايَتْرُكُهُ، وَأَمَلٍ لايُدْرِكُهُ.

(ح ـ ٢٢٨) آثار كاشفة:

يستعرض هذا المقطع سلسلة من الآثار في الانسان تكشف عن نفسيته ومواقفه واسلوب تفكيره، فقال:

١ ـ (من أصبح على الدنيا حزينا فقد أصبح لقضاء الله ساخطا)؛ لأنّ الراضي بالقضاء والقدر لا يحزن على الدنيا مادام قائما بمسؤولية في العمل بما هو المطلوب منه. فيكون

---

(١) في هـ. ص: أي غلب حبّها عليه.
(٢) في هـ. أ: التاط، أي التصق، يقال: هو أمل لا يلتاط بصغوى أي لا يلصق بقلبي.
(٣) في هـ. ص: لم ترد «قلبه» في ض.
(٤) في هـ. ص: أي لا يأتيه غبّاً، بل هو لزام عليه.

كالجندي على خط النار، لا مسؤولية له سوى العمل بواجبه واداء مسؤولية، فلا يكون مجال للحزن.

٢ ـ (ومن أصبح يشكو مصيبة نزلت به فقد أصبح يشكو ربه)؛ فإنّ المصائب انما هي بسبب اهمال الإنسان مسؤولياته، قال تعالى:﴿ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك﴾[1]، فيكون الشاكي على المصائب النازلة به شاكيا من الله، مع انّه يجب أن يشكو من نفسه.

٣ ـ(ومن أتى غنيا فتواضع لغناه ذهب ثلثا دينه) لما تقدم في الحكمة المتقدمة رقم (٢٢٧) من ان الدين له درجات ثلاث: الاعتقاد بالقلب والاقرار باللسان والعمل بالاركان، والمسلم المؤمن الذي يتواضع للغني يؤمن بأن الله هو الغني بالقلب ولكن لا يقر بذلك باللسان بالدعاء، حيث اظهر حاجته إلى الناس ولم يعمل بالاركان لتحصيل الغنى، بل ذهب إلى البشر الذي هو مثله، فذهب ثلث ثانٍ من ايمانه، وبقي الثلث الثالث: وهو الايمان بالقلب، ولو ذهب لكان كافرا، ولو كان عاقلا لعرف أن التواضع للغني لا يعطيه غنى بل يذله الغني لعلمه بالذي دعاه إلى التواضع له، والله العاصم.

٤ ـ (ومن قرأ القرآن فمات فدخل النار فهو ممّن كان يتخذ آيات الله هزوا) وقد نهى سبحانه عن ذلك، وقال تعالى:﴿ولا تتخذوا ايات الله هزوا﴾[2]، فان القرآن انما هو كتاب هداية وليس للتغني، وما اكثر المغنين به، والمتسكعين بقراءته، فيكشف دخول النار عن السبب الموجب له بدلالة اللمّ.

٥ ـ (ومن لهج قلبه بحب الدنيا التاط قلبه منها بثلاث) واللهج: الاغراء، واللوط: اللصوق؛ فإنّ اغراء القلب بحب الدنيا يستلزم لصوقه بامور ثلاث ، هي:

أوّلاً: (هم لا يغبه) المغبة: المفارقة؛ فإنّ الهموم تلتصق بقلبه ولا تفارق حياته ويعيش في هموم بسبب حب الدنيا.

ثانياً: (وحرص لا يتركه) فكلما يحصل عليه من الدنيا يكون حريصا عليه خشية

---

(١) النساء : ٧٩.

(٢) البقرة : ٢٣١.

الزوال أو السرقة، وهذا الحرص يلتصق بقلبه لا يتركه مادام حيا.

ثالثاً: (وأمل لا يدركه)؛ فإنّ امله من حب الدنيا هو السعادة، ان كان عاقلا، والوجاهة ان كان جاهلا، وهو لا يحصل على شئ منهما، اما الوجاهة فينتفع به اصحاب الذبابة يتلقونه بما يرضيه في وجهه، ويذمونه حيثما يتركونه لوحده، واما السعادة فهي لا تجلب لحب الدنيا، فكلما زادت القوة والقدرة والسلطة زادت المسؤوليات؛ فإنّ اداها كما هو المطلوب كان حمالا، وان قصر عنها كان ظالما، ومهما اعطى للبعض كان مقصراً، وللاخرين كان مبذرا.

فلا يدرك ما يأمله في الحياة إلى الممات، وكل هذه التناقضات بسبب حب الدنيا، اعاذنا الله منه.

[٢٢٩]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

كَفى بِالقَناعَةِ مُلْكاً، وَبِحُسْنِ ٱلْخُلْقِ نَعِيماً[١].

وَسُئِلَ عَلَيْهِ السَّلامُ عَنْ قَوْلِ ٱللّهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَياةً طَيِّبَةً﴾[٢] فَقالَ: هِيَ ٱلْقَناعَةُ.

(ح ـ ٢٢٩) القناعة:

القناعة: الاقتصاد في المعيشة والرفق في الانفاق، ويضادها: الطمع، وقد وصفه الإمام بأنّه الملك؛ لأنّ القانع يملك حقيقة نفسه وما يحتاج اليها، وما زاد عن المعيشه لا يكون تحت يده، بل تحت يد خازنه وحارسه ممن يعتمد عليه من الموظفين، فهم المالكون في الحقيقة وعارفون بطرق الخيانة الخفية عليها وعلى غيرها، فلا تكون الحياة السعيدة الطبيعية إلّا بالقناعة كما قال تعالى، وأما غيرها فهي حياة هلع وطمع لانهاية لها.

---

(١) في هـ . ص: انّما كان ذلك نعيماً؛ لأنّ الناس يرضون منه ويحبّونه فيستريح من مشقّة العداوة وهمّها وغمّها. ويحتمل أن يريد نعيماً يوصله إلى الغير، أي إنعاماً على الناس، كما قال النبي صلى الله عليه وآله: «سعوا الناس بأخلاقكم ان لم تسعوهم بأموالكم»، والله أعلم.

(٢) النحل ١٦ : ٩٧.

وحسن الخلق: هو ارضاء الخلق في السراء والضراء ببسط الوجه وكف الاذى وبذل الندى، ولا يكون ذلك إلّا لله المتعال، وطلب الحلال والتوسعة على العيال، وهذا هو النعيم الحقيقي الذي به تستقيم الحياة العائلية التي هي نواة المجتمع الصالح والمدينة الفاضلة، وبها خير الدنيا والآخرة.

قال ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في شرح نهج البلاغة، ما نصّه:«وقال بعض الحكماء : حد القناعة هو الرضا بما دون الكفاية ، والزهد : الاقتصار على الزهيد ، أي القليل ، وهما متقاربان ، وفي الأغلب إنما الزهد هو رفض الأمور الدنيوية مع القدرة عليها ، وأما القناعة فهي إلزام النفس الصبر عن المشتهيات التي لا يقدر عليها ، وكل زهد حصل عن قناعة فهو تزهد ، وليس بزهد ، وكذلك قال بعض الصوفية : القناعة أول الزهد ، تنبيها على أن الانسان يحتاج أولا إلى قدع نفسه وتخصصه بالقناعة ليسهل عليه تعاطى الزهد ، والقناعة التي هي الغنى بالحقيقة ، لان الناس كلهم فقراء من وجهين : أحدهما لافتقارهم إلى الله تعالى كما قال :﴿يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغنى الحميد﴾[١] .

والثاني: لكثرة حاجاتهم فأغناهم لا محالة أقلهم حاجة ، ومن سد مفاقره بالمقتنيات فما في انسدادها مطمع ، وهو كمن يرقع الخرق بالخرق ، ومن يسدها بالاستغناء عنها بقدر وسعه والاقتصار على تناول ضرورياته فهو الغنى المقرب من الله سبحانه ، كما أشار إليه في قصة طالوت :) إن الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس منى ومن لم يطعمه فإنه منى إلا من اغترف غرفه بيده)[٢] ، قال أصحاب المعاني والباطن : هذا إشارة إلى الدنيا».[٣]

(١) سورة فاطر: ١٥.
(٢) سورة البقرة : ٢٤٩ .
(٣) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٩ : ٥٤.

[٢٣٠]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

شارِكُوا ٱلَّذِي قَدْ أَقْبَلَ عَلَيْهِمُ[١] ٱلرِّزْقُ فَإِنَّهُ أَخْلَقُ لِلْغِنى، وَأَجْدَرُ بِإِقْبالِ ٱلْحَظِّ[٢] عَلَيْهِ.

(ح - ٢٣٠) الشركة:

(الشركة: تقاسم النصيب، والرزق: ما ينفع من المال، والحظ: النصيب في السعادة).

يأمر الأمام أمراً ارشاديا بالشركة في العمل؛ فإنّ لها اصولها المعروفة التي ترجع إلى الثقة بين المتشاركين في راسل المال والسهام والارباح.

والحكمة تشير إلى صفات المتشاركين فيما عدى ذلك، وهي الشركة مع من راس مال زيادة على حاجته بأن (اقبل عليه الرزق) فلا تكون حياته متوقفة على هذه الشركة لوجود المادة الكافية له لادارة حياته، فلا يستعجل في بيع السهام لحاجاته الشخصية وترك الشركة تسير على اصول التجارة، فان الشريك الذي يكون بهذه الصفة يكون (اخلق للغنى)؛ لأنّه لا يفتقر إليه ولا يلغي الشركة بسبب الحاجة.

(واجدر باقبال الحظّ عليه) بالحصول على الارباح التي هي تصيب في المادة وتوجب السعادة.

وأما الشركة مع من ليس له سوى راس المال الذي يشارك به، فانه يستعجل في الحصول على الارباح ويبيعها بادنى ربح لسد حاجاته الآخرى.

[٢٣١]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَٱلْإِحْسانِ﴾[٣]:

ٱلْعَدْلُ: ٱلْإِنْصافُ، وَٱلإِحْسانُ: ٱلتَّفَضُّلُ.

(ح - ٢٣١) العدل والاحسان:

---

(١) في د: الذي قد أقبل عليه، وفي هـ. د: الذين قد أقبل عليهم ـ ح.

(٢) في د زيادة: عليه. قال في الشرح: كان يقال: الحظ يعدي كما يعدي الجرب.

(٣) النحل ١٦: ٥٠.

يفسر الإمام في الآية الكريمة (النحل : ٥٠) مفردة العدل بالانصاف، والاحسان بالتفضل، وهو تفسير بالتطبيق على مواردهما؛ فإنّ العدل لغة الاستقامة، والانحراف عنه يعتبر ظلما، ومن موارده الانصاف وهو الحكم بالعدل في القضاء بين المتخاصمين، كما يقتضيه الاستقامة ويضاده الجور الذي هو الميل عن الاستقامة.

والاحسان: الاتيان بالفضل الجميل، والتفضل عمل زائد على الواجب، فيكون الفضل جميلا فيمن ينطبق عليه الاحسان.

قال ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في شرح نهج البلاغة، ما نصّه:«هذا تفسير صحيح اتفق عليه المفسرون كافه ، وإنما دخل الندب تحت الامر لان له صفة زائدة على حسنه ، وليس كالمباح الذي لا له صفة زائدة على حسنه . وقال الزمخشري ، العدل هو الواجب ، لان الله عز وجل عدل فيه على عباده ، فجعل ما فرضه عليهم منه واقعا تحت طاقتهم ، والاحسان الندب ، وإنما علق أمره بهما جميعا ، لان الفرض لا بد أن يقع فيه تفريط ، فيجبره الندب ، ولذلك قال رسول الله ﷺ لانسان علمه الفرائض فقال : والله لا زدت فيها ولا نقصت منها : (أفلح إن صدق) ، فعقد الفلاح بشرط الصدق والسلامة من التفريط ، وقال ﷺ : (استقيموا ، ولن تحصوا) ، فليس ينبغي أن يترك ما يجبر كسر التفريط من النوافل . ولقائل أن يقول إن كان إنما سمى الواجب عدلا لأنه داخل تحت طاقة المكلف فليسم الندب عدلا لأنه داخل تحت طاقة المكلف ، وأما قوله : إنما أمر بالندب لأنه يجبر ما وقع فيه التفريط من الواجب ، فلا يصح على مذهبه ، وهو من أعيان المعتزلة لأنه لو جبرت النافلة بالتفريط في الواجب لكانت واجبة مثله ، وكيف يقول الزمخشري هذا ومن قول مشايخنا إن تارك صلاة واحدة من الفرائض لو صلى مائة الف ركعة من النوافل لم يكفر ثوابها عقاب ترك تلك الصلاة !».[1]

(١) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٩ : ٥٨.

[٢٣٢]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

مَنْ يُعْطِ بِالْيَدِ ٱلْقَصِيرَةِ يُعْطَ بِالْيَدِ ٱلطَّوِيلَةِ.

قالَ الرَّضيّ رَحمهُ اللهُ تعالىٰ[١]:

وَمَعْنى ذلِكَ أَنَّ ما يُنْفِقُهُ ٱلْمَرْءُ مِنْ مالِهِ فِي سَبِيلِ ٱلْخَيْرِ وَٱلْبِرِّ وَإِنْ كانَ يَسِيراً فَإِنَّ ٱللّهَ تَعالى يَجْعَلُ ٱلْجَزاءَ عَلَيْهِ عَظِيماً كَثِيراً، وٱلْيَدانِ هاهُنا عِبارَتانِ[٢] عَنِ ٱلنِّعْمَتَيْنِ، فَفَرَّقَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ بَيْنَ نِعْمَةِ ٱلْعَبْدِ وَنِعْمَةِ ٱلرَّبِّ [تعالى ذكره بِالْقَصِيرَةِ وَٱلطَّوِيلَةِ][٣]؛ فَجَعَلَ تِلْكَ قَصِيرَةً وَهذِهِ طَوِيلَةً، لأَنَّ نِعَمَ ٱللّهِ أَبَداً تَضْعُفُ[٤] عَلى نِعَمِ ٱلْمَخْلُوقِينَ[٥] أَضْعافاً كَثِيرَةً، إِذْ كانَتْ نِعَمُ ٱللّهِ تعالى[٦] أَصْلَ ٱلنِّعَمِ كُلِّها، فَكُلُّ نِعْمَةٍ إِلَيْها تَرْجِعُ وَمِنْها تُنْزَعُ.

قال الجلالي: والشواهد لما ذكره ﷺ كثيرة ونكتفي بقول الشارح:«هذا الفصل قد شرحه الرضي ﷺ، فأغنى عن التعرّض بشرحه».[٧]

قال الجلالي: والشواهد الاخرى الايات التالية، قال تعالى:﴿من جاء بالحسنة فله عشر امثالها﴾.[٨]

وقال: ﴿ان تقرضوا إليه قرضا حسناً يضاعفه لكم﴾.[٩]

وقال: ﴿مثل اللذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كلّ سنبلة مئة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم﴾ [١٠].

---

(١) لم ترد «قال الرضي رحمه الله تعالىٰ» في أ و ص و د.
(٢) في ط: عبارة.
(٣) من ط و د.
(٤) في ص: تتضاعف. وفي د: تضعف.
(٥) في د: المخلوق.
(٦) كذا في أ، وفي ص : نعمه سبحانه، وفي هـ. ص: تعالىٰ، ولم ترد «تعالى» في ط و د.
(٧) شرح النهج ١٩ :٦٠، ط /١٩٦٣.
(٨) الانعام : ١٦١.
(٩) التغابن :١١١.
(١٠) البقرة: ٢٦١.

[٢٣٣]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ لابْنِهِ ٱلْحَسَنِ:

لا تَدْعُوَنَّ إِلى مُبارَزَةٍ، وَإِنْ[١] دُعِيتَ إِلَيْها فَأَجِبْ، فَإِنَّ ٱلدّاعِيَ إِلَيْها باغٍ، وَٱلْباغِي مَصْرُوعٌ.

(ح ـ ٢٣٣) المبارزة:

المبارزة: طلب البروز للقتال، وقد نهى الإمام عن ذلك؛ لأنّ الهدف في الحروب الاسلامية ليس القتال، وانما تحقيق العدالة، ولا يكون القتال الا آخر الحلول، وقد قامت سيرة النبيﷺ على الامتناع من البدأ بالقتال مع المشركين، وعلى ذلك كانت سيرة اميرالمؤمنين، فنهى عن الدعوة إلى البراز؛ لأنّه بدأة بطلب الحرب، والحال يختلف فيما اذا كانت الدعوة من جانب العدو فلا يجوز التخلف؛ لأنّه هروب عن الواجب في الدفاع.

وقد ذكر الامام الحالتين بقوله:

١ ـ (لا تدعون إلى مبارزة) لانها عادة طلب غير اسلامي؛ فإنّ الاسلام يحرم البدأة بالحرب والدعوة الى البراز واعلان ذلك.

٢ ـ (وإن دعيت إليها فأجب)؛ لأنّ الداعي هو المبتدئ بالحرب، فيجب الدفاع حينئذ.

٣ ـ (فإن الداعي باغ) لكونه داعيا الى الحرب على الحكم العادل، فيكون من البغاة، فيجب محاربته عملا بقوله تعالى:﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى ٱلأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا ٱلَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾.[٢]

٤ ـ (والباغي مصروع) والصرع ـ هنا ـ القتل بحكم الله تعالى في البغاة.

قال ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في شرح نهج البلاغة، ما نصّه:«قد ذكر عليه السلام الحكمة ، ثم ذكر العلة ، وما سمعنا انه عليه السلام دعا إلى مبارزة قط ، وإنما كان يدعى هو بعينه ، أو يدعو من يبارز ، فيخرج إليه فيقتله ، دعا بنو ربيعة بن عبد بن شمس بنى بني هاشم إلى البراز يوم بدر ، فخرج عليه السلام فقتل الوليد واشترك هو وحمزة عليه السلام في قتل عتبة ، ودعا طلحة بن

(١) في ط: فان.

(٢) الحجرات: ٩.

أبي طلحة إلى البراز يوم أحد ، فخرج إليه فقتله ، ودعا مرحب إلى البراز يوم خيبر فخرج إليه فقتله».[(١)]

[٢٣٤]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

خِيارُ خِصالِ ٱلنِّساءِ شِرارُ خِصالِ ٱلرِّجالِ: ٱلزَّهْوُ، وَٱلْجُبْنُ، وَٱلْبُخْلُ، فَإِذا كانَتِ ٱلْمَرْأَةُ مَزْهُوَّةً لَمْ تُمَكِّنْ من نَفْسِها، وَإِذا كانَتْ بَخِيلَةً حَفِظَتْ مالَها وَمالَ بَعْلِها، وَإِذا كانَتْ جَبانَةً فَرِقَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يَعْرِضُ لَها.

(ح ـ ٢٣٤) **خصال النساء:**

الرحل والمرأة صفحتان لعملة واحدة، ويشتركان في الانسانية، ولا يمكن فصلهما في وجودهما وان اختلفا في صورهما، وادوارهما ومظاهرهما وخصائصهما المستقاة من الطبيعة أو البيئة، فقال:

(خيار خصال النساء) التي تعتبرها المرأة خصالا حميدة بحكم طبيعة الانوثة أو بحكم التربية، خصالا فضيلة، لهي تضاد خصال الرجال فإنّها:

(شرار خصال الرجال) بحكم طبيعة الذكورة أو التربية، فهي تعتبر من منظار الرجال خصالا رذيلة للرجال، مع انها في نفس الوقت خصال فضيلة للنساء.

أوّلاً: ـ (الزهو) وهو الكبر والفخر؛ فإنّ من طبيعة النساء ذلك، باختلاف اسبابها من الجمال والمال وغيرهما، دون الرجال عامة.

ثانياً: (والجبن) وهو الخوف من القتال؛ فإنّ ذلك غالب في صفة النساء دون الرجال .

ثالثاً: (والبخل) وهو الامساك بالمال الى حد الهلاك، من دون بذله فيما ينبغي؛ فإنّ من طبيعة النساء حفظ المجوهرات الثمينة وايداعها في اماكن امينة لا للانتفاع بها، بل للاعتزاز والتفاخر على من لا يملكها، دون الرجال عادة، وقد ذكر الاسباب الداعية إلى

(١) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٩ : ٥٩.

هذه الخصال الثلاث بقوله:

١ ـ (فإذا كانت المرأة مزهوة لم تمكن من نفسها)؛ لأنّ الفخر يصبح للمفتخر طبيعة ثانوية فلا تخضع للآخرين، وتتعدى على اقرب الناس، ومن هو اقرب إلى المرأة من زوجها؟ فلا يكون الحياة الزوجية سعيدة بسبب فخرها عليه.

٢ ـ(وإذا كانت بخيلة حفظت مالها ومال بعلها)؛ فإنّ البخيل بالطبع لا يبخل بمال نفسه فقط ،بل يبخل بكل ما يمكنها من البخل، وتعدى إلى اقرب الناس اليها وهو مال بعلها.

٣ ـ(وإذا كانت جبانة فرقت من كلّ شئ يعرض لها) والفرق: الخوف والفزع، فلا يكون لها صبر على الحوادث والمشكلات التي تطرأ في الحياة على كلّ انسان وبالاخص في الحياة الزوجية، فترى الحل بالخروج عنها باية طريقة ممكنة من دون تأمل للعواقب الوخيمة لذلك.

وسياق هذه النقاط تشير إلى أن هذه الخصال ثؤثر في العلاقة الزوجية تاثيرا مباشرا، فهي بهذا الاعتبار ليست خصالا ذاتية، بل خصالا تكتسبها النساء بحكم البيئة والتربية، وتؤثر في العلاقة الزوجية تاثيرا مباشراً، ويمكن تجنبها بالوعي الاسلامي لاداب العشرة الزوجية في الاسلام.

وكذلك يكون كلّ من الزهو والجبن والبخل شرّ خصلة للرجال في الحياة الزوجية وان كان على كلّ حال من الرجال من يتأنث، ومن النساء من تترجل، ولاعصمة إلّا بالله الاعز الاجل.

[٢٣٥]

وَقِيلَ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ: صِفْ لَنَا ٱلْعاقِلَ، فَقالَ:
هُوَ ٱلَّذِي يَضَعُ الشَّيْءَ مَواضِعَهُ.
فَقِيلَ[١]: فَصِفْ لَنَا الْجاهِلَ، فَقالَ: قَدْ فَعَلْتُ[٢].

---

(١) في هـ. د: لم ترد «فقيل» في ف، وفي م: وقيل.
(٢) في ط : قد قلت.

قالَ الرَّضيّ رَحمهُ الله تَعَالىٰ(١): يَعْنِي أَنَّ ٱلْجاهِلَ هُوَ ٱلَّذِي لايَضَعُ ٱلشَّيْءَ مَواضِعَهُ، فَكانَ تَرْكُ صِفَتِهِ صِفَةً لَهُ، إِذْ كانَ بِخِلافِ وَصْفِ ٱلْعاقِلِ.

(ح ـ ٢٣٥) العاقل:

العقل هو ادذاك صالح الامور ومنافعها، وبه يكون الإنسان مستعداً لقبول العلوم الفكرية والصناعات العملية، ويفارق به سائر الحيوانات، ويكتسب به السعادة في الدنيا والنجاة في الآخرة.

وقد وصف الإمام العاقل بقوله: (هو الذي يضع الشيئ مواضعه)؛ فإنّ ذلك يلازم ادراك المصلحة والمنفعة، ويتوقف على ارادة استخدام هذا الادراك، ومنهيعرف الجاهل، فهو الذي لا يضع الشيئ في مواضعه، سواء كان ذلك لفقدانه هذا الادراك أو لعدم قدرته على التمييز بين المصلحة والمضرة، أو لعلمه بذلك ولكن يهمل العمل على مقتضى العلم، فالجاهل والعالم غير العامل سواء في صفة الجهل.

[٢٣٦]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

وَاللّهِ لَدُنْياكُمْ هذِهِ أَهْوَنُ فِي عَيْنِي مِنْ عُراقِ خِنزِيرٍ فِي يَدِ مَجْذُومٍ.

(ح ـ ٢٣٦) قيمة الدنيا:

يصف الإمام الدنيا من وجهة نظره الثاقب، وافصح صورة يتصورها الإنسان في الهوان، فهي اهون من:

١ ـ (عراق) وهو العظم الذي عليه شيئ من اللحم.

٢ ـ (خنزير) وهو حيوان قبيح الشكل يتغذى بالقاذورات.

٣ ـ(في يد مجذوم) والجذام: مرض يسبب تآكل اعضاء الجسم وسقوطها، وهو مرض معد يتحاشى الناس من التقرب إلى المبتلى به.

---

(١) لم ترد «قال الرضي رحمه الله» في أ و ص و د.

قال ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في شرح نهج البلاغة، ما نصّه:«العراق جمع عرق ، وهو العظم عليه شئ من اللحم ، وهذا من الجموع النادرة ، نحو رخل ورخال وتوأم وتؤام ولا يكون شئ أحقر ولا أبغض إلى الانسان من عراق خنزير في يد مجذوم ، فإنه لم يرض بأن يجعله في يد مجذوم – وهو غاية ما يكون من التنفير – حتى جعله عراق خنزير . ولعمري لقد صدق – وما زال صادقا – ومن تأمل سيرته في حالتي خلوه من العمل وولايته الخلافة عرف صحة هذا القول».[١]

[٢٣٧]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

إِنَّ قَوْماً عَبَدُوا اللّهَ رَغْبَةً فَتِلْكَ عِبادَةُ ٱلتُّجّارِ، وَإِنَّ قَوْماً عَبَدُوا اللّهَ رَهْبَةً فَتِلْكَ عِبادَةُ الْعَبِيدِ، وَإِنَّ قَوْماً عَبَدُوا ٱللّهَ شُكْراً فَتِلْكَ عِبادَةُ ٱلْأَحْرارِ.

(ح ـ ٢٣٧) اقسام العبادة:

بالعبادة يتقرب الإنسان الى ربّه، وتتقوم العبادة في ذاتها بالخلوص لله تعالى وحده، كما هو مشروح في كتب العرفان، وباختلاف درجات الخلوص تقسم العبادات إلى اقسام، وقد أشار الإمامعليه السلام إلى اقسام العبادة باعتبار النيّة إلى ثلاث، بقوله:

اولا: (إن قوما عبدوا الله رغبة) في الحصول على الثواب على تلك العبادة.

(فتلك عبادة التجار) الذين يقومون بعملية التقايض بالثمن بإزاء البيع للحصول على الربح، وهذا العابد يقدم العبادة للحصول على الربح الذي هو الثواب في الدنيا والآخرة.

ثانياً: (وإن قوما عبدوا الله رهبة) من العقاب على ترك الواجب الاسلامي من العبادات.

(فتلك عبادة العبيد) الذين يخافون غضب المالك في عدم امثال الاوامر.

ثالثاً: (وإن قوما عبدوا الله شكرا) من دون مقايضة للثواب وان حصل قهراً، ولا لخوف من العقاب وان تأمن قهرا، بل لاداء الواجب الاسلامي تجاه الخالق، وهو الشكر له تعالى.

---

(١) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٩ : ٦٧.

(فتلك عبادة الأحرار) حيث يقوم العابد بحريته بواجبه الاسلامي في العبادة، وما اعظمها من حرية، واحكمها عملاً بالمسؤولية؛ لانها نابعة من رؤية واضحة في الحياة للمبادي والوسائل والاهداف الاسلامية.

[٢٣٨]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

ٱلْمَرْأَةُ شَرٌّ كُلُّها، وَشَرُّ مافِيها أَنَّهُ لابُدَّ مِنْها.

(ح ـ ٢٣٨) المرأة أذىً:

الشر ـ لغة ـ: الاذى، والمرأة في ذاتها تتحمل من الاذى في الجسم في الحمل والرضاع وتربية الاولاد وما يرافق ذلك من تاثر العواطف بانواع الاذى الروحي ما لا يتحمله الرجل مهما كان عاطفيا ومتحسساً لآلالم الحمل والتربية؛ للفرق بين الحالتين.

واذا اضيف إلى هذا الاذى الجسمي والروحي الذي تتحمله المرأة انواع الاذى الذي ينبع من الرجال الذين ينظرون اليها نظرة السلعة المعروضة للجنس والشهوات، فان ذلك يزيدها اذى في نفسها وحذراً من عواقبها.

ومن ناحية اخرى فان الرجل الذي لا يبتلي بالحمل والارضاع وشهوات الرجال ايضا في اذى للحاجة الى المراة في الحياة الاجتماعية، فلا يمكن أن يعيش بدونها، ولا يمكن اية أمّة من أن تستغنى عنها في الحياة.

وما افهمه من الحكمة ـ والله اعلم بالمراد ـ فليست الحكمة ذما للمراة ولا مدحاً للرجل، بل بيان لواقع الحال، فلو كان ذماً لاستلزم الذم لكل النساء الصالحات كامراة فرعون ومريم بنت عمران، قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا ٱمرأة فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتاً فِي ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّالِمِينَ * وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَانَ ٱلَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا

وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَانِتِينَ﴾.[١] ومن سار على خطاهن في الاسلام كخديجة الكبرى وفاطمة الزهراء اللاتي هن قدوة صالحة للامهات الصالحات في المجتمع الاسلامي، وقاهن الله من غفلة الاصدقاء ويقظة الاعداء ووفقهن لاعداد الجيل الاسلامي الناشئ على الوعي الكامل والرؤية الواضحة للمبادي والوسائل والاهداف الاسلاميّة، امين.

[٢٣٩]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

مَنْ أَطَاعَ ٱلتَّوانِيَ ضَيَّعَ[٢] ٱلْحُقُوقَ، وَمَنْ أَطَاعَ ٱلْوَاشِيَ ضَيَّعَ ٱلصَّدِيقَ[٣].

(ح ـ ٢٣٩) ضياع الحقوق:

الحق لغة الشيئ الثابت، ولا يزول إلّا باسقاط صاحب الحق اياه، والحقوق إما حقوق عامة ومنها: حقوق الله سبحانه على العباد من الطاعات، ومنها حقوق اجتماعية عامة المفروضة في المجتمع الاسلامي كالعدل.

واما هي حقوق خاصة كحقوق الصداقة والصحبة.

وقد أشار الإمام اليها وأن الواجب المحافظة عليها بقوله:

أوّلاً: (من أطاع التواني ضيع الحقوق) العامة من الحقوق الالٰهيّة والاجتماعية؛ فإنّ التواني هو التكاسل عن اداء الواجب الاسلامي، وهو يوجب ضياع الحقوق، ولا يمكن المحافظة عليها إلّا بأداء الواجبات من دون كسل.

ثانياً: (ومن أطاع الواشي ضيع الصديق) في طاعة الواشي وهو الساعي في نقل الاخبار للتفرقة بين الناس، فاطاعته ضياع لحقوق الصداقة، ومن مستلزمات الصداقة عدم طاعة الواشي والمصارحة مع الصديق لحل المشاكل بينهما من دون تدخل اجنبي.

---

(١) التحريم: ١١ ـ ١٢.

(٢) في هـ. د: أضاع ـ م.

(٣) في هـ. ص: أي من أخّر الفعل الذي ينبغي أن يفعل عن وقت فعله ضيّع الحقوق التي يـلام بتركها. ومن سمع قول الوشاة في صديقه ضيّع الصديق، وقد قال الشاعر:

اما انّ من يستمع في صديقه ... أقاويل هذا الناس ما عاش يندم

[٢٤٠]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

ٱلْحَجَرُ ٱلْغَصْبُ[١] فِي ٱلدّارِ رَهْنٌ عَلى خَرابِها[٢].

[قال الرَّضيّ رحمه الله تعالىٰ:

وَقَدْ رُوِيَ هذَا الكَلامُ عَنِ ٱلنَّبِيِّ][٣] صَلَّى ٱللّهُ عَلَيْهِ وسَلَّم، وَلا عَجَبَ أَنْ يَشْتَبِهَ ٱلْكَلامانِ، لِأَنَّ مُسْتَقاهُما مِنْ قَلِيبٍ، وَمَفْرَغَهُما مِنْ ذَنُوبٍ[٤].

(ح - ٢٤٠) **الغضب:**

(القليب: البئر، والذنوب: الدلو الكبيرة).

الغصب: اخذ الشئ قهراً من دون رضا صاحبه، ولا فرق في ذلك بين قليله وكثيره (راجع المادّة في المعجم) وتشير الحكمة إلى أن الغصب تشريع عملي لاخذ مال الغير قهراً، وهذا يستلزم تشريع الاعتداء على المعتدى ايضاً.

فان غصب الحجر اعتداء على مال الغير، والبناء بالحجر المغصوب اعتداء على قانون الغصب المحرم في الاسلام، فيكون البناء تشريعا من شخص الغاصب وتجويزا للاعتداء عليه؛ فإنّ الغاصب يؤخذ باشق الاحوال، فيجوز لصاحب الحق أن يهدم الدار لاخذ حقه من ناحية فقيهة إلّا أن يسترضى، ومن ناحية تاريخية لاينسى التاريخ الظلم وعاقبته عاجلا أم اجلا.

---

(١) في هـ. د: الغصيب ـ ب.

(٢) في هـ. ص: قوله: «الحجر الغصب... الخ» المعنى ان الدار المبنيّة بالحجارة المغصوبة ولو حجراً واحداً لابدّ أن يتعجل خرابها وكأنّما خرابها حق رهن عليه المغصوب فلابد أن ينفكّ.

(٣) مابين المعقوفتين من ط، والعبارة في أ و ص هكذا: ويروى هذا الكلام للنبي.

(٤) في هـ. ص: الذنوب: الدلو الملائ، ولا يقال لها وهي فارغة: ذنوب.

[٢٤١]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

يَوْمُ الْمَظْلُومِ عَلَى ٱلظَّالِمِ أَشَدُّ مِنْ يَوْمِ ٱلظَّالِمِ عَلَى الْمَظْلُومِ[١].

(ح - ٢٤١) يوم المظلوم:

لكل فعل رد فعل، والظالم حينما يعتدي على الآخرين يكون في حالة من القوّة والحذر الذي لا يمكن للمظلوم مقاومته، فلا يرى محيصا سوى التراجع، ولكنّه لا ينسى قط الظلم الذي حصل، وكما لا ينساه التاريخ، فيستعد هو أو من يسير على خطاه للانتقام من الظالم بأية طريقة تيسرت له؛ فإنّ الظالم لا يبقى طول عمره على القوّة والحذر، بل يضعف قواه وتتحلل في حياته، على ما هو المشاهد في كلّ الظلمة في التاريخ، من تغلغل عوامل الضعف فيهم، فيكون يوم المظلوم أشدّ، هذا في الدنيا وفي الآخرة العذاب الاليم.

[٢٤٢]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

ٱتَّقِ ٱللّٰهَ بَعْضَ[٢] **ٱلتُّقى وَإِنْ قَلَّ، وَٱجْعَلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱللّٰهِ سِتْراً وَإِن رَقَّ**[٣].

(ح - ٢٤٢) درجة التقوى:

لكن شيئ درجات ومنها: تقوى الله، ولا يمكن الوصول إلى اقصى الدرجات الا خطوة فخطوة من اولها، فان نور المعرفة يزداد كما تقرب الإنسان اليها، فليس للتقوى بديل سوى رحمة الله تعالى، فقال عليه السلام:

(اتق الله بعض التقى وإن قل)؛ فإنّ هذا القليل من التوقي يؤدّي إلى انبثاق نور المعرفة في القلب.

---

(١) في هـ. ص: هو يوم القيامة، يوم الجزاء الأكبر في عرفهم، يضاف الى المنتصر فيقال يوم بني فلان علىٰ بني فلان، تمّت.

(٢) في أ: حقّ، وفي هـ. أ: في نسخة: بعض، وفي هـ. د: حق ـ ف.

(٣) في هـ. ص: أي من لم يحافظ على التقوى فلا ينبغي أن ينقطع من جميع أسبابها وهو الشرود عن الله، فإنّه مهما بقي ملاحظ لجانب الله، لابد أن يصلح حاله، والله أعلم.

(واجعل بينك وبين الله سترا وإن رق) بالعبادات الموقوتة، فإنّها صلة مباشرة بين العبد والرب، وان كانت رقيقة؛ فإنّ لله تعالى يتقبل الاعمال الصالحات مهما قلت، كما هو مقتضى عدله، وقد يزيدها كما هو مقتضى فضله.

[٢٤٣]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

إِذَا ٱزْدَحَمَ ٱلْجَوابُ خَفِيَ ٱلصَّوابُ[١].

(ح ـ ٢٤٣) الجواب الصواب:

لا يمكن الإنسان من الجواب الصواب لأيّ سؤال إلا بعد التأمّل فيه من كلّ جانب يرتبط بالموضوع من حيث الاسباب والادلة والنتائج، ولا يكون ذلك إلّا باستعراض كلّ جواب عليحدة، وتحليله واحداً بعد اخر، فاذا ازدحم الجواب بتوارد الاجوبة جميعا في آن واحد، فلا يكون مجالا للبحث والنظر والتحليل فيها بالدقة المطلوبة، وطبيعيّ أن يخفى الجواب الصحيح.

وهذه الحكمة ناصة ععلى التأمل في الجواب، وان التسرع هو شأن من لا يريد الصواب، بل يستخدم ذلك لاخفاء الحقيقة وضياع الجواب الصواب.

[٢٤٤]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

إِنَّ لِلّٰهِ تَعالى فِي كُلِّ نِعْمَةٍ حَقّاً، فَمَنْ أَدّاهُ[٢] زادَهُ مِنْها، وَمَنْ قَصَّرَ عنه[٣] خاطَرَ بِزَوالِ نِعْمَتِهِ.

---

(١) في هـ . ص: أي ان المسؤول إذا عجّل في الاجابة خفي الصواب عليه، كما يقع في مقامات المناظرة، فإذا انفرد بنفسه وتمهّل عرف الصواب، فينبغي للمسؤول أن لا يعجّل ويستمهل.
(٢) في هـ . د: في بعض النسخ: أدّاه حفظها.
(٣) في ط و د: فيه.

(ح - ٢٤٤) حق النعمة:

النعمة: ما يحسن الله على العبد من رزق ينتفع به في الدنيا في النفس كالصحة والعافيه، وفي العيش كالمال والطعام والشراب.

وقد أشار الإمام إلى أن لكل شئ حق، وقد جعل الله (لكل نعمة حقاً) هو الشكر لله تعالى على حصول النعمة التي لا يعرف قدرها إلّا بفقدانها.

وكلّ شئ في الحياة يفتقر إلى المحافظة عليه لسلامته، ومنها: حقوق النعمة؛ فإنّ لها اثران:

الأوّل: (فمن أداه زاده منها) لقوله تعالى:﴿لئن شكرتم لازيدنّكم﴾.(١)

الثاني: (ومن قصر عنه خاطر بزوال نعمته)؛ فإنّ التقصير اهمال لمسؤولية المحافظة على الشئ، فلا يكون ضمان لبقاء النعمة.

[٢٤٥]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

إذا كَثُرَتِ ٱلْمَقْدُرَةُ قَلَّتْ ٱلشَّهْوَةُ.

(ح - ٢٤٥) نتيجة القدرة:

الفاقد للشئ يسعي للحصول عليه، وبعد الحصول عليه يعرف ما في ذلك من المتاعب والمشاكل مما يوجب تغيير نظرته عن ذلك الشئ، ولهذا فكلما كثرت القدرة على الشئ كثرت المعرفة بالعيوب المصاحبة مع ذلك أو المسؤوليات الثقيلة التي يستلزمها، فقال عليه السلام:

(إذا كثرت المقدرة) على الشئ الذي كان مطلوبا للحصول عليه قبل القدرة من الوظائف والقوانين في المال والماديات وغيرها.

(قلت الشهوة) وهي الرغبة في ذلك الشئ؛ لمعرفة ما يصاحبه من المسؤوليات

---

(١) ابراهيم : ٧.

والعيوب والمشاكل الموجبة للرغبة عنها.

وهذا جار في كلّ الطبقات وانواع الصناعات ومختلف الهوايات، وقد جربها كلّ من استخدم القلم وسود الصفحات، منهم كاتب هذه الكلمات، وما اصدق كلام العماد الذي هو فيه خير استاد (ت /٥٠٢) بقوله: «اني رأيت أنّه لا يكتب انسان كتابا في يومه إلّا قال في غده لو غيّر هذا لكان احسن، ولو زيد هذا لكان يستحسن، ولو قدم هذا لكان افضل، ولو ترك هذا لكان اجمل، وهذا من اعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر» وصدق رحمه الله فيما جرّب واخبر، وكان لكلامه في حياتي اعظم الاثر، رحمه الله وايانا وغفر هفواتنا ما صدر مما تقدم أو تاخر يحق سيدنا وشفيعنا يوم المحشر، والائمة الاطهرين الغرر، واصحابهم الاكرمين الدرر.

قال ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في شرح نهج البلاغة، ما نصّه:«ولهذا الحكم علة في العلم العقلي ، وذلك أن النفس عندهم غنيّة بذاتها ، مكتفية بنفسها ، غير محتاجة إلى شئ خارج عنها ، وإنما عرضت لها الحاجة والفقر إلى ما هو خارج عنها لمقارنتها الهيولي ، وذلك أن أمر الهيولي بالضد من أمر النفس في الفقر والحاجة ، ولما كان الانسان مركبا من النفس والهيولي عرض له الشوق إلى تحصيل العلوم والقنيات لانتفاعه بهما ، والتذاذه بحصولهما ، فأما العلوم فإنه يحصلها في شبيه بالخزانة ، له يرجع إليها متى شاء ، ويستخرج منها ما أراد ، أعني القوى النفسانية التي هي محل الصور والمعاني على ما هو مذكور في موضعه . وأما القنيات والمحسوسات، فإنه يروم منها مثل ما يروم من تلك ، وأن يودعها خزانة محسوسة خارجة عن ذاته ، لكنه يغلط في ذلك من حيث يستكثر منها ، إلى أن يتنبه بالحكمة على ما ينبغي أن يقتنى منها ، وإنما حرص على ما منع لان الانسان إنما يطلب ما ليس عنده ، لان تحصيل الحاصل محال ، والطلب إنما يتوجه إلى المعدوم ، لا إلى الموجود ، فإذا حصله سكن وعلم أنه قد ادخره ، ومتى رجع إليه وحده إن كان مما يبقى بالذات ، خزنه وتشوق إلى شئ آخر منه ، ولا يزال كذلك إلى أن يعلم أن الجزئيات لا نهاية لها وما لا نهاية له ، فلا مطمع في تحصيله ، ولا فائدة في النزوع إليه ، ولا وجه لطلبه سواء كان معلوما أو محسوسا ، فوجب أن يقصد من المعلومات إلى الأهم ومن المقتنيات

إلى ضرورات البدن ومقيماته ، ويعدل عن الاستكثار منها ، فإن حصولها كلها مع أنها لا نهاية لها غير ممكن ، وكلما فضل عن الحاجة وقدر الكفاية فهو مادة الأحزان والهموم ، وضروب المكاره . والغلط في هذا الباب كثير ، وسبب ذلك طمع الانسان في الغنى من معدن الفقر ، لان الفقر هو الحاجة ، والغنى هو الاستقلال ، إلى أن يحتاج إليه ، ولذلك قيل : إن الله تعالى غنى مطلقا ، لأنه غير محتاج البتة ، فأما من كثرت قنياته فإنه يستكثر حاجاته بحسب كثرة قنياته ، وعلى قدرها رغبة إلى الاستكثار بكثرة وجوه فقره و ، قد بين ذلك في شرائع الأنبياء ، وأخلاق الحكماء ، فأما الشئ الرخيص الموجود كثيرا فإنما يرغب عنه ، لأنه معلوم أنه إذا التمس وجد والغالي فإنما يقدر عليه في الأحيان ويصيبه الواحد بعد الواحد ، وكل إنسان يتمنى أن يكون ذلك الواحد ليصيبه وليحصل له ما لا يحصل لغيره».[1]

[٢٤٦]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

ٱحْذَرُوا نِفارَ ٱلنِّعَمِ فَما كُلُّ شارِدٍ بِمَرْدُودٍ[2].

(ح ـ ٢٤٦) اهمال المسؤولية:

النعمة ما ينفع به الإنسان في الحياة من النديق الذي وهبه الله فلابد من المحافظة عليها يوضف سلامتها واستمرارها أو زيادتها بالسكر.

قولا وعملاً كالتقدير الانقل للشئ فاذا لا يقوم الإنسان يواجبه تجاه النعمة فتقر ونزول كما سنقر الحيوانات الاهلية ومنها الانقام الثلاث البقر والضم والامل فنشرد عن صاحبها اذا لم يوقر لها ما ينطلب من الطعام والشراب والكن.

و أشار إلى المصير بعد النضر والزوال بقوله:

---

(١) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٩ : ٧٨ ـ ٧٩.

(٢) في هـ . ص: قال في الشرح: هذا أمر بالشكر على النعمة وترك المعاصي؛ فإنّ المعاصي تزيل النعم.

(فما كلّ شارد بمردود)؛ لأنّ الحيوان الاهلى الذي تكفلت من صاحبه عادة لا يرد إلى صاحبه فيكون كالطير الخارج من القصص فلا يعود إليه عادة بل ابداً.

[٢٤٧]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

ٱلْكَرَمُ أَعْطَفُ مِنَ ٱلرَّحِمِ[١].

(ح - ٢٤٧) **الكرم:**

الكرم: الجود من غير توقع لشيئ كالهدية، وهو موجب للعطف والمحبة للكريم؛ للعلم بأن ذلك امر طبيعي فيه وليس لغرض مادي من جانبه، بل لخلق انسانيّ فيه، وفي هذه الحكمة مقارنة بين هذا الموجب للعطف، والرحم بالقرابة في النسب الذي يوجب العطف ايضا، مؤكدا بأن الكرم اكثر عطفا، والسبب في ذلك أن العطف من القريب في النسب امر متوقع؛ لمكان القرابة، فيكون العطف في مقابل عوض متوقع هو النسب، دون العطف من الغير، ومن اجل ذلك يقدر الإنسان نفس العمل من الغريب اكثر من القريب، وكلما كان اقرب كان اقل شكرا وتقديرا، وبنفس النسبة كلما كان الكرم صادرا من الابعد كان اكثر شكرا وتقديرا.

[٢٤٨]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

مَنْ ظَنَّ بِكَ خَيْراً فَصَدِّقْ ظَنَّهُ[٢].

(ح - ٢٤٨) **ظن الخير:**

الخير: خير في أية حال ومن إية جهة ومن أي شخص وفي أية مناسبة؛ لأنّ الخير كمال،، وفي ادراكه لذة روحية ونشره بين المجتمع حسنة، فالخير فضيلة لا تثمر إلّا

---

(١) أي أنّ الكريم يعطف على مستعطفيه أكثر وأسرع من عطف ذي الرحم على رحمه.

(٢) في هـ. ص: هذا حث علىٰ قضاء حاجة السائل.

الفضائل، وهو مجمع الفواضل.

وتشير الحكمة إلى أن (من ظنّ بك خيرا) فان نفس الظن هو وسيلة لتحقيق الخير، فلابد من اغتنام هذه الفرصة بتصديق ظنه وعمل الخير، قال تعالى:﴿وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله﴾ [1] ولا فرق في ذلك في ايّة وسيلة كانت ولأي سبب كان عمل الخير.

[٢٤٩]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

أَفْضَلُ ٱلْأَعْمالِ ما أَكْرَهْتَ عَلَيْه[2] نَفْسَكَ .

(ح ـ ٢٤٩) افضل الاعمال:

الإنسان بطبعه يحب الراحة ويكره ما يسلب الراحة منه، والعمل ـ أي عمل كان ـ يستلزم نوعا من التعب، وكلما كانت الاعمال ذات اهمية في الحياة فانه يتضاعف التعب بنفس الدرجة فيكون (افضل الاعمال ما اكرهت نفسك عليه) لما يستدعي من الامور الممهدة التي تلازم النصب والتعب في سبيل الحصول عليها؛ فإنّه بقدر الجدّ يكتسب المعالي، ومن طلب العلى سهر الليالي.

[٢٥٠]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

عَرَفْتُ ٱللّهَ بِفَسْخِ ٱلْعَزائِمِ وَحَلِّ ٱلْعُقُودِ[3].

(ح ـ ٢٥٠) معرفة الله:

شرح كتب الكلام الطريق الى معرفة الله سبحانه، والإمامعليه السلام في هذه الحكمة يشير إلى

---

(١) البقرة: ١١٠؟.

(٢) في أ و ط و د: نفسك عليه، وفي هـ. ص: وذلك لبعده من الرياء والاعجاب؛ ولأنّه أدخل في باب الابتلاء الذي هو فائدة التكليف.

(٣) في ط و د زيادة: ونقض الهمم.

حقائق في حياة أي انسان لا يمكن أن يعرف السبب فيها سوى الايمان بقدرة خارجة فوق ارادة الإنسان، تتدخل في قراراته الشخصية، ومن ذلك يعرف أن قدرة الإنسان محدودة، وهذه القدرة الخارجة اثرٌ، فلا بد لها من مؤثر، وهو الله سبحانه، فإنّه على كلّ شئ قدير.

واشار إلى الخصائص الثلاث بقوله:

أوّلاً: (عرفت الله سبحانه بفسخ العزائم) والعزيمة: الارادة القوية، فكم من امر يريد الإنسان تحقيقه، فيخرج من بيته عازما كذلك، فتطرأ له اسباب توجب فسخ العزم ونقضه.

ثانياً: (وحل العقود) والعقد: النيّة التي عقدها الإنسان على شئ من الامور من مهنة أو دراسة أو غير ذلك، فتحل مهنة اخرى محلها وهواية بديلة عما عقد النيّة عليها.

ثالثاً: (ونقض الهمم) والهمة: القصد لامر يقلقه، فاذا انتقض القلق بنفسه وانتقض الهم فلا يكون سبب للقلق.

وهذه الثلاث كلها مراتب متعددة تنازلية في الارادة، وتخلف هذه الارادة من الإنسان يكشف عن ارادة اقوى لابدّ وان تنتهي إلى ارادة الله، والا لوجب الدور والتسلسل ﴿إن ربك فعّال لما يريد﴾.[١]

قال ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في شرح نهج البلاغة، ما نصّه:«هذا أحد الطرق إلى معرفه البارئ سبحانه ، وهو أن يعزم الانسان على أمر ، ويصمم رأيه عليه ، ثم لا يلبث أن يخطر الله تعالى بباله خاطرا صارفا له عن ذلك الفعل ، ولم يكن في حسابه ، أي لولا أن في الوجود ذاتا مدبرة لهذا العالم لما خطرت الخواطر التي لم تكن محتسبة ، وهذا فصل يتضمن كلاما دقيقا يذكره المتكلمون في الخاطر الذي يخطر من غير موجب لخطوره ، فإنه لا يجوز أن يكون الانسان أخطره بباله ، وإلا لكان ترجيحا من غير مرجح لجانب الوجود على جانب العدم ، فلا بد أن يكون المخطر له بالبال شيئا خارجا عن ذات الانسان ، وذاك هو الشئ المسمى بصانع العالم . وليس هذا الموضع مما يحتمل استقصاء القول في

---

(١) هود : ١٠٧.

هذا المبحث».[١]

[٢٥١]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

مَرارَةُ ٱلدُّنْيا حَلاوَةُ ٱلآخِرَةِ[٢]، وَحَلاوَةُ ٱلدُّنْيا مَرارَةُ ٱلآخِرَةِ[٣].

(ح ـ ٢٥١) طعم الدنيا والآخرة:

الدنيا والآخرة ضدان لا يجتمعان، فهما في الآثار أيضا كذلك، ولكل منهما طعمه الخاص به، فللدنيا لذتها الفانية الزائلة ولها حلاوة خاصة بها، ومن اعتاد عليها يصبح اسيراً لها ويسعي في تحصيلها من اية طريقة ـ مشروعة أو غير مشروعة ـ وهذه الحلاوة تلازم مرارة الآخرة؛ حيث العقاب على ما يحصل منها من طرق غير مشروعة.

وكذلك مرارة الدنيا بالاجتناب عن الطرق غير المشروعة تعقب حلاوة الآخرة، والخيار لاصحاب الدار من الحذر بالانذار والاستعداد لدار القرار.

[٢٥٢]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

فَرَضَ ٱللّهُ ٱلْإيمانَ تَطْهِيراً مِنَ ٱلشِّرْك، وَٱلصَّلاةَ تَنْزِيهاً عَنِ ٱلْكِبْرِ، وَٱلزَّكاةَ تَسْبُّباً[٤] لِلرِّزْقِ، وَٱلصِّيامَ ٱبْتِلاءً لِإِخْلاصِ ٱلْخَلْقِ، وَٱلْحَجَّ تَقْوِيَةً[٥] لِلدِّينِ، وَٱلْجِهادَ عِزّاً لِلْإِسْلامِ، وَٱلْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ مَصْلَحَةً لِلْعَوامِّ، وَٱلنَّهْيَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ رَدْعاً لِلْسُّفَهاءِ، وَصِلَةَ ٱلرَّحِمِ مَنْماةً لِلْعَدَدِ، وَٱلْقِصاصَ حَقْناً لِلدِّماءِ، وَإِقامَةَ ٱلْحُدُودِ إِعْظاماً لِلْمَحارِمِ، وَتَرْكَ شُرْبِ ٱلْخَمْرِ

---

(١) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٩ : ٨٤.

(٢) في هـ. ص: هذا معنى قول النبيﷺ : «حفّت ـ أو حجبت ـ الجنّة بالمكاره»، فنقص الدنيا زيادة الآخرة.

(٣) في هـ. ص: في معناه قول الله تعالىٰ: ﴿أذهبتم طيّباتكم في حياتكم الدُّنيا وٱستمتعتم بـها﴾ وقوله: «رب نفس طاعمة ناعمة في الدنيا، جائعة عارية يوم القيامة» وغير ذلك.

(٤) في ط و د: تسبيباً، وفي هـ. د: سبباً ـ ف.

(٥) في هـ. د: تقربة ـ ب.

تَحْصِيناً لِلْعَقْلِ، وَمُجانَبَةَ ٱلسَّرِقَةِ إِيجاباً لِلْعِفَّةِ، وَتَرْكَ ٱلزِّنا تَحْصِيناً لِلنَّسَبِ، وَتَرْكَ ٱللِّواطِ تَكْثِيراً لِلنَّسْلِ، وَٱلشَّهاداتِ[١] ٱسْتِظْهاراً عَلَى ٱلْمجاحَداتِ، وَتَرْكَ ٱلْكَذِبِ تَشْرِيفاً لِلْصِّدْقِ، وَٱلسَّلامَ[٢] أَماناً مِنَ ٱلْمخاوِفِ، وَٱلْإِمامَةَ[٣] نِظاماً لِلْأُمَّةِ[٤]، وَٱلطّاعَةَ تَعْظِيماً لِلإمامَةِ.

(ح ـ ٢٥٢) حكم الشريعة:

شرح الإمام سلسلة من الحكم في الشريعة الاسلامية، فقال:

ـ (فرض الله) والفرض ـ لغةً ـ: التقدير لثبوت الشئ على اسباب ومسببات مترابطة.

١ ـ (الايمان تطهيرا من الشرك)؛ فإنّ الفطرة تدعوا إلى وحدة المعبود الخالق للكون، والشرك: تلوث الفطرة: فيكون الايمان تطهيراً لها، قال تعالى:﴿قل انما هو اله واحد واني برئ ممّا تشركون﴾.[٥]

٢ ـ (والصلاة تنزيها عن الكبر)، قال تعالى:﴿ استعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة إلّا على الخاشعين﴾ [٦].

٣ ـ (والزكاة تسببيا للرزق) فالزكاة ـ لغةً ـ: النمو، قال تعالى:﴿وما انفقتم من شئ فهو يخلفه﴾.[٧] فيكون الزكاة سببا للنمو الاقتصادي بحصانة حقوق الاجتماعية المفروضة لاصحابها.

٤ ـ (والصيام ابتلاء لإخلاص الخلق)؛ فإنّ في الصوم امتحان يظهر فيه خلوص النية، حيث لا يطلع على هذه النيّة الخالصة سواه تعالى.

٥ ـ (والحج تقربة للدين) فإنّ الحج من شعائر الله التي تجدد ذكريات دين الله الذي قام عليه الرسل منذ عهد أبي الانبياء ابراهيم عليه السلام، قال تعالى:﴿وأتمّوا الحج والعمرة لله﴾

---

(١) في هـ. د: والشهادة ـ ب.
(٢) في هـ. د: والاسلام ـ م، وفي هـ. ص: أي قول سلام عليكم، أي لا حرب بيني وبينكم.
(٣) في ط: والأمانة، وفي هـ. د: في بعض النسخ: والأمانة، وهو تحريف فاحش.
(٤) في أ: على الأمّة.
(٥) الانعام: ١٩.
(٦) البقرة: ٤٥.
(٧) سبأ: ٣٩.

[١].

٦ ـ (والجهاد عزا للاسلام) قال تعالى:﴿اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله﴾.[٢] ولا تستقيم دعوة إلّا بالجهاد في سبيلها.

٧ ـ (والأمر بالمعروف مصلحة للعوام) وهم عامة الشعب؛ فإنّ اثر المعروف يعم المجتمع الاسلامي عامة، قال تعالى:﴿ولتكن منكم امة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾[٣]؛ فإنّ الامر بالمعروف يعمّم الخير في المجتمع .

٨ ـ (والنهي عن المنكر ردعا للسفهاء) والسفاهة: الجهل، فإنّه لا رادع عن جهل السفهاء إلّا بالنهي عنها[٤].

٩ ـ (وصلة الرحم منماة للعدد) والنمو: الزيادة، قال تعالى:﴿واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام﴾.[٥] وذلك بتعاون الاسر ونمائها بنمو المجتمع.

١٠ ـ (والقصاص حقنا للدماء) قال تعالى:﴿ولكم في القصاص حياة يا أولي الالباب﴾[٦] فينقطع بذلك روح الانتقام .

١١ ـ (وإقامة الحدود إعظاما للمحارم) قال تعالى:﴿تلك حدود الله فلا تعتدوها﴾[٧] وذلك بانزال العقاب على من يستحقه، فلا يقدم عليها غيره .

١٢ ـ (وترك شرب الخمر تحصينا للعقل) حيث أمر بتركه؛ لأنّه يخامر العقل، قال تعالى:﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنْصَابُ وَٱلْأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَانِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.[٨] فله اثر في تفكيك الاسر؛ لغياب العقل بسببه.

١٢ ـ (ومجانبة السرقة إيجابا للعفة) والعفة: الامتناع عما لا يحل قولا أو فعلا، قال

---

(١) البقرة: ١٩٦.
(٢) المائدة : ٣٥ .
(٣) آل عمران : ١٠٤ .
(٤) راجع: آل عمران : ١٠٤ .
(٥) النساء : ١ .
(٦) البقرة: ١٧٩.
(٧) البقرة: ٢٢٩.
(٨) المائدة : ٩٠ .

تعالى:﴿و السارق ولسارقة فاقطعوا ايديهما جزاء بما كسبا﴾.[١] فيكون رادعا لمن يفكر فيها.

١٤ ـ (وترك الزنا تحصينا للنسب) قال تعالى:﴿ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلّا بالحق ولا يزنون﴾.[٢] وفي الزنا تختلط الانساب وتفقد الاحساب.

١٥ ـ (وترك اللواط تكثيرا للنسل) قال تعالى:﴿ولوطا اذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من احد من العالمين﴾.[٣]؛ لان سلوك هذا المسلك غير الطبيعي يستوجب انقطاع النسل البشري.

١٦ ـ (والشهادة استظهارا على المجاحدات) الشهادة: الادلاء بما رأى أو علم حول قضية، والاستظهار: طلب ظهور الحقيقة، والمحاجدة: الانكار، كما هو الحال في المحاكمات، قال تعالى:﴿ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنّه آثم قلبه﴾ [٤].

١٧ ـ (وترك الكذب تشريفا للصدق) قال تعالى:﴿فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين﴾[٥] ؛ فإنّ الصدق والكذب متضادان لا يجمعان، وقد مدح الله سبحانه الصدق والصادقين في ايات كثيرة منها قوله تعالى:﴿والذي جاء بالصدق وصدق به اولئك هم المتقون﴾.[٦]

١٨ ـ (والسلام أمانا من المخاوف) قال تعالى:﴿يا ايها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة﴾ [٧] فالسلم فرض اسلامي ليعيش المجتمع في امن من الخوف.

١٩ ـ (والأمانة نظاما للأمة) قال تعالى:﴿ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات إلى اهلها﴾.[٨] فان الأمّة التي تعيش بدون رعاية للامانة في حياتها يختل نظامها الاجتماعي،

---

(١) المائدة : ٣٨.
(٢) الفرقان : ٦٨.
(٣) الاعراف : ٨٠.
(٤) البقرة: ٢٨٢.
(٥) العنكبوت :٢.
(٦) الزمر : ٣٣.
(٧) البقرة: ٢٠٨.
(٨) النساء : ٥٨ .

حيث لا بديل للامانة سوى الخيانة أو الخوف منها، ولا بديل لنظام الامن العام في الحياة.

٢٠ ـ (والطاعة تعظيما للإمامة) قال تعالى:﴿اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم﴾.[١] فان اية امة بدون قيادة رشيدة لابد ان تنهار ويكون عاقبتها البوار.

وهذه النقاط العشرون تميز الشريعة الاسلامية عن غيرها باحتواتها على ضروريات الحياة في الفرد والاسرة والمجتمع في مختلف ما يفتقر اليه الإنسان في الحياة من العبادات والمعاملات والقوانين الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والعقوبات، فإنّها جميعا ترجع إلى حكم ومصالح فرضها الله سبحانه ليكون المجتمع الاسلامي الافضل.

[٢٥٣]

وَكانَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ يَقُولُ:

أَحْلِفُوا ٱلظّالِمَ ـ إِذا أَرَدْتُمْ يَمِينَهُ ـ بِأَنَّهُ بَرِيءٌ مِنْ حَوْلِ ٱللّهِ وَقُوَّتِهِ، فَإِنَّهُ إِذا حَلَفَ بِها كاذِباً عُوجِلَ[٢]، وإِذا حَلَفَ بِاللّهِ ٱلَّذِي لا إِلهَ إِلّا هُوَ لَمْ يُعاجَلْ، لأَنَّهُ قَدْ وَحَّدَ ٱللّهَ[٣] سُبْحانَهُ.

(ح ـ ٢٥٣) **الحلف بالله العظيم:**

مما يستند إليه في القضاء: الحلف باسم الله تعالى، ومنه اليمين، المأخوذ من اليمن والبركة، ومعناه: جعل الله اليمن في قسمي، وبذلك تفصل الخصومات عن المحاكمة؛ لانها تصدر عن من يعتقد بالله تعالى وبشرائعه، قال تعالى:﴿لاَ يُؤَاخِذُكُمُ ٱللهُ بِاللَّغْوِ أَيْمَانِكُمْ وَلٰكِن يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَٱللهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [٤].

وقد فصل الفقه الاسلامي اقسام اليمن إلى اقسام:

١ ـ منها: اللغو، وهو الذي لا يعقد به القلب، كالعادات التي يستخدمها البعض، فيكثر اليمين من دون قصد، فلا يكون عقد القلب فيها.

---

(١) النساء : ٥٩ .

(٢) في ط زيادة: العقوبة. في هـ. د: عوجل العقوبة ـ ض.

(٣) في أ: وحّده، وفي ط: وحّد الله تعالىٰ. وفي هـ. د: فقد وحّد الله ـ ف م، فقد وحّد الله سبحانه وتعالىٰ ـ ح.

(٤) البقرة: ٢٢٥.

٢ ـ ومنها: يمين القصد، وهو مستلزم للكفارة في بعض الحالات.

٣ ـ ومنها: يمين البراءة، وهذا هو الذي يشير اليه الإمامعليه السلام، واختلف الفقهاء في جوازه وعدمه (راجع المادة في المعجم).

والإمام يأمر باستخدام يمين البراءة عندما تنحصر الوسيلة باليمين لفصل الخصومة من الظالم فقال:

أوّلاً: (أحلفوا الظالم إذا أردتم يمينه بأنه بريءٌ من حول الله وقوته) وهو يمين البراءة؛ فإنّ الظالم بحكم كونه ظالما لا يهمه اللغو بالايمان، ولا اليمين عن قصد يوجب الكفارة، فينحصر بيمين البراءة، وعلل ذلك بقوله:

ثانياً: (فإنه إذا حلف بها كاذبا عوجل العقوبة)؛ لأنّ يمين البراءة اذا كان كاذبا من المحرمات الاكيدة لاستلزامه البراءة من العقيدة الاسلامية التي يقوم على أساس الايمان بحول الله وقوته.

وثالثاً: (وإذا حلف بالله الذي لا إله إلّا هو لم يعاجل؛ لأنّه قد وحد الله تعالى) فليس في هذا اليمين نكران لقدرة الله تعالى، بل فيه اعتراف بالوحدانية وتصديق بالالوهية، وبها لا يخرج المخالف من العقيدة ولا يعذب عقوبه الكافر.

[٢٥٤]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

يَابْنَ آدَمَ، كُنْ وَصِيَّ نَفْسِكَ، وَٱعْمَلْ فِي مالِكَ ما تُؤْثِرُ أَنْ يُعْمَلَ فِيهِ مِنْ بَعْدِكَ.

(ح ـ ٢٥٤) وصيّ النفس:

يأمر الإمامعليه السلام الناس عامة ـ وليس المسلمين خاصة ـ بتنفيذ الوصيّة في الحياة قبل الممات والعمل بما يراد تنفيذه بعد الممات في الحياة؛ فإنّ الوصية بعد الممات اما من الاحياء أو الاموات؛ فإنّ كانوا امواتا فقدت الوصية اثرها، وان كانوا احياء فينفذون منها ما لانفسهم فيه من رغبات ويدعون غيرها مما فيه الخصومات التي لا تنتهي إلّا بالعداوات، ولا تخلو عائلة من العائلات من احدى هذه الحالات.

[٢٥٥]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

ٱلْحِدَّةُ[١] ضَرْبٌ مِنَ ٱلْجُنُونِ، لِأَنَّ صاحِبَها يَنْدَمُ، فَإِنْ لَمْ يَنْدَمْ فَجُنُونُهُ مُسْتَحْكَمٌ.

(ح ـ ٢٥٥) الحدّة:

الحدة: شدّة العصبية، فهي تشابه الجنون في عدم الانضباط في السلوك حيث ما يقضيه العقل، والفرق بينهما: أن صاحب الحدة يندم على موقفه المتطرف، دون المجنون الذي لا يندم على مواقفه؛ حيث انّه لا يرى في اعماله ـ من زاوية اعتقاده ـ انحرافاً، بل يرى ان ما وافق هواه هو العقل، فاذا لا يندم صاحب الحدة، فيشترك مع المجنون في كلّ الصفات، فيكون هو والمجنون سواء في الجنون، وهو زوال العقل، الا أن الجنون فيه مستحكم.

[٢٥٦]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

صِحَّةُ ٱلْجَسَدِ مِن قِلَّةِ ٱلْحَسَدِ[٢].

(ح ـ ٢٥٦) صحّة الجسد:

الإنسان بطبعه يريد صحة الجسد، ويحاول استخدام كلما يتيسر له لاستدامة الصحة وقاية وعلاجا، ومن اسباب الوقاية التي يشير اليها الإمام عليه السلام في هذه الحكمة: (قلة الحسد) ؛ فإنّ منه في النفس مقدار تسعة اعشار منه في العلماء والايات وواحد من العشرة في عامة الطبقات .

والحسد مرض نفسي يؤثر على صحة الجسد، وقانا الله منه في كلّ الحالات من الان إلى يوم الممات.

---

(١) في هـ. ص: هي سرعة الغضب والمسارعة إلى المؤاخذة.

(٢) في هـ. ص: الحسد يبعث الغمّ فيؤثر في البدن، ومن ثم جاء: «لا راحة لحسود»، قال في الشرح: معناه أنّ القليل الحسد لا يزال معافى في بدنه، والكثير الحسد يمرضه ما يجده في نفسه من مضاضة المنافسة، وما يتجرّعه من الغيظ، ومزاج البدن يتبع أحوال النفس. انتهىٰ.

[٢٥٧]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ لِكُمَيْلِ بْنِ زِيادٍ ٱلنَّخَعِيِّ:

يا كُمَيْلُ، مُرْ أَهْلَكَ أَنْ يَرُوحُوا فِي كَسْبِ ٱلْمَكارِمِ، وَيُدْلِجُوا فِي حاجَةِ مَنْ هُوَ نائِمٌ، فَوَٱلَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ ٱلْأَصْواتَ مامِنْ أَحَدٍ أَوْدَعَ قَلْباً سُرُوراً إِلّا وَخَلَقَ ٱللّهُ لَهُ مِنْ ذلِكَ ٱلسُّرُورِ لُطْفاً، فَإِذا نَزَلَتْ بِهِ نائِبَةٌ جَرى إِلَيْها كَالْماءِ فِي ٱنْحِدارِهِ حَتّى يَطْرُدَها عَنْهُ كَما تُطْرَدُ غَرِيبَةُ ٱلْإِبِلِ.

(ح - ٢٥٧) كسب المكارم:

يوجه الإمام احد اصحابه وهو كميل بن زياد النخعي (راجع الحكمة رقم ١٤٧ والكتاب رقم ٦١) إلى احدى الخصال الاسلامية التي لابدّ وان يتحلى بها الإنسان المسلم في حياته اليوميّة ليلا ونهاراً، وهي كسب المكارم، والمكرمة: فعل الكرم وهو الجود بما انعم الله على الانسان من خير في العلم والمال لغيره ممّن يفتقر إليه، وقد روي عن النبي ألقائدﷺ قوله:«انما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق» (وراجع شرح دعاء مكارم الاخلاق في الصحيفة السجاديّة رقم ٢٠) فقال عليه السلام:

١ ـ (يا كميل مر أهلك) باعتبار قوله تعالى:﴿وانذر عشيرتك الاقربين﴾ [1]، فان اولى الناس بالمكارم بعد النفس هم الاهل، باعداد خلية صالحة في المجتمع الاسلامي، فان اعداد الخلية الواحدة زيادة على الصالحين عمل مشكور كما انه تقليل لمن يضادهم في نفس الوقت، فهو عمل ذو اثرين.

٢ ـ (أن يروحوا في كسب المكارم) الرواح: هو السير بعد الظهر، ويعني به مطلق السير في كسب المكارم والوعي الاسلامي للمبادي الاسلامية في الاخلاق، ويتعلمها للعمل بها وتطبيقها في الحياة.

٣ ـ (ويدلجوا في حاجة من هو نائم) والادلاج: هو السير في اول الليل؛ للاستعداد للعمل في النهار بعده، ومن طبيعة الليل سكون الناس إلى النوم والراحة، والمؤمن

---

(١) البقرة: ٢١٤.

المسؤول انما يؤدي دوره المطلوب في الوقت الذي يغفل عن ذلك الآخرون متمتعين بالراحة والنوم.

ثم أكّد الإمام على اثر هذه المسؤولية بقوله:

٤ ـ (فوالذي وسع سمعه الأصوات) مؤكدا بالقسم بالله سبحانه بوصفه الذي من يسمع جميع اصوات الموجودات بقدرته العليا عليها.

٥ ـ (ما من أحد أودع قلبا سرورا) بالعمل في اسعاده بما يسعه من خير لابدّ وان يظهر نتيجته في المستقبل آجلا أو عاجلا.

٦ ـ (إلا وخلق الله له من ذلك السرور لطفا) واللطف: الاحسان والرفق والهدية؛ فإنّ عمل الخير هذا لا يخفى على احد في الحاضر أو في المستقبل سواء من تلقى المكرمة بنفسه أو غيره في التاريخ، فإنّه يتصور هذا الموقف الاسلامي المخلص ويشكر عليه.

وعن نتيجة ذلك من المستلزمات قال:

٧ ـ (فإذا نزلت به نائبة) في الحياة الدنيا من المصائب التي لا يخلو منها حياة الانسان؛ فإنّ من تلقى المكرمة أو شاهدها وعرف اثرها ويعلم منها يقوم باللطف المشابه جزاءً للحسنى؛ لأنّ لكل فعل رد فعل مساو أو اقوى، ورد الفعل هنا يكون لطف اخر من اوصافه في درء الخطر أو التخفيف من وطأته.

٨ ـ (جرى إليها كالماء في انحداره) فيكون هذا اللطف الجديد جار بسرعة إلى تلك النائبة لتنقذ صاحبها منها، وهو لا يعلم بذلك، وبالنتيجة:

٩ ـ (حتى يطردها عنه) فيكون صاحب المكرمة الذي قام بها كواجب اسلامي قربة إلى الله مصونا من النائبة؛ لأنّ اللطف الثاني الذي هو رد فعل للّطف الأوّل يطردها عن الذي تلقى اللطف أو الذي شاهد الحقيقة، ومثل عن كيفته الحصانة هذه بقوله:

١٠ ـ (كما تطرد غريبة الإبل)؛ فإنّ الحيوانات تتالف كما يتآلف الإنسان، واذا تنافرت فانها لا تسمح للغريب عنها بالمشاركة معها في مواردها، وتطردها عن منازلها بكل حول وقوة.

فإنّ هذه النقاط العشر تؤكّد على الاثر الطيب لفعل الخير في الدنيا، وما عند الله اعظم

اجراً.

[٢٥٨]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

إِذا أَمْلَقْتُم فَتاجِرُوا ٱللّهَ بِالصَّدَقَةِ[١].

(ح - ٢٥٨) الصدقة:

الملق: الفقر، ومن الطبيعي أن الفقير يحتاج في الدنيا إلى الصدقة اكثر من غيره، والحكمة تشير الى أن الصدقة تصديق للاعتقاد بالمبادي الاسلامية التي منها الاعتقاد بأن الله سبحانه القائل: ﴿وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عندالله هو خيراً واعظم اجراً﴾[٢]، فتكون الصدقة تجارة بين الإنسان وبين الله بما هو خير في نفسه واعظم اجراً، وذلك باطلاقه يشمل الصدقة من الغني، وكذلك الصدقة من الفقير على فقير آخر مثله أو من هو افقر (راجع المادتين في المعجم).

[٢٥٩]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

ٱلْوَفاءُ لِأَهْلِ ٱلْغَدْرِ غَدْرٌ عِنْدَ ٱللّهِ، وَٱلْغَدْرُ بِأَهْلِ ٱلْغَدْرِ وَفاءٌ عِنْدَ ٱللّهِ.

(ح - ٢٥٩) الغدر عند الله:

الغدر: هو نقض العهد، وبعد نقض العهد من جانب العدو لا يبقى موضوع للوقاية، فلا يلتزم المسلم بالالتزام بالعهد من جانبه ايضا.

فان من استخدم مبدأ الغدر في سياسة حياته يجب أن يعامل بمثل ما التزم به نفسه، كالسارق والقاتل، فانه لا يؤمن منه أن تتحقق المعصية منه؛ لانه حكم على نفسه، فيكون ائتمان السارق تضييع للمال، وائتمان القاتل القاء للنفس إلى التهلكة، وهكذا الغادر؛ فإنّ

---

(١) في هـ. د: الصدقة ـ ب.

(٢) المزمل : ٢٠.

الوفاء له هو غدر عند الله؛ لأنّه اعانة على الغدر، والغدر به وفاء، فهو الذي فتح باب الغدر على نفسه باتخاذ هذا المبدأ سياسة لنفسه، والغدر ظلم يجب مقاومته ﴿وما ظلمهم الله ولكن كانوا انفسهم يظلمون﴾[١].

[٢٦٠]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

كَمْ مِنْ مُسْتَدْرَجٍ بِالْإِحْسانِ إِلَيْهِ، وَمَغْرُورٍ بِالسّتْرِ عَلَيْهِ، وَمَفْتُونٍ بِحُسْنِ ٱلْقَوْلِ فِيهِ، وَمَاٱبْتَلَى اللّهُ سُبْحانَهُ أَحَداً بِمِثْلِ ٱلْإِمْلاءِ لَهُ.

قَالَ الرَّضيُّ رَحِمَهُ اللهُ تعالىٰ[٢]:

وَقَدْ مَضى هذَا الْكَلامُ فِيما تَقَدَّمَ[٣]، إِلّا أَنَّ فِيهِ هاهُنا زِيادَةً[٤] مُفِيدَةً[٥].

(ح ـ ٢٦٠) الاستدراج:

قال الرضي: وقد مضى هذا الكلام فيما تقدم إلّا أن فيه هاهنا زيادة مفيدة.

قال الجلالي: تقدم النص هذا في الحكمة رقم ١١٥ لفظا من دون زيادة أو نقصية، وكلام الشريف صريح في الزيادة هنا، ولعل الزيادة الجملة الاخيرة، وكأنّها زيادة على الاستدراج، فيظهر انّه لم يكن فيما تقدم، والله اعلم ولا عصمة إلّا لمن عصمه الله.

---

(١) آل عمران : ١١٧.
(٢) لم ترد «قال الرضي رحمه الله تعالىٰ» في ص و د.
(٣) تقدم بالرقم ١١٦ وسيأتي بالرقم ٤٤٨.
(٤) في ط زيادة : جيدة.
(٥) لم ترد هذه الحكمة وما يتعلّق بها في أ.

فَصْلٌ
نَذْكُرُ فِيهِ شَيئاً
مِن اختيار غريب كلامه عَلَيهِ السَّلامِ
المحتاج الى التَّفْسِير[١]

(١) وردت العبارة في ط هكذا: ومن كلامه عليه السلام المتضمّن ألفاظاً من الغريب تحتاج إلى تفسير.

[٢٦١]

قولهُ ـ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ ـ في حدِيثهِ[(١)]:

فَإِذاكانَ ذٰلِكَ ضَرَبَ يَعْسُوبُ ٱلدِّينِ بِذَنَبِهِ[(٢)]، فَيَجْتَمِعُونَ إِلَيْهِ كَما يَجْتَمِعُ قَزَعُ ٱلْخَرِيفِ.

قال الرَّضيُّ رحمهُ اللهُ تعالىٰ[(٣)]:

يَعْسُوبُ ٱلدِّينِ: ٱلسَّيِّدُ ٱلْعَظِيمُ الْمالِكُ لِأُمُورِ ٱلنّاسِ يَوْمَئِذٍ، وَٱلْقَزَعُ: قِطَعُ ٱلْغَيْمِ الَّتِي لاماءَ فِيها.

(غ ـ ١) يعسوب الدين:

تشير الحكمة إلى قيام الحكم الاسلامي في المجتمع وافتقاره إلى قائد كفوء للقيادة، يعلن عن قيادته ويتبعه اصحابه المؤمنون بدعوته، وعبر عن هذه الحقيقة بقوله:

١ ـ (فإذا كان ذلك) حيث اراد الله بالمصحلة العليا بارادتة التي الحاكمة على كلّ شئ ولا يعلمها سواه تعالى، وكذب الوقّاتون في توقيت ما يريده تعالى فيما كان أو يكون.

٢ ـ (ضرب يعسوب الدين بذنبه) كنى عن القائد الاسلامي العظيم باليعسوب، وهو امير النحل، فإنّه يقود جميع النحل في مملكته بضرب ذنبه الذي يحتوي على مادة سامة قاتلة للاعداء باللسع، فيكون القائد الاسلامي له القوّة العسكرية الفائقة.

٣ ـ(فيجتمعون إليه) المومنون برسالته من الاتباع والاعوان من المسلمين وغيرهم من المستضعفين في الارض.

(كما يجتمع قزع الخريف) الصيف ليس من فصول الامطار، فالسحاب فيه ينقشع في المناطق الحارة بتأثير حرارة الشمس في البحار، فتنقشع الغيوم فيه، دون الخريف؛ فإنّ حرارة الشمس عليها اقل بحكم الطبيعة في هذا الفصل فتجتمع القطع المتفرقة من السحاب وتتكون وحدة كثيفة من السحاب لها اثرها.

فيكون حال الدعوة الاسلامية القائمة بكثرة الاعوان والاتباع تحت امرة قيادة قوية

---

(١) في أ و ص: وفي حديثه، وفي د: في حديثه عليه السلام.
(٢) في هـ. د: لم ترد «بذنبه» في ع.
(٣) لم ترد «قال الرضيّ رحمه الله تعالىٰ» في أ و ص و د.

لها اثرها في قيام الحكم الاسلامي كما هو الحال في أي حكم قائم في الحياة.

قال ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في شرح نهج البلاغة، ما نصّه:«أصاب في اليعسوب ، فأما القزع فلا يشترط فيها أن تكون خالية من الماء ، بل القزع قطع من السحاب رقيقة سواء كان فيها ماء أو لم يكن ، الواحدة قزعه بالفتح ، وإنما غره قول الشاعر يصف جيشا بالقلة والخفة :

كان رعاله قزع الجهام[١].

وليس يدل ذلك على ما ذكره ، لان الشاعر أراد المبالغة ، فإن الجهام الذي لا ماء فيه إذا كان أقطاعا متفرقة خفيفة ، كان ذكره أبلغ فيما يريده من التشبيه ، وهذا الخبر من أخبار الملاحم التي كان يخبر بها عليه السلام ، وهو يذكر فيه المهدى الذي يوجد عند أصحابنا في آخر الزمان . ومعنى قوله : (ضرب بذنبه) أقام وثبت بعد اضطرابه ، وذلك لان اليعسوب فحل النحل وسيدها ، وهو أكثر زمانه طائر بجناحيه ، فإذا ضرب بذنبه الأرض فقد أقام وترك الطيران والحركة . فإن قلت : فهذا يشبه مذهب الإمامية في أن المهدى خائف مستتر ينتقل في الأرض ، وإنه يظهر آخر الزمان ويثبت ويقيم في دار ملكه . قلت : لا يبعد على مذهبنا أن يكون الامام المهدى الذي يظهر في آخر الزمان مضطرب الامر ، منتشر الملك في أول أمره لمصلحة يعلمها الله تعالى ، ثم بعد ذلك يثبت ملكه ، وتنتظم أموره . وقد وردت لفظة اليعسوب عن أمير المؤمنين عليه السلام في غير هذا الموضع ، قال يوم الجمل لعبد الرحمن بن عتاب بن أسيد وقد مر به قتيلا : " هذا يعسوب قريش " ، أي سيدها».[٢]

قال الجلالي: اصاب الشريف في القزع ايضا؛ فإنّ السحاب يتكون من البحار، فاذا اشتدت كثافة الماء فيها توحدت وامطرت، واذا خفّت الكثافة تقطعت وتفرقت، فكانت نسبة الماء فيها قليلة جدا، يصح سلب اسم الماء منه، ومن اجل ذلك يؤثر في سرعتها الرياح، وليس لمائها اثر في اللقاح بمفردها دون ما اذا اجتمعت، فيكون الماء وحده كثيفا، وراجع المادّة في المعجم.

---

(١) البيان والتبيين ١ : ٩٧.

(٢) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٩ : ١٠٤ ـ ١٠٥.

[٢٦٢]

وَفِي حَدِيثِهِ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ :

هذَا ٱلْخَطِيبُ الشَّحْشَحُ.

قالَ[١]: يُرِيدُ ٱلْماهِرَ بِالْخُطْبَةِ ٱلْماضِيَ فِيها، وَكُلُّ ماضٍ فِي كَلامٍ أَوْسَيْرٍ فَهُوَ شَحْشَحٌ، وَٱلشَّحْشَحُ فِي غَيْرِ هذَا ٱلْمَوْضِعِ ٱلْبَخِيلُ ٱلْمُمْسِكُ.

(غ ـ ٢) الخطيب حقاً:

لكل شيئ درجات التكامل، والخطابة: القاء الخطبة، وهي ما يخطب به من الكلام لجمع خاص أو عام، والخطيب باعتباره خطيبا يقوم كلامه بالاليق اكثر مما يحتويه من المعنى الدقيق، وقدرته على الاستمرار في الخطابة وسهولة الكلام المتتابع من دون انقطاع هي التي تقيم شخصية الخطيب، فالخطيب حقا هو الشحشح الماضي في الكلام من دون اي اهتمام لأيّ شيئ في المقام، سوى حسن الخطاب الخاص أو العام، فإنّه المرام.

قال ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في شرح نهج البلاغة، ما نصّه:«قد جاء الشحشح بمعنى الغيور ، والشحشح بمعنى الشجاع ، والشحشح بمعنى المواظب على الشئ الملازم له ، والشحشح : الحاوي ، ومثله الشحشحان . وهذه الكلمة قالها علي عليه السلام لصعصعة بن صوحان العبدي رحمه الله ، وكفى صعصعة بها فخرا أن يكون مثل علي عليه السلام يثنى عليه بالمهارة وفصاحة اللسان ، وكان صعصعة من أفصح الناس ، ذكر ذلك شيخنا أبو عثمان الجاحظ[٢]».[٣]

[٢٦٣]

وَفِي حَدِيثِهِ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ[٤]:

إِنَّ لِلْخُصُومَةِ قُحَماً.

---

(١) لم ترد «قال» في أ و ص و د.

(٢) البيان والتبيين ١ : ٩٧.

(٣) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٩ : ١٠٦.

(٤) في ط: ومنه.

قال[١]: يُرِيدُ بِالْقُحَمِ ٱلْمَهالِكَ، لأَنَّها تُقْحِمُ أَصْحابَها فِي ٱلْمَهالِك وَٱلْمَتالِفِ فِي ٱلأَكْثَرِ، وَمِنْ ذلِكَ «قُحْمَةُ ٱلْأَعْرابِ»: وَهُوَ أَنْ تُصِيبَهُمُ ٱلسَنَةُ فَتَتَعَرَّقُ أَمْوالَهُمْ، فَذلِكَ[٢] تَقَحُّمُها فِيهِمْ.

قال[٣]: وَقِيلَ فِيهِ وَجْهٌ آخَرُ، وَهُوَ أَنَّها تُقْحِمُهُمْ بِلادَ ٱلرِّيفِ، أَيْ تُحْوِجُهُمْ إِلى دُخُولِ ٱلْحَضَرِ عِندَ مُحُولِ ٱلْبَدْوِ.

(غ ـ ٣) اثر الخصومة:

الخصومة: النزاع، وتشير الحكمة إلى نتيجة طبيعية لأيّ نزاع في اي امر من الامور، فإنّه لابدّ وان ينجر الى كره قلبي بين الطرفين المتنازعين في الأمر يستغلها الشيطان في تغرير الغالب بنشوة النصر، ومن جهة المغلوب بالشعور بالنقص الذي قد يولد روح الانتقام، ويجر الامور إلى العداوة وتقحم اصحابها في المهالك في الانفس أو الاتلاف للاموال في اكثر الاحوال، والله العاصم على كلّ حال.

وقد أشار الشريف إلى معاني الهلاك، والتعرق: وهو اكل اللحم الذي على العظم ،وينبغي ارادة معنى الكراهة؛ لانها القاسم المشترك الاعظم للمعاني، على ما اشرت إليه في تلخيص الذهب، فليراجع.

قال ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في شرح نهج البلاغة، ما نصّه:«أصل هذا البناء للدخول في الامر على غير روية ولا تثبت ، قحم الرجل في الامر بالفتح قحوما ، وأقحم فلان فرسه البحر فانقحم ، واقتحمت أيضا البحر دخلته مكافحة ، وقحم الفرس فارسه تقحيما على وجهه ، إذا رماه ، وفحل مقحام ، أي يقتحم الشول من غير إرسال فيها . وهذه الكلمة قالها أمير المؤمنين حين وكل عبد الله بن جعفر في الخصومة عنه ، وهو شاهد . وأبو حنيفة لا يجيز الوكالة على هذه الصورة ، ويقول : لا تجوز إلا من غائب أو مريض ، وأبو يوسف ومحمّد يجيزانها أخذا بفعل أمير المؤمنين عليه السلام ».[٤]

---

(١) لم ترد «قال» في أ و ص و د.
(٢) في ص: وذلك.
(٣) لم ترد «قال» في أ و ص و د.
(٤) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٩ : ١٠٧.

[٢٦٤]

وَمن حَدِيثِهِ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

إِذا بَلَغَ ٱلنِّساءُ نَصَّ ٱلْحَقائِقِ[١] فَالْعَصَبَةُ أَوْلى.

قال[٢]: وَيُرْوى: «نَصَّ ٱلْحِقاقِ»[٣]، وَٱلنَّصُّ: مُنْتَهَى ٱلْأَشْياءِ وَمَبْلَغُ أَقْصاها كَالنَّصِّ فِي ٱلسَّيْرِ لأَنَّهُ أَقْصى[٤] ما تَقْدِرُ عَلَيْهِ ٱلدّابَّةُ؛ وَيقال[٥]: نَصَصْتُ ٱلرَّجُلَ عَنِ ٱلْأَمْرِ، إِذَا ٱسْتَقْصَيْتَ مَسْأَلَتَهُ عَنْهُ لِتَسْتَخْرِجَ ماعِنْدَهُ فِيهِ، فَنَصُّ[٦] ٱلْحِقائقِ[٧] يُرِيدُ بِهِ ٱلْإِدْراكَ لأَنَّهُ مُنتَهَى ٱلصِّغَرِ وَٱلْوَقْتُ ٱلَّذِي يَخْرُجُ مِنْهُ ٱلصَّغِيرُ إِلى حَدِّ ٱلْكِبرِ[٨]، وَهُوَ مِنْ أَفْصَحِ ٱلْكِناياتِ عَنْ هذَا ٱلْأَمْرِ وَأَغْرَبِها؛ يَقُولُ: فَإِذا[٩] بَلَغَ ٱلنِّساءُ ذلِكَ فَالْعَصَبَةُ أَوْلى بِالْمَرْأَةِ مِنْ أُمِّها إِذا كانُواْ مَحْرَماً مِثلَ ٱلإِخْوَةِ وَٱلْأَعْمامِ، وَبِتَزْوِيجِها إِنْ أَرادُواْ ذلِكَ، وَٱلْحِقاقُ مُحاقَّةُ ٱلْأُمِّ لِلْعَصَبَةِ فِي ٱلْمَرْأَةِ وَهُوَ ٱلْجِدالُ وَٱلْخُصُومَةُ وَقَوْلُ كُلٍّ واحِدٍ مِنهُما لِلآخَرِ: أَنَا أَحَقُّ مِنْكَ بِهذا، يُقالُ مِنْهُ: حاقَقْتُهُ حِقاقاً مِثْلَ جادَلْتُهُ جِدالاً، قال[١٠]: وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ نَصَّ ٱلْحِقاقِ بُلُوغُ ٱلْعَقْلِ، وَهُوَ ٱلْإِدْراكُ، لأَنَّهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ إِنَّما أَرادَ مُنتَهَى ٱلْأَمْرِ ٱلَّذِي تَجِبُ[١١] بِهِ ٱلْحُقُوقُ وَٱلْأَحْكامُ.

قال[١٢]: وَمَنْ رَواهُ نَصَّ ٱلْحَقائِقِ فَإِنَّما أَرادَ جَمْعَ حَقِيقَةٍ[١٣]، هذا مَعْنى ماذَكَرَهُ أَبُو عُبَيْدٍ ٱلْقاسِمُ بْنُ سَلَامٍ.

---

(١) في د: الحقائق، وفي هـ. د: الحقاق ـ ب ح.
(٢) لم ترد «قال» في أ و ص.
(٣) في د: الحقاق، وفي هـ. د: ويروىٰ: نص الحقائق ـ ح.
(٤) في ص: أبلغ، وفي هـ. ص: في نسخة: أقصىٰ.
(٥) في أ:«وتقول»، وفي ص: تقول.
(٦) في ط: ونص.
(٧) في د: الحقاق.
(٨) في د : الكبير.
(٩) في ص: إذا.
(١٠) لم ترد «قال» في أ و ص.
(١١) في أ: يجب.
(١٢) لم ترد «قال» في أ و ص و د.
(١٣) في ص زيادة : وحقائق.

قال[١]: وَٱلَّذِي عِنْدِي أَنَّ ٱلْمُرادَ بِنَصِّ ٱلْحِقاقِ هاهُنا بُلُوغُ ٱلْمَرْأَةِ إِلَى الْحَدِّ ٱلَّذِي يَجُوزُ فِيهِ تَزْوِيجُها وَتَصَرُّفُها فِي حُقُوقِها، تَشْبِيهاً بِالْحِقاقِ مِنَ ٱلْإِبِلِ، وَهِيَ جَمْعُ حِقَّةٍ وَحِقٍّ وَهُوَ ٱلَّذِي ٱسْتَكْمَلَ ثَلاثَ سِنِينَ وَدَخَلَ فِي ٱلرّابِعَةِ؛ وَعِنْدَ ذلِكَ يَبْلُغُ إِلَى ٱلْحَدِّ ٱلَّذِي يُمكِنُ[٢] فِيهِ مِنْ رُكُوبِ ظَهْرِهِ وَنَصِّهِ فِي سَيْرِهِ، وَٱلْحَقائِقُ أَيْضاً جَمْعُ حِقَّةٍ، فَالرِّوايَتانِ[٣] جَمِيعاً تَرْجِعانِ إِلى مَعْنىً[٤] واحِدٍ، وَهذا أَشْبَهُ بِطَرِيقَةِ ٱلْعَرَبِ مِنَ ٱلْمَعْنَى ٱلْمَذْكُورِ[٥] أَوَّلاً.

(غ - ٤) بلوغ النساء:

تتضمّن الحكمة علامة البلوغ في المرأة؛ فإنّ للبلوغ علامات خاصة بها من عادة الدورة الشهرية اللتي لا تعرف إلّا من قبلها، وهي مشروحة في الفقه (راجع المادة في المعجم).

ومنها: العلامات الظاهرة لغيرها ممّن يهمه امرها، والسياق يقتضي أن يكون في امر الزواج، كما يقتضي أن يكون بعد وفاة الاب؛ حيث لاخلاف في انه صاحب الرأي، ومن الطبيعي اختلاف المصالح الشخصية والاسرية بعد وفاة الاب في خصوص البنت، وخاصة بين الامم التي ترى نفسها احق لكونها اقرب، والعصبة: وهم الجماعة من قوم الإنسان الذي يتعصبون له وينصرونه، وهم في المقام الابناء والقرابة من جهة الاب.

والحكمة تحدد بأن العصبة اولى من غيرهما في البنت التي بلغت (نص الحقاق) والنص بمعنى الظهور، والحقاق: جمع حقة، وهي بالضم على معان، منها: اصل راس الورك الذي فيه عظم الفخذ، والسياق يقتضي هذا المعنى؛ فإنّ ظهور الورك في الجسم يكشف عن بلوغ جسمي يخرج البنت من مرحلة الطفولة الى مرحلة النساء البالغات لقدرتها على الدفاع عن نفسها جسميا.

وقد وقع البحث عند الفقهاء في ذلك في الفقه (راجع مادّة الولاية في المعجم) كما

---

(١) لم ترد «قال» في أ و ص و د.
(٢) في أ و ص: يتمكن.
(٣) في ص: والروايتان.
(٤) في ط: مسمّىٰ.
(٥) لم ترد «المذكور» في ص.

حصل الخلاف عند اللغويين في فهم المعنى اللغوي للحقاق، وهنا أشار الشريف إلى معنى الادراك؛ لأنّه منتهى الصغر، والحقائق جمع حقيقة عن قاسم بن سلام الهروي (ت /٢٢٣).

قال ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦هـ) في شرح نهج البلاغة، ما نصّه:«أما ما ذكره أبو عبيد فإنه لا يشفي الغليل ، لأنه فسر معنى النص ، ولم يفسر معنى نص الحقائق ، بل قال : هو عبارة عن الادراك ، لأنه منتهى الصغر ، والوقت الذي يخرج منه الصغير إلى حد الكبر ، ولم يبين من أي وجه يدل لفظ نص الحقاق على ذلك ، ولا اشتقاق الحقاق وأصله ، ليظهر من ذلك مطابقة اللفظ للمعنى الذي أشير إليه . فاما قوله : "الحقاق هاهنا مصدر حاقة يحاقه" ، فلقائل أن يقول إن كان هذا هو مقصوده عليه السلام فقبل الادراك يكون الحقاق أيضا ، لان كل واحدة من القرابات تقول للأخرى : أنا أحق بها منك ، فلا معنى لتخصيص ذلك بحال البلوغ ، إلا أن يزعم زاعم أن الام قبل البلوغ لها الحضانة ، فلا ينازعها قبل البلوغ في البنت أحد ولكن في ذلك خلاف كثير بين الفقهاء . وأما التفسير الثاني ، وهو أن المراد بنص الحقاق منتهى الامر الذي تجب به الحقوق فإن أهل اللغة لم ينقلوا عن العرب إنها استعملت الحقاق في الحقوق ، ولا يعرف هذا في كلامهم . فأما قوله : " ومن رواه نص الحقائق" ، فإنما أراد جمع حقيقة ، فلقائل أن يقول وما معنى الحقائق إذا كانت جمع حقيقة هاهنا ؟ وما معنى أضافة "نص" إلى " الحقائق " جمع حقيقة ، فان أبا عبيدة لم يفسر ذلك مع شدة الحاجة إلى تفسيره ! وأما تفسير الرضي رحمه الله فهو أشبه من تفسير أبى عبيدة ، إلا أنه قال في آخره : والحقائق أيضا جمع حقه ، فالروايتان ترجعان إلى معنى واحد . وليس الامر على ما ذكر من أن الحقائق جمع حقة ، ولكن الحقائق جمع حقاق ، والحقاق جمع حق ، وهو ما كان من الإبل ابن ثلاث سنين ، وقد دخل في الرابعة ، فاستحق أن يحمل عليه وينتفع به ، فالحقائق إذن جمع الجمع لحق لا لحقه ، ومثل أفال وأفائل . قال : ويمكن أن يقال : الحقاق هاهنا الخصومة ، يقال ما له فيه حق ولا حقاق أي ولا خصومة ، ويقال لمن ينازع في صغار الأشياء إنه لبرق الحقاق ، أي خصومته في الدنئ من الامر ، فيكون المعنى إذا بلغت المرأة الحد الذي يستطيع الانسان فيه الخصومة

والجدال فعصبتها أولى بها من أمها ، والحد الذي تكمل فيه المرأة والغلام للخصومة والحكومة والجدال والمناظرة هو سن البلوغ».[١]

قال الجلالي: وقد غفل ﷺ من أن يشير إلى أن الحقاق جمع حقة بالضم، بمعنى راس الورك الذي فيه عظم الفخذ، وهو اولى بالسياق مما ذكره جميعا.

ولو اريد من الحقاق جمع حقة بمعنى ابن الثلاث من الابل لما افتقر إلى كلمة النص، وفي اهماله لمعنى انورك عجبٌ، واختياره لغيره اعجب، وليراجع تلخيص الذهب.

[٢٦٥]

وَفِي حَدِيثِهِ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

إِنَّ ٱلْإِيمانَ يَبْدُو لُمْظَةً فِي ٱلْقَلْبِ، كُلَّمَا ٱزْدادَ ٱلْإِيمانُ ٱزْدادَتِ ٱللُّمْظَةُ.

قال[٢]: **وَٱللُّمْظَةُ مَثْلُ ٱلنُّكْتَةِ أَوْنَحْوِها مِنَ ٱلْبَياضِ، وَمِنْهُ قِيلَ: فَرَسٌ أَلْمَظُ إِذا كانَ بِجَحْفَلَتِهِ[٣] شَيْءٌ مِنَ ٱلْبَياضِ.**

(غ ـ ٥) درجات الايمان:

الايمان نور ينقدح في العقل فيضيئ ما حوله، وكلما ازداد النور ازداد الوضوح في الرؤية، فيبدأ الايمان لمظة وهي نقطة بياض كالنور، في القلب وهو عقل الإنسان، فيكون الايمان والنور متلازمان، وحيث أن النور اثر الايمان على المؤمن اكتفى بالاشارة إلى التلازم من جانبه، فقال: (كلما ازداد الايمان ازدادت اللمظة)؛ لأنّ اللمظة اثر النور على الآخرين في درجات متفاوتة في مدارج سلوك الإنسان نحو الكمال، قال تعالى:﴿يرفع الله الذين امنوا والذين أوتوا العلم درجات﴾.[٤]

---

(١) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٩ : ١٠٩ ـ ١١٠.
(٢) لم ترد «قال» في أ و ص و د، وفي د: واللمظة.
(٣) في هـ. ص: هي لذوات الحافر بمنزلة الشفة.
(٤) المجادلة : ١١.

[٢٦٦]

وَمن[١] حَدِيثِهِ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

إِنَّ ٱلرَّجُلَ إِذا كانَ لَهُ ٱلدَّيْنُ ٱلظَّنُونُ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يُزَكِّيَهُ لِما مَضى إِذا قَبَضَهُ.

(غ ـ ٦) الدين الضنون:

تشير الحكمة إلى مسألة فقهية وهي وجوب الزكاة في الحال الذي تحت يد صاحبه وهو قادر في التصرف فيه، دون المال المملوك الذي لا يتمكن من تحصيله، كما لو غرفت له سفينة في البحر ولا يمكنه الانتفاع بها، ومن ذلك مسألة الدين الذي لم يحصل عليه، وعبّر عنه بكلمة (الظنون)؛ لان الدين في مظنة الحصول عليه اذا كان المستقرض ملتزما بعهده وقادراً على دفعه، ولكن مع افلاسه وغيره من الاسباب يخيب الظن، فقال عليه السلام:

(إن الرجل إذا كان له الدين الظنون) الدين: القرض الى اجل معين، والظنون: ما يظن الحصول عليه .

(يجب عليه أن يزكيه) ويطهره من الحقوق الشرعية كالزكاة والخمس وغيرهما.

(لما مضى) من الزمن الموجب لاستحقاق الحق الشرعي.

(إذا قبضه) وجعل المال في يده، دونما اذا عجز عن دفع الدين؛ لأيّ سبب كان كالافلاس مثلا (وراجع المادة المعجم).

قال الشريف الرضي (ت /٤٠٦):

الظَّنُونُ[٢]: ٱلَّذِي لايَعْلَمُ صاحِبُهُ أَيَقْبِضُهُ مِنَ ٱلَّذِي[٣] هُوَ عَلَيْهِ أَمْ لا، فَكَأَنَّهُ ٱلَّذِي يَظُنُّ بِهِ ذَلِكَ[٤]، فَمَرَّةً يَرْجُوهُ وَمَرَّةً لايَرْجُوهُ، وَهُوَ مِنْ أَفْصَحِ ٱلْكَلامِ، وَكَذلِكَ كُلُّ أَمْرٍ تَطلُبُهُ وَلا تَدْرِي عَلى أَيِّ شَيءٍ أَنْتَ مِنْهُ فَهُوَ ظَنُونٌ، وَعَلى[٥] ذلِك قَوْلُ ٱلْأَعْشى:

---

(١) في أ و د: وفي.

(٢) في أ و ص: فالظنون

(٣) في ص: أيقبضه من الذي، وفي هـ. ص: في نسخة: ايقضيه الذي.

(٤) لم ترد «ذلك» في أ، وفي هـ. ص: كتب على «به ذلك»: نسخة.

(٥) في أ: ومن، وفي هـ. أ: في نسخة: وعلىٰ.

مَنْ يَجْعَلُ[١] ٱلْجُدَّ ٱلظَّنُونَ ٱلَّذِي
جُنِّبَ صَوْبَ اللَّجِبِ ٱلْماطِرِ
مِثْلَ ٱلْفُراتِيِّ إِذا ما طَما
يَقْذِفُ بِالْبُوصِيِّ[٢] وَٱلْماهِرِ[٣]

وَٱلْجُدُّ: ٱلْبِئْرُ[٤]. وَٱلظَّنُونُ: ٱلَّتِي لايُعْلَمُ هَلْ فِيها ماءٌ أَمْ لا.

وقد استشهد الشريف على معنى الظنون بشعر ميمون بن قيس الاعشى (من شعراء الجاهلية) والمفردات في البين هي: الجد: البئر، الظنون: المحتمل وجود الماء فيه، والصوب: الجهة، واللجب: السحاب، والفراتي : البئر في جنب الفرات، طم الماء: كثرته، والبوص: السفينة الصغيرة، والماهر: السابح في الماء.

والمعنى: أن الإنسان العاقل لا يجعل البئر المحتمل وجود الماء فيها البعيدة عن السحاب الماطر، مثل البئر التي هي بجنب الفرات التي يكثر ماؤها؛ فإنّ كثرة الماء يغلب عليها السفينة والسابح في الماء.

ولخص عمر كحالة في معجم المؤلفين ترجمة ميمون الأعشى (٧ هـ = ٦٢٩م) بقوله:«ميمون بن قيس بن جندل بن شراحبيل ابن عوف بن سعد المعروف بأعشى قيس ويقال له : أعشى بكر بن وائل ، والأعشى الكبير [٥] أبو بصير . من شعراء الجاهلية واحد أصحاب المعلقات . ولد في قرية منفوخة باليمامة قرب مدينة الرياض ، ووفد على كثير من الملوك ولا سيما ملوك فارس ، ولذلك كثرت الألفاظ الفارسية في شعره ، وعاش عمرا طويلا ، وأدرك الاسلام ولم يسلم ، وعمي في أواخر عمره ، وتوفي في منفوخة . من آثاره : ديوان شعر . ط / الأصفهاني : الأغاني ٩ : ١٠٨ ـ ١٢٩ ، المرزباني : معجم الشعراء ١٢ :

---

(١) في أ و د: ما يجعل، وفي هـ. ص: في نسخة: ما يجعل.
(٢) في هـ. أ: السفن.
(٣) في هـ. أ: السباح.
(٤) في ط: البئر العادية في الصحراء، وفي هـ. ص: في نسخة الشرح: العادية في الصحراء، قال فيه: المعروف عند أهل اللغة أنّ الجد: البئر يكون في موضع كثير الكلأ، ولا يسمّى البئر العادية في الصحراء الموات جدّاً، انتهىٰ.
(٥) ولقب بالأعشى لضعف بصره .

٤٠١ ـ ٤٠٢، حاجي خليفة: كشف الظنون: ٧٧٦، الزركلي: الاعلام ٨: ٣٠٠ ـ ٣٠١، فهرست الخديوية ٤: ٢٤٠).

وقال ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في شرح نهج البلاغة، ما نصّه: «التفسير صحيح، لكن قوله: " من امتنع من شئ فقد أعزب عنه " ليس بجيد، والصحيح: فقد عزب عنه، ثلاثي، والصواب: وكل من منعته من شئ فقد أعزبته عنه تعديه بالهمزة، كما تقول أقمته وأقعدته، والفعل ثلاثي قام وقعد، والدليل على أن الماضي ثلاثي هاهنا. قوله:) والعازب والعزوب: الممتنع من الأكل والشرب، ولو كان رباعيا لكان "المعزب" وهو واضح، وعلى هذا تكون الهمزة في أول الحرف همزة وصل مكسورة، كما في " اضربوا"؛ لان المضارع يعزب بالكسر».[1]

[٢٦٧]

وَفِي حَدِيثِهِ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ أَنَّهُ شَيَّعَ جَيْشاً يُغْزِيهِ، فَقالَ:

أَعْذِبُواْ عَنِ ٱلنِّساءِ مَاٱسْتَطَعْتُمْ.

وَمَعْناهُ أَصْدِفُوا عَنْ ذِكْرِ ٱلنِّساء[2] وَشُغْلِ ٱلْقَلْبِ[3] بِهِنَّ وَٱمْتَنِعُواْ مِنَ ٱلْمُقارَبَةِ لَهُنَّ؛ لِأَنَّ ذلِكَ يَفُتُّ[4] فِي عَضُدِ ٱلْحَمِيَّةِ، وَيَقْدَحُ فِي مَعاقِدِ الْعَزِيمَةِ، وَيَكْسِرُ عَنِ ٱلْعَدُوِّ، وَيَلْفِتُ عَنِ ٱلْإِبْعادِ فِي الْغَزْوِ، وَكُلُّ مَن ٱمَتَنَعَ مِنْ شَيْءٍ فَقَدْ أَعْذَبَ عَنْهُ، وَٱلْعاذِبُ وَٱلْعَذُوبُ: ٱلْمُمْتَنِعُ مِنَ ٱلْأَكْلِ وَٱلشُّرْبِ.

(غ - ٧) ذكر النساء:

(التشييع: توديع الراحل، والغرب: السير إلى العدو، والعذب: المنع).

وتتضمّن الحمكة اداب عسكرية اسلامية قام بها الإمام قولا وفعلا.

أوّلاً: شارك الامام مع الجيش في شعورهم حيث (أنه شيع جيشا يغزيه)؛ لأنّ الجيش

(١) شرح نهج البلاغة؛ ابن أبي الحديد ١٩: ١١٤.
(٢) أصدفوا ـ بكسر العين ـ: أعرضوا واتركوا، وكذلك: أعذبوا.
(٣) في ص: القلوب.
(٤) يفتّ: من الفت، وهو الدق والكسر، وفت الساعد: إضعافه.

يقوم بواجبه من السير الى العدو، وليس شئ اكثر تشجيعا من مشاطرة القائد الاعلى في توديعهم حين اداء واجبهم العسكري.

ثانياً: نصح الإمام الجيش نصيحة عملية تكشف عن حضور النساء في الوداع، وطبيعيّ منهن الشعور العاطفي في مسيرة لا يعلم نتائجها فقال:

(أعذبوا عن النساء ما استطعتم)؛ فإنّ العواطف لها تاثيرها الكبير في نفس الإنسان، ويوجب عدم التركيز على الانضباط العسكري المطلوب في الموقف.

وقد ذكر الشريف الرضي (ت /٤٠٦) في شرح ذلك اسبابا توجب الامتناع عن ذكر النساء في هذا الموقف ، هي:

١ ـ الفت في عضد الحمية، اي الضعف، فيكون متاثرا بعاطفة النساء.

٢ ـ القدح في معاقد العزيمة، والقدح: الخرق في العزائم بعد عقدها، فتنحل.

٣ ـ الكسر عن العدو، وهو السير جريا، والكسر عنه: التأخير بالسير على مهل.

٤ ـ اللفت عن الابعاد، واللفت: صرف النظر يمينا وشمالا، والابعاد: التركيز على المسافة البعيدة بسبب التوجه إلى غيرها.

وهذه النقاط الاربع من الآثار الطبيعية للامتناع من ذكر النساء، ويظهر من نسخة الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ)٦٥٦ الاختلاف في المادّة في عذب وغرب قال:«التفسير صحيح ، لكن قوله : "من امتنع من شئ فقد أعزب عنه "، ليس بجيد ، والصحيح: فقد عزب عنه ، ثلاثى ، والصواب : وكل من منعته من شئ فقد أعزبته عنه تعديه بالهمزة ، كما تقول أقمته وأقعدته ، والفعل ثلاثى قام وقعد ، والدليل على أن الماضي ثلاثى هاهنا قوله : والعازب، والعزوب : الممتنع من الاكل والشرب ، ولو كان رباعيا لكان "المعزب" وهو واضح ، وعلى هذا تكون الهمزة في أول الحرف همزة وصل مكسورة ، كما في "اضربوا"؛ لان المضارع يعزب بالكسر ».[1]

(١) شرح نهج البلاغة ؛ لابن أبي الحديد ١٩ : ١١٤.

[٢٦٨]

وَفِي حَدِيثِهِ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

كَالْياسِرِ ٱلْفالِجِ يَنْتَظِرُ أَوَّلَ فَوْزَةٍ مِنْ قِداحِهِ.

ٱلْياسِرُونَ: هُمُ ٱلَّذِينَ يَتَضارَبُونَ بِالْقِداحِ عَلَى الْجَزُورِ، وَٱلْفالِجُ: ٱلْقاهِرُ ٱلْغالِبُ، يُقالُ: قَدْ فَلَجَ عَلَيْهِمْ وَفَلَجَهُمْ، قالَ ٱلرّاجِزُ:

لَمّا رَأَيْتُ فالِجاً قَدْ فَلَجا

(غ - ٨) انتظار الفوز:

(الياسر: المغامر، القداح: سهم القمار ، والمضاربة: المشاركة، والجزور: الناقة المجزورة).

كل هادف في الحياة يريد تحقيق اهدافه في اول فرصة متاحة، ولكن درجات الانتظار تختلف بحسب طبائع الافراد واهمية الاهداف، وليس أشدّ انتظاراً من المغامر، فإنّه ينتظر الفوز بدرجة لايدانيها اي انتظار.

قال ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في شرح نهج البلاغة، ما نصّه:«أول الكلام أن المرء المسلم ما لم يغش دناءة يخشع لها إذا ذكرت ، ويغري به لئام الناس ، كالياسر الفالج ينتظر أول فوزه من قداحه ، أو داعي الله ، فما عند الله خير للأبرار ، يقول هو بين خيرتين : إما أن يصير إلى ما يحب من الدنيا ، فهو بمنزلة صاحب القدح المعلى ، وهو أوفرها نصيبا ، أو يموت فما عند الله خير له وأبقى)[1] . وليس يعنى بقوله : الفالج : القامر الغالب فسره الرضي رحمه الله ، لان الياسر الغالب القامر لا ينتظر أول فوزه من قداحه ، وكيف ينتظر وقد غلب ! وأي حاجة له إلى الانتظار ! ولكنه يعنى بالفالج الميمون النقيبة الذي له عادة مطردة أن يغلب ، وقل أن يكون مقهورا».[2]

---

(١) سورة البقرة : ١٧٧ .

(٢) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٩ : ١١٥.

[٢٦٩]

وَفِي[١] حَدِيثِهِ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

كُنّا إِذَا ٱحْمَرَّ ٱلبَأْسُ اتَّقَيْنا بِرَسُولِ ٱللّهِ، صَلَّى ٱللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنّا أَقْرَبَ إِلَى ٱلْعَدُوِّ مِنْهُ.

وَمَعْنى ذلِكَ أَنَّهُ إِذا عَظُمَ ٱلْخَوْفُ مِنَ ٱلْعَدُوِّ وَٱشْتَدَّ عِضاضُ ٱلْحَرْبِ[٢] فَزِعَ ٱلْمُسْلِمُونَ إِلى قِتالِ رَسُولِ ٱللّهِ صَلَّى ٱللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِنَفْسِهِ[٣]، فَيُنْزِلُ ٱللّهُ تَعالى ٱلنَّصْرَ عَلَيْهِمْ بِهِ[٤]، وَيَأْمَنُونَ مِما كانُوا يَخافُونَهُ[٥] بِمَكانِهِ.

وَقَوْلُهُ: «كنّا[٦] إِذَا احْمَرَّ ٱلْبَأْسُ»: كِنايَةٌ عَنِ ٱشْتِدادِ ٱلْأَمْرِ، وَقَدْ قِيلَ فِي ذلِكَ أَقْوالٌ أَحْسَنُها: أَنَّهُ شَبَّهَ حَمْيَ[٧] ٱلْحَرْبِ بِالنّارِ ٱلَّتِي تَجْمَعُ ٱلْحَرارَةَ وَٱلْحُمْرَةَ بِفِعْلِها وَلَوْنِها.

وَمِمّا يُقَوِّي ذلِكَ قَوْلُ النبيّ[٨] صَلَّى ٱللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ وَقَدْ رَأَى مُجْتَلَدَ[٩] ٱلنّاسِ يَوْمَ حُنَيْنٍ وَهِيَ حَرْبُ هَوازِنَ ـ: «ٱلْآنَ حَمِيَ ٱلْوَطِيسُ»: فَالْوَطِيسُ[١٠]، مُسْتَوْقَدُ ٱلنّارِ، فَشَبَّهَ رَسُولُ ٱللّهِ صَلَّى ٱللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، مَا ٱسْتَحَرَّ مِنْ جِلادِ ٱلْقَوْمِ بِاحْتِدامِ ٱلنّارِ وَشِدَّةِ ٱلْتِهابِها.

(غ ـ ٩) قيادة الرسول:

(العضاض: العض بالاسنان، كناية عن الم الحرب، والحمي: الشدة، والجلد: شدة المكروه، والاستحرار: شدة القتال).

القائد في الحرب يمثل المبادئ التي يدعوا اليها، وبقدر تفانيه يظهر مدى ايمانه بالمبادي التي يحارب من اجلها، واي موقف من القيادة ينعكس على جميع افراد

---

(١) في ص : ومن.
(٢) العضاض ـ بكسر العين ـ: أصله عضّ الفرس، وهنا مجاز عن إهلاكها للمتحاربين.
(٣) أي لجأ المسلمون إلىٰ طلب رسول الله ليقاتل بنفسه.
(٤) لم ترد «به» في أ.
(٥) في ص: يخافون.
(٦) لم ترد «كنّا» في أ و د.
(٧) الحمي: اشتداد الحرّ.
(٨) في د: رسول الله.
(٩) المجتلد : من الاجتلاد، وهو الاقتتال بالسيف.
(١٠) في أ و ص: والوطيس.

الجيش، ثمّ الشعب.

والإمام يصف الصلابة القاطعة لموقف الرسول القائد في حروبه التي تكشف عن رؤيته الواضحة للمبادي والوسائل والاهداف الاسلامية التي يدعوا اليها ويحارب من اجلها، فكان الرسول صلى الله عليه وآله في مقدمة الجبهة وكان الجيش يحتمي به على النقيض تماماً من قادة الحروب المادية، حيث لا يشاركون في الجبهة الا بزيارة خاطفة وعلى الدوام يحتمون بالجيش الذي هو الضحية في مختلف الحالات.

والمواجهة بالمشاركة الشعبية العامة والمساهمة العملية من القيادة هي التي تميز الحروب الاسلامية عن غيرها من الحروب التقليدية.

* * *

ٱنْقَضى هذَا ٱلْفَصْلُ، وَرَجَعْنا إِلى سَنَنِ[1] ٱلْغَرَضِ ٱلْأَوَّلِ فِي هذَا ٱلْبابِ.

---

(١) في هـ. ص: السنن :الطريقة، يقال: تنح عن السنن، أي: عن الطريق، من الشرح.

[٢٦١]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ لَمّا بَلَغَهُ إِغارَةُ أَصْحابِ مُعاوِيَةَ عَلَى ٱلْأَنْبارِ فَخَرَجَ بِنَفْسِهِ ماشِياً حَتّى أَتَى ٱلنُّخَيْلَةَ[١]، فَأَدْرَكَهُ ٱلنّاسُ، وَقالُوا: يا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ نَحْنُ نَكْفِيكَهُمْ، فَقالَ عليه السلام:

ماتَكْفُونَنِي[٢] أَنْفُسَكُمْ فَكَيْفَ تَكْفُونَنِي[٣] غَيْرَكُمْ. إِنْ[٤] كانَتِ ٱلرَّعايا قَبْلِي لَتَشْكُو حَيْفَ رُعاتِها فَإِنِّي ٱلْيَوْمَ لَأَشْكُو حَيْفَ رَعِيَّتِي، كَأَنَّنِي الْمَقُودُ وَهُمُ ٱلْقادَةُ، أَوِ ٱلْمَوْزُوعُ وَهُمُ ٱلْوَزَعَةُ[٥]!

فَلَمّا قالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ هَذا ٱلْقَوْلَ ـ فِي كَلامٍ طَوِيلٍ قَدْ ذَكَرْنا مُخْتارَهُ فِي جُمْلَةِ ٱلْخُطَبِ[٦] ـ تَقَدَّمَ إِلَيْهِ رَجُلانِ مِنْ أَصْحابِهِ، فَقالَ أَحَدُهُما: إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلّا نَفْسِي وَأَخِي فَمُرْنا بِأَمْرِكَ يا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ نَنْفُذْ لَهُ. قالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

وَأَيْنَ تَقَعانِ مِمّا أُرِيدُ[٧].

(ح ـ ٢٦١) القيادة والقاعدة:

تشير الحكمة إلى علاقة القيادة والقاعدة في الحكومات المادية والدينية، حيث أن الحكومات المادية تستخدم اية وسيلة ـ شرعية أو غير شرعية قانونية أو غير قانونية لتحقيق اهدافها؛ بادعاء انّ الغاية تبرر الوسيلة .

والحكومة الاسلامية لاتعتبر أن الغاية تبرر الوسيلة ؛ لأنّه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وتعتمد على التلاحم مع الشعب في المواقف الحرة، فيتحرك باختيار الشعب المسلم من دون اجبار أو اكراه، كما هو المطلوب في الحروب العقائدية.

ويتجلى هذا الموقف من الإمام في غارة اصحاب معاوية على الانبار في نقاط:

---

(١) في هـ. ص: موضع بظاهر الكوفة، وكانت معسكراً.
(٢) في هـ. أ: في نسخة: ما تكفوننا، وفي هـ. د: ما تكفوا أنفسكم فكيف تكفوني غيركم ـ ب، والله ما تكفوننا ـ م.
(٣) في ص: تكفوني.
(٤) في هـ. ص: هي المخففة من الثقيلة، أي انّها.
(٥) في هـ. ص: جمع وازع، وهو الدافع الكافّ، من الشرح.
(٦) راجع الخطبة ٩٧.
(٧) لأنّه كان عليه السلام يحتاج إلى قوّة عظيمة.

اولا: خرج بنفسه ماشيا حتى اتى النخيلة، وهي معسكر الإمام، على خلاف العادة في دعواته إلى الحرب، حيث كان يعلو المنبر ويعلن اعلانا عاما للحوق المجاهدين، وهذه الحركة غير الطبيعية تعبر عن عدم الثقة بالجماعة حوله، فيتخلى بنفسه في اتخاذ القرار المناسب.

ثانياً: عندما ادراكه الناس وقالوا: (يا اميرالمؤمن نحن نكفيكهم) علق الإمام على هذا الكلام الفارغ عن اي دليل يعضده بانهم يريدون تطييب خاطر الإمام فقط، فعلق عليه الإمام.

ثالثاً: (ماتكفوني انفسكم فكيف تكفنوني غيركم؟)؛ فإنّ المسؤول العسكري المهمل لمسؤوليته عالة على الجيش، يجب الاستغناء عنه، وان اشتغالهم من دون بديل يوجب الخلاء في تحمل المسؤولية، فيفتقر الموقف إلى من يكفي هؤلاء عن احداث هموم تشوش على القيادة رؤيتها الواضحة، فيجب كفهم عنها. وان هذا الكلام الفارغ من أي عمل لدليل على ذلك.

واوضح الإمام النقطة الاساسيّة في الخلاف التي يجب الكف عنها وهي عدم الرؤية الواضحة للقاعدة بمسؤوليتها الاسلامية فقال:

رابعاً: (إن كانت الرعايا قبلي لتشكو حيف رعاتها) لان الحكومات المادية تسخدم الحديد والنار في سوق الجيش إلى ساحة الحرب، فكان الشعب يشكو من الظلم والحيف وهو الظلم من الحكام في قراراتهم العسكرية.

(وإنني اليوم لأشكو حيف رعيتي)؛ لأنّ القاعدة تهمل واجبها من الانضباط العسكري، فتكون القيادة فاقدة للتلاحم الشعبي في الدفاع عن الدين والوطن وردع المعتدي أصحاب الغارة.

وعبر عن درجة الحرية في القرارات من جانب الجيش بقوله:

خامساً: (كأنني المقود وهم القادة ، أو الموزوع وهم الوزعة) والوازع: الدافع؛ فإنّ غياب الانضباط العسكري ممّن يطلب فيه ذلك يوجب الخلل في حركة التلاحم الشعبي بين القيادة والقاعدة، وحيث أن هذه النقاط كانت مفهومة معلنة عند الجميع على أساس

السياسة المفتوحة في الاسلام، قام من ابدى استعداده الشخصي فقال مقتبسا من القرآن الكريم قوله تعالى:﴿اني لا املك إلّا نفسي واخي﴾.[1] في قصة موسى وهارون، فعلق الإمام على ذلك بقوله:

(واين تقعان مما اريد)؛ فإنّ محاربة جيش العدو لا يمكن بشخصين اثنين من القاعدة؛ فإنّ نجاح ايّة حركة يتوقف على قيادة رشيدة ـ والمفروض وجودها ـ لاتباعها السياسة النبوية، وايضا على قاعدة ملتزمة بتنفيذ القرارات القيادية، وهذه القاعدة تستلزم مشاركة جماعية وليس استعداد اثنين فقط لم يبديا استعدادهما من قبل، ولم يقوما بالتوجيه كسائر افراد القاعدة لاتخاذ موقف مماثل.

[٢٦٢]

وَقِيلَ: إِنَّ ٱلْحارِثَ بْنَ حُوْطٍ[2] أتاهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ فَقالَ: أَتُرانِي أَظُنُّ أَصْحابَ ٱلْجَمَلِ كانُوا عَلى ضَلالَةٍ؟ فَقال عَلَيهِ ٱلسَّلامُ:

يا حار، إِنَّكَ نَظَرْتَ تَحْتَكَ وَلَمْ تَنْظُرْ فَوْقَكَ فَحِرْتَ[3]! إِنَّكَ لَمْ تَعْرِفِ ٱلْحَقَّ فَتَعْرِفَ من أَتاه[4]، وَلَمْ تَعْرِفِ ٱلْباطِلَ فَتَعْرِفَ مَنْ أَتاهُ.

فَقال ٱلْحارِثُ: فَإِنِّي أَعْتَزِلُ مَعَ سَعْدِ بْنِ مالِك وَعَبْدِٱللّهِ بْنِ عُمَرَ، فَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ: إِنَّ سَعْداً وَعَبْدَ ٱللّهِ بْنَ عُمَرَ لَمْ يَنْصُرَا ٱلْحَقَّ، وَلَمْ يَخْذُلاَ ٱلْباطِلَ.

(ح ـ ٢٦٢) معرفة الحق والباطل:

معرفة الحق وتمييزه عن الباطل تفتقر إلى رؤية واضحة للمبادي والوسائل والاهداف الاسلامية، وكما هو الشأن في كلّ حرب اهلية يشتبه الحق بالباطل على اثر الدعايات

---

(١) المائدة : ٢٥ .

(٢) في هـ. ص: بالحاء المهملة، وقيل: ان الموجود في خط الرضي بالخاء المعجمة، انتهى من الشرح.

(٣) من حار يحير، أي: تحيّرت، وفي أ: فجرت ـ من الجور ـ وفي هـ. د: محرت ـ ص ح ب، فجزت ـ ل.

(٤) في ص: فتعرف أهله، وفي هـ. د: فتعرف من أتاه ـ ف.

الباطلة فيها، وقلب الحقائق والتعتيم على الشعب كما هو شأن وسايل الاعلام من الصحف والاذاعات اليوم، مما تؤثر في الحروب الاهلية من المتحاربين، وتوثر في صفوف الشعب من مختلف الطبقات على اختلاف درجة رؤيتهم، فيصبح حائراً في التمييز بين الحق والباطل.

ومن هذا ما حصل للحارث بن حوط الاسدي من اصحاب الإمام في شأن اصحاب الجمل عام ٣٦، فقال متسائلا:

(أتراني أظن أصحاب الجمل كانوا على ضلالة) والضلالة: هي الانحراف عن الصراط المستقيم، وطبيعيّ أن تختلف درجات الضلالة، واعلاها: الكفر، ويظهر أن هذا هو المعنى للسائل، فاجاب الإمام عليه السلام بقوله:

أوّلاً: (يا حارث! إنك نظرت تحتك ولم تنظر فوقك فحرت)؛ فإنّ المسؤولية الاسلامية تستدعي الرؤية للموضوع من جميع جوانبه وليس من جانب واحد؛ فإنّ الضلالة لها مراتب ومنها الضلالة عن الطاعة في الحقوق الفردية كالصلاة، ومنها الضلالة في الطاعة في الامور السياسية التي لها اثرها في المجتمع عامة كالخروج بالبغي عن السلطة الشرعية القائمة بالشورى، ومنها الضلالة بالخروج عن العقيدة كالكفر، ولكل منها حدود وعقوبات محددة في القانون الاسلامي.

فاذا عرف الإنسان الفرق بين مراتب الضلالة يعلم أن اصحاب الجمل لم يكن ضلالتهم من الحقوق الفردية كالسرقة التي لها حكم شرعي، كما انها لم تكن من الضلالة بالكفر التي لها حد شرعي خاص، بل كانت من الضلالة بالخروج على السلطة الشرعية وقد حدها القرآن بالقتال بقوله:﴿فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتّى تفئ الى امر الله﴾.[1]

فلابد من النظر إلى حكم الله الذي هو فوق أي حكم وعلاقة وصداقة.

وثانياً: ذكر تعليلا عاماً للمورد وغيره بقوله:

---

(١) الحجرات: ٩.

ـ (إنك لم تعرف الحق فتعرف من أتاه)؛ لأنّ النظر لم يكن للموضوع من كلّ جوانبه، فلو كان النظر الى ما هو اعلى بالاتباع من أي شئ، وهو حكم القرآن كانت الرؤية واضحة والعمل بحكم الله هو المتبع.

(ولم تعرف الباطل فتعرف من أتاه) حيث لا يمكن معرفة الباطل إلّا بمخالفة الحق، فالتحكيم في الحق والباطل يجب أن يبتني على المعرفة لهما، ولا يمكن ذلك إلّا بالرؤية الواضحة للموضوع من جميع جوانبه.

(فقال الحارث: فإني أعتزل مع سعيد بن مالك وعبد الله بن عمر) بما يظهر عدم اقتناعه بكلام الإمام فاقترح الاعتزال.

ويكشف ايضا عن تاريخ عن الكلام وانه كان في المعركة عام ٣٦، وربما حصل بالفعل فقال الإمام:

رابعا: (إن سعيدا وعبد الله بن عمر لم ينصرا الحق ولم يخذلا الباطل) وسعيد هو سعد بن أبي وقاص، واسمه مالك بن اهيب بن عبد مناف الزهري (ت/ ٥٥)، وكان سعد ممّن قعد ولزم بيته في الفتنة، وامر اهله أن لا يخبوه بشئ من اخبار الناس حتّى تجتمع الامة على الإمام.[١]

وأما عبدالله بن عمر، فهو ابن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب (ت /٣٧).

واليك مقتطفات في تراجمهم:

قال ابن الأثير في أسد الغابة ما نصه:« ب د ع، سعد بن مالك وهو سعد بن أبي وقاص واسم أبي وقاص مالك بن وهيب وقيل: أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مره بن كعب بن لؤي بن غالب ابن فهر بن النضر بن كنانة القرشي الزهري يكنى أبا إسحاق وأمه حمنة بنت سفيان بن أُميّة بن عبد شمس وقيل: حمنة بنت أبي سفيان بن أُميّة أسلم بعد ستة وقيل: بعد أربعة وكان عمره لما أسلم سبع عشرة سنة روى عنه انه قال: أسلمت قبل ان تفرض الصلاة وهو أحد الذين شهد لهم رسول الله ﷺ بالجنّة وأحد العشرة سادات

---

(١) راجع: المزي (ت /٧٤١) ١٠: ٣١٣، ط /١٤١٢.

الصحابة وأحد الستة أصحاب الشورى الذين أخبر عمر بن الخطاب رض ان رسول الله ﷺ توفى وهو عنهم راض شهد بدرا واحدا والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ أبلى يوم أحد بلاء عظيما وهو أول من أراق دما في سبيل الله وأول من رمى بسهم في سبيل الله ـ الى أن قال: واستعمل عمر بن الخطاب سعدا على الجيوش الذين سيرهم لقتال الفرس وهو كان أمير الجيش الذين هزموا الفرس بالقادسية وبجلولا أرسل بعض الذين عنده فقاتلوا الفرس بجلولا فهزموهم وهو الذي فتح المدائن مدائن كسرى بالعراق وهو الذي بنى الكوفة وولى العراق ثم عزله فلما حضرت عمر الوفاة جعله أحد أصحاب الشورى وقال: إن ولى سعد الامارة فذاك والا فأوصى الخليفة بعدي أن يستعمله فإني لم أعزله من عجز ولا خيانة فولاه عثمان الكوفة ثم عزله واستعمل الوليد بن عقبة بن أبي معيط أخبرنا إسماعيل بن علي وغير واحد باسنادهم إلى محمّد بن عيسى بن سورة قال: حدثنا رجا بن محمّد العدوي أخبرنا جعفر بن عون عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن سعد ان رسول الله ﷺ قال: اللهم استجب لسعد إذا دعاك وكان لا يدعو إلّا استجيب له وكان الناس يعلمون ذلك منه ويخافون دعاءه قال: وأخبرنا محمّد بن عيسى أخبرنا الحسن بن الصباح البزاز أخبرنا سفيان بن عيينة عن علي بن زيد ويحيى بن سعيد سمعا ابن المسيب يقول: قال علي بن أبي طالب: ما جمع رسول الله ﷺ أباه وأمه لأحد إلّا لسعد بن أبي وقاص، قال له يوم أحد: ارم فداك أبي وأمي ارم أيها الغلام الحزور[1] ولما قتل عثمان اعتزل الفتنة ولم يكن مع أحد من الطوائف المتحاربة بل لزم بيته وأراد ابنه عمر وابن أخيه هاشم بن عتبة بن أبي وقاص ان يدعو إلى نفسه بعد قتل عثمان فلم يفعل وطلب السلامة فلما اعتزل طمع فيه معاوية وفى عبد الله بن عمر وفى محمّد بن مسلمة فكتب إليهم يدعوهم إلى أن يعينوه على الطلب بدم عثمان ويقول انكم لا تكفرون ما أتيتموه من خذلانه إلّا بذلك فأجابه كل وأحسد منهم يرد عليه ما جاء به وكتب إليه سعد أبيات شعر:

(١) اي الذي قارب البلوغ.

معاوي داؤك الداء العياء — وليس لما تجئ به دواء
أيدعوني أبو حسن علي — فلم أردد عليه ما يشاء
وقلت له اعطني سيفا قصيرا — تميز به العداوة والولاء
أتطمع في الذي أعيا عليا — على ما قد طمعت به العفاء
ليوم منه خير منك حيا — وميتا أنت للمرء الفداء

وتوفى سعد بن أبي وقاص سنة خمس وخمسين قاله الواقدي وقال أبو نعيم الفضل بن دكين مات سنة ثمان وخمسين وقال الزبير وعمرو بن علي والحسن ابن عثمان توفى سعد سنة أربع وخمسين وقال إسماعيل بن محمّد بن سعد: كان سعد آدم طويلا أفطس وقيل: كان قصيرا دحداحا غليظا ذا هامة شثن الأصابع، قالته ابنته عائشة. وتوفى بالعقيق على سبعة أميال من المدينة فحمل على أعناق الرجال إلى المدينة فأدخل المسجد فصلى عليه مروان وأزواج النبي صلى الله عليه وآله قال ابنه عامر: كان سعد آخر المهاجرين موتا ولما حضرته الوفاة دعا بخلق جبة له من صوف فقال: كفنوني فيها فإني كنت لقيت المشركين فيها يوم بدر وهي على وانما كنت أخبؤها لهذا أخرجه الثلاثة».[١]

وقال ابن الأثير في أسد الغابة ما نصه:« ب دع، عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي يرد نسبه عند ذكر أبيه إن شاء الله تعالى أمه وأم أخته حفصة زينب بنت مظعون بن حبيب الجمحية أسلم مع أبيه وهو صغير لم يبلغ الحلم وقد قيل: إن اسلامه قبل اسلام أبيه ولا يصح وانما كانت هجرته قبل هجرة أبيه فظن بعض الناس ان اسلامه قبل اسلام أبيه وأجمعوا على أنه لم يشهد بدرا استصغره النبي صلى الله عليه وآله فردوه واختلفوا في شهوده أحدا فقيل شهدها وقيل: رده رسول الله صلى الله عليه وآله مع غيره ممن لم يبلغ الحلم أخبرنا عبيد الله بن أحمد بن علي باسناده إلى يونس بن بكير عن ابن إسحاق حدثني نافع عن ابن عمر قال: لما أسلم عمر بن الخطاب قال: أي أهل مكة أنقل للحديث قالوا جميل بن معمر الجمحي فخرج عمر وخرجت وراءه وأنا غليم أعقل كل ما رأيت حتى أتاه فقال: يا جميل أشعرت انى قد

(١) أسد الغابة ؛ لابن الأثير ٢ : ٢٩٠ ـ ٢٩٣.

أسلمت فوالله ما راجعه الكلام حتى قام يجر رداءه وخرج عمر يتبعه وأنا معه حتى إذا قام على باب المسجد صرخ يا معشر قريش ان عمر قد صبا قال: كذبت ولكني أسلمت وذكر الحديث ـ الى ان قال: - وكان ابن عمر شديد الاحتياط والتوقي لدينه في الفتوى وكل ما تأخذ به نفسه حتى أنه ترك المنازعة في الخلافة مع كثرة ميل أهل الشأم إليه ومحبتهم له ولم يقاتل في شئ من الفتن ولم يشهد مع علي شيئا من حروبه حين أشكلت عليه ثم كان بعد ذلك يندم على ترك القتال معه أخبرنا القاضي أبو غانم محمّد بن هبة الله بن محمّد بن أبي جرادة أخبرنا عمى أبو المجد عبد الله بن محمّد حدثنا أبو الحسن علي بن عبد الله بن محمّد بن أبي جرادة أخبرنا أبو الفتح عبد الله بن إسماعيل بن أحمد بن إسماعيل بن سعيد حدثنا أبو النمر الحارث بن عبد السلام بن زغبان الحمصي حدثنا الحسين بن خالويه حدثنا أبو بكر عبد الله بن محمّد بن أبي سعيد البزار حدثنا محمّد بن الحسن بن يحيى الكوفي حدثنا أبو نعيم حدثنا عبد الله بن حبيب أخبرني أبي قال: قال ابن عمر حين حضره الموت ما أجد في نفسي من الدنيا إلّا انى لم أقاتل الفئة الباغية أخرجه أبو عمر وزاد فيه مع علي وكان جابر بن عبد الله يقول ما منا إلّا من مالت به الدنيا وما بها ما خلا عمر وابنه عبد الله وقال له مروان بن الحكم ليبايع له بالخلافة وقال له: ان أهل الشأم يريدونك قال: فكيف أصنع بأهل العراق قال: تقاتلهم قال: والله لو أطاعني الناس كلهم إلّا أهل فدك وان قاتلتهم يقتل منهم رجل واحد لم أفعل تركه.

توفى عبد الله بن عمر سنة ثلاث وسبعين بعد قتل ابن الزبير بثلاثة أشهر وكان سبب قتله أن الحجاج أمر رجلا فسم زج رمح وزحمه في الطريق ووضع الزج في ظهر قدمه وانما فعل الحجاج ذلك لأنه خطب يوما وأخر الصلاة فقال له ابن عمر: ان الشمسي لا تنتظرك فقال له الحجاج: لقد هممت ان أضرب الذي فيه عيناك قال: إن تفعل فإنك سفيه مسلط وقيل: إن الحجاج حج من عبد الله بن عمر فأمره عبد الملك بن مروان أن يقتدى بابن عمر فكان ابن عمر يتقدم الحجاج في المواقف بعرفة وغيرها فكان ذلك يشق على الحجاج فأمر رجلا معه حربة مسمومة فلصق بابن عمر عند دفع الناس فوضع الحربة على ظهر قدمه فمرض منها أياما فأتاه الحجاج يعوده فقال له: من فعل بك قال: وما تصنع

قال: قتلني الله ان لم أقتله قال: ما أراك فاعلا أنت أمرت الذي نخسني بالحربة فقال: لا تفعل يا أبا عبد الرحمن وخرج عنه ولبث أياما ومات وصلى عليه الحجاج».(١)

والكلمة الاخيرة في هذه الحكمة من قوله:

(لم ينصر الحق ولم يخذلا الباطل) تقدم في الحكمة رقم (١٧) ونصها. (خذلوا الحق ولم ينصروا الباطل)، فراجع؛ وقارن الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ)، بين هذين الحكمتين رقم ١٧ و ٢٦٢ بما نصّه:«اللفظة التي وردت قبل أحسن من هذه اللفظة ، وهي : أولئك قوم خذلوا الحق ولم ينصروا الباطل ، وتلك كانت حالهم ، فإنهم خذلوا عليا ولم ينصروا معاوية ولا أصحاب الجمل . فأما هذه اللفظة ففيها إشكال ، لان سعدا وعبد الله لعمري إنهما لم ينصرا الحق ، وهو جانب علي عليه السلام ، لكنهما خذلا الباطل ، وهو جانب معاوية وأصحاب الجمل ، فإنهم لم ينصروهم في حرب قط ، لا بأنفسهم ولا بأموالهم ولا بأولادهم ، فينبغي أن نتأول كلامه فنقول : إنه ليس يعنى بالخذلان عدم المساعدة في الحرب ، بل يعنى بالخذلان هاهنا كل ما أثر في محق الباطل وإزالته ، قال الشاعر يصف فرسا : وهو كالدلو بكف المستقى خذلت عنه العراقي فانجذم أي باينته العراقي ، فلما كان كل مؤثر في إزالة شئ مباينا له نقل اللفظ بالاشتراك في الامر العام إليه ، ولما كان سعد وعبد الله لم يقوما خطيبين في الناس يعلمانهم باطل معاوية وأصحاب الجمل ، ولم يكشفا اللبس والشبهة الداخلة على الناس في حرب هذين الفريقين ، ولم يوضحا وجوب طاعة علي عليه السلام فيرد الناس عن اتباع صاحب الجمل وأهل الشام صدق عليهما أنهما لم يخذلا الباطل . ويمكن أن يتأول على وجه آخر ، وذلك أنه قد جاء خذلت الوحشية إذا قامت على ولدها ، فيكون معنى قوله :) ولم يخذلا الباطل (، أي لم يقيما عليه وينصراه ، فترجع هذه اللفظة إلى اللفظة الأولى ، وهي قوله : (أولئك قوم خذلوا الحق ولم ينصروا الباطل) . والحارث بن حوط بالحاء المهملة ، ويقال : أن الموجود في خط الرضي : ابن خوط، بالخاء المعجمة المضمومة».(٢)

---

(١) أسد الغابة ؛ لابن الأثير ٣ : ٢٢٩ ـ ٢٣٠.

(٢) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٩ : ١٤٧ ـ ١٤٨.

قال الجلالي: ما ذكره ابن أبي الحديد عن خط الرضي هو الضبط.

وقد صححت كلمة الحوض إلى خوط، كما في نسخة الرضي الذي أشار الشارح الى أن الخوص ورق النخل، والحصير: البساط المنسوج من الخوص؛ لحصرها بين نسجها وهو الحارث بين حصيرة الازدي الاسدي الذي كان من اصحاب امير المؤمنين.

وقد ذكرته في مشيخة الحديث، له روايات قليلة منها تظهر قدره، وربما بالفعل اعتزل، فلو لا ذلك لاكثر عن الإمام النقل، والله عالم، ولعله إلى ترجمته أشار ابن حجر في تهذيب التهذيب بما نصه:« بخ س ص ، البخاري في الأدب المفرد والنسائي وفي خصائص علي . الحارث بن حصيرة [١] الأزدي أبو النعمان الكوفي . روى عن زيد بن وهب وأبي صادق الأزدي وجابر الجعفي وسعيد بن عمرو ابن أشوع وغيرهم . وعنه عبد الواحد بن زياد والثوري ومالك بن مغول وعبد السلام ابن حرب وعبد الله بن نمير وجماعة . قال: جرير شيخ طويل السكوت يصر على أمر عظيم رواها مسلم في مقدمة صحيحه عن جرير وقال أبو أحمد الزبيري: كان يؤمن بالرجعة وقال ابن معين: خشبي ثقة ينسبونه إلى خشبة زيد بن علي التي صلب عليها وقال النسائي: ثقة وقال أبو حاتم: لولا أن الثوري روى عنه لترك حديثه وقال ابن عدي: عامة روايات الكوفيين عنه في فضائل أهل البيت وإذا روى عنه البصريون فرواياتهم أحاديث متفرقة وهو أحد من يعد من المحترقين بالكوفة في التشيع وعلى ضعفه يكتب حديثه . قلت : علق البخاري أثرا لعلى في المزارعة وهو من رواية هذا ذكرته في ترجمة عمرو بن صليع ،وقال الدارقطني: شيخ للشيعة يغلو في التشيع، وقال الآجري عن أبي داود: شيعي صدوق ووثقه العجلي وابن نمير وقال العقيلي له غير حديث منكر لا يتابع عليه منها حديث أبي ذر في ابن صياد وقال الأزدي زائغ سألت أبا العباس بن سعيد عنه فقال: كان مذموم المذهب أفسدوه وذكر ابن حبان في الثقات» .[٢]

---

(١) قال في التقريب حصيرة، بفتح الحاء المهملة وكسر الصاد المهملة بعدها اهد .
(٢) تهذيب التهذيب ؛ لابن حجر ٢ : ١٢١ – ١٢٢.

[٢٦٣]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

صاحِبُ ٱلسُّلْطانِ كَراكِبِ ٱلْأَسَدِ؛ يُغْبَطُ[١] بِمَوْقِعِهِ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَوْضِعِهِ.

(ح - ٢٦٣) صاحب السلطان:

تشير الحكمة إلى خطر صحبة السلطان واصحاب القوّة والنفوذ؛ فإنّ الصحبة مغرية لغير الاصحاب، وهم خوفا منه يحسبون الف حساب.

وقد مثل الإمام هذه الصحبة بركوب الاسد؛ فإنّ المظهر يعكس الشجاعة في نفس الراكب من انظار الناس، وكل يغتبط بموضعه بأن يكون في نفس المكان الذي فيه، إلّا أن الراكب في خوف من ان ينقلب عليه الاسد فيوقع به ما يتحاشاه كلّ عاقل، لعلمه بموضعه الخاص من أي انسان اخر، وهكذا اصحاب السلطة فان من يتقرب اليهم يخشى منهم لاستخدام القوّة والحيلة ضدهم للوقيعة بهم واتهامهم بما هم براء منه، وتاريخ تعامل اصحاب السلطة مع المقربين اليهم موارد كثيرة للعبرة لمن اراد الاعتبار.

[٢٦٤]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

أَحْسِنُوا فِي عَقِبِ غَيْرِكُمْ تُحْفَظُوا فِي عَقِبِكُمْ.

(ح - ٢٦٤) الاحسان في الاعقاب:

العقب: ما يعقب الإنسان من الاولاد والاحفاد، والحكمة تشير إلى حقيقة تاريخية اجتماعية، فان الاحسان عمل، ولكل عمل رد فعل مشابه، والاحسان لاولاد الآخرين المنقطعين عن رعاية الاباء له رد فعل مشابه في حفظ اولاد المحسن؛ فإنّ التاريخ يعيد نفسه، والمحسن بما يقوم به من الاحسان يضرب المثل لمن بعده، وكذلك الظالم بلا فرق، قال تعالى:﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾[٢].

---

(١) في هـ. د: يغبطه ـ ب.

(٢) الهمزة

[٢٦٥]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

إِنَّ كَلامَ ٱلْحُكَماءِ إِذا كانَ صَواباً كَانَ دَواءً، وَإِذا كانَ خَطَأً كانَ داءً.

(ح - ٢٦٥) كلام الحكماء:

بقدر عظمة الإنسان يكون عظمة اعماله حسنا أو قبيحا، صوابا أو خطأ؛ فإنّ الخطأ من الإنسان العظيم عظيم ،والذنب من العارف بالله اعظم.

والحكماء باعتبارهم اصحاب الحكمة والقول الصواب ودعاتها بين المجتمع هم القادة كسائر الناس، فيكون كلامهم حجة، ويأخذها السائرون في الحياة حجة، فاذا كان صوابا كان له اثره الطيب في المجتمع، على النقيض تماما مما اذا كان خطأ؛ فإنّه يصبح مرضا في المجتمع؛ لأنّ في المجتمع من يأخذ به كحجة ونبراسا في حياته، فيكون سبباً للضلالة.

[٢٦٦]

وَسَأَلَهُ[١] رَجُلٌ أَن يُعَرِّفَهُ مَا ٱلْإيمانُ[٢]، فَقالَ:

إِذا كانَ غَدٌ فَأْتِنِي حَتّى أُخْبِرَكَ عَلى أَسْماعِ النّاسِ، فَإِنْ نَسِيتَ مَقالَتِي[٣] حَفِظَها عَلَيْكَ غَيْرُكَ، فَإِنَّ ٱلْكَلامَ كَالشّارِدَةِ يَثقُفُها[٤] هذا وَيُخْطِئُها هذا.

قال: وَقَدْ ذَكَرْنا ما أَجابَهُ بِهِ فِيما تَقَدَّمَ مِنْ هذَا ٱلْبابِ وَهُوَ قَوْلُه: «ٱلْإيمانُ عَلى أَرْبَعِ شُعَبٍ»[٥].

(ح - ٢٦٦) اشاعة المعرفة:

---

(١) في ط: وقال عليه السلام حين سأله.
(٢) في هـ. د: ان يعرفه الايمان ـ ب.
(٣) في ص: مقالي، وفي هـ. ص: في نسخة: مقالتي.
(٤) في د: ينقفها، نقفه: ضربه. وفي هـ. ص: يثقفها هذا: يجدها؛ ثقفت كذا بالكسر، أي وجدته وصادفته. والشاردة: الضالة، انتهى من الشرح.
(٥) راجع الحكمة: ٣١.

تتضمّن الحكمة ضرورة اشاعة المعرفة في المجتمع الاسلامي، فلا يكون انحصار لها بطبقة خاصة، وربما كان السائل من هذه الطبقة، فامره الإمام بضرورة التثقيف العام للامة عن حقيقة الاعمال فقال:

(إذا كان الغد فأتني حتّى أخبرك على أسماع الناس) ولا يكون هناك امتياز خاص لطبقة على اخرى، وعلل ذلك بقوله:

(فإن نسيت مقالتي حفظها عليك غيرك) فيكون اشاعة المعرفة في الحقيقة نافعاً للمجتمع بما فيهم السائل، حيث انّ كلّ انسان معرض للنسيان، ويفتقر إلى من يذكره.

(فإن الكلام كالشاردة ينقفها هذا) والشاردة: الابل الشاردة من صاحبها، وانفاقها: رميها بما يوقعها في الفخ للاستيلاء عليها، وليس في ذلك أن ضمان اذ قد يصيب وقد يخطئ.

وكلام الشريف الرضي يشير إلى الحكمة رقم ٣٠، وراجع المسند، ولم اهتد للسبب في التفريق بين هذه الحكمة التي تعتبر مقدمة للحكمة المتقدمة، وكان الاجدر عدم فصلهما أو تقديمها على تلك، ولا يعلم بالاسباب سوى رب الارباب، كما انّهﷺ تسامح في النصّ حيث أن قولهعليه السلام: انما هو (الايمان على اربع دعائم؛ على الصبر واليقين والعدل والجهاد، والصبر منها على اربع شعب) فراجع، والعصمة لأهلها.

[٢٦٧]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

يَابْنَ آدَمَ لاتَحْمِلْ هَمَّ يَوْمِكَ ٱلَّذِي لَمْ يَأْتِكَ عَلى يَوْمِكَ ٱلَّذِي قَدْ[1] أَتاكَ، فَإِنَّهُ إِنْ يَك مِنْ عُمُرِكَ يَأْتِ ٱللّهُ فِيهِ بِرِزْقِكَ.

(ح - ٢٦٧) الرزق مقسوم:

الرزق: ما ينتفع به الإنسان من مال أو زرع أو سكن وما شابه من الامور الضرورية في

(١) لم ترد «قد» في د، وفي هـ. د: الذي قد ـ ص ب ل.

الحياة اليومية، وقد ضمنها الله لمن قام بواجبه من السعي فقال تعالى:﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ وان سعيه سوف يرى﴾[١].

فان السعي في كلّ يوم له اثره من الرزق المقسوم عليه ما دام العمر باقيا، وطبيعيّ انّه اذا انتفى السبب وهو السعي انتفى المسبب، كما أن من الطبيعي تفاوت الاسباب في مختلف الظروف والاحوال، فليس من يجمع الاموال ويتهالك للمستقبل إلّا مكثراً لهومه التي هو في غنى عنها في يومه إلّا من يرغب في زيادة الهموم فيكون عليها هو الملوم؛ لأنّه سعى اليها بنفسه وحمل هم يومه إلى يوم رمسه.

ويعجبني كثيرا في المقام كلام الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ)، ما نصّه:«وفي المثل: يا رزّاق البغاث[٢] في عشّه.

واذا نظر الإنسان إلى الدودة المستكنة داخل الصخرة كيف ترزق، علم أن صانع العالم قد تكفّل لكلّ ذى حياةٍ بمادّةٍ تقيم حياته إلى انقضاء عمره».[٣]

[٢٦٨]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

أَحْبِبْ حَبِيبَكَ هَوْنًا[٤] مّا، عَسى أَنْ يَكُونَ بَغِيضَكَ[٥] يَوْماً ما، وأَبْغِضْ بَغِيضَكَ هَوْناً مّا، عَسى أَنْ يَكُونَ حَبِيبَكَ يَوْماً مّا[٦].

(ح ـ ٢٦٨) الحب المثالي:

(الهون: التأنّي، والبغض: العدوان).

(١) النجم : ٥٣ / ٣٩.
(٢) البغاث: صغار الطير.
(٣) شرح النهج ١٩ : ١٥٥، ط /١٩٦٣.

(٤) في هـ . ص: بالفتح: التأني والتيسير.
(٥) في هـ . ص: هو المبغض.
(٦) في هـ . ص: خلاصة هذه الكلمة: النّهي عن الإسراف في المودة والبغض، فربما انقلب القلب، انتهى من الشرح.

الحكمة تشير إلى طبيعة الحب والبغض في الحياة، وحيث أن الحياة في الدنيا ليس لهما دوام فكذلك كلّ ما فيها ومن عليها، ومنها: الحب والبغض؛ فإنّ من طبيعتها الانقلاب إلى الضد، فلابد من التهيؤ لهذا الانقلاب المفاجئ، فقال:

١ ـ (أحبب حبيبك هونا ما)؛ فإنّ الحب لأيّ سبب كان، فانه لا يدوم إلى الابد.

(عسى أن يكون بغيضك يوما ما) لغير الاسباب الداعية إلى الحب، فيصبح الحبيب بغيضا.

٢ ـ (وأبغض بغيضك هونا ما)؛ فإنّ البغض كذلك؛ لأيّ سبب كان فانه لا يكون ابديا.

(عسى أن يكون حبيبك يوما ما) بعد أن تنكشف للعدو الحقائق ويعلم أن الحياة قصيرة لا قيمة للبغض فيها، وان عباد الله جميعا هم عيال الله و ﴿إن اكرمكم عند الله اتقاكم﴾.[١]

[٢٦٩]

وَقالَ عَلَيهِ ٱلسَّلامُ:

اَلنّاسُ فِي ٱلدُّنْيا[٢] عامِلانِ؛ عامِلٌ عَمِلَ[٣] فِي ٱلدُّنْيا[٤] لِلدُّنْيا قَدْ شَغَلَتْهُ دُنْياهُ عَنْ آخِرَتِهِ، يَخْشى عَلى مَنْ يَخْلُفُهُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمَنُهُ عَلى نَفْسِهِ، فَيُفْنِي عُمُرَهُ فِي مَنْفَعَةِ غَيْرِهِ.

وَعامِلٌ عَمِلَ فِي ٱلدُّنْيا لِما بَعْدَها فَجاءَهُ ٱلَّذِي لَهُ مِنَ ٱلدُّنْيا بِغَيْرِ عَمَلٍ، فَأَحْرَزَ ٱلْحَظَّيْنِ مَعاً، وَمَلَكَ ٱلدّارَيْنِ[٥] جَمِيعاً، فَأَصْبَحَ وَجِيهاً عِنْدَ ٱللّهِ، لايَسأَلُ ٱللّهَ حاجَةً[٦] فَيَمْنَعُهُ.

(ح ـ ٢٦٩) عاملا الدنيا:

انما تختلف الاعمال شرافة ووضعاً باعتبار الاهداف منها، وقد صنف الإمام الناس في الدنيا إلى صنفين: العمال للدنيا فقط، والعمال للدنيا والآخرة معاً.

---

(١) الحجرات : ١٣.
(٢) في هـ. د: للدنيا ـ ب.
(٣) لم ترد «عمل» في ط.
(٤) في هـ. د: لم ترد «في الدنيا» في ب.
(٥) في هـ. د: الزادين ـ ب.
(٦) في ص: شيئاً.

وعن الصنف الأوّل: قال:

(عامل عمل في الدنيا للدنيا) فليس له في العمل هدف سوى الدنيا، وهو الشريحة الغالبة؛ لأنّ اثر العمل في الدنيا محسوس ملموس، ثمّ سرد الاوصاف لهذا الصنف بقوله:

١ ـ (قد شغلته دنياه عن آخرته) فليس له هم سوى الدنيا المحسوسة معرضا عن الآخرة لعدم الايمان بها، واما لغلبة الطبيعة الحيوانية عليه كالبهائم همها علفها والاعراض عن حكم العقل بضرورة الاستعداد لما يحتمل ضرره.

٢ ـ (يخشى على من يخلفه الفقر) فيكد ساعيا لتامين ما يفتقر إليه من يخلفه من الاولاد وغيرهم؛ وهذه خشية مقبولة بقدر ما يقتضيه العقل بأن لا يشغله ذلك عن اخرته، ولكنّه يحسنى هذا دون سواه.

٣ ـ(ويأمنه على نفسه) فلا يخشى الفقير على نفسه في الآخرة وكأنّه هو في امن منه.

٤ ـ (فيفني عمره في منفعة غيره) من الورثة من بعد موته من دون أن تأمين نفسه بعد موته، وكأنّه سيكون في امان بعد ذلك.

ويشترك في هذه الصفات الاربع كلّ من لايؤمن بالآخرة، ومن يؤمن بها ولكنّه يتصرف تصرف الكفرة من دون استعداد.

وعن الصنف الثاني قال:

(وعامل عمل في الدنيا لما بعدها) فكان عمله في الدنيا حيث الدستور الاسلامي القائل: «اعمل لدنياك كانك تعيش ابدا واعمل لآخرتك كانك تموت غدا».

وعن صفات هذا الصف قال:

١ ـ (فجاءة الذي له من الدنيا بغير عمل) زائد على الواجب كما كانت حالة الهالك على الدنيا، فكان في عمله موازنا بين الدنيا والآخرة، حيث لم يشغله عمل الدنيا من واجب الآخرة.

٢ ـ (فأحرز الحظين معا) حيث ادى الواجب لكل واحد منهما، وسعى لحظه من كلّ منهما.

٣ ـ(وملك الزادين جميعا) بسعيه للدنيا والآخرة معاً.

٤ ـ (فأصبح وجيها عند الله)؛ لأنّه عمل لوجه الله كما امر الله.

وقد وصف الله سبحانه الأنبياء بذلك فقال تعالى عن النبي موسى :﴿وكان عند الله وجيها﴾.(١)

وقال عن النبي عيسى:﴿اذ قالت الملائكة يا مريم أن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين﴾(٢).

٥ ـ (لا يسأل الله حاجة فيمنعه)؛ فإنّ بمرتبة من الوجاهة عند الله يشارك الأنبياء وهي مرتبة عظيمة من آثارها الشجاعة والدعاء في قضاء الحوائج، ومن الطبيعي أن حوائج هذا الصنف لا تكون الا مما يرضي الله.

ولم يحصل هذا الصنف على الوجاهة عندالله إلّا بسبب التوازن في واجبات الدنيا والآخرة، فوهبه الله العين الباصرة فيهما.

قال ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في شرح نهج البلاغة، ما نصّه:«معنى قوله :) ويأمنه على نفسه (، أي ولا يبالي أن يكون هو فقيرا ، لأنه يعيش عيش الفقراء وإن كان ذا مال ، لكنه يدخر المال لولده فيفنى عمره في منفعة غيره . ويجوز أن يكون معناه إنه لكثرة ماله قد أمن الفقر على نفسه ما دام حيا ، ولكنه لا يأمن الفقر على ولده لأنه لا يثق من ولده بحسن الاكتساب كما وثق من نفسه ، فلا يزال في الاكتساب والازدياد منه لمنفعة ولده الذي يخاف عليه الفقر بعد موته . فأما العامل في الدنيا لما بعدها فهم أصحاب العبادة ، يأتيهم رزقهم بغير اكتساب ولا كد ، وقد حصلت لهم الآخرة ، فقد حصل لهم الحظان جميعا».(٣)

[٢٧٠]

وَرُوِيَ أَنَّهُ ذُكِرَ عِندَ عُمَرَ بْنِ ٱلْخَطّابِ فِي أَيّامِهِ حليّ ٱلْكَعْبَةِ وَكَثْرَتُهُ فَقالَ قَوْمٌ: لَوْ أَخَذْتَهُ

---

(١) الاحزاب : ٦٩.
(٢) آل عمران : ٤٥.
(٣) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٩ : ١٥٧.

فَجَهَّزْتَ بِهِ جُيُوشَ ٱلْمُسْلِمِينَ كانَ أَعْظَمَ لِلْأَجْرِ وَما تَصْنَعُ ٱلْكَعْبَةُ بِالْحَلْيِ؟ فَهَمَّ عُمَرُ بِذلِكَ، وَسَأَلَ[١] عَنْهُ أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ ٱلسَّلام، فَقالَ:

إنَّ[٢] ٱلْقُرْآنَ أُنْزِلَ[٣] عَلَى ٱلنَّبِيِّ[٤] صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَٱلْأَمْوالُ أَرْبَعَةٌ: أَمْوالُ ٱلْمُسْلِمِينَ فَقَسَّمَها بَيْنَ ٱلْوَرَثَةِ فِي ٱلْفَرائِضِ؛ وَٱلْفَيْءُ فَقَسَّمَهُ عَلى مُسْتَحِقِّيهِ؛ وَٱلْخُمْسُ فَوَضَعَهُ ٱللّٰهُ حَيْثُ وَضَعَهُ؛ وَٱلصَّدَقاتُ فَجَعَلَهَا ٱللّٰهُ حَيْثُ جَعَلَها. وَكانَ حَلْيُ ٱلْكَعْبَةِ فِيها يَوْمَئِذٍ فَتَرَكَهُ ٱللّٰهُ عَلى حالِهِ، وَلَمْ يَتْرُكْهُ نِسْياناً، وَلَمْ يَخْفَ عَلَيْهِ[٥] مَكاناً. فَأَقِرَّهُ حَيْثُ أَقَرَّهُ ٱللّٰهُ وَرَسُولُهُ. فَقالَ لَهُ عُمَرُ: لَوْلاكَ لَافْتَضَحْنا. وَتَرَكَ ٱلْحَلْيَ بِحالِهِ.

(ح ـ ٢٧٠) حليّ الكعبة:

لكل امّة شعارا، وشعار المسلمين الكعبة المعظمة التي يتوجه اليها المسلمون في كلّ صلاة من كافة انحاء الارض بمختلف القوميات واللغات، قال تعالى:﴿جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس﴾.[٦]

وقد اكرم المسلمون هذا الشعار في مختلف العصور بمختلف الطرق المتسيرة بتطهيرها من الاوثان وتنضيفها من الادران وكسوتها وحليتها في مختلف الازمان ومنها الحلي بالذهب حتّى الان.

واعداء الاسلام يبذلون كلّ جهودهم للحط من هذا الشعار الموحد بكل ما لديهم من حول وطول، ولم ينجحوا بحمد الله في خططهم، وغريب أن يعزب اهمية الشعار عن قوم يقترحون تجريد الكعبة من الحلى بقولهم: (وما تصنع الكعبة بالحلي؟) وكانهم ينظرون إلى الكعبة مجرداً عن الشعار، ولا ادري كم تغطي الحلي في تجهيز الجيوش مع أن الجيوش العقائدية انما تحارب للدين الذي يكون الكعبة شعارا للمحافظة على ما لها

---

(١) في هـ. ص: في نسخة: فسأل.
(٢) في ط زيادة: هذا، وفي هـ. د: ان هذا ـ ح.
(٣) في هـ. د: لنزل ـ م.
(٤) في ط: محمّد، وفي هـ. د: محمّد ـ ح.
(٥) في ط: عنه.
(٦) المائدة : ٩٧.

تكريم.

وفي سؤال الخليفة الثاني الإمام عليه السلام ادب اسلامي رفيع في التقصي عن الحقيقة كما أن في جواب الإمام عليه السلام بيان بديع لمتابعة الطريقة، فقال في الجواب:

(إن هذا القرآن أنزل على النبي صلى الله عليه وآله والأموال أربعة) كما هي سنة النبيّ في تطبيق القرآن الكريم الذي هو القانون الاسلامي، لا يتعدى في الاموال هذه الاقسام ، وهي:

أوّلاً: (أموال المسلمين، فقسمها بين الورثة في الفرائض) فقد قال تعالى:﴿لِلْرِجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَالِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلْنِسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَالِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيباً مَفْرُوضاً﴾.(١)

ثانيا: (والفيئ، فقسمه على مستحقيه) قال تعالى: ﴿مَا أَفَاءَ ٱللهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَللهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَامَىٰ وَٱلْمَسَاكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَيْ لاَ يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ﴾.(٢)

ثالثا: (والخمس، فوضعه الله حيث وضعه) قال تعالى:﴿وَٱعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِن شَيْءٍ؛ فإنّ للهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَامَىٰ وَٱلْمَسَاكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾.(٣)

رابعاً: (والصدقات، فجعلها الله حيث جعلها) قال تعالى:﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَٱلْمَسَاكِينِ وَٱلْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ ٱللهِ وَٱللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾.(٤)

وهذه الايات الكريمة تنص على هذه الانواع الاربعة من الاموال ومواردها المخصوصة والمفسرة بالسنّة النبويّة .

وليس في القرآن الكريم نص يخص الحلي التي هي من اموال الكعبة، فيكون من خصائصها، ومن ذلك يظهر حكمها.

فقال عليه السلام؛ فإنّ حرمة الاموال لحرمة النفوس والدماء.

---

(١) النساء : ٧.
(٢) الحشر : ٧.
(٣) الانفال : ٤١.
(٤) التّوبة : ٦٠.

١ ـ(وكان حلي الكعبة فيها يومئذ) في عهد الرسول القائدﷺ.

٢ ـ (فتركه الله على حاله) ولم يخصها نص قراني.

٣ ـ(ولم يتركه نسيانا)؛ لأنّ النسيان من صفات البشر، والله براء منها.

٤ ـ (ولم يخف عليه مكانا)؛ فإنّ الخفاء جهل، والله تعالى منزه عنه.

وقال عن نتيجة هذا الاستدلال:

(فأقره حيث أقره الله ورسوله) حيث لم يخصه الرسول القائد بالحكم تفسيرا للقرآن الكريم، وسستنتج من ذلك القاعدة في حرمة الاموال كحرمة الدماء والاعراض واختصاص الاموال برضى اصحابها.

[٢٧١]

وَرُوِيَ أَنَّهُ[١] عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ رُفِعَ إِلَيْهِ رَجُلانِ سَرَقا مِنْ مالِ ٱللّٰهِ، أَحَدُهُما عَبْدٌ مِنْ مالِ ٱللّٰهِ، وَٱلْآخَرُ مِنْ عرْضِ[٢] ٱلنّاسِ، فَقالَ:

أَمّا هذا فَهُوَ مِنْ[٣] مالِ ٱللّٰهِ فَلا حَدَّ عَلَيْهِ، مالُ ٱللّٰهِ أَكَلَ بَعْضُهُ بَعْضاً، وَأَمَّا ٱلْآخَرُ فَعَلَيْهِ ٱلْحَدُّ[٤]، فَقَطَعَ يَدَهُ.

(ح ـ ٢٧١) **سرقة مال الله:**

تتضمّن الحكمة الحكم الشرعي في السرقة من بيت مال المسلمين، فيما اذا سرق اثنان من بيت المال احدهما عبد هو من بيت المال أيضا، والثاني حر ليس من بيت المال، بل هو من عامة الناس،قائلا في حكمهما:

أوّلاً: (أما هذا فهو من مال الله ولا حد عليه)؛ فإنّ العبد الذي هو من بيت مال المسلمين فحاله حال المال، والحد انما يكون للسارق الذي تجتمع فيه شرائط السرقة، وذلك يستلزم اختلاف السارق والسمروق في صفة الملكية، فكما أن من ياخذ مال نفسه ليس

---

(١) لم ترد «وروي انّه» في أ.
(٢) في هـ. د: عروض ـ ب.
(٣) لم ترد «من» في ص.
(٤) في ط زيادة: الشديد.

سارقا فكذلك من ليس بمال لو استولى على ما ليس بمال كالحيوان لو اكل شيئا، فانه لا يعتبر سارقا، وكذلك العبد الذي هو ليس مملوكا لاحد، بل هو بنفسه من بيت المال، لو اخذ شيئا من بيت المال لا يعد سارقا وان استحق شيئا من العقوبة للتعزير.

وعلل ذلك بقوله: (مال الله أكل بعضه بعضا) كالحيوان الوحشية التي تأكل من النباتات الطبيعية غير المملوكة.

ثانياً: (وأما الآخر، فعليه الحد الشديد)؛ لأنّه اما حر واجتمعت فيه شرائط الحد من الحرز والنقب وغيرها، واما عبد مملوك للغير وليس من بيت مال المسلمين، فيضمن مالكه، وعلى الحالتين توجد في ذلك حدود مشروحة في الفقه .

(وفقطع يده) ومن هذا يظهر أن السارق الثاني كان حراً وليس مملوكا، فلا يعود للضمان مجال، وان شرائط السرقة تحققت فيه.

قال ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في شرح نهج البلاغة، ما نصّه: «هذا مذهب الشيعة أن عبد المغنم إذا سرق من المغنم لم يقطع ، فأما العبد الغريب إذا سرق من المغنم فإنه يقطع إذا كان ما سرقه زائدا عما يستحقه من الغنيمة بمقدار النصاب الذي يجب فيه القطع ، وهو ربع دينار ، كذلك الحر إذا سرق من المغنم حكمه هذا الحكم بعينه ، فوجب أن يحمل كلام أمير المؤمنين على أن العبد المقطوع قد كان سرق من المغنم ما هو أزيد من حقه من الغنيمة بمقدار النصاب المذكور أو أكثر . فأما الفقهاء فإنهم لا يوجبون القطع على من سرق من مال الغنيمة قبل قسمتها ، سواء كان ما سرقه أكثر من حقه أو لم يكن ، لان مخالطة حقه وممازجته للمسروق شبهة في الجملة تمنع من وجوب القطع ، هذا إن كان له حق في الغنيمة بان يكون شهد القتال بإذن سيده ، فإن لم يكن ذلك وكان لسيده فيها حق لم يقطع أيضا ، لان حصة سيده المشاعة شبهة تمنع من قطعه ، فإن لم يشهد القتال ولا شهده سيده وسرق من الغنيمة قبل القسمة ما يجب في مثله القطع وجب عليه القطع».[1]

---

(١) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٩ : ١٦٠.

[٢٧٢]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

لَوْ قَدِ ٱسْتَوتْ قَدَمايَ مِنْ هذِهِ ٱلْمَداحِضِ لَغَيَّرْتُ أَشْياءَ[1].

(ح ـ ٢٧٢) الاصلاح الجذري:

(الدحض: الزلق، والمداحض: وسائل الانزلاق، والاستواء: الثبات).

من واجبات القائد الاسلامي الاصلاح فيما يراه انحرافا عن الثوابت الاسلاميّة من المبادئ والوسائل والاهداف، وطبيعيّ أن الاصلاح انما يكون في خطوات ممكنة يتأمل فيها النجاح، والتغيير الجذري الذي لايبتني على أساس مدروس يكون فاشلا من البداية، وقد أشار الإمام إلى ذلك بقوله:

أوّلاً: (لو قد استوت قدماي)؛ فإنّ الشرط الأوّل الاساسي في أي تغيير: المقدرة، وفي حالة الاضطراب الداخلي لا يمكن اجراء أي تغيير حقيقي، والتعتبر الصوري لا قيمة له.

ثانياً: (من هذه المداحض) وهي الانحرافات التي كان يراها وحيث لم يشر اليها لا يتمكن من البناء إلّا بما فيه اشارات من حياته العامة وهي تطبيق الحكم الاسلامي في المجتمع على أساس القرآن العظيم وسنة النبي الكريم.

ثالثاً: (لغيرت أشياء) ولم يذكرها بالتحديد، فلا يصح لنا القول سوى انّه كانت سياسته تنبع من رؤيته للامور حيث خبرته الشخصية منذ فجر الرسالة الاسلامية وتخرجه من مدرسة النبوة صبيا وكهلا وشيخا، غير مكثرت باصوات الانحراف مهما علت، وهذه النقاط ضرورية في اية حركة اصلاحية، قال الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ)، ما نصّه:«لسنا نشك إنه كان يذهب في الأحكام الشرعية والقضايا إلى أشياء يخالف فيها أقوال الصحابة ، نحو قطعه يد السارق من رؤوس الأصابع ، وبيعه أمهات الأولاد ، وغير ذلك ، وإنما كان يمنعه من تغير أحكام من تقدمه اشتغاله بحرب البغاة والخوارج ، وإلى ذلك يشير بالمداحض التي كان يؤمل استواء قدميه منها ، ولهذا قال لقضاته : (اقضوا كما

---

(١) في هـ. د: الأشياء ـ ع.

كنتم تقضون حتى يكون للناس جماعة) ، فلفظة "حتى" هاهنا مؤذنة بأنه فسح لهم في اتباع عادتهم في القضايا والاحكام التي يعهدونها إلى أن يصير للناس جماعة ، وما بعد) إلى (و) حتى (ينبغي أن يكون مخالفا لما قبلهما . فأما أصحابنا فيقولون : إنه كان فيما يحاول أن يحكم بين الناس مجتهدا ، ويجوز لغيره من المجتهدين مخالفته . والامامية تقول : ماكان يحكم إلا عن نص وتوقيف ، ولا يجوز لأحد من الناس مخالفته . والقول في صحة ذلك وفساده فرع من فروع مسألة الإمامة ».(١)

[٢٧٣]

وَقالَ عَلَيهِ ٱلسَّلامُ:

ٱعْلَمُوا عِلْماً يَقِيناً أَنَّ ٱللّهَ لَمْ يَجْعَلْ لِلْعَبْدِ ـ وَإِنْ عَظُمَتْ حِيلَتُهُ، وَٱشْتَدَّتْ طَلِبَتُهُ، وَقَوِيَتْ مَكِيدَتُهُ ـ أَكْثَرَ مِمّا سُمِّيَ لَهُ فِي ٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ، وَلَمْ يَحُلْ بَيْنَ ٱلْعَبْدِ فِي ضَعْفِهِ وَقِلَّةِ حِيلَتِهِ، وَبَيْنَ أَنْ يَبْلُغَ ما سُمِّيَ لَهُ فِي ٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ.

وَٱلْعارِفُ لِهذَا، ٱلْعامِلُ بِهِ، أَعْظَمُ ٱلنّاسِ راحَةً(٢) فِي مَنْفَعَةٍ. وَٱلتّارِكُ لَهُ ٱلشّاكُّ فِيهِ، أَعْظَمُ ٱلنّاسِ شُغْلاً فِي مَضَرَّةٍ.

وَرُبَّ مُنْعَمٍ عَلَيْهِ مُسْتَدَرَجٌ بِالنُّعْمى، وَرُبَّ مُبْتَلىً مَصْنُوعٌ لَهُ بِالْبَلْوى، فَزِدْ أَيُّهاَ ٱلْمُسْتَمِعُ فِي شُكْرِكَ، وَقَصِّرْ مِنْ عَجَلَتِكَ، وَقِفْ عِنْدَ مُنْتَهى رِزْقِكَ.

(ح ـ ٢٧٣) التقدير الالهي ولوازمه:

يتضمّن الحكمة حقائق قرابته ثلاثة في التقدير الالهى.في الرزق وسعي الإنسان واثار ذلك في الحياة الشخصية والعامة.

وقال عليه السلام عن التقدير:

(اعلموا علما يقينا)؛ فإنّ اليقين اعلى درجة من العلم النظري بالاستدلال بمراتبه الثلاث من علم اليقينوعين اليقين وحق اليقين؛ فإنّ التقدير الالهي في الرزق واثر

(١) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٩ : ١٦١.

(٢) في ط: رحمة، وفي هـ. د: رحمه ـ ح.

الايمان بهذا التقدير في حياة الإنسان والاستدراج، امور صادقة بالمراتب الثلاث لاختلاف الناس، واشار إلى نقاط :

الحقيقية الاولى ـ التقدير الالهي:

(أن الله لم يجعل للعبد ـ وإن عظمت حيلته واشتدت طلبته وقويت مكيدته ـ أكثر بما سمّي له في الذكر الحكيم) وهو القرآن الكريم الذي عبر عنه بذلك بقوله تعالى:﴿انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون﴾.(١)

والتسمية التعيين فيما يسموا الإنسان اسما علما، فقد قال تعالى:﴿أَوَ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ ٱللهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ في ذٰلِك لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾.(٢)

فالامر: الرزق، وانما هو بيد الله سبحانه وحده حسب ما قدره للانسان ومصالحه في الزمان والمكان والظروف والاحوال.

ونتيجة هذا التقدير أن ارادة الإنسان وحدها غير كافية في تحقيق الرزق الذي يطلبه هو من دون رعاية الظروف والاحوال مهما استخدم من الوسائل المادية، واشار الإمام إلى امور ثلاث غالبة في الحياة ، هي:

١ ـ (وان عظمت حيلته) والحيلة: الوسيلة؛ فإنّ الوسائل المادية لا تغير الظروف والاحوال.

٢ ـ (واشتدّت طلبته) وهي الحاجة الشخصية النابعة من الرغبة المؤكدة.

٣ ـ(وقويت مكيدته) الوسيلة الخفية السريعة، ويستلزم الخداع عادة؛ فإنّ الإنسان مهما استخدم من الطرق والوسائل الماديّة لتحقيق اهدافه فانهلا ينجح في تغيير الظروف والاحوال المحيطة به والمؤثرة في قرارته ـ شاء أم أبى ـ كتاثير الفصول الاربعة في حياة كلّ انسان، والتي تستمر في الحياة بارادة الله سبحانه وحده.

الحقيقة الثانية ـ سعي الانسان:

(ولم يحل بين العبد في ضعفه وقلة حيلته وبين أن يبلغ ما سمى له في الذكر الحكيم)

---

(١) الحجر : ٩.

(٢) الزّمر : ٥٢.

الحيلولة: منع الشيئ عن الآخر؛ فإنّ عوامل الضعف الشخصي وقلة الوسائل لا تمنع من الوصول إلى بلوغ ما عيّن الله سبحانه للانسان في القرآن الكريم من الدستور العملي لتحصيل الرزق بالسعي، قال تعالى:﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ وان سعيه سوف يرى﴾[1].

وقال تعالى:﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره﴾.[2]

فقد عين الله سبحانه الوظيفة العملية للانسان بالسعي والعمل حيث الظروف والاحوال الطبيعيّة المقدرة من الله سبحانه في الحياة.

الحقيقة الثالثة ـ اثار الذكر الحكيم:

(والعارف لهذا) الذي جاء في القرآن للعمل.

(أعظم الناس راحة في منفعة) حيث يعيش في اطمينان باداء واجبه اليومي كما تسمح له الظروف والاحوال بقلب مطمئن، قال تعالى:﴿الا بذكر الله تطمئن القلوب﴾.[3]

فتكون مساهمته في الحياة مضرة لنفسه وغيره.

(والتارك له الشاك فيه) سواءً من آمن بالذكر الحكيم وتركه أو شك ولم يؤمن به.

(أعظم الناس شغلا في مضرة) قال تعالى:﴿ومن اعرض عن ذكري فإنّ له معيشة ضنكا﴾.[4] فتكون مساهمته في الحياة مضرة لنفسه باشتغاله في مصالحه في حالات الانحراف في الصحة ومضرة للمجتمع بخسارة مواهب وطاقات مهدورة في سبيل اداء واجبها.

وهذه الخصائص الثلاث التي جاءت في الذكر الحكيم تؤكد على ضرورة الايمان بالتقدير الالهي، وفي نفس الوقت السعي للعمل بالواجب حسب الظروف والاحوال المتاحة، فيكون الإنسان عضوا صالحا لنفسه ولمجتمعه.

---

(١) النجم : ٥٣ / ٣٩.
(٢) الزلزال : ٨.
(٣) الرعد : ٢٨.
(٤) طه : ١٢٤.

[تابع ٢٧٣]

وَقالَ عَلَيهِ ٱلسَّلامُ:

وَرُبَّ مُنْعَمٍ عَلَيْهِ مُسْتَدرَجٌ بِالنُّعْمى، وَرُبَّ مُبْتَلىً مَصْنُوعٌ لَهُ بِالْبَلْوى، فَزِدْ أَيُّهاَ ٱلْمُسْتَمِعُ فِي شُكْرِكَ، وَقَصِّرْ مِنْ عَجَلَتِكَ، وَقِفْ عِنْدَ مُنتَهى رِزْقِكَ.

(ح ـ ٢٧٣) الاستدراج والموعظة:

والاستدراج: الامهال للتلبس بالجريمة كاملة عن وعي واختيار، فتقوم الحجة عليه، وقدعليه السلام إلى أن النقمة التي تلاحظ فيمن لا يستحقها قد تكون من هذا النوع فقال:

١ ـ (ورب منعم عليه مستدرج بالنعمى) وهو متلبس بالجريمة درجة درجة حيث يرى النعمة وينفع بها ولكن لا يؤدّي واجبه نحوها.

٢ ـ (ورب مبتلى مصنوع له بالبلوى) ورب ممتحن يكون مصنوعاً له والصنعة: التخطيط، والبلوى: وهو الاختبار، وهذا عكس المستدرج، فان الصانع يخطط له الخير والثواب بسبب الامتحان.

وهاتان الحالتان لا ضمان منهما في الحياة، وانما النتائج تكشف عنهما.

وعن الموعظة في الموقف قال:

أوّلاً: (فزد أيها المستمع في شكرك)؛ فإنّ الحالة التي أنت فيها ـ مهما كانت صعبة ـ احسن من حالة من هو دونك ممن يفقد ما تجده من انواع نعم الله التي لا تحصى، واقلها نعمة الحياة؛ فإنّ الشكر يوجب الزيادة، قال تعالى:﴿لئن شكرتم لا زيدنّكم﴾.(١)

ثانياً: (وقصر من عجلتك)؛ فإنّ الإنسان بحكم طبيعته عجول، قال تعالى:﴿وكان الإنسان عجولا﴾.(٢)

وحيث لا يمكن القضاء على الطبيعة فلابد من ضبطها بالتقصير للعجلة.

ثالثاً: (وقف عند منتهى رزقك) الذي انعم الله عليك من الصحة والسلامة والكفاف بما

---

(١) ابراهيم : ٧.
(٢) الاسراء : ١١.

تفتقر اليه في الحياة، (ورزق ربك خيرو أبقى).[١]

وهذه النقاط توجب الاعتماد على الله سبحانه والعمل لتحصيل الرزق حسب الظروف والاحوال، والقناعة بما رزقه الله سبحانه ﴿ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين﴾.[٢]

[٢٧٤]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

لا تَجْعَلُوا عِلْمَكُمْ جَهْلاً، وَيَقِينَكُمْ شَكّاً، إِذا عَلِمْتُمْ فَاعْمَلُوا، وَإِذا تَيَقَّنْتُمْ فَأَقْدِمُوا.

(ح - ٢٧٤) **العبرة بالنتائج:**

تشير الحكمة إلى أن العبرة في الحياة بالنتائج، وليست بالدعاوى أو المؤهلات والقدرات، وقد خص مثالين شائعين في الحياة.

أوّلاً: العلم، فقال: (لا تجعلوا علمكم جهلا)؛ فإنّ الغرض من العلم هو اثره في النفس بسلوك مدارج الكمال، وفي المجتمع بظهور آثاره على الحياة العامة، وليس بالشهادات والوثائق التي لا قيمة لها في نفسها إلّا كونها شهادة ووثيقة، والقيمة الحقيقية انما هي في اثرها، فاذا لا يكون للعلم اثر في الحياة كان هذا التعليم مساوقا للجهل في عدم المنفعة فهو جهل.

ثانياً: اليقين وهو الرؤية الواضحة، فقال: (ويقينكم شكا)؛ فإنّ الشك يعني: عدم الوضوح في الرؤية، ومن يتيقن من شئ لابد وان يظهر تنيجة يقينه في الحياة بالسير على مقتضى تلك الرؤية، والا فتكون الرؤية كعدمها في الاثر، فهو في الواقع العملي شك وليس يقينا.

وعن واجب الموقفين قال:

١ ـ(إذا علمتم فاعملوا)؛ فإنّ العمل نتيجة العلم، وبدونه ينقلب العلم في الواقع العملي جهلا.

---

(١) طه : ١٣١.

(٢) الذاريات : ٥٨ .

٢ ـ (وإذا تيقنتم فأقدموا)؛ فإنّ اليقين يستلزم السير على ما يقتضيه، والاقدام هو النتيجة العملية لليقين، وبدون الاقدام يكون اليقين مساوقاً للشك في الواقع العملي.

[٢٧٥]

وَقالَ عَلَيهِ ٱلسَّلامُ:

إِنَّ ٱلطَّمَعَ مُورِدٌ غَيْرُ مُصْدِرٍ، وَضامِنٌ غَيْرُ وَفِيٍّ، وَرُبَّما شَرِقَ شارِبُ ٱلْماءِ قَبْلَ رِيِّهِ، وَكُلَّما عَظُمَ قَدْرُ ٱلشَّيْءِ ٱلْمُتَنافَسِ فِيهِ عَظُمَتِ ٱلرَّزِيَّةُ لِفَقْدِهِ، وَٱلْأَمانِيُّ تُعْمِي أَعْيُنَ ٱلْبَصائِرِ، وَالْحَظُّ يَأْتِي مَنْ لا يَأْتِيهِ.

(ح ـ ٢٧٥) **خصائص الطمع:**

الطمع: توقع الشيئ من غير استحقاق، وقد ذكر الامام له خصائص ذاتية واثار بقوله:

أوّلاً: (إن الطمع مورد غير مصدر) والورد: محل ورود الابل لشرب الماء، والصدر: الخروج بعد الشرب، وذلك كناية عن الهلاك الملازم للطمع، فان الشارب يهلك في شربه ولا يصدر.

ثانياً: (وضامن غير وفي) فتضمن للطامع حصول الشيئ الذي يريده من غير استحقاق ولكنّه لا يمكن الحصول عليه لعدم الاستحقاق، وان حصل فتسلب عنه لعدم الاستحقاق ويحصل عليه من لهو له.

ثالثاً: (وربما شرق شارب الماء قبل ريّه) الشرق: ما يمنع من بلع الماء في الحلق، والري: الامتلاء بالماء، والطامع بسبب حصوله على ما لا يتوقع يكون مستعجلا في كلّ قراراته، فيختبط في التدبير، ويمنعه من الاستمتاع بذلك حقائق الحياة التي تواجهه وتمنعه.

رابعاً: (وكلما عظم قدر الشيئ المتنافس فيه عظمت الرزية لفقده)؛ فإنّ الطمع يستلزم التنافس للحصول على الشيئ مع الاخرين من الطامعين ومن المستحقين، وفقدانه يكون اعظم رزية؛ لعظم التوقع فيه، دون من طلبه من استحقاق، فإنّه يرى نفسه جديرة باستحقاقه من غير مهانة، فيكون اقل رزية.

خامساً: (والأماني تعمي أعين البصائر)؛ فإنّ من لوازم الطمع واثاره في النفس الامانى، وهي طلب ما لا يمكن عادة، ومن اثارها التاثير على معرفة الحقائق والنظر إلى الامور برؤية واضحة، فيتصرف كالاعمى.

وختم المقطع بقوله: (والحظ يأتي من لا يأتيه) بالسبب الاصيل الذي يدعو كلّ طاهر من الطمع وهو الحظ، وهو النصيب، فيستعجل الطامع ، وهذا جهل بأن النصيب مقدر على عدة اسباب طبيعية وعوامل اجتماعية وغيرها مما هي خارجة عن ارادة الانسان؛ فإنّ النصيب يأتي حينما تجتمع الاسباب حسب الظروف والاحوال التي هي خارجة عن ارادة الانسان.

فليس على الإنسان سوى السعي بالوسائل المتيسرة للحصول على المطلوب من دون اعتماد على الطمع.

[٢٧٦]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ أن تَحْسُنَ فِي لامِعَةِ ٱلْعُيُونِ عَلانِيَتِي، وَتَقْبُحَ فِيما أُبْطِنُ لَكَ سَرِيرَتي، مُحافِظاً عَلى رِئاءِ ٱلنّاسِ مِنْ نَفْسِي بِجَمِيع ما أَنْتَ مُطَّلِعٌ عَلَيْهِ منِّي، فَأُبْدِيَ لِلنّاسِ حُسْنَ ظاهِرِي، وَأُفْضِيَ إِلَيْكَ بِسُوءِ عَمَلِي، تَقَرُّباً إِلى عِبادِكَ، وَتَباعُداً مِنْ مَرْضاتِكَ.

(ح ـ ٢٧٦) دعاء الاستعاذة:

تتضمّن الحكمة الاستعاذة من نقاط توجب السقوط في مهاوي الهلاك، قال:

١ ـ سوء السريرة (اللهم إني أعوذ بك أن تحسن في لامعة العيون علانيتي) فتكون العلانية حسنة في العيون اللامعة التي ترى ظواهر الاشياء.

(وتقبح فيما أبطن لك سريرتي)؛ لكون السريرة قبيحة حيث انها مستورة عن العيون.

٢ ـ الرياء (محافظا على رئاء الناس من نفسي بجميع ما أنت مطلع عليه مني) فان الرياء في الاعمال لا يمكن إلّا بالتحفظ من جانب المرائي؛ لاختلاف النيّة التي لا يطلع عليها سوى الله.

٣ ـ(فأبدي للناس حسن ظاهري وأفضي إليك بسوء عملي) نتيجة للرياء الذي يبدو للناس بحسن الظاهر، ويطلع الله منه على حقيقة العمل، وهو النفاق.

٤ ـ الشرك (تقربا إلى عبادك)؛ فإنّ الدواء للنفاق والرياء وسوء السريرة انما هو لاعتبار الخوف من الناس، وجعلهم شركاء مع الله، وذلك ينافي التقرب إلى الله.

٥ ـ (وتباعدا من مرضاتك)؛ فإنّ النقاط المذكورة كلها تبعد عن مرضاة الله سبحانه، وهي من الواجبات في حياة المسلم، قال تعالى:﴿ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله﴾ [(١)].

وهذه النقاط الخمس حالات عامة للانسان تستدعي الاستعاذة منها في الحياة.

[٢٧٧]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

لا وَٱلَّذِي أَمْسَيْنا مِنْهُ غُبْرِ[(٢)] لَيْلَةٍ دَهْماءَ تَكْشِرُ عَنْ يَوْمٍ أَغَرَّ ما كانَ كَذا وَكَذا.

(ح ـ ٢٧٧) الحلف بالله:

الحكمة تتضمّن الحلف بالله سبحانه بصفات الذات المقدسة الحاكمة في الكون، والتي لا تخفى على احد، فنفى بقوله:

(لا والذي) ولم يذكر اسم الله تعظيما.

(أمسينا منه)؛ فإنّ الإنسان بسبب قدرته الحاكمة على الكون يصبح ويمسي كلّ يوم.

(في غبر ليلة دهماء) والغبر: بقية الليل، والدهماء: السوداء، ومن ذلك يظهر وقت الحلف وانه كان في اخر الليل.

(تكشر عن يوم أغر) والكشر: الضحك المبدى للاسنان، والاغر: الواضح؛ فإنّ اخر الليل قريب من الصباح الذي يلوح في افق السماء غرة الصباح.

وفي الحلف بهذا الموقع من بقية الليل اشارة إلى ادب الحلف بالله بما يكون ظاهراً من

---

(١) البقرة: ٢٠٧.

(٢) في هـ. ص: غبر الشيء: بقاياه، وغبر الليل: بقاياه، وتكشر: تكشف كافترار الضاحك.

اياته الكونية حين الحلف.

[٢٧٨]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

قَلِيلٌ تَدُومُ عَلَيْهِ أَرْجى مِنْ كَثِيرٍ مَمْلُولٍ مِنْهُ[١].

(ح - ٢٧٨) **القليل الدائم:**

تقاس الامور بدوامها خيرا أو شراً ولا تقاس بكثرتها خيراً أو شراً؛ فإنّ للكثرة من الخير الزائلة تخلف حسرة دائمة في النفس من ضياعها، والكثرة من الشر الزائلة تخلف فرحاً دائما كلما يتذكرها من انواع المصائب والكوارث الطبيعية وغيرها.

ونتيجة ذلك أن القليل من الخير الذي يدوم عليه الإنسان سواءً في المال أو غيره اثمن لرجاء الخير من الكثير الزائل؛ فإنّ الكثرة توجب الملل والضجر؛ لأنّها تفوق تحمل طاقة عامة الافراد من البشر، والعمل الذي يصاحبه الضجر لا يثمر إلّا في مرحلة زمنيّة ويخلف الحسرة على فقدانها، دون القليل الذي يدوم عليه الإنسان، والله المستعان.

[٢٧٩]

وَقالَ عَلَيهِ ٱلسَّلامُ:

إذا أَضرَّتِ ٱلنَّوافِلُ بِالْفَرائِضِ فَارْفُضُوها.

(ح - ٢٧٩) **النوافل الضارة:**

فى حياة كلّ انسان قائمة اولويات وتأتي الفرائض وهي ما فرضها الله سبحانه على العباد على راس قائمة الاولويات، سواء في الحياة الشخصية أو العباديّة أو الاجتماعية أو السياسية وغيرها مما يخصّ الفرد والمجتمع.

وفى حالة تعارض الفرائض والنوافل تقدم الفرائض وتسقط النوافل، فيجب رفضها

(١) لم ترد «منه» في أ و ص، وفي هـ. د: كلمة «منه» ساقطة من ف.

لفقدان قيمتها عند المعارضة.

[٢٨٠]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

مَنْ تَذَكَّرَ بُعْدَ ٱلسَّفَرِ ٱسْتَعَدَّ.

(ح ـ ٢٨٠) الاستعداد:

كل شيء يفتقر إلى الاستعداد في الحياة، فلا يتحقق شيء بالاعتباط، ولا يمكن الاستعداد إلّا بالشعور بما هو المطلوب للوصول إلى الغاية، ومنها السفر، وكلما بعدت المسافة في السفر افتقرت إلى استعداد اكمل له كما هو المطلوب من المقدمات الموصلة إلى المقصد.

والسفر الروحي إلى الآخرة لا يختلف عن السفر المادي في الدنيا، فيفتقر إلى الاستعداد، ولا يستعد له الا من يتذكرها ويذكر بعد السفر ومواد الاستعداد المطلوبة، والله الموفق.

[٢٨١]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ[١]:

لَيْسَتِ[٢] ٱلرُّؤْيَةُ مَعَ ٱلابْصارِ، فَقَدْ تَكْذِبُ ٱلْعُيُونُ أَهْلَها، وَلايَغُشُّ ٱلْعَقْلُ مَنِ ٱسْتَنْصَحَهُ.

(ح ـ ٢٨١) الرؤية الواضحة:

الرؤية الواضحة لحقائق الامور تنبع من الاستناد إلى العقل؛ فإنّ الرؤية بالبصر رؤية لظواهر الامور وهي لا تلازم الحقائق دائما؛ لانها لا تحكم إلّا بانعكاس الظاهر في العين الباصرة، ولا تحكي عما وراء الظاهر إلّا باستخدام العقل والتفكير لمعرفة الاسباب والمسببات وبالرؤية وهي النظر في الامور، ثمّ اتباع ما يقتضيه الفكر الحر؛ فإنّ الرؤية

(١) لم ترد «وقال عليه السلام» في أ و ص و ط.
(٢) في أ و ص: ليس.

بالعين لا تساوق الرؤية بالفكر؛ لما في حصول الخطأ في الرؤية الباصرة كما في السراب الذي يحسبه الضمآن ماءاً.

[٢٨٢]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ[١]:

بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلْمَوْعِظَةِ حِجابٌ مِنَ ٱلْغِرَّةِ.

(ح - ٢٨٢) **حجاب الغفلة:**

الغرة: الغفلة، ولكل شئ موانعه الخاصة التي يحب رفعها وازالتها حتّى تتحقق العلة التامة؛ لان وجود تلك الموانع يعتبر حجابا بين الشئ وتحققه خارجا، ومنها الموعظة؛ فإنّ النصيحة الخالصة هي السبب في تعديل المواقف لما فيه من الخير للنفس والمجتمع، والحاجب المانع عنها هي الغفلة عن العبر، وما اكثر العبر واقل الاعتبار.

[٢٨٣]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

جاهِلُكُمْ مُزْدادٌ، وَعالِمُكُم[٢] مُسَوِّفٌ.

(ح - ٢٨٣) **نتيجة الجهل:**

نتيجة الجهل تظهر في العمل وليس في العلم والمعرفة، وقد اشارت الحكمة إلى نتيجتين هامتين يمكن قياس حال الجاهل والعالم بهما، وليس بدرجة العلم والمعرفة بل بمقياس العمل، وهما:

أوّلاً: الازدياد في الجهل (جاهلكم مزداد)؛ فإنّ الانحراف جهل، والزيادة في الانحراف زيادة في الجهل، فلا يزاد الجاهل في جهله الا زيادة في انحرافه.

ثانياً: التسويف من العالم (وعالمكم مسوّف) والتسويف: التاخير في اداء المسؤولية

---

(١) لم ترد «وقال عليه السلام» في أ و ص و ط، وكذا فيما يليه من الحكم الأربعة.

(٢) في هـ. د: «وعالمكم» ساقطة من م ف ل.

من العمل على مقتضى العلم وتطبيق ما تعلمه في الحياة على النفس والمجتمع، فتسويف العالم يسبب انقلابه في نفسه جاهلا، اعاذنا الله من ذلك.

[٢٨٤]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

قَطَعَ ٱلْعِلْمُ عُذْرَ الْمُتَعَلِّلِينَ.

(ح ـ ٢٨٤) **العلم حجة قاطعة:**

تشير الحكمة إلى ما يتعلل به اصحاب المصالح في تنفيذ رغباتهم في الحياة على حساب الثوابت الاسلامية: فيعلل بالحجج التي يلفقها لتبدوا حججا حقة، ولا تنعدم هذه الحجج لكل الطغاة في التاريخ، ويتجلى ذلك في عصرنا في مهنة المحاماة للدفاع عن المجرمين باسم القانون، وكذا في وعاظ السلاطين باسم الدين، ولكن كلّ هذه الحجج مدحوضة بالعلم؛ فإنّ العلم يقطع جميع الاعذار ويبطل جميع التعللات ويكشف في التاريخ سوء الظلم والطغيان ومن ينحرف معهم كلّ الغواة من الاشراف والاعيان، ونعوذ بالله من غير الزمان.

[٢٨٥]

وَقالَ عَلَيْهِ السَّلامُ:

كُلُّ مُعاجَلٍ يَسْأَلُ ٱلْإِنظارَ، وَكُلُّ مُؤَجَّلٍ يَتَعَلَّلُ بِالتَّسْوِيفِ[١].

(ح ـ ٢٨٥) **الانظار والتسويف:**

الحالات الطبيعيّة في الإنسان تؤثر على المواقف، ومنها يستدل على تلك الحالات من دون حاجة الى الاعتراف والاقرار، واشار منها في هذه الحكمة إلى حالتي الانظار و التسويف، فعن الحالة في الدنيا فان الانظار وهو طلب التاخير يكشف أن الطالب السائل

---

(١) في هـ. ص: هذا الكلام إما أن يكون إشارة إلى شأن الدهر بتبديل الأحوال بأضدادها، والله أعلم.

هو معاجل ومطالب لشئ لا يتمكن من القيام به في الحال، فلا محيص سوى طلب الانظار كما هو الحالة الطبيعيّة، وكذلك كلّ من له عمل مؤجل بوقت معين، من دون أن يعاجله احد يتعلل بالتسويف وهو التاخير عن وقت الاجل، ويكشف التسويف عن طبيعة الحالة في العمل المتواصل.

وهذه الحالة ثابتة في الحياة في الدنيا بالنسبة إلى الآخرة؛ فإنّ الإنسان الذي يعلم بحلول أجله يوما ما لا يسوف في العمل لآخرته.

وقوله عليه السلام: (كل معاجل) يحتمل الاضافة، كما يحتمل الاستئناف وكذلك قوله: (كل مؤجّل) والصيغة فيهما مبني للمجهول.

[٢٨٦]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

ما قالَ ٱلنّاسُ لِشَيْءٍ: طُوبى لَهُ، إلّا وَقَدْ خَبَأَ لَهُ ٱلدَّهْرُ يَوْمَ سَوْءٍ.

(ح ـ ٢٨٦) **طوبى له:**

طوبى: كلمة مدح تعني الدعاء بالحياة الطبية، ولا تقال إلّا عند استكمال الشئ في اعتقاد القائل، والحكمة تشير إلى أن الكمال لله وحده، وان هذه الكلمة تكشف أول ما تكشف عن بذرة الحسد في نفس القائل الذي هو جاهل بعواقبها؛ فإنّ الكمال في الحياة لا دوام له. واذا كانت هذه الكلمة صدرت من عامة الناس فإنّها تكشف عن كثرة الحساد، وكثرتهم يدعوهم إلى التخطط للوقيعة به والى ذلك أشار بقوله: (قد خبأ له الدّهر يوم سوء) من هؤلاء الحساد واعوانهم ذوي الاحقاد، واعاذنا الله منها رب العباد.

[٢٨٧]

وقالَ عليهِ السَّلامُ وَقَدْ سُئِلَ عَنِ ٱلْقَدَرِ:

طَرِيقٌ مُظلِمٌ فَلا تَسْلُكُوهُ.

ثم سُئِلَ ثانياً، فقال: بَحْرٌ عَمِيقٌ فَلاتَلِجُوهُ

ثم سئل ثالثاً، فقالَ: سِرُّ ٱللّٰهِ فَلا تَتَكَلَّفُوهُ[١].

(ح - ٢٨٧) حقيقة القدر:

القدر: من الصفات التي لا يعلم حقيقتها إلّا الله سبحانه وتعالى، ومحاولة فهمه على حقيقتها في الحقيقة محاولة لفهم حدود الصفات الالٰهيّة، وهي ابعد من الفهم البشري المادي، ولذلك نهى الإمامﷺ عن البحث فيه، وقد وصف البحث هذا بقوله:

اولا: (طريق مظلم فلا تسلكوه)؛ لأنّه يتعلق بصفات الذات المقدسة، والإنسان المادي يعجز عن سلوك هذا الطريق إلى النهاية؛ لظلمته بسبب عدم معرفة الإنسان لها ومتطلباتها .

ثانياً: (وبحر عميق فلا تلجوه)؛ لأنّ التقدير الالهي يعمّ الكون كلّه وليس الانسان وحدة، ومعرفة بعض الآثار في بعض المخلوقات لا نلقي الضوء على الكون كلّه، بل لا يتعدى ذلك الفرد من الإنسان وحده، فاذا لم يتمكن الإنسان من معرفة القدر في شخص خاص فكيف يتمكن من الكون كله؟.

ثالثاً: (وسر الله فلا تتكلّفوه).

لان القدر واسبابه ومسبباته بالتفصيل مما لا يعله سوى الله سبحانه، فهو سر مختص به تعالى، ومحاولة معرفة اسرار الربوبية اقل ما يقال فيها: انها تكلف من جانب المخلوق لم يؤمر به، اذا لم يكن تعديا لحدود العبودية، والله العاصم.

[٢٨٨]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

إذا أَرْذَلَ ٱللّٰهُ عَبْداً حَظَرَ عَلَيْهِ ٱلْعِلْمَ.

---

(١) هذه الحكمة وردت في أ و ص و د هكذا: «وقال عليه السلام ـ وقد سئل عن القدر فقال ـ: طريق مظلم فلا تسلكوه، وبحرٍ عميق فلا تلجوه، وسرّ الله فلا تتكلّفوه». وفي هـ. د: وسئل، وفي ح: «فلا تسلكوه، ثم سئل ثانياً فقال: بحر عميق فلا تلجوه، ثم سئل ثالثاً فقال: سرّ الله فلا تتكلّفوه».

(ح - ٢٨٨) ارذل العباد:

(الرذل: من لا يرغب فيه، والحظر: المنع).

ان مقياس التفاضل في الاسلام هو الايمان والعلم، قال تعالى:﴿يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اتوا العلم درجات﴾.[١] فيكون الجاهل الذي لا علم له في اسفل الدرجات ويكون ارذل العباد، لا يرغب فيه؛ لفقدانه ما ينفع منه وهو العلم.

[٢٨٩]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

كانَ لِي فِيما مَضى أَخٌ فِي ٱللّهِ، وَكانَ يُعَظِّمُهُ فِي عَيْنِي صِغَرُ ٱلدُّنْيا فِي عَيْنِهِ، وَكانَ خارِجاً مِنْ سُلْطانِ بَطْنِهِ، فَلا يَشْتَهِي ما لايَجِدُ وَلا يُكْثِرُ إِذا وَجَدَ، وَكانَ أَكْثَرَ دَهْرِهِ صامِتاً، فَإِنْ قالَ بَذَّ[٢] ٱلْقائِلِينَ، وَنَقَعَ غَلِيلَ السّائِلِينَ، وَكانَ ضَعِيفاً مُسْتَضْعَفاً، فَإِنْ جاءَ ٱلْجِدُّ فَهُوَ لَيْثُ عادٍ[٣] وَصِلُّ وادٍ، لايُدْلِي بِحُجَّةٍ حَتّى يَأْتِيَ قاضِياً، وَكانَ لا يَلُومُ أَحَداً عَلى ما لايَجِدُ[٤] ٱلْعُذْرَ فِي مِثْلِهِ حَتّى يَسْمَعَ ٱعْتِذارَهُ، وَكانَ لايشْكُو وَجَعاً إِلَّا عِنْدَ بُرْئِهِ، وَكانَ يَقُولُ ما يَفْعَلُ وَلا يَقُولُ مالا يَفْعَلُ[٥]. وَكانَ إِذا[٦] غُلِبَ عَلَى ٱلْكَلامِ لَمْ يُغْلَبْ عَلَى ٱلسُّكُوتِ، وَكانَ عَلى أَنْ يَسْمَعَ[٧] أَحْرَصَ مِنْهُ عَلى أَنْ يَتَكَلَّمَ، وَكانَ إِذا بَدَهَهُ أَمْرانِ يَنظُرُ[٨] أَيُّهُما أَقْرَبُ إِلَى ٱلْهَوى فَخالَفَهُ.

فَعَلَيْكُمْ بِهذِهِ ٱلْخَلائِقِ فَالْزَمُوها وَتَنافَسُوا فِيها، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِيعُوها فَاعْلَمُوا أَنَّ أَخْذَ ٱلْقَلِيلِ خَيْرٌ مِنْ تَرْكِ ٱلْكَثِيرِ.

(ح - ٢٨٩) الاخلاق الاسلامية:

---

(١) المجادلة : ١١.
(٢) في أ: بذّا، وفي ط: بدّ، وفي هـ. د: بدّ القائلين ـ ب.
(٣) في هـ. د: ليث غاد ـ ص ل ك، ليث غاب ـ ب.
(٤) في أ و ط و د: ما يجد.
(٥) في د: وكان يفعل ما يقول ولا يقول ما لا يفعل.
(٦) في د: ان، وفي هـ. د: إذا.
(٧) في هـ. د: على ما يسمع ـ ب ف.
(٨) في د: نظر، وفي هـ. د: ينظر ـ ب.

تستعرض هذه الحكمة الاخلاق الاسلاميّة التي طبقها في الحياة احد المسلمين القدامى، وقد عبر عنه الإمام بقوله: (كان لي فيما مضى أخ في الله) فهو في عصر الإمام كان من الماضين ولم يكن حيا، كما لم يعرف شخصه بالذات؛ اذ ليس الهدف من هذا الكلام نعت الاشخاص باشخاصهم ولا معرفة تاريخ الوصف بقدر ما هو الهدف من الحكمة وهي سرد نقاط الاخلاق الاسلاميّة الفاضلة التي تميز شخصية الفرد المسلم في غيره، وقد سردها في بقوله:

١ ـ (وكان يعظمه في عيني صغر الدنيا في عينه)؛ فإنّ تصغير الدنيا يستلزم معرفة حقيقة الدنيا، والعلم بهذه الحقيقة يوجب عظمة العارف لها على حقيقتها.

٢ ـ (وكان خارجا من سلطان بطنه)؛ فإنّ من يقع في اسر بطنه يكون عبداً له، فلا يبصر الامور في الحياة إلّا من هذا المنظار، ثمّ أشار إلى حقيقتين لمسهما بالصحبة دليلا كاشفا عن الحرية من شهوة البطن هما:

أوّلاً: (فلا يشتهي ما لا يجد) ويكتفي بما هو موجود ومتيسر من دون سعي للحصول على مالا يوجد في الاسواق.

ثانياً: (ولا يكثر إذا وجد) فيكتفي بما يفتقر إليه جسمه للحياة من دون اكثار في الطعام.

ومن هذين يستكشف الحرية من شهوة الطعام.

٣ ـ(وكان أكثر دهره صامتا) غير مهذار في الكلام في اكثر حياته اليوميّة، إلّا بما يفتقر فيه إلى الكلام، فكان سلطان الكلام بيده وليس العكس، وعن الدليل على ذلك قال:

أوّلاً: (فإن قال بد القائلين) والبد: الكف؛ فإنّ حديثه يكت الآخرين عن الكلام لعلهم بأنّه لا يتكلم الا بما فيه اهمية.

ثانياً: (ونقع غليل السائلين) والنقع: الارواء، والغليل: العطش؛ فإنّ كلامه يكون جوابا للسؤال وحيث أن السائلينى سألونه لعلمه، فيكون في كلامه ناشراً للوعي الاسلامي لهم فيستمعون اليه برغبة للفهم.

٤ ـ (وكان ضعيفا مستضعفا) فهو ضعيف في جسمه ومستضعف من الآخرين لمكانته الاجتماعية، بالرغم من هذه الحالة الشخصية والنفسية كان يقوم بواجبه الاسلامي .

(فإن جاء الجد فهو ليث غاب وصل واد) الليث: الاسد، والصل: الحية، فيكون موقعه عند الحاجة على الخلاف من مظهره الخارجي.

(لا يدلي بحجة حتّى يأتي قاضيا) الادلاء: الالقاء؛ فإنّه عند الحاجة يقوم بواجبه الاسلامي وهو نشر الوعي والقاء الحجة التي تقضي على الخصم.

٥ ـ (وكان لا يلوم أحدا على ما يجد العذر في مثله حتّى يسمع اعتذاره) فلا يتسرع بالحكم بمجرد سماع الاخبار، فلا يلوم احدا اذا كان فيه مجالا للعذر، وانما يحكم بعد أن يسمع من الجانب الآخر عذره، وان كان مقبولا دافع عنه وان كان عذره غير موجه لامه.

٦ ـ (وكان لا يشكو وجعا إلّا عند برئه)؛ فإنّ الشكوى من الوجع والمرض عند الحبيب يزيده الما، وعند العدو يزيده فرحاً، وعلى الحالتين الشكوى انما هي عند من ليس له العلاج، فلا يكون المشتكى اليه سوى الله الذي هو الشافي أو الطبيب عند الحاجة إليه، واما بعد البرء من المرض فلا تكلفة على احد في سماع الشكوى، بل تكون فيه العبرة.

٧ ـ (وكان يفعل ما يقول ولا يقول ما لا يفعل)؛ فإنّ العالم الذي لا يعمل بعمله ويقول ما لا يفعل انما هو في الواقع جاهل، لا يختلف عن الجاهل في عدم العمل.

٨ ـ (وكان إذا غلب على الكلام لم يغلب على السكوت) فإنّه لو أصبح مغلوبا في الكلام بمحاولة التطرف من الحاضرين، فانه لا يدخل في المغالبة بل يسكت؛ فإن السكوت في هذه الحالة تقطع أساس المغالبة والنقاش الذي لا طائل تحته.

٩ ـ (وكان على ما يسمع أحرص منه على أن يتكلم)؛ فإنّ هدفه المعرفة ومن الدرجات اليه هو سماع الكلام، ثمّ تمييز الحق من الباطل، واخذ ما ينفع ونبذ ما ليس كذلك.

١٠ ـ (وكان إذا بدهه أمران نظر أيهما أقرب إلى الهوى فخالفه) البداهة: المفاجأة الطبيعية؛ فإنّه يختار دائما مخالفة الهوى والنفس الامارة بالسوء.

وهذه النقاط العشرة هي منابع الاخلاق الاسلاميّة التي يفتقر اليها كلّ مسلم في الحياة لتحصيل السعادة في الدنيا، وفي الآخرة النجاة.

وختم الحكمة بقوله:

(فعليكم بهذه الخلائق فالزموها وتنافسوا فيها ؛ فإنّ لم تستطيعوها فاعلموا أن أخذ

القليل خير من ترك الكثير)؛ فإنّ هذه النقاط العشر باعتبارها الثوابت للاخلاق الاسلامية تستوجب الالتزام والتنافس قدر الاستطاعة في اقتنائها ؛ فانه ﴿ لا يكلف الله نفسا إلّا وسعها﴾ [١].

قال ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في شرح نهج البلاغة، ما نصّه:«قد اختلف الناس في المعنى بهذا الكلام ، ومن هو هذا الأخ المشار إليه ؟ فقال قوم : هو رسول الله ﷺ ، واستبعده قوم لقوله : (وكان ضعيفا مستضعفا) ، فإن النبي ﷺ لا يقال في صفاته مثل هذه الكلمة ، وإن أمكن تأويلها على لين كلامه وسماحة أخلاقه ، إلا انها غير لائقة به ﷺ . وقال قوم : هو أبو ذر الغفاري واستبعده قوم ؛ لقوله : فإن جاء الجد فهو ليث عاد ، وصل واد (، فإن أبا ذر لم يكن من الموصوفين بالشجاعة ، والمعروفين بالبسالة . وقال قوم : هو المقداد بن عمرو المعروف بالمقداد بن الأسود ، وكان من شيعة علي عليه السلام المخلصين ، وكان شجاعا مجاهدا حسن الطريقة ، وقد ورد في فضله حديث صحيح مرفوع . وقال قوم : إنه ليس بإشارة إلى أخ معين ، ولكنه كلام خارج مخرج المثل ، وعادة العرب جارية بمثل ذلك ، مثل قولهم في الشعر : فقلت لصاحبي ، ويا صاحبي ، وهذا عندي أقوى الوجوه».[٢]

[٢٩٠]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

لَوْ لَمْ يَتَوَعَّد ٱللّهُ عَلى مَعْصِيَتِهِ لَكانَ يَجِبُ أَنْ لا يُعْصى شُكْراً لِنِعَمِهِ[٣].

(ح - ٢٩٠) من لوازم الشكر:

يبحث المتكلون في علم الكلام في مسألة الوعد والوعيد ولخص الفقهاء من التشريع الوجوب والحرمة في مسألة الطاعة والمعصية.

والإمام في هذه الحكمة يشير إلى حقيقة بعيدة عن المصطلحات الكلاميّة والفقهية

---

(١) البقرة: ٢٨٦.
(٢) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٩ : ١٨٣ ـ ١٨٤.
(٣) في ط و د: لنعمه.

وهي ان شكر النعمة يستلزم اموراً لا يصدق الشكر بدونها؛ فإنّ الشكر كما يتحقق باللفظ واللسان فكذلك يتحقق بعمل الانسان وكذلك شكر ما يفعله الشكور للاحسان، ومن ذلك شكر الله الرحمن، فإنّه يستلزم الامتناع من العصيان، وكيف وقد توعد على العصيان النيران، فالموجب لترك العصيان الامران وما لا ينفكان، والله المستعان.

قال ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في شرح نهج البلاغة، ما نصّه:«قالت المعتزلة : إنا لو قدرنا أن الوعيد السمعي لم يرد لما أخل ذلك بكون الواجب واجبا في العقل ، نحو العدل والصدق ، والعلم ورد الوديعة ، هذا في جانب الاثبات ، وأما في جانب السلب فيجب في العقل ألا يظلم ، وألا يكذب ، وألا يجهل ، وألا يخون الأمانة ، ثم اختلفوا فيما بينهم ، فقالت معتزلة بغداد : ليس الثواب واجبا على الله تعالى بالعقل ، لان الواجبات إنما تجب على المكلف ، لان أداءها كالشكر لله تعالى ، وشكر المنعم واجب ، لأنه شكر منعم ، فلم يبق وجه يقتضى وجوب الثواب على الله سبحانه ، وهذا قريب من قول أمير المؤمنين عليه السلام . وقال البصريون : بل الثواب واجب على الله تعالى عقلا ، كما يجب عليه العوض عن إيلام الحي ، لان التكليف إلزام بما فيه مضرة ، كما إن الايلام إنزال مضرة ، والالزام كالإنزال».[١]

[٢٩١]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ، وَقَدْ عَزَّى ٱلْأَشْعَثَ بْنَ قَيْسٍ عَن ٱبْنٍ لَهُ[٢]:

يا أَشْعَثُ، إنْ تَحْزَنْ عَلَى ٱبْنِكَ فَقَدِ ٱسْتَحَقَّتْ ذلِكَ[٣] مِنْكَ ٱلرَّحِمُ، وَإِنْ تصْبِرْ فَفِي ٱللّٰهِ مِنْ كُلِّ مُصِيبَةٍ خَلَفٌ.

يا أَشْعَثُ، إنْ صَبَرْتَ جَرى عَلَيْكَ ٱلْقَدَرُ وَأَنْتَ مَأْجُورٌ، وَإِنْ جَزِعْتَ جَرى عَلَيْكَ ٱلْقَدَرُ وَأَنْتَ مَأْزُورٌ[٤]. إبْنُكَ[٥] سَرَّكَ وَهُوَ بَلاءٌ وَفِتْنَةٌ، وَحَزَنَكَ وَهُوَ ثوابٌ وَرَحْمَةٌ.

---

(١) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٩ : ١٩١.
(٢) في هـ . ص: قال في الشرح: قد روي هذا الكلام عنه عليه السلام علىٰ وجوه مختلفة وروايات متنوّعة، هذا الوجه أحدها.
(٣) في د: منك ذلك.
(٤) من الوزر، وفي هـ. د: لم ترد «يا أشعث ابنك» في ف م ل. ولم ترد «يا أشعث» في ب.

(ح - ٢٩١) عزاء المصاب:

يتضمّن الحكمة نقاط في عزاء المصاب، ذكرها الإمام للاشعث بن قيس الكندي (ت / ٤٠) مقتطفا مما امر الله سبحانه في مثل الموقف بقوله: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّابِرِينَ * ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لله وإِنَّا إِلَيهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِك عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِن رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِك هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾ [٦]، وقد خاطبه الإمام في ثلاث نقاط:

أوّلاً: (يا أشعث إن تحزن على ابنك فقد استحقت ذلك منك الرحم)؛ فإنّ فقد العزيز تخلف في نفس الانسان اثراً بالغا؛ حيث لا يمكن ارجاعه.

(وإن تصبر ففي الله من كلّ مصيبة خلف) وهو اجر الصابرين الذي وعده الله فى القرآن الكريم.

ثانياً: (يا أشعث، إن صبرت جرى عليك القدر وأنت مأجور)؛ لأنّ الصبر مما امر به الله ووعد له الثواب في الآخرة.

(وإن جزعت جرى عليك القدر وأنت مأزور) تتحمل الوزر بمعصية امر الله تعالى في امر جرى فيه قدر الله ولا يمكن تغيير ما قدّر الله.

ثانياً: (يا اشعث ابنك سرك وهو بلاء وفتنة) فقد سرك بولادته وحياته معك وهو امتحان وفتنة في الحياة كما قال تعالى:﴿انما اموالكم واولادكم فتنة والله عنده اجر عظيم﴾.[٧]

(وحزنك وهو ثواب ورحمة) حيث كان سببا للحزن بموته، وهو سبب لك الثواب والتنعم بما وعد الله سبحانه الصابرين من الاجر.

[٢٩٢]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ عَلى قَبْرِ رَسُولِ ٱللّٰهِ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ساعَةَ دُفِنَ:

---

(٥) لم ترد «ابنك» في أ و ص.
(٦) البقرة: ١٥٥.
(٧) التغابن : ١٥.

إِنَّ ٱلصَّبْرَ لَجَمِيلٌ إِلّاعَنْكَ، وَإِنَّ ٱلْجَزَعَ لَقَبِيحٌ إِلّا عَلَيْكَ، وَإِنَّ ٱلْمُصابَ بِكَ لَجَلِيلٌ(١)، وَإِنَّهُ قَبْلَكَ وَبَعْدَكَ لَجَلَلٌ(٢).

(ح ـ ٢٩٢) اعظم المصاب:

ان للصبر درجات حيث درجات المصيبة، وحيث أن فقد الرسول القائدﷺ اعظم مصاب في الاسلام للمسلمين عامة ولاهل البيت خاصة، عبّر الإمامعليه السلام عن اعلى درجات الصبر عند قبر الرسول القائد فقال:

١ ـ (إن الصبر لجميل إلّا عنك)؛ لأنّ وفاتك يمثل ثغرة ابدية في الاسلام.

٢ ـ (وإن الجزع لقبيح إلّا عليك) والجزع: شدة الحزن؛ فإنّ في فقدك فقد المثال الحسن في الاسلام المتجسد فيك.

٣ ـ(وإن المصاب بك لجليل) والمصاب: المكروه الذي يصيب الإنسان، والجليل: العظيم .

٤ ـ (وإنه قبلك وبعدك لجلل) والجلل: الحقير؛ فإنّ كلّ مصاب قبل فقد القيادة الشرعية من قبل ومن بعد النبي لمصاب حقير بالنسبة الى مصاب النبي ، حيث لا يأتي بعده ولا يمكن من يسد مسدّه، ولله الأمر وحده.

[٢٩٣]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

لا تَصْحَبِ ٱلْمائِقَ(٣) فَإِنَّهُ يُزَيِّنُ لَكَ فِعْلَهُ، وَيَوَدُّ أَنْ تَكُونَ مِثْلَهُ.

(ح ـ ٢٩٩) صحبة المائق:

ينهى الإمامعليه السلام عن صحبة المائق، وهو الشديد الحمق، وان كان الإنسان قد لا يكون أحمقا ولكنّه لا يكون في حصانة من اثار الاحمق اذا صاحبه، واشار إلى واحدة منها بقوله:

---

(١) في هـ. ص: أي عظيم.
(٢) في هـ. د: وأنه بعدك لقليل ـ ح، وفي هـ. ص: أي يسير هين مجبور.
(٣) في هـ. ص: هو الشديد الحمق، والموق: شدّة الحمق.

١ ـ (فإنه يزين لك فعله) وبما انّه معروف بالحمق، فلا يوثر هذا في نفسية المصاحب ويمكنه أن يتحصن منه.

٢ ـ (ويود أن تكون مثله) وهذا خارج عن ارادة الصاحب؛ فإنّ رغبة الاحمق الشخصية بسبب حمقه يحاول أن يجعلك مثله، وهذه المحاولة تستلزم المجاملة من جانب العاقل، فيحمق ولو لفترة قصيرة.

[٢٩٤]

وقال عليه السَّلام وَقَدْ سُئِلَ عَنْ مَسافَةِ ما بَيْنَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ، فَقَالَ: مَسِيرَةُ يَوْمٍ لِلشَّمْسِ.

(ح ـ ٢٩٤) **المسافة بين الشرق والغرب:**

لكل سؤال جواب، ومن الاسئلة ما لا جواب لها سوى السكوت، أو الجواب الاجمالي المسكت للسائل عن تضييع الوقت المفروض استخدامه في ما هو من الاولويات، كما هي الحال فيمن يسأل عن الفرضيات البعيدة عن الحياة، ولا يبدوا لها دافع سوى تبذير الطاقات. فما هو الاثر العملي في معرفة المسافة بين الشرق والغرب لمن ليس من علماء الفلك؟ والشرق والغرب جهتان متقابلتان يختلف فيهما مطلع الشمس ومغربه باختلاف الفصول، فلو كان السائل من اهل هذا الفن وسأل لاستحق الجواب بالتفصيل، اما غيره فيكفيه الحقيقة الناصعة التي أجاب بها الإمام وان المسافة (مسيرة يوم للشّمس) في مختلف الفصول، وعند كلّ اصحاب العقول، ويكفي الفضول.

قال ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في شرح نهج البلاغة، ما نصّه:« هكذا تقول العرب بينهما مسيرة يوم ، بالهاء ولا يقولون: مسير يوم؛ لان المسير المصدر ، والمسيرة الاسم . وهذا الجواب تسمية الحكماء جوابا إقناعيا ، لان السائل أراد أن يذكر له كمية المسافة مفصلة ، نحو أن يقول : بينهما ألف فرسخ أو أكثر أو أقل ، فعدل عليه السلام عن ذلك وأجابه بغيره ، وهو جواب صحيح لا ريب فيه ، لكنه غير شاف لغليل السائل ، وتحته غرض صحيح ، وذلك لأنه سأله بحضور العامة تحت المنبر ، فلو قال له : بينهما ألف فرسخ مثلا ، لكان للسائل أن يطالبه بالدلالة على ذلك ، والدلالة على ذلك يشق حصولها على البديهة ، ولو

حصلت لشق عليه أن يوصلها إلى فهم السائل ، ولو فهمها السائل لما فهمتها العامة الحاضرون ، ولصار فيها قول وخلاف ، وكانت تكون فتنة أو شبيها بالفتنة ، فعدل إلى جواب صحيح إجمالي أسكت السائل به ، وقنع به السامعون أيضا واستحسنوه ، وهذا من نتائج حكمته عليه السلام ».[1]

[٢٩٥]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

أَصْدقاؤُكَ ثَلاثَةٌ[2]، وَأَعْداؤُكَ ثَلاثَةٌ؛ فَأَصْدِقاؤُكَ: صَدِيقُكَ، وَصَدِيقُ صَدِيقِكَ، وَعَدُوُّ عَدُوِّكَ؛ وَأَعْداؤُكَ: عَدُوُّكَ، وَعَدُوُّ صَدِيقِكَ، وَصَدِيقُ عَدُوِّكَ[3].

(ح ـ ٢٩٥) الاصدقاء والاعداء:

الصداقة والعداوة امران نسبيان يختلفان بالدواعي لها من الافراد والجماعات تجمعهم المصالح المشتركة بينهم، وقد حدد الإمام المصالح المشتركة باختلاف الطبقات من كلّ جانب، فمن جانب الاصدقاء قال:

(اصدقاؤك ثلاثة) وهم:

أوّلاً: (صديقك) حيث يجمعك واياه مبادي مشتركة في الحياة.

ثانياً: (وصديق صديقك) حيث يتعدى المبدأ المشترك إلى أكثر من اثنين.

ثالثاً: (وعدو عدوك)؛ فإنّ المبدأ المشترك هو العداء للعدو المشترك بين الاثنين.

وفي جانب الاعداء قال: (وأعداؤك):

١ ـ (عدوك) للتباين في المبادي بين الاثنين.

٢ ـ (وعدو صديقك) للتباين الذي يتعدى إلى أكثر من اثنين، فيصبحوا ثلاثة.

٣ ـ (وصديق عدوك) للمشاركة بينهما في العداء؛ فإنّ العداوة والصداقة في الاسلام لا

---

(١) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٩ : ١٩٩.

(٢) في هـ . ص: وعلى قانون ذلك شرع الولاء والمعاداة في الدين لأنّ المؤمنين أصدقاء الله والمجرمون أعداء الله.

(٣) في هـ . ص: قال في الشرح: من هذا قول الشاعر:

تود عدوي ثم تزعم انني ... صديقك ان الرأي عنك لعازب

تكون مسألة شخصية بل هما من المسائل المبدئية.

[٢٩٦]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ لِرَجُلٍ رَآهُ يَسْعى عَلى عَدُوٍّ لَهُ بِما فِيهِ إِضْرارٌ بِنَفسِهِ[١]:
إِنَّما أَنْتَ كَالطّاعِنِ نَفْسَهُ لِيَقْتُلَ رِدْفَهُ[٢].

(ح ـ ٢٩٦) السعاة:

(الساعي: النمام، والردف: من يجلس خلف الراكب).

فان النمام يهتم بالنميمة على العدو للايقاع به، وهو يعمى عن الاضرار التي يجلبها على نفسه، واولها ضياع وقته وعمر الحاضر في عمل لا يضمن نتيجة في الآخرة، وان من يستمع الى الساعي لا يخلو من جاهل يغتر أو عاقل يتدبر، والخاسر فيها هو الساعي النمام.

فان الحقائق لا تخفى على الانام، ولابد وان تظهر في يوم من الايام، وبالله الاعتصام.

[٢٩٧]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:
ما أَكْثَرَ ٱلْعِبَرَ وَأَقَلَّ ٱلاعْتِبارَ[٣]!

(ح ـ ٢٩٧) العبر:

قال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة، ما نصه:«ما أوجز هذه الكلمة وما أعظم فائدتها ! ولا ريب أن العبر كثيرة جدا ، بل كل شئ في الوجود ففيه عبرة ، ولا ريب أن المعتبرين بها قليلون ، وإن الناس قد غلب عليهم الجهل والهوى ، وأرداهم حب الدنيا ، وأسكرهم خمرها ، وإن اليقين في الاصل ضعيف عندهم ، ولو لا ضعفه لكانت أحوالهم

---

(١) في هـ. د: اضرار نفسه ـ م.
(٢) في هـ. ص: الردف والرديف: من يركب فوق الدابة خلف ذي الوسط.
(٣) في ص : المعتبر، وفي هـ. ص: في نسخة: الاعتبار.

غير هذه الاحوال ».[١]

قال الجلالي: وليس لي زيادة على ما ذكره (ره) من افادة سوى مراجعة موارد الاعتبار في تواريخ النبي المختار وآله الاطهار في مختلف العصور والادوار، مما احتواه من حيدر الكرار التي هذه منها كقطرة من البحار، ولمعة منيرة ماكرّ الليل والنهار.

[٢٩٨]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

مَنْ بالَغَ فِي ٱلْخُصُومَةِ أَثِمَ، وَمَنْ قَصَّر فِيها ظُلِمَ، وَلا يَسْتَطِيعُ أَن يَتَّقِيَ ٱللّٰهَ مَنْ خاصَمَ.

(ح ـ ٢٩٨) **خصائص الخصومة:**

(الخصومة: المنازعة للغلبة).

اشار الإمام في هذه الحكمة إلى ثلاث حقائق للخصومة لا يمكن اتقاؤها إلّا بحذر شديد؛ فإنّ الخصومة شأنها شأن كلّ امور المحاكمة لا تخلو من ايجابيات وسلبيات، ولكن طبيعة الخصومة تدعوا إلى ثلاث حقائق، هي:

أوّلاً: المبالغة (من بالغ في الخصومة أثم)؛ فإنّ الخصومة انما هي ضرورة يجب التفكر فيها بان لا يتجاوز المخاصم حدوده، والمبالغة لا يخلوا منها المخاصم؛ ليقنع الحاكم بالحكم في صالح المخاصم المبالغ، فانه لو لم يبالغ فلا يضمن ذلك لنفسه.

ثانياً: الظلم (ومن قصر فيها ظلم) والتقصير: عدم الدفاع عن حقه، وهذا ظلم في نفسه فيجب عليه الدفاع ليحق الحق من دون تقصير أو مبالغة.

ثالثاً: الانزلاق (ولا يستطيع أن يتقي الله من خاصم)؛ فإنّ من طبيعة الإنسان محاولة الغلبة على الخصم في المحكمة باية طريقة كانت، فقد يتجاوز المبالغة إلى الكذب والتزوير والتصحيف والتحريف، وخاصة بمعونة المحامين المأجورين والفقهاء المرتشين والشهود المبرطلين، وما أكثرهم في كلّ عصر ومصر.

والهدف من سرد هذه الحقائق هو اتقاء الخصومة التي تورث الاحقاد في نفوس الاباء

(١) شرح نهج البلاغة ؛ لابن أبي الحديد ١٩ : ٢٠٣.

والاولاد، ويتوارثها الاحفاد عن الاجداد جيلا بعد جيل في محاكمات طويلة تمتد بامتداد الحياة، بل قد تستمر حتّى بعد الممات، فان باتفاء الخصومة يسلم الإنسان من ذلك كلّه بالرجوع إلى قانون الصلح في الاسلام.

وقد بين الإمام بديلا عن الرجوع الى الحكام لقطع دابر الخصام بالرجوع إلى دعاة الصلح والسلام.

[٢٩٩]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

ما أَهَمَّنِي ذَنْبٌ[١] أُمْهِلْتُ بَعْدَهُ حَتّى أُصَلِّيَ رَكْعَتَيْنِ وَأَسْأَلُ ٱللّهَ ٱلْعافِيَةَ[٢].

(ح ـ ٢٩٩) **العافية من الذنب:**

تشير الحكمة إلى ضرورة التوبة من الذنب والعافية من العقاب بالصلاة ركعتين كفارة؛ فإنّ الله سبحانه يقبل التوبة من عباده، وبذلك يرتفع الهم الحاصل من الذنب في المهلة الحاصلة بعدها، فإنّه لا امان من المهلة الى الابد، فإنّها مهلة تفضل الله سبحانه بها للعبد؛ لأن يقوم بالتوبة ويتطهر من الحوبة فيغفر عن ذنبه ، والذنب قذارة روحية يجب تطهيرها في اول فرصة قبل أن تستحكم بمرور الزمان .

[٣٠٠]

وَسُئِلَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ: كَيْفَ يُحاسِبُ ٱللّهُ ٱلْخَلْقَ عَلى كَثْرَتِهِمْ؟ فَقالَ:

كَما يَرْزُقُهُمْ عَلى كَثْرَتِهِمْ.

فَقِيلَ: كَيْفَ يُحاسِبُهُمْ وَلا يَرَوْنَهُ؟ فَقالَ:

كَما يَرْزُقُهُمْ وَلا يَرَوْنَهُ.

(ح ـ ٣٠٠) **محاسبة الخلق:**

ان معرفة الله تعالى في صفاته وافعاله وحكمته خارجة عن نطاق فكر الإنسان

---

(١) في ط: أمر، وفي هـ. د: أمر ـ ح.

(٢) لم ترد «واسأل الله العافية» في أ، وفي هـ. د: لم ترد «واسأل الله العافية» في ب ف م ل.

المادي، ولا طريق لمعرفة ما وراء الطبيعة بالمقاييس المادية، فالامر والخلق والرزق والحساب والعلم وغيرها في صفات الذات المقدسة واحدة ترجع كلها إلى قدرة الله تعالى، قال سبحانه:﴿الم تعلم أن الله على كلّ شئ قدير﴾ [1] والتفصيل في علم الكلام.

[٣٠١]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

رَسُولُكَ تَرْجُمانُ[2] عَقْلِكَ، وَكِتابُكَ أَبْلَغُ ما[3] يَنْطِقُ عَنْكَ.

(ح ـ ٣٠١) دلالة الرسالة:

الرسالة: سفارة تمثل شخصية المرسل في نقل الصلاحيات المخولة له، والرسالة اما أن يكون بواسطة سفير خاص يحمل الرسالة أو كتاب يعبر عن محتواها، وقد أشار الإمام عليه السلام في هذه الحكمة إلى الدلالات الجانبية التي يفتقر اليها كلّ من الرسول والرسالة، فقال عن الرسول انّه :

(ترجمات عقلك) والترجمان: هو الذي ينقل المعنى من لغة إلى اخرى، فالسفير باعتباره ممثلا عن المرسل يفتقر إلى معرفة العادات والتقاليد المتبعة وآثارها الايجابية والسلبية ليتمكن من نقل الرسالة كاملة، ويكون مجسداً للتك المحتويات في تعامله مع الآخرين ومتحليا بالصبر والهدوء والصفات المطلوبة؛ فإنّ أي خطأ فيها يولد انطباعات شيئة عن المرسل، ومدى حسن انتخابه في قراراته.

وعن الكتاب قال:

(وكتابك ابلغ ما ينطق عنك)؛ لأنّه القناة للمواصلة الناطقة عن محتوى الرسالة، ومدى ثقافة المرسل أو اهتمامه بالادب في الخطاب والسؤال والجواب، ومن اجل ذلك اتخذ الملوك والرؤساء كتابا ذوي خبرة في هذا الباب لتجنب الخطأ واتباع الصواب.

---

(١) البقرة: ١٠٦.
(٢) في هـ. ص: أي معبّر عنه، أي: يستدل على عقل المرسل باختيار الرسول.
(٣) في ص: من، وفي أ: من، ما ــ معاً ــ.

[٣٠٢]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

مَا ٱلْمُبْتَلَى ٱلَّذِي قَدِ ٱشْتَدَّ بِهِ ٱلْبَلاءُ بِأَحْوَجَ إِلَى ٱلدُّعاءِ مِنَ ٱلْمُعافَى ٱلَّذِي لايَأْمَنُ ٱلْبَلاءَ.

(ح ـ ٣٠٢) **الدعاء ضرورة الحياة:**

الدعاء حالة معنوية يفتقر اليها الإنسان في الحياة؛ لانه صلة مباشرة بين العبد وربه يستعين به على قضاء حوائجه في كلّ الحالات؛ لأنّه واهب الحياة والقادر على كلّ شئ فيحتاج إلى الدعاء كلّ انسان في كل مرحلة من مراحل الحياة، والمبتلى وهو المتحن الذي قد اشتد به البلاء والامتحان بأي نوع من الامتحان كالمرض مثلا يكون أكثر احتياجاً للدعاء وبنفس الدرجة التي يحتاج إليه الذي هو في الصحة مأمونا من المرض ؛ لانها معا يفتقران الى رحمة الله في كلّ لحظة من الحياة، قال تعالى:﴿و اذا سألك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان﴾ (١).

[٣٠٣]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

ٱلنّاسُ أَبْناءُ الدُّنْيا، وَلايُلامُ ٱلرَّجُلُ عَلى حُبِّ أُمِّهِ(٢).

(ح ـ ٣٠٣) **حب الدنيا:**

الحب للدنيا امر طبيعيّ للحاجة اليها في الحياة اليومية من السكن والغذاء، فكما أن الام هي التي تولد الانسان؛ فإنّ الارض هي الوطن الأم التي ترعى الإنسان بالسكنى والغذاء من خيراتها الحيوانية والنباتية، فلا لوم في ذلك؛ لأنّ حب الوطن من الايمان.

---

(١) البقرة: ١٨٦.

(٢) في هـ. ص: أي عقلاً وإن عيب شرعاً.

[٣٠٤]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

إِنَّ ٱلْمِسْكِينَ رَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ فَمَنْ مَنَعَهُ فَقَدْ مَنَعَ اللّهَ، وَمَنْ أَعْطاهُ فَقَد أَعْطَى ٱللّهَ.

(ح - ٣٠٤) المسكين:

المسكين هو المحتاج إلى قوت يومه ويجب عليه تحصيل ما يقوت به هو وعياله، وفي حالة العجز لابد من السؤال ممّن يحتفظ بحقه، قال تعالى:﴿وفي اموالهم حق معلوم للسائل والمحروم﴾.(١) فهو بمطالبته حقه يطبق قوله تعالى:﴿خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها﴾ (٢) فيكون في سؤاله عن حقه رسولاً من الله سبحانه يطلب بحقه بامر من الله.

ومن لا يستجيب لامر الله فيمنعه (فمن منعه فقد منع الله) كما أن من يستجيب لامر الله تعالى يعطيه (ومن أعطاه فقد أعطى الله) حيث ادى حق الله في عباد الله.

[٣٠٥]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

ما زَنى غَيُورٌ قَطُّ(٣).

(ح - ٣٠٥) الزنا:

الغيرة: النفرة عن هتك الاعراض، والعلاقة الزوجية المشروعة قانونيا هي الوسيلة الوحيدة للمحافظة على الاعراض المحترمة، ومن يؤمن بهذا المبدأ لا يمكن أن يقوم بمخالفة القانون بنفسه؛ فإنّ هتك عرض الآخرين بالزنا يساوق هتك الآخرين لعرضه بالزنا؛ فإنّ الغيرة على عرضه تستلزم الغيرة على عرض الآخرين، فمن يزني لا يمكن آن يكون غيوراً، ومن لا يغار لا يحترم القانون الانساني.

---

(١) الذاريات : ١٩.

(٢) التوبة : ١٠٣.

(٣) في هـ. ص: الغيرة من علوّ الهمّة، فيغار على الحرم كلّها.

[٣٠٦]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

كَفى بِالْأَجَلِ حارِساً.

(ح ـ ٣٠٦) الاجل حارس:

الاجل: هو الوقت الذي حدده الله سبحانه لنهاية الحياة، قال تعالى:﴿هو الذي خلقكم من طين ثمّ قضى اجلا واجل مسمى عنده﴾ (١) وقال: ﴿فاذا جاء اجلهم لا يستقدمون ساعة ولا يستأخرون﴾ (٢) فلا تكون الحوادث والكوارث الا اسباب متزامنة مع الاجل المقدر من قبل الله ولا يعلمها غيره، فيكون الاجل حارساً للانسان حتّى موعده المقدر والذي لا يعلمه احد من البشر.

[٣٠٧]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

يَنامُ ٱلرَّجُلُ عَلَى ٱلثُّكْلِ، وَلايَنامُ عَلَى ٱلْحَرَبِ.

قال السيّد(٣): وَمَعْنى ذلِكَ أَنَّهُ يَصْبِرُ عَلى قَتْلِ ٱلْأَوْلادِ وَلايَصْبِرُ عَلى سَلْبِ ٱلْأَمْوالِ.

(ح ـ ٣٠٧) حدود الصبر:

(الثكل: موت الولد، والحرب – محركة –: السلبية).

تشير الحكمة إلى اثر اعمال العنف غير المتوقعة ومنها التسلط على المال بالاغتصاب والقوة؛ فإنّ هذا ينبئ عن قلق الإنسان ويسلب منه النوم؛ لأنّ المغتصب للمال بالقوة ايضا يمكنه استخدام القوة في قتل النفوس البرئية وقد يشجعه الفوز بمال النهب أن يكرر المحاولة مع الاخرين.

وهذا بخلاف الثكل؛ فإنّ موت الولد مهما كان ثقيلاً على الإنسان فانه لا يكون امرا غير طبيعي، بل ان كلّ انسان يعلم بأن مصيره الموت عاجلا أم اجلاً، فلا يسلب النوم من

---

(١) الانعام : ٢.

(٢) الاعراف : ٣٤.

(٣) من ط لم ترد «قال السيّد» في أ ب ص د.

الإنسان بدرجة ما يسلبه الأمر غير المتوقع.

[٣٠٨]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

مَوَدَّةُ ٱلْآباءِ قَرابَةٌ بَيْنَ[١] ٱلْأَبْناءِ، وَٱلْقَرابَةُ أَحْوَجُ إِلَى ٱلْمَوَدَّةِ مِنَ ٱلمَوَدَّةِ إِلَى ٱلْقَرابَةِ.

(ح ـ ٣٠٨) مودة الاباء:

لكل فعل رد فعل، ومن اثار المودة بين الاباء أن ترثها الأبناء، فيتوددون فيما بينهم، وان هذه المودة بحكم الميراث تصبح قرابة تقربهم البعض إلى البعض، كما يتوارث الأبناء المال من آبائهم، ثم أشار إلى أن هذه القرابة افضل من القرابة بالنسب وحدها؛ لأنّ القرابة بالنسب من دون مودة تكون قرابة فاقدة للروح، وان القرابة في النسب تفتقر إلى المودة بل أن افتقارها إلى المودة اكثر من افتقار المودة إلى القرابة، حيث أن المودة قد توجد بدون القرابة فتكون أشدّ قوة، قال الشريف الرضي (ت /٤٠٦):«وربّ اخ لي لم تلده امي» وصدق رحمه الله.

[٣٠٩]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

ٱتَّقُوا ظُنُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ، فَإِنَّ ٱللهَ جَعَلَ ٱلْحَقَّ عَلى أَلْسِنَتِهِمْ.

(ح ـ ٣٠٩) ظن المؤمن:

(الظن: الطرف الراجح من الاحتمال، والشك: تساوي طرفي الاحتمال).

والمؤمن حقاً يكون على صفاء الضمير والباطن كالمرآة الصافية التي لم يطرأ عليها الصداء فان الذنوب والاهواء والمعصية تعكس في القلب الحقائق ، وتؤثر في جميع الجوارح، فالمؤمن لايمكن للسانه الكذب ولا يده البطش بغير الحق ولا فكره من التفكير الباطل، وكذلك ظنه فلا يظن إلّا ما يكون صادقا؛ لأنّ الله سبحانه اكرمهم بهذه الفضيلة

(١) في هـ. د: لم ترد «بين» في ف.

نتيجة لطهارة قلوبهم، جعلنا الله منهم.

[٣١٠]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

لايَصْدُقُ إيمانُ عَبْدٍ حَتّى يَكُونَ بِما فِي يَدِ ٱللّٰهِ سُبْحانَهُ أَوْثَقَ مِنْهُ بِما فِي يَدِهِ.

(ح ـ ٣١٠) صدق الايمان:

الايمان يقوم على الاعتقاد بالجنان والاقرار باللسان والعمل بالاركان، وباكتمال هذه المراتب الثلاث يكون الايمان صادقا، وبدرجة النقص في احداها يكون ناقصا، ويستلزم ذلك الايمان بان الله على كلّ شئ قدير، وان الإنسان في كلّ ما اعطاه الله ربه فقير فلا يصدق الايمان حقاً حتّى يكون بما في يد الله تعالى من القدرة والخير اوثق منه بما في يده من القدرة والخير، فيعمل بما اقر به واعتقده ولا يتخلف عن المقصد.

[٣١١]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ لأنس بن مالك ، وقد كان بعثه إلى طلحة والزبير لما جاء إلى البصرة يذكرهما شيئا قد سمعه من رسول الله صلى الله عليه وآله في معناهما ، فلوى عن ذلك فرجع إليه ، فقال : إني أنسيت ذلك الامر ، فقال عليه السلام :

إن كنت كاذبا فضربك الله بها بيضاء لامعة لا تواريها العمامة .

قال الرضي : يعنى البرص ، فأصاب أنسا هذا الداء فيما بعد في وجهه ، فكان لا يرى إلاّ مبرقعا.

(ح ـ ٣١١) دعاء الامام:

قال ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في شرح نهج البلاغة، ما نصّه:«المشهور أن عليا عليه السلام ناشد الناس الله في الرحبة بالكوفة ، فقال : أنشدكم الله رجلا سمع رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لي وهو منصرف من حجة الوداع : من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه، فقام رجال فشهدوا بذلك ، فقال عليه السلام لأنس بن مالك : لقد حضرتها ، فما بالك ! فقال : يا أمير المؤمنين كبرت سني ، وصار ما أنساه أكثر مما أذكره ، فقال له : إن كنت كاذبا

فضربك الله بها بيضاء لا تواريها العمامة ، فما مات حتى أصابه البرص . فاما ما ذكره الرضي من إنه بعث أنسا إلى طلحة والزبير فغير معروف ، ولو كان قد بعثه ليذكرهما بكلام يختص بهما من رسول الله ﷺ يرجع ، فيقول إني أنسيته ، لأنه ما فارقه متوجها نحوهما إلا وقد أقر بمعرفته وذكره ، فكيف يرجع بعد ساعة أو يوم فيقول إني أنسيته ، فينكر بعد الاقرار ! هذا مما لا يقع . وقد ذكر ابن قتيبة حديث البرص ، والدعوة التي دعا بها أمير المؤمنين عليه السلام على أنس بن مالك في كتاب المعارف في باب البرص [١] من أعيان الرجال ، وابن قتيبة غير متهم في حق علي عليه السلام ، على المشهور من انحرافه عنه». [٢]

قال الجلالي: وهذا الانكار بعد الاقرار الذي هو مما لا يقع قد وقع فعلا ما يشابهه، وهو دعواه ان ما انساه اكثر من اذكره؛ اذ كيف ينسى امراً عاما بهذا المستوى من الإعلان؟ مهما طال الغمر بالإنسان إلّا أن يصاب بالخلل في العقل ويبتلي بالهذيان، ويستحق الدعاء عليه بأن يجعله الله من البرصان. ومن ينكر امراً كهذا الذي اتفق عليه الرواة لا يستبعد منه الانكار بعد الاقرار، ولعل الإمام كلفه برسالة من نقاط متعددة كانت هذه أحدها ولم يبلغها لشدة حجتها واكتفى بما استساغ منها.

وكان مالك ابن انس يبلغ من العمر حين حرب البصرة عام ٣٦ حوالي ٥٦ عاماً؛ حيث قال: انّه كان له من العمر عند وفاة النبي عشرين عاما، والعمر ٥٦ ليس من الشيخوخة المستوجبة للنسيان عادة، والله اعلم.

قال أبن الأثير في أسد الغابة:« ب د ع، أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد ابن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار واسمه تيم الله بن ثعلبة بن عمرو ابن الخزرج بن حارثة الأنصاري الخزرجي النجاري من بني عدى بن النجار خادم رسول الله ﷺ كان يتسمى به ويفتخر بذلك وكان يجتمع هو وأم عبد المطلب جدة النبي ﷺ واسمها سلمى بنت عمرو بن زيد بن أسد ابن خداش بن عامر في عامر بن غنم وكان يكنى أبا حمزة كناه النبي ﷺ ببقلة كان يجتنيها وأمه أم سليم بنت ملحان ويرد نسبها عند اسمها وكان يخضب بالصفرة وقيل: بالحناء وقيل: بالورس وكان يخلق ذراعيه بخلوق

---

(١) المعارف : ٥٨٠.
(٢) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٩ : ٢١٧ ـ ٢١٨.

للمعة بياض كانت به وكانت له ذؤابة فأراد أن يجزها فنهته أمه وقالت كان النبي يمدها ويأخذ بها وداعبه النبيﷺ فقال له: يا ذا الاذنين وقال محمّد بن عبد الله الأنصاري: حدثني أبي عن مولى لأنس بن مالك أنه قال لأنس: أشهدت بدرا مع رسول اللهﷺ؟ قال: لا أم لك وأين غبت عن بدر؟ قال محمّد بن عبد الله: خرج أنس مع رسول اللهﷺ إلى بدر وهو غلام يخدمه وكان عمره لما قدم النبيﷺ المدينة مهاجرا عشر سنين، وقيل: تسع سنين، وقيل: ثماني سنين.

وروى الزهري عن أنس قال: قدم النبيﷺ المدينة وأنا ابن عشر سنين وتوفى وأنا ابن عشرين سنة وقيل: خدم النبيﷺ عشر سنين وقيل: خدمه ثمانيا وقيل: سبعا أخبرنا إسماعيل بن عبيد الله وأبو جعفر وإبراهيم بن محمّد باسنادهم إلى أبى عيسى قال: حدثنا محمود بن غيلان أخبرنا أبو داود عن أبي خلدة قال: قلت لأبي العالية سمع أنس من النبيﷺ قال: خدمه عشر سنين ودعا له النبي ﷺ وكان له بستان يحمل الفاكهة في السنة مرتين وكان فيه ريحان يجئ منه ريح المسك أبو خلدة اسمه خالد بن دينار وقد أدرك أنس بن مالك وأخبرنا أبو حفص عمر بن محمّد بن معمر بن طبرزد البغدادي وغيره قالوا أخبرنا أبو القاسم هبة الله بن عبد الواحد أخبرنا أبو طالب محمّد بن محمّد بن غيلان أخبرنا أبو بكر محمّد بن عبد الله بن إبراهيم أخبرنا عبد الله بن أحمد بن حنبل وزهير بن أبي زهير قالا أخبرنا عبد الله بن مسلمة بن قعنب أخبرنا سلمة بن وردان قال: سمعت أنس بن مالك يقول ارتقى النبيﷺ على المنبر درجة فقال: آمين فقيل له علام أمنت يا رسول الله فقال: أتاني جبريل فقال: رغم أنف من أدرك رمضان فلم يغفر له قل آمين.

وروى ابن أبي ذئب عن إسحاق بن يزيد قال: رأيت أنس بن مالك مختوما في عنقه ختمه الحجاج أراد ان يذله بذلك وكان سبب ختم الحجاج أعناق الصحابة ما ذكرناه في ترجمة سهل بن سعد الساعدي وهو من المكثرين في الرواية عن رسول اللهﷺ روى عنه ابن سيرين وحميد الطويل وثابت البناني وقتادة والحسن البصري والزهري وخلق كثير وكان عنده عصية لرسول اللهﷺ فلما مات أمر أن تدفن معه فدفنت معه بين جنبه وقميصه أخبرنا أبو ياسر عبد الوهاب بن هبة الله باسناده إلى عبد الله بن أحمد قال: حدثني أبي أخبرنا يزيد أخبرنا حميد الطويل عن أنس بن مالك قال: أخذت أم سليم بيدي فأتت

بي رسول الله ﷺ فقالت يا رسول الله هذا ابني وهو غلام كاتب قال: فخدمته تسع سنين فما قال لي لشئ قط صنعته: أسأت أو بئس ما صنعت. ودعا له رسول الله ﷺ بكثرة المال والولد فولد له من صلبه ثمانون ذكرا وابنتان إحداهما حفصة والأخرى أم عمرو ومات وله من ولده وولد ولده مائة وعشرون ولدا وقيل: نحو مائة وكان نقش خاتمه صورة أسد رابض وكان يشد أسنانه بالذهب وكان أحد الرماة المصيبين ويأمر ولده ان يرموا بين يديه وربما رمى معهم فيغلبهم بكثرة اصابته وكان يلبس الخز ويتعمم به واختلف في وقت وفاته ومبلغ عمره فقيل توفى سنة إحدى وتسعين وقيل: سنة اثنتين وتسعين وقيل: سنة ثلاث وتسعين وقيل: سنة تسعين قيل: كان عمره مائة سنة وثلاث سنين وقيل: مائة سنة وعشر سنين وقيل: مائة سنة وسبع سنين، وقيل: بضع وتسعون سنة، قال حميد: توفى أنس وعمره تسع وتسعون سنة، أما قول من قال: مائة وعشر سنين ومائة وسبع سنين فعندي فيه نظر؛ لأنه أكثر ما قيل في عمره عند الهجرة: عشر سنين، وأكثر ما قيل في وفاته: سنة ثلاث وتسعين، فيكون له على هذا مائة سنة وثلاث سنين، وأما على قول من يقول إنه كان له في الهجرة سبع سنين أو ثمان سنين فينقص عن هذا نقصا بينا، والله أعلم، وهو آخر من توفى بالبصرة من الصحابة وكان موته بقصره بالطف، ودفن هناك على فرسخين من البصرة، وصلى عليه قطن بن مدرك الكلابي، أخرجه الثلاثة».(١)

[٣١٢]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

إِنَّ لِلْقُلُوبِ إِقْبَالاً وَإِدْباراً، فَإِذَا أَقْبَلَتْ فَاحْمِلُوهَا(٢) عَلَى النَّوَافِلِ، وَإِذَا أَدْبَرَتْ فَاقْتَصِرُوا بِهَا عَلَى ٱلْفَرَائِضِ.

(ح ـ ٣١٢) استعداد القلوب:

(الاقبال: الرغبة في الشيء، والادبار: الاعراض عنه).

وتشير الحكمة إلى أن العبادة ـ كسائر الاعمال في الحياة ـ يفتقر إلى استعداد لها من

---

(١) أسد الغابة ؛ لابن الأثير ١ : ١٢٧ – ١٢٩.

(٢) في هـ. د: فاحملها ـ ب.

حيث الزمان والمكان والشرائط، فالعبادة انما تؤثر اثرها الروحي في الإنسان حينما تجتمع الشرائط فيرغب الانسان الى ان يقوم إلى الله تعالى بروح طاهرة بعيدة عن الضوضاء والرياء في اوقات الاسحار، وفي جوف الليل، وفي اماكن العبادة ومظان الاجابة، ففى مثل هذه الحالات ينبغي حمل القلوب العبادات المستحبة من النوافل، دون غيرها ففى حالة عدم الرغبة يجب الاقتصار على الفرائض؛ فإنّها لا تترك على اي حال وفي أي وقت حتّى بالايماء والاشارة.

[٣١٣]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

فِي ٱلْقُرْآنِ[١] نَبَأُ مَا قَبْلَكُم، وَخَبَرُ مَا بَعْدَكُمْ، وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ.

(ح ـ ٣١٣) **القرآن دستور المسلمين:**

يعتبر القرآن الكريم الدستور الدائم لحياة للانسان المسلم؛ فإنّ الحياة تستمد قوتها من التجارب الماضية، وعليها تبنى الحياة الحاضرة، كما يبنى الحياة في المستقبل، وهذه السلسلة المترابطة من الماضي والحال والمستقبل هي ما يقسمه القرآن الكريم باعتباره القانون الاسلامي للانسان المسلم ، وهي:

اولا: (وفي القرآن نبأ ما قبلكم) من الامم التي جاءت وسادت ثم بادت لعوامل الضعف فيها من المبادئ والتطبيق المشروحة في كتب التاريخ .

ثانياً: المستقبل: (وخبر ما بعدكم) من المصير المشابه للامم الماضية في الدنيا والحياة بعد الدنيا في الآخرة.

ثالثاً: الحاضر (وحكم ما بينكم) مما يفتقر إليه الإنسان في حياته من الولادة إلى الوفاة، من الانظمة والقوانين في مجال العبادات والاجتماع والاقتصاد والسياسة والفتوحات التي تبتني على المبادي والوسائل والاهداف الاسلامية كما هو مشروح في الفقه الاسلامي، فان القرآن الكريم دستور شامل للحياة.

---

(١) في هـ. د: وفي ـ ب.

[٣١٤]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

رُدّ[١] الحَجَرَ مِنْ حَيْثُ جاءَ، فإِنَّ الشَّرَّ لا يَدْفَعُهُ إِلَّا الشَّرُّ.

(ح ـ ٣١٤) دفع الشر:

السكوت على الاعتداء يكون تشجيعاً للمعتدي فيجب الدفاع بما يوقف المعتدي عند حدّه، ويجب ذلك بالطرق التي يفهمها المعتدي، فاذا استخدم القوّة في اعلان الشر والبدء بالعدوان فلابد من الرد على الاعتداء بالقوة ايضاً، حيث أن المعتدي باعتدائه اثبت انّه لا يمكن مدافعته إلّا بالقوة، فان الشر المعلن لا يدفعه الا قوة معادلة كذلك وهو الشر الذي لابدّ منه في الدفاع عن النفس، ولولاه لتشجع الجاني المعتدي في جنايته واستمر على الاعتداء، وطبيعيّ أن يتحدد ذلك بالضوابط المطلوبة اسلاميا.

[٣١٥]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ: لِكاتِبِهِ عُبَيْدِ ٱللّٰهِ بْن أبي رَافِع:

أَلِقْ دَوَاتَكَ، وأَطِلْ جِلْفَةَ قَلَمِكَ، وفَرِّجْ بَيْنَ السُّطُورِ، وقَرْمِطْ بَيْنَ ٱلحُرُوفِ؛ فإِنَّ ذَلِكَ أَجْدَرُ بِصباحَةِ الخَطِّ.

(ح ـ ٣١٥) حسن الخط:

تحدد الحكمة نقاطا اربعة ضرورية في حسن الخط اوصى بها كاتبه عبيد الله بن أبي رافع القبطي، وهي:

أوّلاً: (ألق دواتك) الدواة: المحبرة التي تحتفظ بالحبر للكتابة، والليقة: ريشة يحشى بها المحبرة لحفظ المادة وطراوتها عند الاستخدام، ويستغنى عنها في هذا العصر لكثرة انواع الاقلام.

ثانياً: (وأطل جلفة قلمك) الجلفة: راس القلم، وفي اوصاف القلم طولا وعرضا ورقّة وثخنا خصائص يستعرضها الخطاطون ويذكرها الفنانون لمختلف حاجاتهم في كتبهم

(١) في أ: رُدّ ورَدُّ معاً، وفي د: ردّوا، وفي هـ. د: ردا الحجر ـ ف.

ورسائلهم في هذا الفن. ومن الطبيعي أن اطالة راس القلم يجعل الكتابة اوضح وأجمل.

ثالثاً: (وفرج بين السطور) والفرجة: المسافة، فإنّها تميز الكلمات من أن تداخل بعضها بالبعض الآخر فتلتبس قراءتها.

رابعاً: (وقرمط بين الحروف) والقرمطة: تصغير الشئ حجماً، والقرمطة بين الحروف قربها من سائر حروف الكلمة، فلا تلبس الكلمة بما شابهها من التصحيفات الطارئة بسبب تشابه الحروف باستطالة الكلمة، وعن حكمة هذه النقاط الاربع قال:

(فإن ذلك أجدر بصباحة الخط) والصباحة: الوضوح، كوضوح النهار صباحاً؛ فإنّ هذه النقاط الاربع اصول حسن الخط المستخدمة المتطورة في العصور المتاخرة حتّى العصر الحاضر.

وعبيد الله بن أبي رافع القبطي ذكره الشيخ الطوسي (ت /٤٦٠) من اصحاب علي، فقال ما نصّه: «عبيدالله بن أبي رافع كاتبه عليه السلام».(١)

قال الجلالي: اختلف في اسمه هل هو «أسلم» أم «إبراهيم»، وهو مولىٰ قبطي، وقيل: كان مولىٰ للعبّاس بن عبد المطلب فوهبه للنبي صلى الله عليه وآله، ولمّا بُشّر النبي بإسلام العبّاس أعتقه النبي صلى الله عليه وآله، وكان ابنه عبيداللّٰه كاتباً لأمير المؤمنين علي عليه السلام في خلافته كلّها.

قال النجاشي: «أسلم قديماً بمكّة، وهاجر إلى المدينة، وشهد مع النبيّ صلى الله عليه وآله مشاهده ولزم أمير المؤمنين علي عليه السلام من بعده، وكان من خيار الشيعة، وشهد معه حروبه وكان صاحب بيت ماله بالكوفة. وإبناه عبيداللّٰه وعلي كاتبا أمير المؤمنين عليه السلام.

وممّا قاله أبو رافع القبطي: «هاجرت الهجر الثلاث، وفسّرها بقوله: هاجرت مع جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه إلى أرض الحبشة، وهاجرت مع رسول اللّٰه صلى الله عليه وآله إلى المدينة، وهذه الهجرة مع علي بن أبي طالب عليه السلام إلى الكوفة». ولم يزل مع علي عليه السلام حتى استشهد أمير المؤمنين عليه السلام، فرجع أبو رافع إلى المدينة مع الحسن عليه السلام وتوفي في أيام معاوية. ولكلّ من ولديه ذريّة على رأيه من الانقطاع إلى أهل البيت عليهم السلام.

من آثاره: السنن والأحكام والقضايا، ويوجد اليوم كتاب يعرف بالديات؛ لظريف بن

(١) رجال الطوسي: ٤٧، ط /النجف، ١٣٨١.

ناصح، أورد نصّه كل من الصدوق في الفقيه. والطوسي في تهذيب الأحكام، وقد صرّح الشيخ الطوسي في كتاب الرجال بأنّ هذا الكتاب ليس لظريف بل هو راوٍ له. فقال ما لفظه: «أحمد بن أبي عمر الطبيب الكوفي يروي كتاب الديات عن أبي عبد اللّه، وهو المنسوب إلى ظريف بن ناصح؛ لأنّه طريقه».

وقال الإمام الصادق عليه السلام عن الكتاب: «هو حقّ. وقد كان أمير المؤمنين عليه السلام يأمر عمّاله بذلك ». (انظر: تهذيب الاحكام ١٠: ٢٩٥).

ومن ذلك استظهر شيخنا العـلّامة بأنّ مؤلّف الكتاب هو الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام ، وأنّه كتبه إلى أُمرائه ورؤوس أجناده. وكتب سائر الشيعة في عصره عن إملائه أو عن خطّه . (انظر: الذريعة ٢: ١٦٣).

قال الجلالي: والمتتبع في النّص يجد تعبيرات كقوله: «أفتى عليه السلام» و «قضى عليه السلام» راجع التهذيب ١٠:٢٩٥ ـ ٣٠٨، وهذا يعني أنّه كتاب في القضاء عن الامام، ولم ينقل أنّه عليه السلام كتب في القضاء شيئاً، وهذه التعبيرات تشهد أنّ أحداً من أصحابه جمع عنه عليه السلام، أو هو أمر عمّاله بذلك. ونجد أنّ أبا رافع القبطي من أصحاب الإمام علي عليه السلام، ألّف كتاباً يشتمل على القضاء.

وقد ذكر النجاشي إليه أسانيد منها: عن محمّد بن جعفر النحوي، قال: حدّثنا أحمد بن محمّد بن سعيد، قال: حدّثنا حفص بن محمّد بن سعيد الأحمسي ، قال: حدّثنا حسن بن حسين الأنصاري، قال: حدّثنا علي بن القاسم الكندي، عن محمّد بن عبيد اللّه بن أبي رافع، عن أبيه، عن جدّه أبي رافع، عن علي بن أبي طالب عليه السلام.

وطرق الرواية عن ظريف بن ناصح راوي النسخة، ذكرها يحيى بن سعيد الحلّي (ت/٦٨٩ هـ) في الجامع للشرائع :٦٠٦. (وراجع: رجال النجاشي : ٤ و ٥ والدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة : ٣٧٣، ومؤلّفوا الشيعة، لشرف الدّين : ١٩).

[٣١٦]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

أنا يَعْسُوبُ المُؤْمنين، والمَالُ يَعْسُوب الْفُجَّارِ.

وقالَ[١]: ومَعْنَى ذَلِكَ أنَّ المُؤْمِنِينَ يَتَّبِعُونَني، والْفُجَّارُ يَتَّبِعُون المَالَ، كما يَتَّبِعُ النَّحْلُ يَعْسُوبَها، وهُوَ رَئِيسُها.

(ح - ٣١٦) **القائد الاسلامي :**

اليعسوب: ملك النحل الذي يتبعها كلّ فرد من افراد الخلية في نظام دقيق شرحها اهل الاختصاص في دراساتهم لخلايا النحل.

فان موقع الرئيس فيها موقع قيادي يدافع عنه كلّ الافراد بانضباط عسكري لتنفيذ خطواته بعلامات خاصة بها، والخلايا مصونه عن الانظار وتشبه نوعا ما سيرة النمل في جمع الاقوات واللقاء في المسير بين افراد النمل فرداً فرداً، واستعلام الحال، من العبرة ما يدل على ما في مخابئها من نظام دقيق غير مرئي، وقد اكتشف الباحثون طرق التفاهم بينها بالحركات، ومنها عدد الدورات في الطيران وكيفيتها، والله اعلم بمالم يكتشف بعد.

والإمام يشير الى ان القائد هو الرمز الذي يلتف حوله كلّ من يؤمن به في الحياة؛ لأنّه هو الشعار الموحد للامة: كما أن المال هو الشعار الذي يوحد الفجار وحسب تلك المصالح تكون وحدتهم في المواقف وباية حادثة حقيقية أو مفتعلة يوجب ضغف المال فانه ستتفرق الوحدة وتوجب الانقلاب على التجار من الفجار، دون المؤمنين الذين يلتفون حول الشعار للعقيدة، ويحاربون الكفار، فإنّه يوحدهم رضى الواحد القهار.

[٣١٧]

وَقالَ لبعضِ اليهودِ حينَ قالَ لهُ: ما دَفَنْتُمْ[٢] نَبِيَّكُمْ حَتَّى اخْتَلَفْتُمْ فيه[٣]! فقالَ لهُ: إنَّما اخْتَلَفْنا عَنْهُ، لا فِيهِ؛ وَلَكِنَّكُمْ ما جَفَّتْ أرْجُلُكُمْ منَ الْبَحْرِ حَتَّى قُلْتُمْ لِنَبِيِّكُمْ: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلهاً كَما لَهُمْ آلِهةٌ فقالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُون﴾[٤].

---

(١) لم ترد «قال» في أ و ص و د.
(٢) العبارة في أ و ص و د: وقال له بعض اليهود: ما دفنتم، وفي د: قال له عليه السلام .
(٣) لم ترد «فيه» في أ و ص.
(٤) الأعراف : ٧ / ١٣٨.

(ح - ٣١٧) **الاختلاف:**

تختلف الاحاديث المروية عن النبيﷺ اختلافاً كبيراً في نصوصها بما تؤثر على مفاهيمها التي قد يصل الى حد التعارض وتسبب الحيرة ولا ترتفع إلّا باجتهاد اهل الخبرة. وقد أثر ذلك في حدوث مذاهب اسلامية مختلفة باد ما باد منها وساد منها ما ساد.

وللمقارنه راجع لباب النقول في موافقات جامع الاصول لابن الاثير (ت /٦٣٦) وقد اتخذ اعداء الاسلام هذا نقداً على المسلمين تجاهلا للاسباب الداعية إلى الاختلاف، وقد اجاب الإمام عن هذا النقد بجوابين؛ حلّي ونفقضي، بقوله:

أوّلاً: (إنما اختلفنا عنه لا فيه) والفرق بينهما لمن يتكلم العربية واضح؛ فإنّ المسلمين انما اختلفوا في الروايات المرويّة عن الرسول واختار كل واحد منهم الطريقة المعتبرة في الرواية عنهﷺ مع اتفاقهم جميعاً على نبوة النبيﷺ وخاتمتية رسالته، فلا اختلاف في النبيﷺ.

ثانيا: (ولكنكم ما جفّت أرجلكم من البحر حتّى قلتم لنبيكم: ﴿اجعل لنا الٰها كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون﴾ [1]؛ فإنّ القوم اختلفوا في النبي موسى ولم يؤمنوا بما دعا اليه من الوحدانية وطلبوا منه أن يقلد المشركين باتخاذهم أصناما للعبادة كما عليه المشركون، والمؤمن بنبوة موسى يجب أن يؤمن بالوحدانية بعبادة الله وحده لا الاصنام، فمن اتبعه على الوحدانية من اليهود لم يختلف في النبي موسى، وهؤلاء الطالبين للاصنام كالمشركين على خلاف الفريق المؤمن، فحصل الخلاف في نبوة موسىعليه السلام من اليهود وفي عصر موسى نفسه وليس بعد موته بالمطالبة بعبادة الاصنام، وهذا ما لم يحصل للمسلمين.

[٣١٨]

وقِيلَ لَهُ عليهِ السَّلامُ [2]: بأيِّ شَيءٍ غَلَبْتَ الأقْرَانَ؟ فقالَ [3]:

(١) لقوله تعالى في سورة الاعراف: ١٣٨.
(٢) لم ترد «عليه السلام» في أ، وفي هـ. د: وقد قيل له ـ م.
(٣) في ط: قال، وفي أ: قال عليه السلام.

ما لَقِيتُ أحَداً[١] إلّا أعانَني عَلى نَفْسِهِ.

قالَ الرَّضيُّ رحمهُ الله تعالىٰ[٢]: يُومِئُ بِذَلِكَ إلَى تَمَكُّنِ هَيْبَتِهِ في الْقُلُوبِ.

(ح ـ ٣١٨) غلبة الاقران:

القرين: الكفؤ في المبارزة في ساحة الحرب، وكفاءة الطرفين في المبارزة تقتضي عدم الغلبة لاحد منهما على الآخر، في حين أن تاريخ حياة الإمام في الغزوات في عصر الرسالة حافل بالغلبة من جهة الإمام، ومن هنا استحق السؤال لمعرفة السبب في ذلك.

وقال الإمام في الجواب:

(ما لقيت رجلا إلّا أعانني على نفسه) اشارة إلى عامل العقيدة التي تتحكم في المواقف؛ فإنّ الإمام يتحرك برؤية واضحة في حرب عقائدية مستقيما في سبيل الله، بينما العدو يتحرك بالاعتماد على الوسائل الماديّة الواقية لنفسه من الموت، وهذه النظرة المادية إلى الامور تجعل الاقران في جانب الضعف لانهم يفضلون الحياة على الموت ويتحركون بروح المحافظة على النفس، بينما الإمام بحكم خبرته الطويلة في الحروب ينظر إلى الوسيلة التي يعتبرها العدو افضل وسيلة للحصانة يعلنها في المعركة فيقف على نقطة الضعف فيه فيحاربه الإمام من هذه الزاوية فيكون العدو معينا للإمام على نفسه بتصرفه الكاشف عن نقاط ضعفه، والله العالم.

[٣١٩]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ لابْنِهِ مُحَمَّدِ بْنِ ٱلْحَنَفِيَّةِ[٣]:

يا بُنَيَّ إنِّي أخافُ عَلَيْكَ ٱلْفَقْرَ، فاسْتَعِذْ باللّهِ مِنْهُ، فإنَّ الْفَقْرَ مَنْقَصَةٌ للدِّين، مَدْهَشَةٌ لِلْعَقْلِ، دَاعِيَةٌ لِلْمَقتِ.

(ح ـ ٣١٩) خصائص الفقر:

اشار الإمام إلى خصائص ثلاثة للفقر توجب الحذر منها، خوفا من التلبس بها، وخص

---

(١) في هـ. د: رجلاً ـ ب.

(٢) لم ترد «قال الرضي رحمه الله تعالى» في أ و ص و د.

(٣) في أ و ص: محمّد رحمه الله.

ابنه محمّد ابن الحنفية بها لحاجة يراها فيه دون غيره، وربما بسبب انفراده عن الاخوين الحسن والحسين في النسب، فقال:

(يا بني إني أخاف عليك الفقر)؛ لأنّ سائر الاخوة لها حصانتها بانتسابها الى النبي الشريف، فالواجب التحصن من الفقر بما يتيسر، ومن ذلك الدعاء فقال:

(فاستعذ بالله منه)؛ فإنّ الله سبحانه هو القادر على التحصين منه بما لا يخطر على بال بشر، وعن اسباب الخوف قال:

اولا: (فإن الفقر منقصة للدين)؛ فإنّه بسبب الفقر لا يتمكن الإنسان من الانفاق على الآخرين من المحتاجين، والانفاق من اهداف الاسلام في تشريعاته ونظرياته .

ثانياً: (مدهشة للعقل) حيث تتضايق الامور فلا يهتدى العقل للخروج من الفقر.

ثالثاً: (داعية للمقت) وهو السخط الشديد؛ فإنّ تاريخ الثورات في العالم يشهد بأن السخط من الشعوب إنّما كانت بسبب الفقر، وعاضدها الفقراء من المجتمع والمتعاطفين معهم واستخدمتها المعارضة السياسية حجة للقضاء على مناوئيهم، وقد يؤثر المقت في العقيدة، وصدق الرسول القائد في قوله:«كاد الفقر أن يكون كفراً».

فان دعاة الكفر يستخدمون ذلك في سياستهم للتجويع وقالوا: «اجع كلبك حتّى يتبعك» ﴿ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين﴾[١].

[٣٢٠]

وَقالَ لسائل سأله عن معْضِلَةٍ[٢]:

سَلْ تَفَقُّهاً، وَلَا تَسْأَلْ تَعَنُّتاً[٣]، فَإِنَّ ٱلجَاهِلَ ٱلْمُتَعَلِّمَ شَبِيهٌ بِالْعَالِمِ، وَإِنَّ العَالِمَ الْمُتَعَنِّتَ[٤] شَبِيهٌ بِالْجاهِلِ الْمُتَعَنِّتِ[٥].

---

(١) آل عمران : ٥٤.
(٢) في ط: مسألة.
(٣) في هـ. د: متعنتاً ـ ع.
(٤) في د: المتعسّف، وفي هـ. د: المتعنّت ـ ح م.
(٥) لم ترد «المتعنّت» في ب ص ط، وفي هـ. د: «المتعنّت» ساقطة من ض ح م ل. هذا وقفي «أ» هنا سقط مقدار ورقة الى الحكمة (٣٥٠) واكملت بخط مغاير.

(ح ـ ٣٢٠) السؤال للفهم:

تستعرض الحكمة حقيقة السؤال؛ فإنّ الاغراض الداعية إلى السؤال تختلف باختلاف الاشخاص والمواقف، فقد يطرح السؤال بعنوان السؤال كما هو الحال في الاستفهام الانكاري، وقد يكون السؤال لا بسبب سوى قتل الوقت، ويشير الإمام الى أن حقيقة السؤال يقوم بامرين ايجابي وسلبي، بقوله:

أوّلاً: (سل تفقها) والفقه: الفهم، فلا يكون الموجب للسؤال سوى طلب فهم الحقيقة .

ثانياً: (ولا تسأل تعنتا) والعنت: الأمر الشاق، والتعنت: طلب الزلة؛ فإنّ السؤال للعناد ليس إلّا مضيعة للعمر الذي لا يعوض ابداً .

وعن السبب في هذا التحديد قال:

١ ـ (فإن الجاهل المتعلم شبيه بالعالم)؛ لأنّه يقصد بالتعلم أن يصبح عالما بالموضوع، فهو حين السؤال يتشبه بالعالم لعلمه بجهله الموجب للسؤال الرافع للجهل.

٢ ـ (وإن العالم المتعسف شبيه بالجاهل المتعنت) التعنت: الميل عن الطريق المستقيم؛ فإنّ الجاهل الذي يهدف من السؤال طلب الزلة لا يفرق عن العالم الذي يميل عن الطريق المستقيم في العلم، وهو الاعتراف بالجهل عند عدم العلم؛ فإنّ لا ادري نصف العلم، فيكون كلّ منهما جاهلا، اعاذنا الله منه، فلا يكون السؤال سؤالاً حقيقة، إلّا أن يستهدف السائل الفهم للحقيقة من دون تعنت لطلب الزلة من الآخرين، والله العاصم.

[٣٢١]

وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِعَبْدِ ٱللّٰهِ بْنِ الْعَبَّاسِ رحمة الله عليهما[١] وَقَدْ أَشارَ عَلَيْهِ[٢] فِي شَيْءٍ لَمْ يُوَافِقْ رَأْيَهُ:

لَكَ أَنْ تُشِيرَ عَلَيَّ وَأَرَى، فَإِذَا عَصَيْتُكَ فَأَطِعْنِي.

(ح ـ ٣٢١) حدود المشورة:

تشير الحكمة إلى أن للمشورة حدود يجب التقيّد بها، فاذا جاوزت تلك الحدود فانها تنقلب عن حقيقتها وان من تلك الحدود عدم فرض الراي على الجهات المعنيّة بالامر.

---

(١) لم ترد رحمة الله عليهما في د. وفي ط: رضي الله عنهما.
(٢) في ط : إليه.

ومن واجب المستشار أن يدرس المشكلة المطروحة ويبدي رأية فيها، بما فيها من الايجابيات والسلبيات ويقف عند ذلك من دون أية محاولة لفرض الرأي على من استشاره، فاذا فرض رايه كان حينئذ امراً لا إشارة، فحد الامام المشورة للقائد بأمرين:

أوّلاً: (لك أن تشير عليّ وأرى) فالواجب على المشير أن يبدي رأيه للقائد ويترك القائد ليتخذ القرار الذي يراه مناسبا بعد علمه يوجهات النظر المختلفة في للامر.

ثانياً: (فإن عصيتك فأطعني)؛ فإنّ واجب القائد اتخاذ القرار المناسب الذي يرى فيه مصلحة الاسلام والمسلمين، ولا يتقيد بالافراد والاشخاص الذين يقترحون القرار المناسب، وان من واجب المستشار الانضباط بواجبه الوطني الاسلامي من قبول القرارات الصادرة من القيادة.

وأن أي انحراف في هذين الامرين يكون تعديا على حدود المشورة للقيادة.

[٣٢٢]

وَرُوِيَ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا وَرَدَ ٱلْكُوفَةَ قَادِماً مِنْ صِفِّينَ مَرَّ بالشَّبامِيِّينَ[١]، فَسَمِعَ بُكَاءَ النِّسَاءِ عَلَى قَتْلَى صِفِّين، وَخَرَجَ إِلَيْهِ حَرْبُ بْنُ شُرَحْبيل[٢] الشَّباميّ؛ وَكَانَ مِنْ وُجُوهِ قَوْمِهِ، فَقَالَ لَهُ[٣]:

أَيَغْلِبُكُمْ[٤] نِسَاؤُكُمْ عَلَى مَا أَسْمَعُ؟ أَلَا تَنْهَوْنَهُنَّ[٥] عَنْ هَذَا الرَّنِينِ؟

وأَقْبَلَ حَرْبُ[٦] يَمْشِي مَعَهُ وَهُوَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ رَاكِبٌ، فَقَالَ لَهُ[٧]: ٱرْجِعْ فَإِنَّ مَشْيَ مِثْلِكَ مَعَ مِثْلِي فِتْنَةٌ لِلْوَالِي وَمَذَلَّةٌ لِلْمُؤْمِنِ.

(ح - ٣٢٢) فئتان:

(١) في أ و ط : الشاميين. وفي هـ. د: الشبام مدينة بحضرموت وحيّ، وفي هـ. د: الشامين ـ ف . ب.
(٢) في أ: شرحيل.
(٣) في أ و ص: فقال له عليه السلام.
(٤) في د: أتغلبكم، وفي هـ. د: أيغلبكم ـ ف م.
(٥) في أ : تنهوهنّ.
(٦) لم ترد «حرب» في أ.
(٧) في أ: فقال عليه السلام، ولم ترد «له» في ص.

تشير الحكمة إلى فئتين شاهدها الإمام بنفسه في اصحابه في اعقاب حرب صفين عام ٣٨ واشار الى اصحابه من موقفه القيادي المطلوب فيهما:

الاولى: (تغلبكم نساؤكم على ما أسمع)؛ فإنّ البكاء على الميت امر طبيعيّ لذويه واقربائه وخاصة النساء ولكن ذلك يؤثر على نفسية الجيش سلبا أو ايجابا، وذلك قد يستلزم التاثر بالعواطف في المواقف، وهذا ما لا ينبغي في الجيش العقائدي، بل يجب أن يتحرك برؤية واضحة للمبادي والوسائل والاهداف الاسلامية.

(ألا تنهونهن عن هذا الرنين) وهي النوح على الميت برفع الصوت بالبكاء المعتاد حتى عصرنا الحاضر؛ فإنّه يكشف عن التأثر بالعواطف وليس بالمبادي، والرؤية الواضحة لها لا تدعوا اليها، بل إلى العمل حيث الواجبات والمسؤوليات وليس منها الرنين والصياح والنحيب.

الثانية: (ارجع) ناهيا الشبامي الذي كان من وجوه قومه أن يمشي وهو راجل مع القائد وهو راكب، وان كان يقصد بذلك الاحترام للإمام. وذكر الإمام في علة ذلك قوله:

(فإن مشي مثلك مع مثلي فتنة) وهي الامتحان، وقد شرح هذا الامتحان بقوله:

أوّلاً: (فتنة للوالي) فانه قد يوجب في نفسه الفخر وروح الاستعلاء على من دونه من الاصحاب .

ثانياً: (ومذلة للمؤمن)؛ لأنّه يوجب الذل للماشي بالنسبة إلى الراكب كما طعبيعة الموقف، والحالتان وان لم يكن بينهما تلازم ؛ لانهما تتبعان النيات في الافراد، وتختلف بحسب الظروف والاحوال، ولكنهما يؤثران عادة في النفوس الضعيفة، وقبول الإمام هذه العادة قد يتخذ حجة فتصبح عادة من دون التفات إلى الظروف المحيطة به، كما هو الحال في كلّ العادات الموروثة، فنهى الإمام عن ذلك لموقعه القيادي.

[٣٢٣]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ وَقدْ مرَّ بقَتْلَى الخَوارِجِ يوْمَ النَّهْرَوَانِ:

بُؤْساً[١] لَكُم! لَقَدْ ضَرَّكُمْ مَنْ غَرَّكُمْ.

فقيلَ لهُ: مَنْ غَرَّهم يا أميرَ المؤْمنينَ؟ فقالَ:

الشَّيْطانُ الْمُضِلُّ[٢]، والأنفُسُ[٣] الأمَّارَةُ بِالسُّوءِ غَرَّتْهُمْ بِالأمانِيِّ، وفَسَحَتْ لَهُمْ في المَعاصِي[٤]، ووَعَدَتْهُمُ الإظْهارَ، فاقْتَحَمَتْ بِهِمُ النَّارَ.

(ح ـ ٣٢٣) وسائل الاغراء:

تشير الحكمة إلى المنتقد على الانحراف لابدّ وان يعرف الاسباب الداعية إليه، فلا يكون نقدا مجرداً، وينتقد الإمام الخوارج على خروجهم ضد الحكم الاسلامي القائم بالشورى ولكن من دون غفلة عن وسائل الاغراء الشيطانية التي أوقعتهم في ذلك، فقال عن مقتل الخوارج في النهروان عام ٣٨:

١ ـ (بؤسا لكم) بسبب الخروج على الحكم الاسلامي القائم بالشورى لشبهات لا توجب الخروج بالمعارضة المسلحة.

وعن سبب هذا قال:

٢ ـ (لقد ضركم من غركم) بايقاعكم في الفخ بوسائل الاغراء المتيسرة له، فالنقد يوجه إلى السبب الاصيل.

وعن شخصية هذا المغري قال:

٣ ـ(الشيطان المضل والأنفس الأمارة بالسوء)؛ فإنّ دور كلّ واحد منهما اصيل في الاغراء والاضلال في حياة الإنسان.

وعن وسائل الاغراء قال:

أوّلاً: (غرتهم بالأماني) التي لا واقع لها في حقيقتها؛ لقصورها في دراسة النتائج قبل البدء بالعمل.

ثانياً: (وفسحت لهم بالمعاصي) حيث خيرهم الله سبحانه، وباختيارهم ارتكبوا

---

(١) في هـ. ص: في نسخة: بؤسي.
(٢) في هـ. ص: في نسخة: المزلّ.
(٣) في ط: والنفس، وفي هـ. د: والنفس ـ ح.
(٤) في هـ. د: بالمعاصي ـ ض ب.

العصيان.

ثالثاً: (ووعدتهم الاظهار) والغلبة على الحق.

وكانت النتيجة الحتمية الخزي في الدنيا (فاقتحمت بهم النار) لاتباعهم اثر الشيطان بالاختيار ﴿وما يعدهم الشيطان إلّا غروراً﴾.[١]

[٣٢٤]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

اتَّقُوا معَاصِيَ ٱللّهِ فِي الخَلَوَاتِ، فإنَّ الشَّاهِدَ هُوَ الحاكِمُ.

(ح - ٣٢٤) الحاكم الشاهد:

أساس تشريع القضاء هو معرفة الحقيقة في القضايا المتخاصم فيها، ومن هنا يفتقر القاضي إلى الشهود وقيام البيّنة الشرعية ،وكذا غيرها من الامارات التي تكشف الحقيقة، ثمّ يقوم القاضي بدوره في تطبيق الحكم الشرعي على المسألة المختلف فيها بحل المشكلة بالحكم الشرعي فيها. فاذا كان القاضي هو الشاهد يثبت الحقيقة له من دون حاجة إلى اثباته بالشهادة؛ لأنّه تحصيل للحاصل.

والمعصية في الخلوات لا تخفى على الله سبحانه؛ لأنّه العالم بكل شئ قال تعالى:﴿يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور﴾.[٢]

وقال :﴿أو لا يعلمون أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون﴾ [٣].

[٣٢٥]

وَقالَ عَليهِ السّلامُ لَمّا بلَغه قَتْلُ مُحَمَّدِ بن أبي بَكرٍ رحمه ٱللّهُ[٤]:

إنَّ حُزْنَنا عَلَيْهِ على قَدْرِ سُرُورهِمْ بِهِ، إلَّا أَنَّهُمْ نَقَصُوا بغيضاً؛ ونَقَصْنَا حَبِيباً.

---

(١) الاسراء : ٦٤.

(٢) غافر : ١٩.

(٣) البقرة: ٧٧.

(٤) في ط و د: رضي الله عنه.

(ح - ٣٢٥) **قياس الحزن:**

لا يعرف حقيقة المواقف إلّا بقدر اهتمام العدو في فشل تلك المواقف، ومن ذمه وتحقيره ومواقفه السلبية تجاه بعض الامور يعرف ذلك مباشرة؛ فإنّ بقدر قيمتك يكون النقد الموجه اليك، وحيث لا يتمكن من القضاء على تلك الامور يلتجئ إلى ابداء ما في قلبه من البغضاء بصور سلبية طبع عليها في حياته.

ومن تلك الامور: الحزن والسرور، وقد أشار إلى موقف الاصدقاء والاعداء في مقتل محمّد بن الخليفة الاول أبي بكر حيث قتله اصحاب معاوية في مصر، وجعلوه في جوف حمار واحرقوا جسده لمحمو آثاره، ولكن الموقع نفسه أصبح مزاراً عامرا في القاهرة، وقد زرته عام ١٣٩٦، والحكومة المصرية تجدد بناءه بناءً لائقا، وقد ذكرته في مزارات اهل البيت في القاهرة، فراجع.

والمعادلة في مقياس الحزن عليه من الاصدقاء بسبب فقد من هو حبيب لقلوبهم، يحدد مدى سرور الاعداء بمقتله؛ لانهم قضوا على عدو كان بغيضا لهم بأشدّ البغض.

فان شخصية محمّد بن الخليفة الأوّل: أبي بكر لم تكن شخصية تتهم بالتهم التي كان يستعملها معاوية ضد الإمام علىعليه السلام واصحابه، فكان وجوده مبغوضا لهم أشدّ البغض من غيره من اصحاب الامام علىعليه السلام بأنهم قتلة الخليفة الثالث عثمان، فكان ابغض خلق الله على معاوية.

[٣٢٦]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

الْعُمُرُ الَّذِي أَعْذَرَ ٱللّهُ فيهِ إلى ٱبن آدَمَ سِتُّونَ سَنَةً.

(ح - ٣٢٦) **عامل الحذر:**

يتدرج الإنسان في حياته من الولادة إلى الوفاة في مراحل تختلف في تحديدها، وهي هي على الاغلب: الرضاعه (١ ـ ٢) من العمر، والطفولة (٢ ـ ١٢) والمراهقة (١٤ ـ ٢٤) والشباب (٢٥ ـ ٣٥) والكهولة (٣٦ ـ ٥٩) والشجوحة (٦٠) وما بعدها، وفي كلّ مرحلة يستصغر من دونه في العمر، فيرى الشيخ الكهل شابا، كما يرى الشاب المراهق

طفلا مبالغة، وهذا هو المعروف في العصر والمصر .

وتشير الحكمة إلى أن الإنسان في كلّ مرحلة له نوع من العذر المادي من عدم الخبرة في الحياة؛ للجهل بما يخبئ له المستقبل، وكلما تقدم في العمر يحصل على تجارب يجعله قادراً على التنبؤ بالمستقبل لكثرة موارد الاعتبار في حياته وحياة الآخرين من المعاصرين والغابرين، وتبلغ هذه الخبرة القمة في السنين الاخيرة من العمر، فلا يكون له عذر الجهل وقد حصلت له الخبرة واكمل الله له العقل.

[٣٢٧]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

ما ظَفِرَ مَنْ ظَفِرَ ٱلإِثمُ بِهِ[١]، وَٱلغالِبُ بالشَّرِّ مَغْلُوبٌ.

(ح ـ ٣٢٧) **الظفر الحقيقي:**

الظفر: الفوز، ولا يكون الظافر إلّا ناجيا، ومن يرتكب معصية لا يكون ناجياً من عقاب القانون الالهي، بل يكون خاسراً نفسيا يؤنبه ضميره كالسارق الهارب من القانون خشية القاء القبض عليه، وذلك في الحقيقة يصبح اسيراً لذنبه، وقد ظفر الاثم به إلى أن يبرئه القانون، ولايبرئ المعصية إلّا التوبة بشروطها.

والغلبة: القهر باستخدام القوّة للحصول على ما يطلب، ومن يستخدم ذلك يشرع بسيرته لغيره استخدام القوّة ضده، فالغالب باستخدام الشر وان كان في الظاهر غالباً لكنه في الحقيقة هو المغلوب، لانه مهّد للشر على نفسه بتشريعه لغيره ورفضه شريعة العدالة الالٰهيّة ﴿والله غالب على امره ولكن اكثر الناس لا يعلمون﴾.[٢]

[٣٢٨]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

إنَّ ٱللّٰهَ سُبْحانَهُ فَرَضَ في أَمْوَالِ ٱلأغْنِياءِ أَقْوَاتَ ٱلْفُقَرَاءِ، فما جاعَ فَقِيرٌ إلّا بِما مَنَعَ بِهِ

---

(١) في ص: بالاثم، وفي هـ . ص: في نسخة: الاثم به.

(٢) يوسف : ٢١.

غَنِيٌّ، وٱللّهُ تعالى[١] سائِلُهُمْ[٢] عَنْ ذَلِكَ.

(ح - ٣٢٨) قوت الفقراء:

القوت: ما يأكله الإنسان، الذي يتوقف عليه حياته من المواد الغذائية من الطعام، والحقوق المالية التي فرضتها شريعة الاسلام على الاغنياء كالزكاة الواجبة الحكمة منها تأمين هذه الحاجة لشريحة كبيرة من طبقات المجتمع التي تفتقر اليها.

وقد قال تعالى:﴿والذين في اموالهم حق معلوم للسائل والمحروم﴾.[٣] ففرض الله حقا في اموال الاغنياء للفقراء معلوما، كما حددته السنّة النبوية المطهرة والمشروحه في الفقه الاسلامي، ومن عادة الاغنياء التصور بأنّهم يتعبون لتحصيل المال، والفقير لا يتعب فلا يكون له حق، وهم في غفلة من أن الغني لم يمكنه تحصيل ما حصل عليه إلّا بمساعدة هؤلاء الفقراء اياه وامتناعهم عن السرقة والثورة عليهم، وحينما يتراجع التجار عن اداء حقوق الفقراء بما يجب عليهم، تكون الحالة الغالبة فيب المجتمع السرقة بما قد يزيد على تلك الحقوق الشرعية، واذا عم ذلك في المجتمع فسيؤدي إلى الثورة عليهم والقضاء على اموالهم، فيصبحوا فقراء كغيرهم، ويصبحوا ضحايا الاهمال بالواجب الاسلامي ويخسروا الدنيا والآخرة؛ فإن لم يخسروا فإنّ الله يحاسبهم على عدم اداء الحقوق يوم القيامة أشدّ حساب.

[٣٢٩]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

الاسْتِغْنَاءُ عَنِ ٱلْعُذْرِ، أَعَزُّ مِنَ الصِّدْقِ بِهِ.

(ح - ٣٢٩) العزّة:

العزة: القوّة، ويضادها: الذلة وهي الضعف، والعزيز: من يتصف بصفات ثلاث، هي: شدة الحاجة الى الله، وقلة وجوده وكثرة نفعه، على اختلاف الدرجات في كلّ منها.

---

(١) في د: تعالىٰ جدّه، وفي هـ. ص: في نسخة: زيادة : جدّه.
(٢) في ص: يسائلهم.
(٣) المعارج : ٣٤.

وتشير الحكمة إلى أن من يقوم بواجبه ومسؤولياته صادقا لا يفتقر إلى العذر؛ لأنّ الاعتراف بواقع الحال فيه عزة وقوة، وان قل في الناس من يعقل ذلك؛ فإنّ الحاجة إليه شديدة والنفع منه كثير والإنسان في موقفه من الشجاعة والقوة كأنّه حينئذ ينتفي عن القدر الذي فيه الذلة والدلالة على الضعف وان كثر في الناس، ولا حاجة اليه ولا نفع لأنّ الاعمال تقدر حسب نتائجها، وليست حسب الاعذار المفتعلة أو الحقيقية، قال تعالى: ﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون﴾.[١]

[٣٣٠]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

أَقَلُّ مَا يَلْزَمُكُمْ لِلّٰهِ سُبْحَانَهُ أَنْ لَا تَسْتَعِينُوا بِنِعَمِهِ عَلَى مَعَاصِيهِ.

(ح ـ ٣٣٠) اقل الواجب:

ان بناء التعامل اليومي في حياة أي انسان هو رد الجميل بالمثل، واقل ذلك رد التحية بمثلها ان لم يكن بافضل منها، وقد انعم الله سبحانه على العباد انواع النعم التي منها يستمد الحياة ومنها العقل والحياة، فرد الجميل هذا واجب انساني يفتقر إلى الشكر؛ فإن لم يمكن ذلك فاقل ما يمكن ألّا تستخدم تلك النعم في المعصية، فيعيش الإنسان كسائر الحيوانات التي تتنعم بنعم الله من دون استخدامها في المعصية، وحيث أن الله اكرم الإنسان بالعقل فيجب رد الجميل باقل الواجب وهو الشكر، قال تعالى:﴿لئن شكرتم لازيدنكم﴾.[٢] والتدرج في الطاعات هو طريق لتحصيل التكامل في الحياة.

[٣٣١]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

إِنَّ ٱللّٰهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ الطّاعَةَ غِنِيمَةَ ٱلْأَكْيَاسِ عِنْدَ تَفْرِيطِ ٱلْعَجَزَةِ.

(ح ـ ٣٣١) الطاعة:

---

(١) المنافقون :٨.

(٢) ابراهيم: ٢٧ .

الكياسة: الفطنة والعقل، وتشير الحكمة إلى أن اداء المسؤولية امر مقدور لكل انسان في الحياة كل حسب ظروفه المحيطة به، والناس تجاه هذه المسؤوليات احد طائفتين، المطيع والعاصي، والفطن من يستغل فرصة العمر فيغتنم الطاعة قبل فوات الاوان، ومن لا يستغل الفرصة فهو عاجز عن الطاعة بسبب التفريط لها، فتكون الطاعة غنيمة للكيس قبل فوات الاوان، دون العاجز بسبب التفريط، فليس له سوى الخسران.

[٣٣٢]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

السُلْطانُ وَزَعَةُ ٱللّه فِي أَرْضِهِ.

(ح ـ ٣٣٢) **السلطان الرادع:**

الوازع: الرادع، وتشير الحكمة إلى ضرورة الحكم في المجتمع أياً كان نوع الحكم، وأياً كان نوع المجتمع، فان المجتمع الذي لا يكون له حاكم سواءً العادل أو غيره يعيش شريعة الغاب، والسلطان ايا كان يحقق بعض الحكم الالهي في الارض وهو الذي يميز المجتمع الإنساني عن مجتمع الغاب، فيردع السارق والغاصب في درجات مختلفة عدالة وحكمة، وان لم يصل بذلك إلى العدالة الاسلامية في الحكم في جميع طبقات المجتمع حسب كفاءتها ومساهمتها في ادارة الحكم، فلا يمكن لمجتمع في الارض أن يعيش بدون سلطان، والله المستعان.

[٣٣٣]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ فِي صِفَةِ ٱلْمُؤْمِنِ:

بِشْرُهُ فِي وَجْهِهِ[١]، وَحُزْنُهُ فِي قَلْبِهِ، أَوْسَعُ شَيْءٍ صَدْراً، وأَذَلُّ شَيْءٍ نَفْساً، يَكْرَهُ الرِّفْعَةَ، وَيَشْنَأُ السُّمْعَةَ[٢]، طَوَيلٌ غَمُّهُ[٣]، بَعِيدٌ هَمُّهُ، كَثِيرٌ صَمْتُهُ، مَشْغُولٌ وَقْتُهُ[٤]، شَكُورٌ صَبُورٌ،

---

(١) في هـ. ص: أي يظهر البشر مع كونه محزون القلب من خوف الآخرة.
(٢) في هـ. ص: جاء في الحديث في صفته: كلّ خامل نؤمة.
(٣) في هـ. ص: أي لايزال مغموماً؛ لأنّ سبب همّه الخوف من الله، فلا يزال خائفاً حتىٰ يـلاقيه

مَغْمُورٌ بِفِكْرَتِهِ، ضَنِينٌ بِخَلَّتِهِ[٥]، سَهْلُ ٱلْخَلِيقَةِ، لَيِّنُ ٱلْعَرِيكَةِ. نَفْسُهُ أَصْلَبُ مِنَ الصَّلْدِ[٦]، وَهُوَ أَذَلُّ مِنَ ٱلْعَبْدِ[٧].

(ح ـ ٣٣٣) صفات المؤمن:

تستعرض الحكمة صفات المؤمن بقوله:

١ ـ (المؤمن بشره في وجهه) البشر: هو طلاقة الوجه من دون عبوس، فلا ينفر الآخرون من الحديث معه، فان البشاشة بشارة بالاستعداد للحديث.

٢ ـ (وحزنه في قلبه) فلا يظهر ما يحزنه من الامور المكروهة التي يواجهها أي انسان في الحياة، فلا يظهرها بالعبوس في وجه الآخرين؛ فإنّ الحزن امر شخصي، ولا يكون في اظهارة للاخرين أي نفع ، لان ذلك يفرح العدو ويحزن الصديق.

٣ ـ(أوسع شئ صدرا) فيتلقى الامور برحابة صدر مهما كانت كريهه؛ لأنّ ضيق الصدر بسماع النقد لا يغير من واقع الحال شيئا، ويكشف من صفات الناقد اموراً لم تكن معروفة له وللاخرين.

٤ ـ (وأذل شئ نفسا) فلا يترفع على الآخرين قط، بل يرى نفسه ذليلا امام الله دائما .

٥ ـ (يكرة الرفعة)؛ فإنّ الرفعة على الآخرين ترفّع على من هو مثله في خصال الانسانية، فكيف يترفع على من هو مثله؟

٦ ـ (ويشنأ السمعة) الشنأة: البغض؛ فإنّ السمعة والشهرة توجب للانسان مصائب هو في غنىً عنها، ومنها: كثرة توقع الاخرين منه امورا هو احوج اليها منهم، ومع عدم السمعة يكون في مأمن منها.

٧ ـ (طويل غمه)؛ لأنّه لا يفكر في نفسه فقط، كالحيوانات المربوطة التي همها علفها وشهواتها بل يفكر في مسؤولياته الاسلامية العامة والخاصة.

فيؤمّنه، ويهمّ بكثير من الخير ويريده.

(٤) في هـ . ص: أي لايفرغ؛ لأنّه يعمل للآخرة.

(٥) في هـ . ص: أي لا يذكر حاجته وخلّته لغير الله ولا يشكو حاله.

(٦) في هـ . ص: أي يستهين بالمصائب والمشاق في ذات الله ولا يهاب أعداء الله.

(٧) في د: بعد هذه الحكمة: وقال عليه السلام: الغنى الأكبر اليأس عمّا في أيدي الناس. وقال عليه السلام: المسؤول حرّ حتى يعد.

٨ ـ (بعيد همه)؛ لأنّه يفكر في احوال المجتمع الاسلامي عامة، ثم المجتمع الانساني عامة، فيفكر في ما يجب العمل به ـ حسب الظروف والاحوال ـ في أن يكون عضوا صالحا في المجتمع الاسلامي خاصة والمجتمع الانساني عامة، حسب قدرته الشخصية المحدودة.

٩ ـ (كثير صمته) فهو لا يتكلم إلّا في مصلحة، فلا يكون مهذراً في الكلام الفارغ.

١٠ ـ (مشغول وقته) فله منهاج كامل لكل يوم حسب الساعات والدقائق بالقيام بمسؤوليات محددة، لئلا يذهب وقت عمره هدراً.

١١ ـ (شكور) ليس لله وحده الذي امر بالشكر بقوله: ﴿لئن شكرتم لا زيدنّكم﴾[1]، بل لكل من احسن اليه؛ فإنّ من لم يشكر المخلوق لم يشكر الخالق.

١٢ ـ (صبور) يصبر على مشاكل الحياة حتّى يحصل الحل المناسب للخروج من المأزق الذي هو فيه، ويفرج الله له ذلك لعلمه بأنّ الله مع الصابرين.

١٣ ـ (مغمور بفكرته) والغمر: التغطية؛ فإنّ المؤمن يفكر في مسؤولياته تجاه نفسه واسرته ومجتمعه، ومن يقوم بهذه المسؤوليات لا يبقى له وقت للتفكير في الملذات والشهوات.

١٤ ـ (ضنين بخلته) والظنين: البخليل، والخلة: الحاجة؛ فإنّ المؤمن لا يعلن عن حاجته بالرغم من اقتقاره اليها، فيجعلها مستورة عن الناس حتّى اقربهم إليه.

١٥ ـ (سهل الخليقة) وهي الطبيعة، فلا يكون جافا في تعامله مع الآخرين من الناس اجمعين.

١٦ ـ (لين العريكة) العرك: الدبغ للجلد، فان الجلد المدبوغ يكون لينا وسهلا للانتفاع به، والمؤمن في نفسه يكون لينا بسبب صقل نفسه بالاخلاق الاسلامية التي تبتني على الرفق والسماح في الحياة.

١٧ ـ (نفسه أصلب من الصلد) وهو الحصاة الصلبة لرؤيته الواضحة للمبادي والوسائل والاهداف الاسلامية الواجب اتباعها في الحياة.

---

(١) ابراهيم : ٧.

١٨ ـ (وهو أذل من العبد) والواو حالية؛ فإنّ الصلابة تلازم عدم الذل، والمؤمن بالرغم من صلابة ايمانه فهو يلزم نفسه الذل في النفس اكثر من ذل العبد لمولاه؛ لأنّه يرى نفسه مسؤولا امام الله.

وهذه الصفات تميز المؤمن عن غيره ممن يتحرك في الحياة لمصلحة المادّة والماديات.

[٣٣٤]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

لَوْ رَأى الْعَبْدُ ٱلْأَجَلَ وَمَسِيرَهُ، لَأَبْغَضَ ٱلْأمَلَ وَغُرُورَهُ.

(ح ـ ٣٣٤) مشاهدة الاجل:

الإنسان المادي لا يؤمن إلّا بالوسائل المادية في الحياة ومنها الرؤية بالباصرة، والحكمة تشير إلى أن الرؤية بالبصيرة هي الرؤية الحقيقية، امكن للعبد الرؤية بالعين الباصرة الاجل وهو الموت ومصيره بعد الموت في حالة الاحتضار من القبر إلى الحشر، ولو امكن ـ وهو مما لا يمكن ـ لكان ابغض شئ عنده امران: الامل بالتعليل، والغرور فانهما انما تنشآن للانسان بسبب عدم الحكم اليقيني بالنتائج لهما مع كثرة موارد الاعتبار.

[٣٣٥]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

لِكُلِّ ٱمْرِئٍ في مالِهِ شَرِيكَان؛ ٱلْوَارِثُ، والحوَادِثُ .

(ح ـ ٣٣٥) شريكا المال:

كل انسان في الحياة يعتبر نفسه المالك لماله والمتصرف في حاله وماله، وهو لو بنظر بعين الحقيقة يجد أن له شريكان يغفل عنهما وهما ابداً في انتظار دورهما للاخذ بحقهما ـ رضي ام لم يرض ـ وهما الوارث الذي يرثه بالرغم على انفه وان كان كارها له؛ لأيّ سبب كان، والحوادث وما اكثرها في الحياة، وقد شاع في عصرنا التأمين للوقاية عن أعراضها وتواليها، واختلف الفقهاء في شرعية ذلك (انظر المادة في المعجم) ولكن الحقيقة هي أن

الحصول على مال التأمين يطول بطول الزمن، فيحصل على بعضها وهو معلول ومن الحياة ملول ويتمنى أن لو لم يكن له مال حتّى لا يبتلي بهذا الحال، وعلى الله الاتكال.

[٣٣٦]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

المسؤولُ حُرٌ حَتَّى يَعِد .

(ح - ٣٣٦) الوعد:

تؤكد الحكمة على اهمية الوعد في الاسلام؛ فإنّ الإنسان حر في حياته أن يجيب على سؤال السائلين بالايجاب أو بالنفي أو ان لا يجيب اطلاقا، فلا يقيد حريته بشئ قط.

واما اذا اجاب ووعد بالوفاء فيكون مسؤولا عن الوفاء، فلا يكون حراً؛ فإنّ الوعد عهدٌ، قال تعالى:﴿والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون﴾.[1] ولا يتحرر الذي وعد إلّا بالوفاء.

[٣٣٧]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

الدَّاعِي بلا عَملٍ، كالرَّامِي بِلا وَتَرٍ .

(ح - ٣٣٧) الدعاء بلا عمل:

الوتر: القوس الذي يستخدمه الرامي في الرمي وبواسطته يتمكن من اصابة الهدف البعيد عنه، والحكمة تشبه الداعي من دون عمل بمضمون الدعاء لله سبحانه في الحوائج الشخصية وغيرها، بأن الوسيلة للقبول امران هما: الدعاء والعمل، كما أن الوسيلة لاصابة الهدف امران: هما القوس والرمي، فلا تتحقق الاصابة بدونها، وكذلك لا يتحقق الدعاء حقيقة إلّا بالدعاء المقرون بالعمل، فلا يكون للصراخ وحده اثر في الدعاء كي يستجاب؛ لأنّه ليس بدعاء حقيقة، وقد قال تعالى:﴿اجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لي﴾[2].

---

(١) المؤمنون : ٨.

(٢) البقرة: ١٨٦.

وهذا ليس دعاءً بل مجرد نداء، فلا يستوجب الاجابة كما يستوجب الرمي بالقوس بدون الوتر الاصابة.

[٣٣٨]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

الْعِلْمُ عِلْمَانِ : مَطْبُوعٌ وَمَسْمُوعٌ[1]، وَلَايَنْفَعُ المَسْمُوعُ، إِذَا لَمْ يَكُنِ المَطبُوعُ .

(ح ـ ٣٣٨) العلم علمان:

بشير الإمامعليه السلام الى أن اي علم من العلوم التي يتصورها الإنسان في الحياة يتوقف على امرين، هما: طبيعة الإنسان وطريقة تعلمه، وقد اعد أهل الاختصاص الكتب في مواضيع العلوم المختلفة كل حسب اختصاصه، كما اعدت المدارس التربويّة طرق تدريس تلك المواد بطرق متعددة سمعية وبصرية، ولكن كلّ ذلك لا يجدي نفعا فيما اذا لم يكن في طبع الإنسان ما يجلبه إلى ذلك العلم، فالعلوم على قسمين، ما يلائم طبيعة المتعلم، وما هو بالتدريس سماعاً من الاساتيذ، ولا ينفع للطالب انجح طرق التدريس لمادة ليس في الطالب استعداد طبيعيّ لتعلمه، بل لابد من أن يكون مطبوعا له حتّى ينتفع من المسموع منه؛ فإنّ الناس اعداء ما جهلوا، وكما أن الاجسام تتغير بالرياضات كذلك الطبائع تتغير باختلاف الدرجات والاستعدادات وبتغير البيئات.

[٣٣٩]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

صَوَابُ الرَّأْيِ بالدُّوَلِ يُقْبِلُ بإِقْبَالِهَا، وَيَذْهَبُ بِذَهابِها[2].

(ح ـ ٣٣٩) الرأي الصائب:

الدولة – لغة – : الزمن الذي يدور وينقلب من حال إلى حال باختلاف الاسباب، والحكمة تشير إلى أن الآراء فيها الصواب وفيها غير الصائب، ولكل منهما مقاييس

---

(١) في هـ. ص: في نسخة: علم مطبوع وعلم مسموع.
(٢) في هـ. ص: في نسخة: ويدبر بادبارها.

تختلف باختلاف وجهات النظر، ولكن الحقيقة الثابتة أن صواب الرأي امر نسبي يتبع الزمن الذي يجد ذلك الراي صائبا باقبال اهل ذلك العصر على الراي والاهتمام به ودراسته وتطبيقه، واذا ذهب الزمن وانقلب إلى زمن آخر يضاده أو يناقضه، فانه يذهب صواب الراي، وقذ يتناقض كما لو كان العصر يؤمن بالجمهورية نظاما فيذهب الراي بالملوكية إلى العدم، وإنّما يخطأ لو كان العصر يعتقد بالفكر الرأسمالي بدلا عن الفكر الاسلامي أو الفكر الاسلامي بدلا عنهما، وهكذا دواليك.

[٣٤٠]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

ٱلْعَفَافُ زِينَةُ الْفَقْرِ، والشُّكْرُ زِينَةُ ٱلْغِنَى .

(ح - ٣٤٠) حقيقة الزينة:

الزينة: الحلية التي تحسن منظر الشيئ؛ فإنّ كان حسناً زاده حسناً، وان لم يكن حسنا جعله كذلك، واشارت الحكمة إلى امرين:

أوّلاً: (العفاف زينة الفقر) والعفة: الكف عن الشهوات؛ فإنّ الفقر وهو الحاجة ليست حالة حسنة؛ فإنّ التلبس بالشهوات أمر قبيح يؤدي إلى ضعف الشخصية وسوء السمعة، دون ما اذا اتسمت بالعفة، فيكون الفقير في نفسه محترماً، والمجتمع يحترمه لاحترامه نفسه.

ثانياً: (والشكر زينة الغنى)؛ فإنّ الغنى في نفسه حسنة، والشكر يزيده حسنا، فالزينة ليست بالتحلية المادية؛ فإنّ الحصول عليها في حالة الفقر دلالة واضحة على الفقر، وفي حالة الغنى تحصيل للحاصل، فلابد من التزين في الحالتين بحقيقة الزينة الروحية فيهما بما يوجب احترام الفقير نفسه بعدم ابداء الحاجة واحترام الغني نفسه بعدم اظهار ما هو معروف عنه.

[٣٤١]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

يَوْمُ العَدْلِ عَلَى الظَّالِمِ، أشدُّ[١] مِنْ يَوْمِ الْجَوْرِ عَلَى المَظْلُومِ[٢].

(ح ـ ٣٤١) يوم العدل:

لكل فعل رد فعل، وفي الظلم من ردود الفعل ما لا يخفى على من درس تاريخ الطغاة في الغابر والحاضر، فان الجور الذي يقوم به الطاغية في حال الطغيان لا ينبع إلّا من تمرده على القانون ورغبته في الغلبة بالقوة كما هو حال الحيوانات المفترسة من دون أي احترام للعقل والمنطق، كما يقتضيه الحكم بالعدل، وهذا له اثره الشديد على المظلوم الذي لا ناصر له سوى الله.

ولكن اثر العدل على الظالم يكون أشدّ بكثير من الجور على المظلوم؛ لأنّ الظالم يؤاخذ بالعقل والمنطق، وليس بالرغبات الشخصية، والمحكمة العادلة لا تجعل الظالم يتهرب من تلك المؤاخذات العادلة، فلا يكون له ناصر لا من الله ولا من الشعب المظلوم ولا من القانون ولا من العقل، فلا يواسيه حتّى اقرب المقربين اليه، ويتبرأ منه ومن ظلمه كلّ من تعاون معه في ظلمه، فيكون المأمورين عنده في الظلم شهوداً عليه في الحكم، وليس أشدّ على الظالم من هذا اليوم الذي ليس له ناصر ولا معين في السماوات والارضين.

[٣٤٢]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

(ح ـ ٣٤٢) الغنى الاكبر:

الغنى – لغة –: الاكتفاء وعدم الحاجة، وطبيعيّ أن يختلف باختلاف درجات الحاجة. وتشير الحكمة إلى أن اعظم درجات الغنى هي اليأس عما في ايدي الناس؛ لأنّ اليأس هو القنوط وقطع الرجاء والامل، وذلك يستلزم أن وجود الناس وعدمهم على حد سواءً في

---

(١) في هـ. ص: في نسخة: أعظم.
(٢) تقدّم معناه بالرقم.

النيّة إلى حاجة الإنسان، فيكون حالهم حال الجمادات والحيوانات السائبة، وهل من عاقل من يأمل منها شيئا في الحياة؟! فلا يرجوا المؤمن الحقيقي احداً سوى الله سبحانه الذي امره بالعمل حسب القدرة والطاقة، والاكتفاء بما فيه القناعة لبعيش في راحة فكرية وطاعة إلى يوم الساعة، قال تعالى:﴿يا ايها الناس انتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد﴾.(١)

[٣٤٣]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

الأقاويلُ مَحْفُوظَةٌ، والسَّرَائِرُ مَبْلُوَّةٌ(٢)، و﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾(٣). والنَّاسُ مَنْقُوصُونَ مَدْخُولُونَ(٤) إلّا مَنْ عَصَمَ اللّهُ، سائِلُهُمْ مُتَعَنِّتٌ، وَمُجِيبُهُمْ مُتَكَلِّفٌ، يَكَادُ أَفْضَلُهُمْ رَأياً يَرُدُّهُ عَنْ فَضْلِ رَأْيِهِ الرِّضَى والسُّخْطُ، وَيَكَادُ أصْلَبُهُمْ عُوداً(٥) تَنكَأُوهُ(٦) اللَّحْظَةُ، وَتَسْتَحِيلُهُ(٧) الكَلِمَةُ الْوَاحِدَةُ.

(ح - ٣٤٣) حقائق عن الناس:

تسرد الحكمة حقائق عامة عن الناس يكثر الغفلة عنها في الحياة، وهي:

١ ـ (الأقاويل محفوظة)؛ فإنّ الناس يعيشون ويقولون مالا يفعلون، ويعدون ما لا يفون به، وكأن الاقاويل مجرد كلام فارغ حيث لا زاجر عنه ولا رادع، ولكن الحقيقة التي يؤكد عليها القرآن انها ليست اقاويل فارغة لانها محفوظة مسجلة، قال تعالى:﴿وان عليكم لحافظين كراما كاتبين﴾.(٨)

---

(١) فاطر: ١٥.
(٢) بلاها الله واختبرها وعلمها، يريد عليه السلام أن ظاهر الأعمال وخفيها معلوم لله والأنفس مرهونة بأعمالها فان كانت خيراً خلصتها وإن كانت شرّاً حبستها.
(٣) المدثر ٧٤: ٣٨.
(٤) المدخول: المغشوش المصاب، وفي هـ. ص: أي معيبون.
(٥) في هـ. ص: أي أشدّهم احتمالاً.
(٦) في هـ. ص :نكأت القرحة :إذا صدر منها شيء. من الشرح.
(٧) في هـ. ص: يستحيله، أي يحيله ويغيّره، يصفهم بسرعة التقلّب والتلوّن وانّهم يطيعون دواعي الشهوات والغضب.
(٨) الانفطار: ١١.

٢ ـ (والسرائر مبلوّة) والبلاء: الامتحان، والسريرة: ما يضمره القلب، قال تعالى عن يوم القيامة:﴿يوم تبلى السرائر﴾.[1]

٣ ـ﴿كل نفس بما كسبت رهينة﴾ اقتباساً بالنص من قوله تعالى في سورة المدثر: ٣٨.

ـ (والناس منقوصون) والنقص: كناية عن اهمال العقل والتفكير في المستقبل، فلا يهمهم إلّا الحياة الدنيا كما هي حال الحيوانات التي لا تعقل.

ـ (مدخولون) والدخل: الغش، كناية عن أن سيرتهم في الحياة الدنيا ليست سيرة الصدق، بل سيرة الغش باهمال المسؤولية التي يفرضها العقل على الانسان.

(إلا من عصم الله)؛ فإنّ العصمة لاهلها، ممن يتمتع بالرؤية الواضحة للمبادي والوسائل والاهداف الاسلامية وقام بدوره المسؤول في الحياة تجاه النفس والاسرة والمجتمع.

ـ (سائلهم متعنت)؛ فإنّ طبيعة السؤال هو لرفع الحاجة المادية أو الفكرية، والتعنت: التشدد، وكأنّه هو الأمر في الحاجة المادية، وكأنّه هو المخاصم في الحاجة الفكرية.

٨ ـ (ومجيبهم متكلف) والتكلف: التحمل لما يصعب ويشق لشئ ليس من عادته، فيكون الجواب للحاجة المادية أو الفكرية مشقة عليه لا يطيقها، ويتهرب منها.

واوضح صفة هؤلاء بقوله: (يكاد أفضلهم رأيا يرده عن فضل رأيه الرضى والسخط)، فان افضل هؤلاء الذي يؤدي واجبه الاسلامي في رد سؤال السائل واعطائه الشئ الفاضل الذي يستغني هو عنه ويحتاج اليه السائل ماديا أو معنويا؛ فإنّ الواجب الاسلامي يستلزم الجواب حسب القدرة والاستطاعة من أي تأثير عاطفي للمجيب، ولكن هؤلاء يكون جوابهم المتكلف على أساس (الرضى والسخط) النفسي، وليس على أساس رضى الله وسخطه.

٩ ـ (ويكاد أصلبهم عودا تنكؤه اللحظة وتستحيله الكلمة الواحدة) وصلب العود كناية عن قوة الدين، ونكاء القرحة: انتشارها قبل البرء، واللحظة: النظرة بالهيبة، والاستحالة: التغيّر؛ فإنّ المجيب المتكلف من الذين هم اقوى الناس عقيدة يكاد أن

(١) الطارق: ٩.

يكون متأثراً بكلمة واحدة من المدح والذم، فينقلب متناسيا للثوابت الاسلامية، أو تؤثر فيه اللحظة المهينة من توعد الشر بنظراته بالرغم من قوته في الدين وعلمه بشريعة سيد المرسلين.

وهذه النقاط حقائق ثابتة في أكثر الافراد في المجتمع، وان قل منهم من منها امتنع ممن عصمه الله، ولا عاصم الّا الله، وربما فضل الإمام عليه السلام خصائص طائفة من المجيبين لما لهم من الاثر في حياة المسلمين والانحراف الدين، فما اكثر ضحايا القضاء على اثر هذه المواقف وما اكثر ما ضاع من حقوق الموافق والمخالف، والله العاصم.

[٣٤٤]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

مَعَاشِرَ النَّاسِ، ٱتَّقُوا ٱللّهَ فَكَمْ مِنْ مُؤَمِّلٍ ما لَا يَبْلُغُهُ، وَبَانٍ ما لا يَسْكُنُهُ، وَجامِعٍ مَا سَوْفَ يَتْرُكُهُ، وَلَعَلَّهُ مِنْ بَاطِلٍ جَمَعَهُ، وَمِنْ حَقٍّ مَنَعَهُ، أَصَابَهُ حَرَاماً وَٱحْتَمَلَ بِهِ أثاماً، فَبَاءَ بِوِزْرِهِ، وَقَدِمَ عَلَى رَبِّهِ آسِفاً لاهِفاً، قَدْ ﴿خَسِرَ الدُّنْيَا والآخِرَةَ، ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ المُبِينُ﴾[1].

(ح ـ ٣٤٤) موجبات التقوى:

تشير الحكمة إلى موجبات التقوى التي يعيشها كلّ فرد في الحياة، فقال:

(معاشر الناس، اتقوا الله) فالخطاب يعم جميع الناس؛ لأنّ تقوى الله لا يختص باحد.

١ ـ (فكم من مؤمل ما لا يبلغه)؛ فإنّ الامل في الحصول على ما يطلبه الإنسان في الحياة لا يختصّ بأحد، ولكن ليس كل مؤمل يدرك مأموله، فهو يعيش في الامل طول عمره، بل لا يبعد القول بأنّه لم يدرك احد مأموله كما يحب.

٢ ـ (وبانٍ ما لا يسكنه)؛ فإنّ البناء انما هو للسكن، ومن بنى لغير السكن فهو بانٍ لغيره وليس لنفسه، فيكون البناء اثراً لا ينفعه وقد يتعظ به غيره.

٣ ـ (وجامع ما سوف يتركه) فكل ما يجمعه الإنسان من الثروة والمال لابدّ وان يتركه

---

(١) الحج ٢٢ : ١١.

بالموت عاجلا أم آجلا.

٤ ـ (ولعله من باطلٍ جمعه) من الموارد غير المشروعة اسلامياً، فيتكاثر المال بالباطل.

٥ ـ (ومن حقٍ منعه) بالظلم على اصحاب الحق بالقوة والغلبة وما شابه.

٦ ـ (أصابه حراما)؛ لأنّه حصّله من طريق غير مشروع، أو منع عنه الشرع كالغصب.

٧ ـ (واحتمل به آثاما) من ذنب الاغتصاب وتضييع حقوق أصحابها .

٨ ـ (فباء بوزره)؛ لأنّه الذي ارتكب المحرم في تحصيل المأثم.

٩ ـ (وقدم على ربّه آسفا لاهفا) والاسف: الحزن على ما ارتكبه من المظالم، واللهف: الحسرة على ما فات من فرصة تعديل المواقف بالتوبة والعمل الصالح.

وعن نتيجة ذلك قال:

١٠ ـ (قد ﴿خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين﴾[١].

وهذه النقاط العشر توجب الاعتبار في دار الاعتبار، والسعي للحصول على التقوى زاداً ليوم القرار.

[٣٤٥]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

مِن الْعِصْمة تَعَذُّرُ المعَاصِي .

(ح ـ ٣٤٥) درجات العصمة:

العصمة – لغة –: الحفظ، وفي اصطلاح المتكلمين: الملكة التي تعصم من ارتكاب المعصية، وتشير الحكمة الى درجات العصمة لغة؛ فإنّ منها تقدر المعاصي، وعدم التمكن منها؛ لعدم وجودها وتيسرها؛ فإنّ ذلك حفظ للانسان عن الوقوع في العصيان، والله المستعان، وكلما زادت درجات التكامل في الإنسان تقرب الى الرحمن، واستحق بذلك الامان في دار الدنيا والآخرة.

---

(١) مقتبس من قوله تعالى في سورة الحج :٨١.

[٣٤٦]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

ماءُ وجْهِكَ جامِدٌ يُقْطِرُهُ السُّؤَالُ، فانْظُرْ عِنْدَ مَنْ تُقْطِرُهُ.

(ح ـ ٣٤٦) اثر السؤال:

السؤال: طلب الحاجة، وقد غلب استعماله في الحاجة المادية.

والحكمة تشير إلى اثر السؤال على الإنسان نفسياً، ويستخدم العرب نظارة الوجه للاستعارة عن السعادة، وعدمها للبؤس والذل، وبهاء الوجه كناية عن ذلك؛ فإنّ السؤال يكون سببا في ذهاب نظرة الوجه بسبب ذهاب الماء، فإنّه كالماء الجامد، والذل بحميه حتّى يذوب قطرة قطرة حتّى ينعدم وينتهي إلى الذل الشامل، والكريم يحفظ ماء وجهه من السؤال ما امكنه إلّا لضرورة قصوى تكون دائرة بين الموت والحياة، والله ارحم الراحمين.

[٣٤٧]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

الثَّناءُ بِأَكْثَر مِنَ الاسْتِحْقاقِ مَلَقٌ، والتَّقْصِيرُ عَنِ الاسْتِحْقاقِ عِيٌّ أوْ حَسَدٌ[١].

(ح ـ ٣٤٧) الاستحقاق:

تشير الحكمة إلى مقياس دقيق للتفريق بين الثناء والملق من ناحية، والتقصير والعي من ناحية اخرى، فان الخلط بينهما كثيرا ما ينفع في المجتمع، فيصبح المثني ملوماً بالملق والمقصر ملوما بالعي أو الحسد، فقال عليه السلام:

أوّلاً: (الثناء بأكثر من الاستحقاق ملق) والثناء: هو المدح على الجميل الاختياري، والملق: الافراط في المدح، والمقياس هو الحد الوسط في الثناء بالاستحقاق، فاذا تجاوز الثناء من حد الاستحقاق كان ملقاً؛ لأنّه افراط في المدح، فلا يجوز المدح باكثر بما يسحقه الانسان.

---

(١) في هـ. د: عيّ وحسد ـ ب.

ثانياً: (والتقصير عن الاستحقاق عيّ وحسد) التقصير: هو القصور في المطلوب، بأن لا يكون الثناء مساويا لما يستحقه من يستحق الثناء، وهذا القصور لا يخلو من امرين:

العجز، وهو العجز عن القيام بالمطلوب.

او الحسد وهو التعمية على صاحب الحق، والرغبة في ازالة استحقاق الثناء منه، فيكون الاستحقاق للثناء هو الحد الوسط بين الافراط، وهو الملق أو التفريط والتقصير، ولا يكون إلّا ببيان الحقيقة كما هي.

[٣٤٨]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

أَشَدُّ الذُّنُوب ما اسْتَهانَ بِهِ صاحِبُهُ[١].

(ح ـ ٣٤٨) درجات الذنب:

لكل شيئ درجات في التقويم من الحسن والقبح، والذنوب في ذاتها قبيحة، وتختلف درجاتها بحسب آثارها على النفس والمجتمع، وقد قسمها الفقهاء إلى المعاصي الصغيرة والكبيرة، واختلفوا في تحديدها .

والحكمة تشير إلى ان الذنوب مهما اختلفت في التقييم صغراً وكبراً فإنّها أشد في تلك الدرجة اذا استهان بها صاحبه؛ فإنّ الاستهانة تكشف في قبح زائد على ارتكاب المعصية هو قبح التجري (راجع المادة في المعجم) فتكون أشدّ فيما اذا ارتكبها العاصي بدونها، فتكون المعصية أشد تاثيراً على نفسية العاصي وابعد في رجوعه إلى التوبة، والله العاصم.

[٣٤٩]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

مَنْ نَظَرَ فِي عَيْبِ نَفْسِهِ ٱشْتَغَلَ عَنْ عَيْبِ غَيْرِهِ، وَمَنْ رَضِيَ بِرِزْقِ ٱللّٰهِ لَمْ يَحْزَنْ عَلَى مَافَاتَهُ، وَمَنْ سَلَّ سَيْفَ ٱلْبَغْيِ قُتِلَ بِهِ، وَمَنْ كابَدَ ٱلْأُمُورَ عَطِبَ، وَمَنْ ٱقْتَحَمَ اللُّجَجَ غَرِقَ،

---

(١) في ط : بها صاحبه.

وَمَنْ دَخَل مَدَاخِلَ السُّوءِ اُتُّهِمَ .

وَمَنْ كَثُرَ كَلاَمُهُ كَثُرَ خَطَؤُهُ، وَمَنْ كَثُرَ خَطَؤُهُ قَلَّ حَيَاؤُهُ، وَمَنْ قَلَّ حَيَاؤُهُ قَلَّ وَرَعُهُ، وَمَنْ قلَّ وَرَعُهُ مَاتَ قَلْبُهُ، ومَنْ ماتَ قَلبُه دَخَلَ النَّارَ.

وَمَنْ نَظَرَ فِي عُيُوبِ ٱلنَّاسِ فَأَنْكَرَهَا ثُمَّ رَضِيَهَا لِنَفْسِهِ فَذَلِكَ ٱلْأَحْمَقُ بِعَيْنِهِ، وَالْقَنَاعَةُ مَالٌ لَا يَنْفَدُ(١).

وَمَنْ أَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِ المَوْتِ رَضِيَ مِنَ ٱلدُّنْيَا بِالْيَسيرِ .

وَمَنْ عَلِمَ أَنَّ كَلَامَهُ مِنْ عَمَلِهِ قَلَّ كَلَامُهُ إِلَّا فِيَما يَعْنِيهِ .

(ح - ٣٤٩) من جوامع الكلم:

تستعرض الحكمة جوامع الكلم في عشر خصال بقوله:

١ ـ (من نظر في عيب نفسه اشتغل عن عيب غيره)؛ فإنّ كلّ انسان له معائبه في الخَلق والخُلُق والعادات والطبائع، فاذا نظر في عيوب نفسه لوجدها اما مساوية لمعايب الآخرين أو افضع، فسينشغل قهرا عن النظر في عيوب غيره.

٢ ـ (ومن رضي برزق الله لم يحزن على ما فاته)؛ فإنّ نتيجة الرضا بالموجود القناعة، واثر القناعة انّه لا ينظر إلى مافات وكان ما فات مات، فلا يوجد داع للحزن عليه.

٣ ـ (ومن سل سيف البغي قتل به)؛ فإنّ الباغي بالبدء بالبغي يشرّع لغيره جواز استخدام البغي في الوصول الى ما يريده بالغلبة والمقدرة فيكون هو مقتولا بذلك لا محالة.

٤ ـ (ومن كابد الأمور عطب) والمكابدة: تحمل المشقة، والعطب: الهلاك؛ فإنّ لتحمل المشقة حدود، وتحملها في سبيل امر واحد ممكن، واما تحملها في جميع الامور فيستوجب الهلاك.

٥ ـ (ومن اقتحم اللجج غرق) واللجة: امواج البحر المتلاطمة، فإنّها اقتحام الامور العظام التي تتوارد من دون معرفة لنهايتها واستعدادٍ لها لابدّ للغرق فيها.

٦ ـ (ومن دخل مداخل السوء اتهم)؛ فإنّ مواضع التهمة لا يتردد اليها إلّا اصحابها،

---

(١) في هـ. د: «والقناعة مال لاينفذ» ساقطة من ب.

والدخول فيها موجب للتهمة.

٧ ـ (ومن كثر كلامه كثر خطؤه)؛ فإنّ كثرة الكلام يكون عادة من قلة التدبر، وقلته من كثرة التدبر فيه قبل القيام به.

٨ ـ (ومن كثر خطؤه قل حياؤه)؛ فإنّ نتيجة كثرة الخطأ التعوّد عليه حتّى يصح طبيعة ثانية، وبالنتيجة لا يستحي الإنسان مما تعود عليه.

٩ ـ (ومن قل حياؤه قل ورعه)؛ فإنّ قلة الحياء من الشيئ يستلزم عادة قلة التورع من حصوله، ولا يكون حينئذ داعي للتورع منه.

١٠ ـ (ومن قل ورعه مات قلبه)؛ فإنّ قليل الورع في الامور يبتني على التفكير في الاسباب والنتائج للامور، فيكون قلبه اي عقله ميّتا من دون تفكير.

١١ ـ (ومن مات قلبه دخل النار)؛ فإنّ موت التفكير كان بسبب اختياره بنفسه، واصبح كافراً اي غطى عقله ومنعه من التفكير، والكفر عن عمد موجب للنار.

١٢ ـ (ومن نظر في عيوب الناس فأنكرها، ثمّ رضيها لنفسه فذاك الأحمق بعينه)؛ لأنّ الحمق: قلة العقل، فان انكار عيب من العيوب يقتضي عدم رضاه بذلك لنفسه، فيكون الراضي بذلك لنفسه قليل العقل.

١٣ ـ (والقناعة مال لا ينفد)؛ فإنّ بالقناعة يحافظ الإنسان عن البذل فيما لا ضرورة فيه، وفي ذلك حفظ لرأس المال، ولا ينفذ ابدا كما تقدم في الحكمة ٥٧ و ٢٢٧.

١٤ ـ (ومن أكثر من ذكر الموت رضي من الدنيا باليسير) لعلمه بأن الاكثار من المال في الدنيا لا يجلب له سوى الوبال في ادارته والحفظ عليه من السرقة والفساد ومن اعين الحساد.

١٥ ـ (ومن علم أن كلامه من عمله قل كلامه إلّا فيما يعنيه)؛ فإنّ كلّ ما يصدر من الإنسان من عمله هو مسؤول عنه، بما في ذلك الكلام الذي يظهر ما يضمره الإنسان في قلبه، وعليه تعقد العهود والعقود والمناكح والمصالح والصداقة والعداوة، فله آثاره الواضحة في الحياة، فلا بد لمن يتأمل في ذلك أن لا يتكلم إلّا فيما يعنيه، ومن لا يضبط كلامه فكأنّه لا يراه عملا يحققه اللسان على عظم ما فيه من الاثار في حياة الانسان، والله المستعان.

[٣٥٠]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

لِلظَّالِمِ مِنَ الرِّجَالِ ثَلَاثُ عَلَامَاتٍ : يَظْلِمُ مَنْ فَوْقَهُ بِالْمَعْصِيَةِ ، وَمَنْ دُونَهُ بِالْغَلَبَةِ ، وَيُظَاهِرُ ٱلْقَوْمَ الظَّلَمَةَ .

(ح - ٣٥٠) **علامات الظالم:**

تشير الحكمة إلى علامات ثلاث للظالم وقد عددها بقوله:

أوّلاً: (يظلم من فوقه بالمعصية) حيث يعصى الله سبحانه الذي نهى عن الظلم، فقال: ﴿ومن يظلم منكم نذقه عذابا كبيرا﴾.[1]

ثانياً: (ومن دونه بالغلبة) قال تعالى:﴿وقال الظالمون ان تتبعون إلّا رجلا مسحوراً﴾.[2]

ثالثاً: (ويظاهر القوم الظلمة) أي يساعدهم، وقد نهى الله عن ذلك بقوله:﴿ولاتركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار﴾.[3]

فان الظلم مرض نفساني، ولا يكتفي الظالم بهلاك نفسه إلّا وان يشرك معه اخرين، فيعصي الله ويضل الآخرين بالمعصية، ويتعاون مع العصاة وينغمس في العصيان إلى الآذان.

[٣٥١]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

عِنْدَ تَنَاهِي الشِّدَّةِ تَكُونُ[4] ٱلْفُرْجَةُ[5] ، وَعِنْدَ تَضَايُقِ حَلَقِ ٱلْبَلَاءِ يَكُونُ الرَّخَاءُ .

(ح - ٣٥١) **الفرج والرجاء:**

لكل شئ حد ينتهي إليه فلا يتجاوزه، والحكمة تشير إلى نهاية حد الشدة والضيق؛

---

(١) الفرقان : ١٩.
(٢) الفرقان : ٨.
(٣) هود : ١١٣.
(٤) في ص: يكون تكون معاً.
(٥) في ص: الفرج، وفي هـ. ص: في نسخة: الفرجة.

فإنّ لكل منهما حد ينتهيان بالوصول إلى ذلك الحد، وتناهي الشدة هو الحد للفرج، وبتناهي البلاء يكون الرجاء، فان الابتلاء وهو الامتحان يبتدئ بدرجات حتّى يكون حلقة دائرة حول الإنسان فتتضيق عليه حتّى تجعله يفقد قوته، وتاريخ الثورات والفرج منها تشهد بذلك، قال تعالى:﴿فان مع العسر يسراً ○ ان مع العسر يسراً﴾.[1]

[٣٥٢]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ لِبَعْضِ أصْحابه :

لا تَجْعَلَنَّ أكْثَرَ شُغْلِكَ بأهْلِكَ ووَلَدِكَ ، فإنْ يَكُنْ أهْلُكَ ووَلَدُكَ أوْلِياءَ ٱللّهِ فإنّ اللّهَ لا يُضَيِّعُ أوْلياءَهُ، وإنْ يَكُونوا أعْدَاءَ اللّهِ فما هَمُّكَ وشُغْلُكَ بأعْدَاءِ اللّهِ ؟!

(ح ـ ٣٥٢) الاهل والاولاد:

من الطبيعي أن يهتم الإنسان بأهله وولده باعتباره فرضا اسلامياً، واما أن يجعل اكثر شغله واهتمامه ذلك فأمر زائد على الواجب اسلاميا، واهتمام بالمستقبل الذي لا يعلمه سوى الله، فتحدد الحكمة ضرورة الاهتمام الطبيعي فقط فقال:

١ ـ (لا تجعلن أكثر شغلك بأهلك وولدك) بتضييع الواجبات الاخرى بالنسبة الى نفسك وحاضرك ومستقبلك، بل يجب أن يكون الاهتمام بهما اهتماما طبيعيا، وقد ذكر السبب في ذلك بقوله:

٢ ـ (فإن يكن أهلك وولدك أولياء الله؛ فإنّ الله لا يضيع أولياءه) حيث انهم باعتبارهم مسلمين يسيرون على الثوابت الاسلامية، فيكون حالهم حال جميع افراد المسلمين، وقيامهم بواجباتهم تضمن لهم مستقبلهم بالاتكال على الله والعمل كما امر الله به في تامين الحياة.

٣ ـ (وإن يكونوا أعداء الله فما همك وشغلك بأعداء الله)؛ فإنّ اي اهتمام يقوم به تجاه العدو لا يقوم على أساس انّه اهتمام، بل يتعامل معه على أساس انّه عداء، حيث أن العدو لا يرى لما يفعله غيره إلّا من منظار العداوة التي ينظر هو بها، فلا يرى الاحسان إلّا عداوة

---

(١) الانشراح : ٥.

والاهتمام به إلّا خديعة، ولا يمكنه أن يتصور التحرك من جانب المسلم على أساس الثوابت الاسلامية سوى من يؤمن بتلك الثوابت أو يدرسها، وقل من يدرس الاسلام على حقيقته ولا يؤمن به.

[٣٥٣]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

أَكْبَرُ الْعَيْبِ أَنْ تَعِيبَ ما فِيكَ مِثْلُهُ .

(ح ـ ٣٥٣) اكبر العيب:

العيب: النقص الذي يوجب عاراً، وقل من يخلو من ذلك في خلقه أو خلقه أو منطقه، وله درجات مختلفة باختلاف العادات والتقاليد في المجتمع. وتحدد الحكمة أن العيب الذي لا يختلف فيه العادات والتقاليد بين الامم كافة هي أن يعيب الآخرين بما فيه مثله، فإنّه في الحقيقة عيب الإنسان نفسه، وليس هناك ذم اكبر من أن يذم الإنسان نفسه.

[٣٥٤]

وهَنَّأَ بِحَضْرَتِهِ عَليه السَّلام[1] رَجُلٌ رَجلاً آخر[2] بِغُلامٍ وُلِدَ، فقَالَ لَهُ : لِيُهْنِئْكَ الْفارِسُ .

فقالَ عليه السَّلامُ :

لا تَقُلْ ذَلِكَ ، ولَكِنْ قُلْ: شَكَرْتَ ٱلْوَاهِبَ ، وَبُورِكَ لَكَ فِي ٱلمَوْهُوبِ ، وبَلَغَ أَشُدَّهُ ، وَرُزِقْتَ بِرَّهُ .

(ح ـ ٣٥٤) التهنئة بالمولود:

التهنئة بالمولود امر طبيعيّ في كلّ الامم، والعادات في ذلك تختلف باختلافها، وكان من شعار الجاهلية التهنئة بالمولود الذكر بعبارة: (ليهنئك الفارس) تفاؤلا بطول عمره حتّى يصبح فارساً في ميدان الحرب.

وقد نهى الإمام عن ذلك باعتباره شعارا للجاهلية، وامر بالبديل الاسلامي في ذلك مما

---

(١) لم ترد «عليه السلام» في ط.

(٢) لم ترد «آخر» في د، وفي هـ. د: رجل رجلاً آخر ـ ح.

يؤكد على الثوابت الاسلامية من الصلة بالله سبحانه والدعاء للمولود واهله في اربع نقاط:

أوّلاً: (ولكن قل : شكرت الواهب)؛ فإنّ ذلك من الله سبحانه فضل ونعمة يجب شكرها.

ثانياً: (وبورك لك في الموهوب)؛ فإنّ الولد هبة منه تعالى والدعاء للبركة فيه للوالد باعتباره المستلم للهبة الالهية.

ثالثاً: (وبلغ أشده) دعاء للولد با الصحة والسلامة وطول العمر بما ينفعه هو شخصيا.

رابعاً: (ورزقت بره) دعاء للوالد بأن يكون الولد عضوا صالحا في المجتمع يقوم بواجبه الاسلامي، ومن ذلك بر الوالدين.

فان هذه النقاط الاربع في التهنئة الاسلامية للمولود الجديد تؤكد الثوابت الاسلامية التي يجب الالتزام بها في المجتمع الاسلامي سواءً من الوالد في الحاضر أو المولود في المستقبل.

[٣٥٥]

وَبَنى رَجُلٌ مِن عُمَّالِهِ بِناءً فَخْماً فقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

أطْلَعَتِ ٱلْوَرِقُ رُؤُوسَها ، إنَّ ٱلْبِناءَ ليَصِفُ[1] لَكَ ٱلْغِنى .

(ح - ٣٥٥) البناء الفخم:

الورق – بفتح الراء –: عضو النبات النامي على الاغصان بمختلف الاشكال والألوان بعضها، وهو باللون الاخضر غالباً. ويسقط في الخريف والشتاء، والورق – بكسر الراء –: الفضّة.

والحكمة تحتمل الامرين، وان كان الثاني أوفق؛ لكون البناء لاحد عماله، وهو القائم مقامه في الاعمال، فيكون تعريفا بما له وما عليه ، فإنّ البناء الفخم يفتقر إلى موارد مالية فخمة، فيكون البناء اثراً دالاً على ذلك، وكان اوراق شجر طلعت رؤوسها في الربيع أو رؤوس نقود فضة اظهرت جمالها البديع ففي الحالتين فالبناء الفخم يصف لك درجة الغنى

---

(١) في ط و د: يصف.

الذي حصعل عليها العامل اما بطريق الحق أو بطريق الباطل، والله الحاكم العادل.

[٣٥٦]

وقِيلَ لَهُ عَلَيهِ السَّلامُ : لَوْ سُدَّ على رَجُلٍ بابُ بَيْتٍ[١] وَتُرِكَ فِيهِ، مِنْ أَيْنَ كانَ يأتِيهِ رِزْقُهُ؟ فَقالَ:

منْ حَيْثُ يأتِيهِ أجلُهُ [٢].

(ح ـ ٣٥٦) الرزق آت:

الرزق كالاجل امرهما بيد الله تعالى، ولا يعلم امرهما سوى الله تعالى، فقد قال تعالى في الاجل:﴿فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون﴾.[٣] وقال في الرزق:﴿والله يزرق من يشاء بغير حساب﴾ [٤].

فاينما كان الإنسان فان رزقه واجله يأتيه من حيث اراد الله تعالى، وقال: :﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾.[٥]

[٣٥٧]

وَعَزّى عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ قَوْماً عَن مَيّتٍ مَاتَ لَهُمْ فَقَالَ:

إِنَّ هَذَا ٱلْأَمْرَ لَيْسَ بكُمْ[٦] بَدَأَ، وَلَا إِلَيْكُمُ ٱنْتَهى، وَقَدْ كَانَ صَاحِبُكُمْ هَذَا يُسَافِرُ فَعُدُّوهُ فِي بَعْضِ أَسْفارِهِ [٧]، فَإِنْ قَدِمَ عَلَيْكُمْ وَإِلَّا قَدِمْتُمْ عَلَيْهِ .

---

(١) في هـ. د: بيته ـ ض م ح.
(٢) في هـ. ص: فهم عليه السلام من قصد السائل استبعاد أن يصدر رزق من جهة الله إلى مَن هذا حاله؛ لانسداد المسالك. فقال عليه السلام: لا استحالة في ذلك بالنظر إلىٰ قدرة الله ألا ترى إنّ الموت لابدّ فيه من حضور الملائكة عنده، كما نصّ عليه القرآن، فكما يمكن وصولهم إليه لقبض روحه كذلك لإيصال رزقه، أو بأن يخلق الله في البيت رزقاً له ابتداءً، فكل ذلك ممكن غير مستحيل في قدرة الله تعالىٰ.
(٣) النحل : ٦١.
(٤) البقرة: ٢١٢.
(٥) الطلاق : ٣.
(٦) في د: لكم.
(٧) في ص: سفراته، وفي هأ: في نسخة: سفراته.

(ح - ٣٥٧) الميت:

تشير الحكمة إلى حقائق عن الموت والميت، وهو يخاطب اصحاب الميت يعزيهم بقوله:

١ ـ (إن هذا الأمر ليس بكم بدأ)؛ فإنّ الموت ليس امر خاص بهذه الاسرة، بل سبقتكم في التاريخ في اجيال كثيرة متعاقبة.

٢ ـ (ولا إليكم انتهى)؛ فإنّ الموت سيحصد آخرين من البشر في المستقبل إلى نهاية الكون.

٣ ـ (وقد كان صاحبكم هذا يسافر) في حياته للحصول على ما يريد تحقيقه بالسفر من التجارة والزيارة وغيرها.

(فعدّوه في بعض أسفاره)؛ فإنّ الموت ايضا سفر من الحياة الدنيا إلى الحياة الآخرة.

(فإن قدم عليكم) من سفره فهو المطلوب ولكن العلم بأن الموت يمنعه عن الرجوع.

(وإلا قدمتم عليه)؛ فإنّ الملتقى يكون بين الجميع بعد الموت .

فلا ينفع الجزع والفزع ولا يغيّر الواقع الذي وقع.

[٣٥٨]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

أَيُّهَا النَّاسُ، لِيَرَكُمُ اللّهُ مِنَ النِّعْمَةِ وَجِلِينَ، كما يَرَاكُمْ مِنَ النِّقْمَةِ فَرِقِينَ[١]، إنَّهُ مَنْ[٢] وُسِّعَ عَلَيْهِ فِي ذاتِ يَدِهِ، فَلَمْ يَرَ ذلَكَ ٱسْتِدْرَاجاً، فَقَدْ أَمِنَ مَخُوفاً، وَمنْ ضُيِّقَ عَلَيْهِ فِي ذَاتِ يَدِهِ، فَلَمْ يَرَ ذَلِكَ ٱخْتِباراً[٣]، فَقَدْ ضَيَّعَ مَأْمُولاً .

(ح - ٣٥٨) النعمة والنقمة:

(النعمة: ما طاب من العيش، والنقمة: ما بلغ في الكراهة من العيش، والوجل: الخوف، والفرق: الفزع، والاستدراج: الاخذ بغتة متلبسا بالجريمة، والاختبار: الامتحان).

---

(١) أي فزعين .
(٢) في هـ . ص: هذا بيان وجه الوجل من النعمة.
(٣) في ص: اختياراً، وفي هـ . ص: في نسخة: اختباراً.

والحكمة تشير إلى ضرورة اليقظة عند النعمة كما هي الحال عند النقمة فقال:

١ ـ (أيها الناس ليركم الله من النعمة وجلين) فيلزم أن يكون صاحب النعمة وجلا خائفاً من ان تكون النعمة استدراجاً؛ فإنّ من الطبيعي أن يكون صاحب النعمة في حالة النشوة والفرح ، فيغتر بها ويبطر على من دونه، فلابد من أن يخاف من حالة كهذه.

٢ ـ (كما يراكم من النقمة فرقين)؛ فإنّ الحالة الصعبة عند حصول ما يكره من العيش أن يفزع الإنسان خشية الهلاك.

وعن سبب الخوف عند النعمة كالفزع عند النعمة قال:

٣ ـ (إنه من وسع عليه في ذات يده فلم ير ذلك استدراجا فقد أمن مخوفا)؛ فإنّ الاستدراج هو الاخذ بغتة متلبسا بالجريمة فيعطي الرقيب المجرم الفرصة الكافية للتلبس بالجريمة فيأخذة عليها، فيكون آمنا الخوف، وهو أشد حاجة للخوف من مثل هذه الحالة.

٤ ـ (ومن ضيق عليه في ذات يده فلم ير ذلك اختبارا فقد ضيع مأمولا)؛ فإنّ الامتحان قد يكون بالتضييق لمعرفة رد الفعل للانسان باختياره عند الضيق، فاذا كان الإنسان يقظا منتبها إلى كونه امتحانا فيصبر ويكتب له اجر الصابرين، والا فقد ضيع ما هو المأمول عند الامتحان، فيكون من الخاسرين.

فالنقطة عن النعمة يستوجب الشكر لها وعند النقمة الصبر؛ فإنّ الله لا يضيع اجر من أحسن عملا.

[٣٥٩]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

يا أَسْرَى الرَّغْبَةِ أَقْصِرُوا[١]؛ فإن المُعَرِّجَ على الدُّنْيا لا يَرُوعُهُ مِنْها إِلّا صَرِيفُ[٢] أَنْيَاب الْحدثانِ. أَيُّهَا النَّاسُ، تَوَلَّوْا مِنْ أَنْفُسكُمْ تأْدِيبَها، وَٱعْدِلوا بِها عَنْ ضَرَاوَةِ[٣] عَادَاتِها .

---

(١) أي كفوا.

(٢) في هـ . ص: الصريف هو صوت الاسنان عند محرق بعضها ببعض لشدّة الغضب وإرادة الانتقام.

(٣) في أ: ضرابة، وفي هـ . أ: في نسخة: ضراوة.

(ح - ٣٥٩) رغبات النفس:

(الرغبة: حب الشيء، والقصر: الكف، والعرج: الميل، والروع: الفزع، والصريف: صوت الاسنان عند الاصطكاك، والانياب: السن، والحدثان: المكروه من الحوادث، والتولي: التحمل، والضراوة: الشدة).

تشير الحكمة إلى ضرورة كبح جماح النفس في رغباتها وشهواتها حتّى لا يصبح الإنسان اسيراً لها في الحياة، فان متابعة تلك الشهوات تصبح عادة يقع الإنسان في اسرها طول العمر، فقال عليه السلام:

(يا أسرى الرغبة أقصروا)؛ فإنّ الناس اجمعين في حكم الاسير لرغبات النفس الامارة بالسوء، فلابد من الكف من متابعة الرغبات هذه.

وعن السبب في هذا الأمر الارشادي قال:

(فإن المعرج على الدنيا لا يروعه منها إلّا صريف أنياب الحدثان)؛ لأنّ الميل إلى الدنيا لا يفزعه سوى صوت الاسنان عند الاصطكاك في حال حدوث النوائب بمواجهة حقيقة الموقف المروع، فلابد من الاستعداد لهذا اليوم المهول قبل حدوثه بالكف عن رغبات النفس.

وعن كيفية الكف عن الرغبات قال:

(أيها الناس، تولوا من أنفسكم تأديبها واعدلوا بها عن ضراوة عاداتها)؛ فإنّ الكف عن رغبات النفس من ناحيتين:

أوّلاً: بالتأديب والتهذيب للنفس الانسانية بتحمل الصعوبات في سلوك مدارج الكمال الانساني كما هو مشروح في علم الاخلاق والعرفان (راجع المادة المعجم).

ثانياً: استدراج في التهذيب؛ فإنّ رغبات النفس لا يمكن قلعها مرة واحدة، بل لابد من التدرج، والدرجة الاولى هي العدول بها عن شدة العادات بتحقيقها درجة درجة حتّى تنتهي الى أضعف الدرجات، ثمّ السلوك في مدارج الكمال وهو ما يعبر عنه اهل العرفان بالتخلية والتحلية.

[٣٦٠]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

لا تَظُنَّنَّ[١] بِكَلِمَةٍ خَرَجَتْ مِنْ أَحَدٍ سُوءً وأَنْتَ تَجِدُ لَهَا فِي الْخَيْرِ مُحْتَمَلاً[٢].

(ح ـ ٣٦٠) **ظن الخير:**

تنهي الحكمة عن سوء الظن، قال تعالى: ﴿يا ايها الذين امنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم﴾ [٣] فما يسمعه الإنسان من كلمة، فان كان لها محمل في الخير فلابد من حملها على الخير، وان لا يظن بها السوء؛ فإنّ حمل ذلك على الخير فيه راحة نفسية للانسان في الحال، وربما لا يكون للظن السيئ واقع اصلاً، واذا كانت الحقيقة فلكل حادث حديث.

[٣٦١]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

إِذَا كَانَتْ لَكَ إِلَى اللّهِ سُبْحانَهُ حاجَةٌ فابْدَأْ بِمَسْأَلَةِ الصَّلَاةِ عَلَى رَسُولِهِ صلّى اللّه عليهِ وعلى[٤] آلِهِ، ثُمَّ سَلْ[٥] حاجَتَكَ؛ فإنَّ اللّهَ أَكْرَمُ مِنْ أَنْ يُسْأَلَ حاجَتَيْنِ، فَيَقْضِيَ إِحْدَاهُما وَيَمْنَعَ الأُخْرَى.

(ح ـ ٣٦١) **الصلاة على الرسول ﷺ:**

من ادب الدعاء في طلب الحاجات البدأة بالصلاة على محمّد واله ﷺ، وقد اكدت الحكمة على ذلك؛ لان الحاجة حينئذ تكون حاجتين احداهما الدعاء بالرحمة على خاتم الرسل، وثانيهما الدعاء بطلب الحاجة الشخصية، وبما أن الدعاء الأوّل مستجاب من الله سبحانه لمن اختاره الله لابلاغ رسالته إلى خلق الله، فيكون الدعاء الأوّل شفيعا

---

(١) ضن: بخل، والمراء: الجدال في غير حق، وفي تركه صون للعرض عن الطعن.
(٢) في ص: محملاً، وفي هـ. ص: قال في الشرح: هذه الكلمة يرويها كثير من الناس لعمر بن الخطاب، ويرويها بعضهم لأمير المؤمنين عليه السلام.
(٣) الحجرات: ١٢.
(٤) لم ترد «على» في أ و ط.
(٥) في ص: اسأل.

للثاني والله خليق بأن يكرم العبد باحسانه العميق؛ لأنّه اشفق شفيق.

[٣٦٢]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

مَنْ ضَنَّ بِعِرْضِهِ فَلْيَدَعِ ٱلْمِرَاءَ .

(ح - ٣٦٢) المراء:

(المراء: الجدال، والضن: البخل والعرض: ما يصان ويحفظ بالنفس) .

ان طبيعة الجدال بغير حق هو اللجوء إلى كلّ ما يمكن الإنسان من الغلبة على خصمه، والخصم من جانبه يستخدم كلما يؤثر في الخصم بما في ذلك ما يمس العرض، فاذا كان الإنسان محافظا على شئ أكثر فان العدو يستهدفه، فلابد أن يدع العداء لئلا يكون ذلك له فداء.

[٣٦٣]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

مِنْ الْخُرقِ[١] ٱلْمُعَاجَلَةُ قَبْلَ ٱلْإِمْكَانِ، وَٱلْأَنَاةُ[٢] بَعْدَ ٱلْفُرْصَةِ .

(ح - ٣٦٣) من الحمق:

(الخرق: الحمق)؛ وتشير الحكمة إلى ان الامور انما تتحقق حسب الظروف والاحوال المحيطة بها، كما تباع السلعة في السوق حسب قانون العرض والطلب، وليست هذه الظروف والاحوال ـ على الاغلب ـ في قدرة كلّ انسان، والعاقل من يعالج الامور عند امكان المعالجة، ويستغل الفرصة المتاحة للعلاج؛ فإنّ من الحمق المعالجة قبل الامكان أو مع استحالة ذلك، كما انّه من الحمق الصبر والاناة بعد انتهاء الفرصة المتاحة للعمل.

---

(١) الخرق ـ بالضم ـ: الحمق، وضد الرفق.

(٢) الأناة: التأني، والفرصة: ما يمكّنك من مطلوبك، ومن الحكمة أن لا تتعجل حتى تتمكن وإذا تمكّنت فلا تمهل.

[٣٦٤]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

لَا تَسْأَلْ[(١)] عَمَّا لا[(٢)] يَكُونُ، فَفِي ٱلَّذِي قَدْ كَانَ لَكَ شُغْلٌ[(٣)] .

(ح ـ ٣٦٤) **المستحيلات:**

السؤال مفتاح المعرفة، ولا يستخدم السؤال إلّا لمعرفة ما يمكن معرفته، اما السؤال عما لا يكون من المستحيلات فليس إلّا محاولة لمعرفة المستحيل، مع الظلم بأنّه يستحيل معرفته؛ فإنّ المجهولات التي تحيط بحياة الإنسان اكثر مما يتصوره العقل سواءً في االنفس أو الافاق والارضين والسموات، والإنسان لا يمكنه الاحاطة بما يعنيه فكيف بمالا يعنيه؟ فلابد من التركيز على الاولويات في الحياة، وفيها الشغل الكافي أن كان له الوقت الوافي.

[٣٦٥]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

ٱلْفِكْرُ مِرْآةٌ صَافِيَةٌ، وَالاعْتِبَارُ مُنْذِرٌ نَاصِحٌ، وَكَفَى أَدَباً لِنَفْسِكَ تَجَنُّبُكَ مَا كَرِهْتَهُ لِغَيْرِكَ .

(ح ـ ٣٦٥) **حقائق ثلاث:**

في هذه الحكمُ ثلاث حقائق، هي:

الحقيقة الاولى :(الفكر مرآة صافية)؛ فإنّ الفكر الحر ينظر إلى الامور بروح موضوعية بعيدة عن العواطف والاعتبارات الشخصية والقومية وما شابه، فتتحقق الحقائق كما هي عليها.

الحقيقة الثانية: (والاعتبار منذر ناصح)؛ فإنّ الاعتبار بالتاريخ وما جرى على الامم الاخرى ينذر عن نقاط الضعف التي أدت إلى انهيارها، فلا انصح من ذلك للانسان؛ لأنّ التاريخ لا يخفي شيئاً .

---

(١) في أ: لا تسل، ولا تسأل ـ معاً ـ.

(٢) في ص: لم.

(٣) في د زيادة منه، وفي هـ. د: «عنه» ساقطة من م ف ن.

الحقيقة الثالثة: (وكفى أدبا لنفسك تجنبك ما كرهته لغيرك)؛ فإنّ هذا المقياس بيد الإنسان نفسه في معرفة المكروه، فاذا كرهت الشيئ لنفسك فلابد وان تعلم أن غيرك ايضا يكرهه، فتجنى عن ذلك للغير ايضاً.

فهذه الحقائق الثلاث تضمن للعاقل استخدام الفكر الحر والاعتبار والادب والحياة.

[٣٦٦]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

ٱلْعِلْمُ مَقْرُونٌ بِالْعَمَلِ، فَمَنْ عَلِمَ عَمِلَ، وَٱلْعِلْمُ يَهْتِفُ بِالْعَمَلِ، فَإِنْ أَجَابَهُ وَإِلَّا ٱرْتَحَلَ عَنْهُ.

(ح ـ ٣٦٦) العلم والعمل:

العلم يقارن العمل في الاثر، فاذا تجرد العلم عن العمل كان علما بلا اثر، والشيئ الذي لا اثر له يكون سواء وجوده وعدمه في انتفاء الاثر عنهما.

فلا يكون العلم الفاقد للاثر علماً من اجل ذلك قال عليه السلام:

١ ـ (العلم مقرون بالعمل) مقارنة الاثر بالمؤثر والسبب بالمسبب.

٢ ـ (فمن علم عمل)؛ لأنّ العمل يظهر نتيجة العلم.

٣ ـ (والعلم يهتف بالعمل) بالنداء للعمل على مقتضى العلم.

٤ ـ (فإن أجابه) كان العلم علماً حقيقيّاً ذا ثمر في الحياة.

٥ ـ (وإلا ارتحل عنه)؛ لأنّه علم بلا عمل، وهو مساوق لعدم العلم من جهة عدم الثمر لها.

[٣٦٧]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

يا أَيُّها النَّاسُ[١]، متَاعُ الدُّنْيا حُطامٌ مُوبِىءٌ، فَتَجَنَّبُوا مَرْعاةً قُلْعَتُها أحْظَى[٢] مِنْ

---

(١) في ط و د : أيها الناس.
(٢) في هـ. ص: من الحظوة، وهي الرجحان.

طُمَأْنينَتِها، وبُلْغَتُهَا[١] أزْكَى[٢] مِن ثَرْوَتِها، حُكِمَ على مُكْثِريها بالْفاقَةِ، وَأُعِينَ[٣] مَنْ غَنِيَ عَنْها بالرَّاحَةِ[٤]، مَنْ رَاقَهُ[٥] زِبْرِجُهَا[٦] أَعْقَبَتْ ناظِرَيْهِ كَمَهاً[٧]، وَمَنِ اسْتَشْعَرَ الشَّغَفَ[٨] بهَا مَلَأَتْ ضَمِيرَهُ أَشْجاناً، لَهُنَّ رَقْصٌ[٩] عَلَى سُوَيْدَاءِ قَلْبِهِ، هَمٌّ يَشْغَلُهُ، وهَمٌّ[١٠] يَحْزُنُهُ، كَذلِكَ حَتَّى يُؤْخَذَ بِكَظَمِهِ[١١] فَيُلقَى بِالْفَضاءِ، مُنْقَطِعاً أَبْهَرَاهُ[١٢]، هَيِّنًا عَلَى اللّه فَناؤُهُ، وعَلَى الإخْوَانِ إلْقاؤُهُ.

(ح ـ ٣٦٧) متاع الدنيا:

يستعرض هذا المقطع خصائص متاع الدنيا وقد سردها بقوله:

١ ـ (يا أيها الناس، متاع الدنيا حطام موبئ) المتاع: ما ينتفع به، والحطام: المتكسر من الحشيش، والوباء: المرض المهلك؛ فإنّ ما ينتفع به الإنسان في الحياة يشترك مع الحطام والوباء في صفة الفناء، فإنّها جميعا فانية لا محالة.

٢ ـ (فتجنبوا مرعاه) كما يتجنب الراعي المراعي المنتنة الموجبة لهلاك المواشي؛ حفظا لها .

٣ ـ (قلعتها أحظى من طمأنينتها) القلعة: الانقلاع منها، والحظ: السعادة: والطمأنينة: التوقف في المرعى للرعي؛ فإنّ الخروج من المرعي الموبوء اسعد من البقاء فيه.

٤ ـ (وبلغتها أزكى من ثروتها) البلغة: ما تبلغ الحاجة، والزكاة: الطيب، والثروة: المال؛ فإنّ الاكتفاء بما يحتاج اليه الإنسان من القوت اطيب من ثروة المال فيها.

---

(١) هـ. ص: هي ما يتبلغ به إلى الأجل.
(٢) في هـ. ص: أنمىٰ.
(٣) في هـ. ص: وروي: «اغني» أي أغناه الله بالقناعة.
(٤) في هـ. ص: أي خلوّ البال من الهمّ والغمّ.
(٥) هـ. ص: أعجبه.
(٦) في هـ. ص: الزبرج : الزينة.
(٧) في هـ. ص: الكمه: العمى الشديد، وقيل: أن يولد أعمى.
(٨) في د: الشعف، وفي هـ. ص: أي ألصقهُ بقلبه.
(٩) في هـ. ص: أي حركة واضطراب.
(١٠) في ط: وغم.
(١١) في هـ. ص: الكظم بفتح الظاء: مجرىٰ النّفس في الصدر والحلق.
(١٢) في هـ. ص: أبهراه، هما عرقان متصلان بالقلب، ويقال: أنهما يتشعبان منه إلى الظهر.

٥ ـ (حكم على مكثر بها بالفاقة) وهي الحاجة؛ لأنّ من يكثر من الثروة في الدنيا يصبح فقيرً اليها، ويزيد طمعه كلما زادت ثروته فيصبح فقيرا اليها بالبخل المستولي على قلبه.

٦ ـ (وأعين من غني عنها بالراحة)؛ فإنّ من استغنى عن كثرة المال يرتاح من الفاقة اليها نفسيا، ولا يشتغل بهمومها.

٧ ـ (ومن راقه زبرجها أعقبت ناظريه كمّها) والروق: العجب، والزبرج: الزينة، والكمه: العمى؛ فإنّ من يعجب بزينة الحياة الدنيا تصبح عينه عميّة عن الحقائق، منجذبة الى الظاهر فقط حيث يتأثر بالمظاهر دون الحقائق.

٨ ـ (ومن استشعر الشغف بها ملأت ضميره أشجانا) الشغف: الولع، والشجن: الحزن؛ فإن وقع في الولع بزينة الدنيا استولى على ضميره انواع الحزن.

وعبر عن انواع الحزن هذه بقوله:

(لهن رقص على سويداء قلبه) والرقص: الحركة المضطربة؛ فإنّ هذه الانواع من الحزن تستمر في ورودها على القلب في اضطراب يوجب اضطراب القلب والشغل، وقد شرح انواع الحزن هذه بقوله:

٩ ـ (هم يشغله)؛ فإنّ مظاهر الحياة الدنيا مصحوبة بالهم الشاغل في المحاسبات اليوميّة للدخل والصرف، فهو باستمرار يفكر فيها نقصا وزيادة ليلا ونهارا.

١٠ ـ (وغم يحزنه) عند النقصان في الارباح أو في رأس المال أو خسارة ما.

١١ ـ (كذلك حتّى يؤخذ بكظمه) والكظم: مخرج النفس، فينقطع نفسه بالموت؛ فإنّ الاستمرار في حالة الشغل هذه لا تنقطع عند حد في الحياة إلّا بالموت.

١٢ ـ (فيلقى بالقضاء) الالقاء: الطرح، حيث يغلبه القضاء الالهي فيطرحه ميتا.

(منقطعا أبهراه) والابهران: عرقان يوصلان الراس بالقلب، بهما يستمر جريان الدم في الجسم، وبانقطاعهما تنقطع الحياة.

(هينا على الله فناؤه) فانه قدر لكل حياة اجلٌ به يكون فناء الإنسان في الدنيا.

(وعلى الإخوان إلقاؤه) أي دفعه في المقبرة بالقائه في القبر الاخير بعد الحياة .

وهذه حقائق متاع الدنيا ومن يغتر بها في الحياة شاء أم أبى، جعلنا الله ممن يتدبرها

بوعي.

موقف المؤمن:

وإنَّما[١] يَنْظُرُ الْمؤْمِنُ إِلَى الدُّنْيَا بِعَيْنِ الاعْتِبَارِ، ويَقْتَاتُ مِنْها بِبَطْنِ[٢] الاضْطِرَارِ، وَيَسْمَعُ فِيها[٣] بِأُذُنِ ٱلْمَقْتِ وَٱلاِبْغَاضِ، إنْ[٤] قِيلَ: أَثْرى[٥]، قِيلَ: أَكْدَى، وإِنْ فُرِحَ له بِالْبَقاءِ، حُزِنَ لَهُ بالْفَنَاءِ، هَذَا وَلَمْ يَأْتِهِمْ يَوْمٌ فِيهِ يُبْلِسُونَ[٦].

ويستعرض في هذا المقطع نظرة المؤمن إلى متاع الدنيا، فهي تختلف عن النظرة العامة؛ لانها تنبع من الرؤية الواضحة لمتاع الدنيا، قيمتها واسبابها وآثارها فقال:

أوّلاً: (وإنما ينظر المؤمن إلى الدنيا بعين الاعتبار) فيرى في كلّ شيئ في الوجود دلالة على سبب اوجده حتى حصل في الحال، ومستقبل ينتظره في الاستقبال.

ثانياً: (ويقتات منها ببطن الاضطرار) فيحصل المؤمن قوته في الدنيا بمقدار الحاجة التي يفتقر اليها وكإنّها حالة اضطرارية وليست حالة طبيعية دائمة.

ثالثاً: (ويسمع فيها بأذن المقت والأبغاض) والمقت: السخط، فهو لا يسمع ما يوجب الرضا بالدنيا؛ لعلمه بحقيقتها، بل يسمع ما يمقّت الدنيا عنده فقط.

رابعاً: (إن قيل: أثرى قيل: أكدى) الثراء: الغنى، والكدى: الفقر.

فكلما يسمعه يضعه في موضع التحليل والنقد؛ فإنّ الثراء والغنى يعني الفقر إلى متاع الدنيا.

خامساً: (وإن فرح له بالبقاء حزن له بالفناء) لعلم المؤمن بأن لا بقاء لمتاع الدنيا في الدنيا؛ فإنّ كلّ شيئ في الدنيا إلى الفناء، فالعلم بالبقاء به يستلزم حقيقة العلم بالفناء ذلك الشيئ.

هذه النقاط الخمس هي مواقع نصر المؤمن في الدنيا إلى متاع الدنيا قبل الآخرة، اما

---

(١) في ط: انما، وفي هـ. ص: هو خبر ويراد به الأمر.
(٢) في هـ. ص: أي يقدر ضرورته.
(٣) هـ. ص: أي الأحاديث عن زينتها ونعيمها.
(٤) في هـ. د: لم ترد «ان» في ب.
(٥) في هـ. ص: قال في الشرح: فاعله ضمير راجع الى طالب الدنيا الذي استشعر الشغف بها، أثرى: أي صار ذا ثروة، ومعنى أكدى: أي افتقر؛ لأن هذه صفة الدنيا وتقلّبها بأهلها.
(٦) في ط: مبلسون، وفي هـ. ص: يقال: أبلس: أي انقطع رجاؤه.

عن الآخرة فقال:

(هذا ولم يأتهم يوم فيه يبلسون) والإبلاس: اليأس من الرحمة الالٰهيّة، وفيه اقتباس من قوله تعالى:﴿حتى اذا فرحوا بما أوتوا اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون﴾.[1]

وهذه الخصائص تبين وجوه النظر المتخالفة فى النظرة إلى منافع الدنيا باعتبارها مظاهر كاذبة أو مضرة به، والله العاصم.

[٣٦٨]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

إنَّ اللّٰهَ سُبْحانَهُ وضَعَ الثَّوابَ على طاعِتهِ، وٱلْعِقابَ[2] على مَعْصِيَتِهِ، ذِيادَةً[3] لِعِبَادِهِ عَنْ نَقِمَتِهِ، وحِياشَةً[4] لَهُمْ إلى جنَّتِهِ.

(ح ـ ٣٦٨) **الثواب والعقاب:**

خص الإمام عليه السلام هذه الحكمة بالثواب والعقاب من الله تعالى على تفصيل بحثه المتكلمون في مسألة الوعد والوعيد (راجع المادة في المعجم) واشار الإمام هنا إلى امرين:

الأوّل: (إن الله سبحانه وضع الثواب على طاعته. حياشة لهم إلى جنته) والحياشة: السوق، فيكون طاعة العباد سببا لسوقهم إلى الجنّة.

الثاني: (والعقاب على معصيته ذيادة لعباده عن نقمته) والذود: المنع، فإنّه تعالى فرض العقوبات لتكون رادعة عن النقمة الموجبة للنار.

فلولا الثواب والعقاب لما كان هناك طريق لمعرفة من يستحق احدهما دون الآخر.

---

(١) المؤمنون : ٧٧.
(٢) في هـ. د: والعذاب ـ ف.
(٣) هـ. ص: أي دفعاً ومنعاً.
(٤) في هـ. ص: أي تلفيتاً لهم إليها، كما يحاش الصيد.

[٣٦٩]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ[١]:

يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمانٌ لا يَبْقى فِيهِمْ مِنَ الْقُرْآنِ إِلّا رَسْمُهُ[٢]، ومِنَ الإِسْلامِ إِلّا ٱسْمُهُ[٣]، ومَساجِدُهُمْ يَوْمَئِذٍ عامِرَةٌ مِنَ ٱلْبِناءِ، خَرَابٌ مِنَ الهُدَى[٤]، سُكَّانُها وَعُمَّارُها شَرُّ أَهْلِ الأَرْضِ. مِنْهُمْ تَخْرُج ٱلْفِتْنَةُ، وَإِلَيْهِمْ تَأْوِي الخَطِيئَةُ. يَرُدُّونَ مَنْ شَذَّ عَنْهَا فِيهَا، وَيَسُوقُونَ مَنْ تأَخَّرَ عَنْهَا إِلَيْهَا؛ يَقُولُ اللّهُ سُبْحَانَهُ[٥]: فَبِي حَلَفْتُ، لَأَبْعَثَنَّ عَلَى أُولَئِكَ فِتْنَةً أَترُكُ الحَلِيمَ فِيها حَيْرَانَ[٦]؛ وَقَدْ فَعَلَ، وَنَحنُ نَسْتَقِيلُ ٱللّهَ عَثْرَةَ[٧] الْغَفلَةِ.

(ح - ٣٦٩) مستقبل الامة:

كان النبيّ الاعظمﷺ النبع الزلال للاسلام، وقد اغترف من هذا النبع الزلال الائمة الاطهار والصحابة الاخيار وكلما ابتعد الماء عن منبعه الزلال تلوث بالرمال، وكلما كان ابعد كان أكثر، ومن هذا المنطلق تنبأ الامام في هذه الحكمة مستقبل الأمّة، وتنطبق الحكمة على كلّ عصر وزمن متاخر باختلاف الدرجات، فقالعليه السلام:

ـ (يأتى على النّاس زمان) بحكم تأخره عن عصر الرسالة وبمقياس بعده عن منابع الشريعة الطاهرة تتغير فيه الحالة السائدة عن الحالة السائدة في عصر الرسالة بالعلامات التالية:

١ ـ (لا يبقى فيهم من القرآن إلّا رسمه) والرسم: الخط؛ فإنّه سوف يبقى قانونا أساسيا للمسلمين نظرياً من دون تطبيق عملي.

٢ ـ (ومن الاسلام إلّا اسمه) فتكون الاسماء فقط اسلامية سواءاً للافراد أو الجمعيات

---

(١) لم ترد هذه الحكمة في أ هنا.
(٢) في هـ. ص: أي إلّا مصاحب مرقومة؛ لأنّهم لا يعملون به، فإذا تلوه لم يقبل تلاوته لإضاعتهم أحكامه، فتعطل حكم لفظه وحكم معناه.
(٣) في هـ. ص: أي يقولون: نحن مسلمون، وليس عندهم خصلة من خصاله.
(٤) في هـ. ص: أي يبنون المساجد ويزيّنونها للسمعة والصيت، خراب من الهدى؛ لتعطيل أحكام الشرع بينهم.
(٥) في هـ. ص: هذه حكاية عن الله علمها من رسول الله.
(٦) في هـ. ص: يقول الله عزّوجلّ: ﴿واتقوا فتنة لا تُصيبنَّ الذين ظلموا منكم خاصّة﴾.
(٧) في ص: أثر، وفي هـ. ص: في نسخة: عثرة.

أو الدول.

٣ ـ(ومساجدهم يومئذ عامرة من البناء) فإنّها في عمارات زاهرة من حيث التنافس في البناء كما هو الحال في كلّ الامم التي مضت من التبافس بالبناء الاثري للحضارات البائدة من سد مأرب وطاق كسرى واهرامات الفراعنة وغيرها.

٤ ـ (خراب من الهدى سكّانها) حيث أن من يسكن المسجد ينخذه وسيلة للحياة وليس لخدمة المسجد واهدافه التي شرعها الاسلام وطبقها في حياته رسول الله ﷺ .

٥ ـ (وعمّارها شرّ أهل الارض)؛ فإنّ المؤسيسين لها طبقة لا تطبق الاسلام في حياتها، وهي تعمر المساجد لرفع الشبهة عنها، وليس ايمانا حقيقيّاً برسالة المسجد.

ثم وصف هؤلاء العمار بالاوصاف التالية:

٦ ـ (منهم تخرج الفتنة) لانهم بعمارة المساجد وعدم تطبيق رسالة المسجد يخلقون فتنة في المجتمع الاسلامي بالتفريق في الايمان بين الاعتقاد والعمل.

٧ ـ (واليهم تأوى الخطيئة)؛ لأنّ الامة تعتبرهم قادة فيتبعون اثرهم بالبناء الموصوف اسلاميا والفاقد لروح الاسلام عمليا.

٨ ـ (يردون من شذّ عنها فيها) حيث يقوم هؤلاء القادة برد من لا يريد اتباعهم إلى الخطيئة واجبار من يشذ عن الفكرة المستحدثة التي هي خطيئة مبتدعة في الاسلام بالدخول فيها بالوسائل التي تحمل طابع الاسلام كوظيفة الإمامة والمؤذن وما شابه.

٩ ـ (ويسوقون من تأخّر عنها اليها) ومن لم يلحق بهذه الفكرة الجديدة من فصل الاسلام نظريا وعمليا الى متابعة الحكم السائد سوقا كما تساق الحيوانات.

وعن نتيجة هذه السياسية في الفصل بين الاسلام عقيدة وتطبيقها قال:

١٠ ـ(يقول الله سبحانه: فبي حلفت لا بعثنّ على أولئك فتنة تترك الحليم فيها حيرانا، وقد فعل)، ولعله تفسير لقوله تعالى:﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذاً فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾.[1]

فان اللواذ في قوله تعالى بمعنى الاستتار، وهؤلاء العمار للمساجد بالاوصاف

---

(١) النّور : ٦٣.

المذكورة يستترون خلف بنائهم المساجد لتغطية نياتهم، فوعد الله أن تصيبهم الفتنة أو العذاب الاليم، ثمّ أشار الإمام بقوله: (وقد فعل) الى أن الانحراف عن السنة النبوية حصلت بدرجات، وان الفتنة والعذاب قد حصل بذلك بدرجات، والله العاصم.

ثمّ ختم المقطع بالدعاء قائلا:

(ونحن نستقيل الله عثرة الغفلة) حيث أن الانحراف عن السنّة النبوية مهما كانت اسبابه لهو غفلة عن المبادي والوسائل والاهداف الاسلامية التي جاء بها الاسلام لبناء المجتمع العادل على الارض.

[٣٧٠]

ورُوِي أَنَّهُ عَلَيهِ السَّلامُ قَلَّمَا اعْتَدَلَ بِه المِنْبَرُ إِلَّا قالَ أَمامَ ٱلْخُطْبَةِ:

أَيُّهَا النَّاسُ، ٱتَّقوا ٱللّهَ فما خُلِقَ ٱمْرُؤٌ عَبَثاً فَيَلْهُو، وَلَا تُرِكَ سُدىً فَيَلْغُو، وَمَا دُنْيَاهُ الَّتي تَحَسَّنَتْ[1] لَهُ بِخَلَفٍ منَ ٱلآخِرَةِ الَّتي قَبَّحَهَا سُوءُ النَّظَرِ عِنْدَهُ، وَمَا المَغْرُورُ الَّذِي ظَفِرَ منَ ٱلدُّنْيَا بِأَعْلَى هِمَّتِهِ كالآخَرِ[2] ٱلَّذِي ظَفِرَ من الآخِرَةِ بِأَدْنَى سُهْمَتِهِ.

(ح - ٣٧٠) دور الانسان:

تستعرض الحكمة دور الإنسان في الحياة من مسؤوليته لرسالته الانسانية ومن أجل ذلك أكثر الإمام من الاشارة إلى هذا الدور مركزا على اربع نقاط فقال:

(أيها الناس اتقوا الله)؛ فإنّ التقوى حصانة عن الانحراف في اداء الدور المسؤول الذي يجب القيام به على كلّ فرد في الحياة، ثمّ سرد النقاط الاربع الموجبة للتقوى بقوله:

١ ـ (فما خلق امرؤ عبثا فيلهو) قال تعالى:﴿أَفَحسبتمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لاَ تُرْجَعُونَ﴾.[3] فعلى كلّ مخلق مسؤولية انسانية يجب اداؤها في الحياة، حيث الطاقات والمواهب التي خصه الله تعالى بها.

٢ ـ (ولا ترك سدى فيلغو) السدى: الاهمال، قال تعالى:﴿ايحسب الإنسان أن يترك

---

(١) في ص: تحببت.
(٢) في أ: كالآخر كالأجر.
(٣) المؤمنون: ١١٥.

سدى﴾.[١] فان الاهمال شأن الحيوانات التي لا تتنعم بالعقل، دون الإنسان الذي اكرمه الله بالعقل، فلا مجال له للّغو، وهو العمل الذي لا فائدة فيه.

٣ ـ(وما دنياه التي تحسنت له بخلف من الآخرة التي قبحها سوء النظر عنده)؛ فإنّ الدنيا بمحاسنها الظاهرة لابدّ لها من الفناء فلا يمكن للفاني أن يكون خلفا وبديلا للخالد وهو الآخرة التي قام الإنسان باختياره بقبيح نظره.

٤ ـ(وما المغرر الذي ظفر من الدنيا بأعلى همته كالآخر الذي ظفر من الآخرة بأدنى سهمته) والسهمة: النصيب؛ فإنّ النصيب في الدنيا مهما كان كبيرا فإنّه بحكم فنائه يكون دون نصيب الآخرة الخالد.

فان هذه النقاط الاربع توجب الاستعداد بالتقوى في الدنيا الفانية للانتفاع بها في الآخرة الخالدة.

[٣٧١]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

لَا شَرَفَ أَعْلَى مِنَ ٱلْإِسْلَامِ، وَلَا عِزَّ أَعَزُّ مِنَ التَّقْوى، وَلَا مَعْقِلَ أَحْصَنُ[٢] مِنَ ٱلْوَرَعِ، وَلَا شَفِيعَ أنجحُ مِنَ التَّوبَةِ، وَلَا كَنْزَ أغْنى مِنَ القنَاعَةِ، وَلَا مَالَ أَذْهَبُ لِلْفَاقَةِ مِنَ الرِّضَى بِالْقُوتِ، ومَن ٱقْتَصَرَ عَلَى بُلْغَةِ الكَفَافِ فَقَدِ ٱنْتَظَمَ الرَّاحَةَ[٣]، وَتَبَوَّأَ خَفْضَ ٱلدَّعَةِ، وَالرَّغْبَةُ مِفْتَاحُ النَّصَبِ[٤]، وَمَطِيَّةُ التَّعَبِ، وَٱلْحِرْصُ وَٱلْكِبْرُ وَٱلْحَسَدُ دَوَاعٍ إِلَى التَّقَحُّمِ فِي الذُّنُوبِ، وَالشَّرُّ جَامِعٌ لِمَسَاوِيء العُيُوبِ .

(ح - ٣٧١) حكم جامعة:

يتضمّن هذا المقطع حكم جامعه سردها كالاتي:

١ ـ (لا شرف أعلى من الاسلام) باعتباره خاتمة الاديان، الذي اختاره الرحمن

---

(١) القيامة : ٣٦.
(٢) في هـ. د: أحسن ـ ص ح ب.
(٣) أي ظفر بالراحة من قولهم: انتظمه بالرمح، إذا أنفذه فيه.
(٤) النصب : أشدّ التعب.

للانسان.

٢ ـ(ولا عز أعز من التقوى)؛ لأنّ التقوى تجعل الإنسان مستحقا للعزة، قال تعالى:﴿و لله العزة ولرسوله والمؤمنون ﴾.(١)

٣ ـ(ولا معقل أحصن من الورع) عن الشبهات، فالورع يجعل الإنسان من معقل يحصن النفس من الانحراف.

٤ ـ(ولا شفيع أنجح من التوبة)؛ فإنّ الشفاعة بأيّة واسطة كانت مهما عظمت انما يفتقر اليها عند الرد من الصلة المباشرة، والله قد فتح باب التوبة من دون ايّة واسطة، قال تعالى:﴿وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفوا عن السيئات﴾.(٢)

٥ ـ(ولا كنز أغنى من القناعة)؛ فإنّ الكنز المادي لابدّ وان يفنى، اما القناعة فهو ربح للمال الذي يحفظ بها، ولولا القناعة لخسر الانسان رأس ماله باستخدامه، فهو قد ربح مالا بالقناعة، وكنز بسبب القناعة اموالا من الخسارة.

٦ ـ(ولا مال أذهب للفاقة من الرضى بالقوت)؛ فإنّ الهدف الحقيقي لجمع المال هو استخدامه عند الحاجة، والقوت هو الذي يرفع الحاجة في الحال، فيكون الرضى بالقوت انفع من أي مال؛ لأنّه يرفع الفاقة والحاجة فعلا، فهو المال الحقيقي.

٧ ـ (ومن اقتصر على بلغة الكفاف فقد انتظم الراحة وتبوأ خفض الدعة) النظم: الترتيب، والبوء: المنزل، والخفض: السهل، والدعة: السعة، وتشير الحكمة إلى أن القناعة بالكفاف من العيش له أثران:

أولهما: النظام في الراحة الفكرية والروحية في حياة الإنسان، حيث يأمن من روح التنافس والحسد وما شابه.

ثانيهما: سهولة العيش؛ فإنّ من لم يقنع بالكفاف يتقيد بقيود زائدة، وما كثر قيوده قل وجوده، فلا يكون عيشه سهلا.

٨ ـ(والرغبة مفتاح النصب ومطية التعب)؛ فإنّ الرغبة في الدنيا تستلزم امرين، اولهما: انها مفتاح النصب، وهو التعب الشديد، فلا يمكن الحصول على ما يرغب الإنسان في

---

(١) المنافقون : ٨.

(٢) الشورى : ٢٥.

حياته إلّا بتعب شديد، كلّ انسان حسب قدرته ومايسكبه من ماء وجهه في سبيل ذلك.

وثانيهما: أن الرغبة وسيلة للتعب بعد الحصول على ما يرغب بالمحافظة عليه؛ فإنّ التعب الحاصل بعد الحصول لا يقل عن النصب الحاصل في سبيل تحصيله.

٩ ـ (والحرص والكبر والحسد دواع إلى التقحم في الذنوب)؛ فإنّ الاسباب الموجبة لارتكاب المعاصي كثيرة، ولكنها ترجع في اغلب الحالات إلى هذا الثالوث؛ فإنّ لكل منها أثر في الانحراف.

١٠ ـ (والشر جامع مساوي العيوب) والشر ـ لغةً ـ: الاذى، وهو عنوان جامع يشمل جميع انواع العيوب على اختلاف درجاتها في الحياة.

فإنّ هذه الحكم الجامعة العشر هي نبراس في الحياة للانسان، يقي بها نفسه واهله ومجتمعه من الانزلاق، والله العاصم.

[٣٧٢]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ لِجابِرِ بن عَبْدِ ٱللهِ ٱلأنصارِيِّ:

يا جابِرُ[١]، قِوَامُ الدِّينِ والدُّنْيَا بِأَرْبَعَةٍ: عَالِمٍ مُسْتَعْمِلٍ عِلْمَهُ، وَجَاهِلٍ لا يَسْتَنْكِفُ أَنْ يَتَعَلَّمَ، وَجَوَادٍ لَا يَبْخَلُ بمَعْرُوفِهِ، وَفَقِيرٍ لَا يَبِيعُ آخِرَتَهُ بِدُنْيَاهُ.

فَإِذَا ضَيَّعَ العَالِمُ عِلْمَهُ ٱسْتَنْكَفَ الْجَاهِلُ أَنْ يَتَعَلَّمَ، وَإِذَا بَخِلَ الغَنِيُّ بِمَعْرُوفِهِ بَاعَ الفَقِيرُ آخِرَتَهُ بِدُنْياهُ.

(ح ـ ٣٧٢) **قوام الدين والدنيا:**

تستعرض الحكمة اعمدة اربعة للمجتمع الفاضل القائم على أساس التوازن بين الدين والدنيا، وان الخلل في أي عماد منها يوثر في هذا التعادل، فقال:

(يا جابر، قوام الدين والدنيا بأربعة) فلا يكون الكمال في الدين أو الدنيا إلّا بهما اجمع، وهي:

أوّلاً: (عالم مستعمل علمه)؛ فإنّ العلم الذي ينتفع به وعدمه سواء في الاثر، وهو عدم

---

(١) لم ترد «لجابر بن عبد الله الأنصاري: ياجابر» في أ، وفي هـ. د: العبارة ساقطة من ف ن.

النفع، فكيف اذا خالف علمه نعوذ بالله؟، وهذا هو العماد الفكري الأوّل.

ثانياً: (وجاهل لا يستنكف أن يتعلم)؛ فإنّ الجهل امر طبيعي في الحياة، حيث لم يولد احدٌ عالماً الا بالاكتساب والتعلم من البيئة والاسرة والمجتمع، والاستكناف عن التعلم ليس امراً طبيعياً، حيث لا يحبذه العقل ولا الفطرة، فيكون الجاهل الذي لا يستنكف من التعلم في طريق التكامل. وهذا هو العماد الفكري الثاني الذي به يستمر العلم في الاجيال المقبلة.

ثالثاً: (وجواد لا يبخل بمعروفه) من المساهمة في رفع المستوى الاقتصادي في المجتمع، وهذا يعتبر العماد الاقتصادي الأوّل حيث يساهم عمليا في انعاش الاقتصاد، ولا يمكن للفرد أو الامة أن تعيش بدون نظام اقتصادي عادل.

رابعاً: (وفقير لا يبيع آخرته بدنياه)؛ فإنّ المجتمع يتكون من طبقات حيث المواهب والقدرات والاعمال التي يقوم كلّ واحد من الافراد في المجتمع، والفقير من طبقة محرومة من تلك المواهب، فاذا تثقف الفقير وحصل على المواهب المطلوبة لارتقى إلى طبقة اعلى، وانما يتحقق ذلك بشرط أن لا يبيع اخرته بدنياه، بان يقوم بواجبه الاسلامي ويتمكن من تحصيل تلك المواهب من دون أن يضحي بالدين للدنيا، وذلك بالسلوك في درجات التكامل الاقتصادي المطلوب.

وإن أي مجتمع يتمكن من تقليل الفقر فانه يكون مجتمعا متقدماً صناعيا واجتماعاً، وعلى العكس فالمجتمع الذي لا يتمكن من تقليل الفقر يكون مجتمعاً متخلفا اجتماعيا وضائعاً، ولكل منهما آثارهما في التوازن بين الدين والدنيا.

وقد اشار عليه السلام إلى اثار عدم التوازن بقوله:

١ ـ (فإذا ضيع العالم علمه استنكف الجاهل أن يتعلم) حيث أن العالم يعتبر قدوة؛ فإنّ تضييعه العلم بعدم العمل، أو بأي سبب آخر يوجب أن لا يرى الجاهل فائدة في العلم، فيابى أن يتعلم لشئ لا فائدة فيه.

٢ ـ (وإذا بخل الغني بمعروفه باع الفقير آخرته بدنياه) حيث يصبح البخل في الحاجة المادية من ناحية، ومن الحاجة إلى المعروف من المواهب والتجارب التي توجب رفع الفقير من طبقة الفقر إلى طبقة اعلى. ولما لم يجد لهما من يقوم باعمال يتصورها اسباب

ناجحة في الوصول إلى تأمين حاجياته من الخيانة والسرقة، فيكون قد باع آخرته بدنياه، والسبب في ذلك يعود إلى عدم المعروف المطلوب.

فان هذه القوائم الاربع للمجتمع الاسلامي الفاضل يحفظ التوازن بين الدين والدنيا والاخلال، والاخلال بأي منها يوجب الانحراف في المجمتع ويقع المسؤولية على الجميع كما يتضرر بذلك الجميع.

(ح - ٣٧٣) نعم الله:

يا جابِرُ[١]، مَنْ كَثُرَتْ نِعَمُ اللّهِ عَلَيْهِ، كَثُرَتْ حَوَائِجُ النَّاسِ إلَيْهِ، فَإنْ[٢] قَامَ للهِ فِيها بِما يَجِبُ[٣] عَرَّضَ نعمته[٤] لِلدَّوامِ وَٱلْبَقاءِ[٥]، وَمَنْ لَمْ[٦] يَقُمْ لِلّهِ فيها بِما يَجِبُ عَرَّضَ نعمته[٧] لِلزَّوالِ وَٱلْفَناءِ[٨].

يستعرض هذا المقطع من الحكمة نعم الله وآثارها والواجب المفروض تجاهها، فقال عليه السلام:

١ ـ (يا جابر، من كثرت نعم الله عليه كثرت حوائج الناس إليه)؛ فإنّ من الطبيعي أن يتوجه صاحب الحاجة الى من يجد عنده يقضي الحاجء له، فيتوجه الفقير إلى الغني، والجاهل إلى العالم، وهكذا.

٢ ـ (فمن قام لله فيها بما يجب عرضها للدوام والبقاء)؛ فإنّ الواجب الاسلامي فيها ـ مهما اختلف انواعه ـ يوجب أن تدوم النعمة وتبقى؛ فإنّ كثرة الطلب يوجب كثرة الاستعداد له، والجودة فيما يستجد منه.

٣ ـ(ومن لم يقم فيها بما يجب عرضها للزوال والفناء)؛ فإنّ الاهمال للواجب

---

(١) لم ترد «ياجابر» في أ، وفي هـ. د: «ياجابر» ساقطة من ف ن.
(٢) في أ و ط و د: فمن.
(٣) في ص: بما يجب لله فيها.
(٤) في أ و ط و د: عرّضها.
(٥) ب و ص: لدوامها، ولم ترد «والبقاء» في ص.
(٦) في هـ. د: من ـ ض ب .
(٧) في د: عرضها.
(٨) في ص: وان ضيع ما يجب لله فيها عرّض نعمته لزوالها، وفي هـ. د: في نسخة ح: ياجابر من كثرت نعمة الله عليه كثرت حوائج الناس إليه، فمن قام بما يجب لله فيها عرّض نعمة الله لدوامها، ومن ضيّع ما يجب لله فيها عرّض نعمته لزوالها.

بالاحتكار أو اهمال حقوق العمال وما شابه يوجب توقف عملية الانتاج، وبالنتيجة تركد حركة الاقتصاد وتتعرض اصل النعم الى الزوال والركود في الانتقاع بالنعم، بل وزيادة النقم من اصحاب العلاقة بها؛ فان نعم الله سبحانه حقوق وواجبات يجب على الإنسان أن يقوم بها لكي تسير عجلة النعمة في تكامل من حيث الجودة في الانتاج، ومع اهمال ذلك تركد الحركة وتتوقف وبتوقفها تنتهي إلى زوالها، والله العاصم.

وترجم ابن الأثير في أسد الغابة جابر بما نصّه:« ب د ع ، جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام بن كعب بن غنم ابن كعب بن سلمة يجتمع هو والذي قبله في غنم بن كعب وكلاهما أنصاريان سلميان وقيل في نسبه غير هذا وهذا أشهرها وأمه نسيبة بنت عقبة بن عدي بن سنان بن نابي ابن زيد بن حرام بن كعب بن غنم تجتمع هي وأبوه في حرام يكنى أبا عبد الله وقيل: أبا عبد الرحمن والأول أصح شهد العقبة الثانية مع أبيه وهو صبي وقال بعضهم شهد بدرا وقيل: لم يشهدها وكذلك غزوة أحد أخبرنا أبو الفضل المنصور بن أبي الحسن ابن أبي عبد الله المخزومي باسناده إلى أحمد بن علي بن المثنى قال: حدثنا أبو خيثمة أخبرنا روح أخبرنا زكريا حدثنا أبو الزبير انه سمع جابرا يقول غزوت مع رسول الله ﷺ سبع عشرة غزوة، قال جابر: لم أشهد بدرا ولا أحدا منعني أبى فلما قتل يوم أحد لم أتخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة قط، وقال الكلبي: شهد جابر أحدا، وقيل: شهد مع النبي ﷺ ثمان عشرة غزوة وشهد صفين مع علي بن أبي طالب عليه السلام وعمى في آخر عمره وكان يحفي شاربه وكان يخضب بالصفرة، وهو آخر من مات بالمدينة ممن شهد العقبة، وقد أورده ابن منده في اسمه: ان رسول الله ﷺ حضر الموسم وخرج نفر من الأنصار منهم أسعد بن زرارة وجابر بن عبد الله السلمي وقطبة بن عامر وذكرهم قال: فأتاهم رسول الله ﷺ ودعاهم إلى الاسلام وذكر الحديث فظن أن جابر بن عبد الله السلمي هو ابن عبد الله بن عمرو بن حرام وليس كذلك وانما هو جابر بن عبد الله بن رياب وقد تقدم ذكره قبل هذه الترجمة وقد كان جابر هذا أصغر من شهد العقبة الثانية مع أبيه فيكون في أول الامر رأسا فيهم هذا بعيد على أن النقل الصحيح من الأئمة انه جابر بن عبد الله بن رياب والله أعلم وكان من المكثرين في الحديث الحافظين للسنن روى عنه محمّد بن علي بن الحسين وعمرو بن دينار وأبو الزبير المكي وعطاء ومجاهد وغيرهم أخبرنا عبد الله بن

أحمد بن عبد القاهر أخبرنا أبو الخطاب نصر بن أحمد بن عبد الله القاري اجازة ان لم يكن سماعا أخبرنا الحسن بن أحمد بن إبراهيم بن شاذان أبو على أخبرنا عثمان بن أحمد الدقاق أخبرنا عبد الملك بن محمّد أبو قلابة الرقاشي أخبرنا أبو ربيعة أخبرنا أبو عوانة عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر بن عبد الله قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ فقيل لجابر ان البراء يقول اهتز السرير فقال جابر: كان بين هذين الحيين الأوس والخزرج ضغائن سمعت رسول الله ﷺ يقول اهتز عرش الرحمن قلت وجابر أيضا من الخزرج حمله دينه على قول الحق والانكار على من كتمه أخبرنا إسماعيل بن عبيد الله بن علي وأبو جعفر أحمد بن علي وإبراهيم بن محمّد بن مهران باسنادهم إلى أبى عيسى محمّد بن عيسى قال: حدثنا ابن أبي عمر أخبرنا بشر بن السرى أخبرنا حماد بن سلمة عن أبي الزبير عن جابر قال: استغفر لي رسول الله ﷺ ليلة البعير خمسا وعشرين مرة يعنى بقوله ليلة البعير انه باع من رسول الله ﷺ بعيرا واشترط ظهره إلى المدينة وكان في غزوة لهم وتوفى جابر سنة أربع وسبعين وقيل: سنة سبع وسبعين وصلى عليه أبان بن عثمان وكان أمير المدينة وكان عمر جابر أربعا وتسعين سنة أخرجه الثلاثة».[1]

[٣٧٣]

وَرَوَى ٱبْنُ جرِيرٍ الطَّبَرِيُّ فِي تَارِيخِهِ، عَنْ عبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبي لَيْلى ٱلْفَقِيهِ ـ وَكَان مِمَّنْ خَرَجَ لِقتَال الْحَجَّاجَ مع ٱبْن ٱلْأَشْعَثِ أَنَّهُ قال فِيمَا كَانَ يَحُضُّ[2] به النَّاسَ عَلَى ٱلْجِهَادِ: إِنِّي سَمِعْتُ عَلِيّاً عليهِ السّلام يَقُولُ[3] يَوْمَ لَقِينَا أَهْلَ الشَّامِ[4]:

أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ، إِنَّهُ مَنْ رَأَى عُدْوَاناً يُعْمَلُ بِهِ، وَمُنْكَراً يُدْعى إِلَيْه، فَأَنْكَرَهُ بِقَلْبِهِ فَقَدْ بَرِئَ وسَلِمَ[5]، وَمَنْ أَنْكَرَهُ بِلِسَانِهِ فَقَدْ أُجِرَ وَهُوَ أَفْضَلُ مِنْ صَاحِبِهِ. وَمَنْ أَنْكَرَهُ بِالسَّيْفِ

---

(١) أسد الغابة؛ لابن الأثير ١: ٢٥٦ – ٢٥٨.

(٢) في ص: يحضض.

(٣) في ص و د: عليّاً رفع الله درجته في الصالحين وأثابه ثواب الشهداء والصدّيقين يقول.

(٤) العبارة من «وروى ابن جرير... الى هنا» لم ترد في أ، وفي هـ. د: العبارة ساقطة من ف ن.

(٥) في أ و د: فقد سلم وبرىء.

لِتَكُونَ كَلِمَةُ ٱللّهِ هِيَ ٱلْعُلْيَا وَكَلِمَةُ ٱلظَّالِمِينَ هِيَ السُّفْلَى، فَذَلِكَ ٱلَّذِي أَصَابَ سَبِيل ٱلْهُدَى، وَقَامَ عَلَى الطَّرِيقِ، وَنَوَّرَ فِي قَلْبِهِ الْيَقِينَ .

(ح - ٣٧٣) درجات الانكار:

تتضمّن الحكمة مراتب انكار العدوان والمنكر بثلاث، فقال:

(أيها المؤمنون، انّه من رأى عدوانا يعمل به ومنكرا يدعي إليه)؛ فإنّ العدوان هو ظلم عملي، والمنكر المدعو هو ظلم فكري، وكلاهما انحراف عن الخط الاسلامي الداعي إلى النهي عن المنكر، سواءً في ذلك القول أو العمل، وقد أشار إلى مراتب الانكار بقوله:

أوّلاً: (فأنكره بقلبه فقد سلم وبرئ) من المواخذة؛ حيث اعتقد بما هو الواجب عليه، وهذا الانكار القلبي هو الاساس للتحرك إلى مرحلة أعلى ان تمكن منها؛ فإنّ السلامة في المراحل التالية تتوقف على السلامة في هذه المرحلة والبراءة من الانحراف الفكري.

ثانياً: (ومن أنكره بلسانه فقد أُجر وهو أفضل من صاحبه) حيث انّ هذا الانكار اعلان باللسان عما في القلب، فيكون التحرك بمرحلة اعلى فيؤجر على هذا الإيمان عند الله، وهو من حيث المرتبة افضل.

ثالثاً: (ومن أنكره بالسيف) يكون افضل من الذي في المرتبة الثانية، باعتباره اقوى موقفا واشد خطراً.

وقد حدد الانكار بالسيف بقوله:

(لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الظالمين هي السفلى) فلا يكون الانكار لاسباب شخصية أو قبلية، أو مصالح وقتية، بل للهدف الاسلامي .

ثم ذكر خصائص ثلاث لهذه المرتبة الأخيرة بقوله:

١ ـ (فذلك الذي أصاب سبيل الهدى)؛ فإنّ ذلك يكشف عن التزامه بالواجب للدفاع عن الدين والوطن.

٢ ـ (وقام على الطريق) وهي الصراط الواضح الذي دعا اليه الاسلام وسار عليه النبيّ الكريم في سيرته العملية.

٣ ـ (ونور في قلبه اليقين) بالايمان بالمبادي والوسائل والاهداف الاسلامية التي يسعى في سبيلها بأغلى ما عنده، وهو الحياة.

قال عمر كحالة في معجم المؤلفين، ما نصه:«محمّد الطبري (٢٢٤ - ٣١٠ هـ، ٨٣٩ - ٩٢٣ م) محمّد بن جرير بن يزيد الطبري، أبو جعفر مفسر ، مقرئ ، محدث مؤرخ ، فقيه ، أصولي ، مجتهد . ولد بـآمل طبرستان في آخر سنة ٢٢٤ هـ أو أول ٢٢٥ هـ ، وطوف الأقاليم ، واستوطن بغداد ، واختار لنفسه مذهبا في الفقه ، وتوفي ليومين بقيا من شوال في بغداد . من تصانيفه : جامع البيان في تأويل القرآن ، تاريخ الأمم والملوك ، تهذيب الآثار ، اختلاف الفقهاء ، وآداب القضاة والمحاضر والسجلات».[١]

ومما قال الحافظ ابن حجر العسقلاني (ت /٨٥٢) في ترجمة عبد الرحمن بن أبي ليلى في تهذيب التهذيب ما نصّه:«عبد الرحمن بن أبي ليلى واسمه يسار ويقال: بلال ويقال: داود بن بلال ابن بليل بن أحيحة بن الجلاح بن الحريش بن جحجبا بن كلفة بن عوف بن عمرو ابن عوف بن مالك بن أوس الأنصاري الأوسي أبو عيسى الكوفي والد محمّد . ولد لست بقين من خلافة عمر . روى عن أبيه وعمر وعثمان وعلي وسعد وحذيفة ومعاذ بن جبل والمقداد وابن مسعود وأبي ذر وأبي بن كعب وبلال بن رباح وسهل ابن حنيف وابن عمر وعبد الرحمن بن أبي بكر وقيس بن سعد وأبي أيوب وكعب ابن عجرة وعبد الله بن زيد بن عبد ربه ولم يسمع منه وأبي سعيد وأبي موسى وأم هانئ بنت أبي طالب وأنس والبراء بن عازب وزيد بن أرقم وسمرة بن جندب وصهيب وعبد الرحمن بن سمرة وعبد الله بن عكيم وأسيد بن حضير وغيرهم . وعنه ابنه عيسى وابن ابنه عبد الله بن عيسى وعمرو بن ميمون الأودي وهو أكبر منه والشعبي وثابت البناني والحكم بن عتيبة وحصين بن عبد الرحمن وعمرو بن مرة ومجاهد ابن جبر ويحيى بن الجزار وهلال الوزان ويزيد بن أبي زياد وأبو إسحاق الشيباني والمنهال ابن عمرو وعبد الملك بن عمير والأعمش وإسماعيل بن أبي خالد وجماعة . قال عطاء بن السائب عن عبد الرحمن أدركت عشرين ومائة من الأنصار صحابة وقال عبد الملك بن عمير: لقد رأيت عبد الرحمن في حلقة فيها نفر من الصحابة فيهم البراء يسمعون لحديثه وينصتون له وقال عبد الله بن الحارث بن نوفل: ما ظننت أن النساء ولدن مثله وقال الدوري عن ابن معين لم ير

---

(١) معجم المؤلفين ؛ لعمر كحالة ٩: ١٤٧.

عمر قال فقلت له فالحديث الذي يروي كنا مع عمر نتراءى الهلال فقال: ليس بشئ وقال إسحاق بن منصور عن ابن معين: ثقة، وقال العجلي: كوفي تابعي وذكره أبو عبيد أنه أصيب سنة (٧١) وهو وهم ثم قال أبو عبيد: وأخبرني يحيى ابن سعيد عن سفيان أن ابن شداد وابن أبي ليلى فقدا بالجماجم وقد اتفقوا على أن الجماجم كانت سنة (٨٢)[١] وفيها أرخه خليفة وأبو موسى وغير واحد ويقال: إنه غرق بدجيل [٢] والله أعلم . قلت : وقال ابن أبي حاتم، قلت لابي: يصح لابن أبي ليلى سماع من عمر؟ قال: لا، قال أبو حاتم: روى عن عبد الرحمن أنه رأى عمر وبعض أهل العلم يدخل بينه وبين عمر البراء ابن عازب وبعضهم كعب بن عجرة وقال الآجري عن أبي داود: رأى عمر ولا أدري يصح أم لا، وقال أبو خيثمة في مسنده: ثنا يزيد بن هارون أنا سفيان الثوري عن زبيد وهو الأيامى عن عبد الرحمن بن أبي ليلى سمعت عمر يقول: صلاة الأضحى ركعتين والفطر ركعتين الحديث . قال أبو خيثمة: تفرد به يزيد بن هارون هكذا ولم يقل أحد سمعت عمر غيره ورواه يحيى بن سعيد وغير واحد عن سفيان عن زبيد عن عبد الرحمن عن الثقة عن عمر ورواه شريك عن زبيد عن عبد الرحمن عن عمر ولم يقل سمعت . وقال ابن أبي خيثمة في تاريخه: وقد روي سماعه من عمر من طرق وليست بصحيح وقال الخليلي في الارشاد: الحفاظ لا يثبتون سماعه من عمر وقال ابن المديني كان شعبة ينكر أن يكون سمع من عمر قال ابن المديني: لم يسمع من معاذ بن جبل وكذا قال الترمذي في العلل الكبير وابن خزيمة وقال يعقوب بن شيبة قال ابن معين: لم يسمع من عمر ولا من عثمان وسمع من علي وقال ابن معين لم يسمع من المقداد وقال العسكري: روى عن أسيد ابن حضير مرسلا وقال الذهلي والترمذي في جامعه: لم يسمع من عبد الله بن زيد بن عبد ربه، وقال الأعمش: ثنا إبراهيم عن عبد الرحمن بن أبي ليلى وكان لا يعجبه يقول هو صاحب مراء وقال حفص بن غياث بن الأعمش: سمعت عبد الرحمن يقول أقامني الحجاج فقال العن

---

(١) عبد الرحمن بن كيسان عنه سعيد بن عبد الله المازني، عبد الرحمن ابن كيسان الأعـرج فـي ابن هرمز. عن هامش الأصل . هكذا في الأصل وفي التقريب سنة ست وثمانين وفي الخلاصة أنه مات سنة ثلاث وثمانين .

(٢) زاد في هامش الخلاصة مع محمّد بن الأشعث اهد شريف الدين .

الكاذبين فقلت: لعن الله الكاذبين [١] علي بن أبي طالب وعبد الله بن الزبير والمختار ابن أبي عبيدة قال حفص: وأهل الشام حمير يظنون أنه يوقعها عليهم وقد أخرجهم منها ورفعهم» .[٢]

ومما قال الحافظ ابن حجر العسقلاني (ت /٨٥٢) في ترجمة الحجاج بن يوسف في تهذيب التهذيب ما نصّه:« حجاج بن يوسف بن أبي عقيل الثقفي الأمير الشهير . ولد سنة (٤٥) أو بعدها بيسير ونشأ بالطائف وكان أبوه من شيعة بني أُميّة وحضر مع مروان حروبه ونشأ ابنه مؤدب كتاب ثم لحق بعبد الملك بن مروان وحضر مع قتل مصعب بن الزبير ثم انتدب لقتال عبد الله بن الزبير بمكة فجهزه أميرا على الجيش فحضر مكة ورمى الكعبة بالمنجنيق إلى أن قتل ابن الزبير . وقال جماعة: إنه دس على ابن عمر من سمه في زج رمح [٣] وقد وقع بعض ذلك في صحيح البخاري وولاه عبد الملك الحرمين مدة ثم استقدمه فولاه الكوفة وجمع له العراقين فسار بالناس سيرة جائرة واستمر في الولاية نحوا من عشرين سنة وكان فصيحا بليغا فقيها وكان يزعم أن طاعة الخليفة فرض على الناس في كل ما يرومه ويجادل على ذلك وخرج عليه ابن الأشعث ومعه أكثر الفقهاء والقراء من أهل البصرة وغيرها فحاربه حتى قتله وتتبع من كان معه فعرضهم على السيف فمن أقر له أنه كفر بخروجه عليه أطلقه ومن امتنع قتله صبرا . حتى قال عمر بن عبد العزيز: لو جاءت كل أمة بخبيثها وجئنا بالحجاج لغلبناهم . وأخرج الترمذي من طريق هشام بن حسان أحصينا من قتله الحجاج صبرا فبلغ مائة الف وعشرين ألفا، وقال زاذان: كان مفلسا من دينه، وقال طاوس: عجبت لمن يسميه مؤمنا، وكفّره جماعة منهم: سعيد بن جبير والنخعي ومجاهد وعاصم بن أبي النجود والشعبي وغيرهم، وقالت له أسماء بنت أبي بكر: أنت المبير الذي أخبرنا به رسول الله ﷺ . وقال ابن شوذب عن مالك بن دينار: سمعت الحجاج يخطب فلم يزل بيانه وتخلصه بالحجج حتى ظننت أنه مظلوم . وقال ابن

(١) الصواب حذف الجلالة من قوله لعن الله لأنه أراد أن اللاعن لهم علي ومن بعده ليستقيم قوله أهل الشام حمير وقد رأيته في نسخة بحذف الجلالة وهو الصواب بلا ريب اهد هامش .
(٢) تهذيب التهذيب ؛ لابن حجر ٦: ٢٣٤ – ٢٣٦.
(٣) الزج بضم الزاي المعجمة الحديدة في أسفل الرمح ونصل السهم اهد ق .

أبي الدنيا: حدثني أحمد بن جميل ثنا عبد الله بن المبارك انا عبد الرحمن ابن عبد الله بن دينار عن زيد بن أسلم قال: أغمي على المسور بن مخرمة ثم أفاق فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمّدا رسول الله أحب إلي من الدنيا وما فيها عبد الرحمن بن عوف في الرفيق الأعلى ﴿مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا﴾ . وعبد الملك والحجاج يجران أمعاءهما في النار . قلت : هذا اسناد صحيح ولم يكن للحجاج حينئذ ذكر ولا كان عبد الملك ولي الخلافة بعد؛ لان المسور مات في اليوم الذي جاء فيه نعي يزيد بن معاوية من الشام وذلك في ربيع الأول سنة (٦٤) من الهجرة وقال القاسم بن مخيمرة: كان الحجاج ينقض عرى الاسلام عروة عروة، وقد روى الحديث عن سمرة بن جندب وأنس وعبد الملك بن مروان وأبي بردة . وروى عنه سعيد بن أبي عروبة ومالك بن دينار وحميد الطويل وثابت البناني وموسى بن أنس بن مالك وأيوب السختياني والربيع بن خالد الضبي وعوف الأعرابي والأعمش وقتيبة بن مسلم وغيرهم . قال موسى بن أبي عبد الرحمن النسائي عن أبيه ليس بثقة ولا مأمون وقال الحاكم أبو أحمد ليس باهل أن يروي عنه ومما يحكى عنه من الموبقات قوله لأهل السجن :﴿إخسؤوا فيها ولا تكلمون﴾ مات سنة (٩٥) بواسط وهو الذي بناها وقيل: إنه لم يعش بعد قتل سعيد بن جبير إلا يسيرا . قال البخاري في كتاب الحج حدثنا مسدد عن عبد الواحد ثنا الأعمش قال: سمعت الحجاج بن يوسف على المنبر يقول السورة التي تذكر فيها البقرة والسورة التي يذكر فيها آل عمران والسورة التي تذكر فيها النساء . قال فذكرته لإبراهيم فقال: حدثني عبد الرحمن بن يزيد انه كان مع ابن مسعود حين رمى جمرة العقبة فذكر الحديث . وفيه ثم قال: من هاهنا والذي لا إله غيره قام الذي أنزلت عليه سورة البقرة . ورواه مسلم أيضا من حديث الأعمش في بعض طرقه هكذا وفي المراسيل لابي داود من طريق عوف الأعرابي سمعت الحجاج يخطب فذكر خبرا ولم يقصد الشيخان وغيرهما الرواية عن الحجاج كما لم يقصد البخاري الرواية عن الحسن بن عمارة فاما أن يتركا وأما أن يذكرا وإلا فما الفرق . وفي الصحيح أيضا عن سلام بن مسكين قال: بلغني أن الحجاج قال لأنس حدثني بأشد عقوبة عاقب بها النبيﷺ قال: فحدثه بحديث العرنيين . وفي سنن أبي داود من رواية الربيع ابن خالد الضبي قال: سمعت

الحجاج يخطب فذكر قصة . وقال الأصمعي عن أبي عمرو ابن العلاء لما مات الحجاج قال الحسن اللهم أنت أمته فأمت سنته أتانا أخيفش [١] أعيمش قصير البنان والله ما عرق له عذار في سبيل الله قط فمد كفاه كبره فقال: بايعوني وإلا ضربت أعناقكم . وقال عبد الله بن أحمد في الزهد حدثني الحسن بن عبد العزيز ثنا ضمرة عن ابن شوذب عن أشعث الحداني وكان يقرأ للحجاج في رمضان قال: رأيته في منامي بحالة سيئة فقلت يا أبا محمّد ما صنعت قال: ما قتلت أحدا بقتلة إلا قتلت بها قلت ثم مه قال: ثم أمر به إلى النار قلت ثم مه قال: أرجو ما يرجو اهل لا إله إلا الله فبلغ ذلك ابن سيرين فقال: إني لأرجو له فبلغ قول ابن سيرين الحسن فقال: اما والله ليخلفن الله رجاءه فيه». [٢]

[٣٧٤]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ فِي كَلامٍ لَهُ[٣] عليه السلام غير هذا[٤] يَجْرِي هذا ٱلْمَجْرَى :

فَمِنْهُمُ: ٱلْمُنْكِرُ لِلْمُنْكَرِ بِيَدِهِ وَلِسَانِهِ وَقَلْبِهِ فَذَلِكَ المُسْتَكْمِلُ لِخِصَالِ ٱلْخَيْرِ.

وَمِنْهُمُ: الْمُنكِرُ بِلِسَانِهِ وَقَلْبِهِ وَالتَّارِكُ بِيَدِهِ، فَذَلِكَ مُتَمَسِّكٌ بِخَصْلَتَيْنِ مِنْ خِصَالِ ٱلْخَيْرِ، وَمُضَيِّعٌ خَصْلَةً.

وَمِنْهُمُ: المُنْكِرُ بِقَلْبِهِ، وَالتَّارِكُ بِيَدِهِ وَلِسَانِهِ فَذَلِكَ ٱلَّذِى ضَيَّعَ أَشْرَفَ ٱلْخَصْلَتَيْنِ مِنَ الثَّلَاثِ، وَتَمَسَّكَ بَوَاحِدَةٍ.

وَمِنْهُمْ: تَارِكٌ لِإِنْكَارِ ٱلْمُنْكَرِ بِلِسَانِهِ وَقَلْبِهِ وَيَدِهِ، فَذَلِكَ مَيِّتُ ٱلْأَحْيَاءِ[٥].

(ح ـ ٣٧٤) اصناف المنكرين للمنكر:

ان هذه الحكمة تكسف عن درجات مقاومة طبقات الشعب ومواقفهم تجاه المنكر بعد

---

(١) في القاموس: الخفش – محركة – : صغر العين وضعف البصر أو فساد في الجفون بلا وجع أو ان يبصر بالليل دون النهار والعمش محركة ضعف البصر مع سيلان الدمع في أكثر الأوقات اهد أبو الحسن .

(٢) تهذيب التهذيب ؛ لابن حجر ٢ : ١٨٤ – ١٨٧.

(٣) لم ترد «له» في أ.

(٤) في د : آخر له.

(٥) في هـ . ص: وذلك لأنّ وجدانه كعدمه في باب كسب الخير، الذي هو المراد من خلق الإنسان في الدنيا، والله أعلم.

تنازلي ، فقال:

أوّلاً: (فمنهم المنكر للمنكر بيده ولسانه وقلبه، فذلك المستكمل لخصال الخير)؛ فإنّ انكار المنكر خير، ودرجات تحقيقه مختلفة، منها اليد واللسان والقلب، واجتماع الثلاث استكمال لكل الدرجات، فتكون اقواها واعلى الاصناف.

الثاني: (ومنهم المنكر بلسانه وقلبه والتارك بيده ، فذلك متمسك بخصلتين من خصال الخير ومضيع خصلة) وهذا الصنف الثاني، وينقصه درجة من درجات المقاومة، وطبيعيّ أن نقص الخصلة يوجب عد هذا الصنف من الدرجة الثانية.

الثالث :(ومنهم المنكر بقلبه والتارك بيده ولسانه، فذلك الذي ضيع أشرف الخصلتين من الثلاث وتمسك بواحدة)؛ فإنّ هذا الصنف يقع في المرتبة الثالثة، مهما كانت الاسباب الداعية إلى نقص الخصلتين التي هما اشرف خصلتين.

الرابع :(ومنهم تارك لإنكار المنكر بلسانه وقلبه ويده، فذلك ميت الأحياء)؛ فإنّ هذا الصنف مهمل للمسؤولية متهرب من الواجب؛ لأيّ سبب كان، فهو لا يختلف في الاثر عن الاموات سوى انه حيّ يتنفس، ولكنّه عديم الاثر في الحياة، ولا يخلو مجتمع من المجتمعات من هذه الاصناف في الحياة.

(ح ـ ٣٧٤) اهمية الامر بالمعروف والنهي عن المنكر:

وَمَا أَعْمَالُ الْبِرِّ كُلُّهَا وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِ ٱللّٰهِ عِندَ ٱلْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ إِلَّا كَنَفْثَةٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ[١]، وَإِنَّ ٱلْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ لَا يُقَرِّبَانِ مِنْ أَجَلٍ[٢] وَلَا يَنْقُصَانِ مِنْ رِزْقٍ، وَأَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ[٣] كَلِمَةُ عَدْلٍ عِنْدَ إِمَامٍ جَائِرٍ .

يشير المقطع إلى اهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في اقامة شريعة الاسلام؛ فإنّ لهما التاثير المباشر على جميع الاحكام، وفي مختلف مرافق الحياة العباديّة والاجتماعية والسياسية والاقتصاديّة، فقال:

---

(١) في هـ . ص: الفعلة من النفث، وهو إلقاء ما في الفم والرمي به. واللّجّي منسوب الى اللجّة، وهو معظم الماء.

(٢) في هـ . ص: قوله: «لايقرّبان من أجل... الخ» إشارة الى نفي ما يتوهّم صارفاً عنهما كما يعتقده من لا عزيمة له.

(٣) في هـ . د: لم ترد «كلّه» في ح ب.

ـ(وما أعمال البر كلها والجهاد في سبيل الله عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلّا كنفثة في بحر لجي) والنفثة: النفخة، واللج: كثرة الموج في البحر، فان بهما قوام كلّ اعمال البر، وحتى الجهاد في سبيل‌الله ؛ اذ أن الأمر بالمعروف هو الذي يدفع المجاهد الى المساهمة في الجهاد، وينهي المتقاعس عن التهرب عنه، وبدونهما لا تكون الواجبات الاسلامية الاخرى إلّا كنفخة في مقاومة امواج البحر المتلاطمة.

ثم أشار إلى خصائص ثلاث:

أوّلاً: (وإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يقربان من أجل) وهو اما التصور الطعام بأنّهما يقربان الاجل ويجعلان حياة الإنسان في خطر، مع أن الخطر موجود على كلّ حال سواءً قام الإنسان بواجبه ام لا؛ فإنّ الحكم الظالم يأخذ بالظلم من دون ميزان عادل، ولا يموت الإنسان إلّا باجله.

ثانياً: (ولا ينقصان من رزق)؛ فإنّ ما يكفيه الإنسان من الطعام والشراب في كلّ يوم من ايام حياته لا تزيد ولا تنقص بهما، وان اختلفت الوانها وطعومها.

ثالثاً: (وأفضل من ذلك كلّه كلمة عدل عند إمام جائر)، فان كلا من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مسؤولية اسلامية، وتكون المسؤولية اعظم عندما تكون في مواقف لها تأثير عام، ومنها مواقف السلطان الجائر؛ فإنّ كلمة العدل حينئذ اعظم، والله الموفق.

[٣٧٥]

وَعَنْ أبي جُحَيْفَةَ[١] قال : سَمِعْتُ أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ :

إنَّ[٢] أَوَّلَ مَا تُغْلَبُونَ عَلَيْه مِنَ ٱلْجِهَادِ بِأَيْدِيكُمْ، ثُمَّ بِأَلْسِنَتِكُمْ، ثُمَّ بِقُلُوبِكُمْ، فَمَنْ لَمْ يَعْرِفْ بِقَلْبِهِ مَعْرُوفاً وَلَمْ يُنْكِرْ مُنْكَرًا، قُلِبَ فَجُعِلَ أَعْلَاهُ أَسْفَلَهُ، وَأَسْفَلَهُ أَعْلَاهُ[٣].

(ح ـ ٣٧٥) درجات التخاذل:

تشير الحكمة إلى درجات التخاذل الثلاث امام العدو، والتساهل في المقاومة، فقال:

---

(١) في ط وروىٰ أبو جحيفة.
(٢) في هـ . د: لم ترد «ان» في ب.
(٣) لم ترد «وأسفله أعلاه» في أ.

أوّلاً: (أول ما تغلبون عليه من الجهاد الجهاد بأيديكم)؛ فإنّ التخاذل عن الجهاد موقف يكشف عن سبب اوجب هذا التخاذل؛ فإنّ مع الايمان بالجهاد عقيدة لا يمكن التخاذل عنه كواجب اسلامي، وذلك بالقاء السلاح.

ثانياً: (ثم بألسنتكم) فالمرحلة الثانية من التخاذل الاستسلام للعدو بالاعتراف به رسميا كصاحب سلطة شرعية، وذلك بالتطبيع مع العدو.

ثالثاً: (ثم بقلوبكم) وهي المرحلة الاخيرة في الواقع العملي، مع انها المرحلة الاولى في الحقيقة؛ فإنّ مع العلم بأن الحق لا يمكن الحصول عليه بالتخاذل يستلزم ذلك المقاومة على صعيد الكلام والعمل ايضا، وذلك ذوبان الشخصية تماما، والى ذلك أشار بقوله:

(فمن لم يعرف بقلبه معروفا ولم ينكر منكرا قلب، فجعل أعلاه أسفله وأسفله أعلاه)؛ فإنّ السبب الاصيل في التخاذل هو عدم الاعتقاد بالثابتة الاسلامية الانسانية وهو حق الدفاع بكلّ الوسائل، وأن التخاذل عن ذلك يستلزم سلسلة مترابطة من سلب الشخصية والهوية راساً على عقب، كما هو شأن كلّ امة تسلخت من شخصيتها ففقدت شخصيتها الحضارية فلا يمكن استرداد الشخصية إلّا بالدفاع عن المبادي التي تقوم حضارة الامة عليها بأيّة وسيلة ممكنة في الجهاد.

قال ابن الأثير في أسد الغابة ما نصّه:« ب ع س ، أبو جحيفة ، وهب بن عبد الله ويقال وهب بن وهب وهو وهب الخير السوائي وهو من ولد حرثان بن سواءة بن عامر بن صعصعة قاله أبو عمر وقد ذكرنا نسبه في وهب إلى حبيب بن سواءة نزل أبو جحيفة السوائي الكوفة وكان من صغار الصحابة ذكروا أن رسول الله ﷺ توفى وأبو جحيفة لم يبلغ الحلم ولكنه سمع من رسول الله ﷺ وروى عنه، وجعله علي بن أبي طالب على بيت المال بالكوفة وشهد معه مشاهده كلها وكان يحبه ويشق إليه ويسميه وهب الخير ووهب الله أيضا أخبرنا أبو الفرج بن محمود أخبرنا أبو على الحسن ابن أحمد قراءة عليه وأنا حاضر اسمع أنبأ أحمد بن عبد الله الحافظ أنبأنا أبو محمّد عبد الله بن جعفر الموصلي حدثنا محمّد بن أحمد بن المثنى حدثنا جعفر بن عون أخبرنا أبو عميس عن عون بن أبي جحيفة عن أبيه قال: نزل رسول الله ﷺ بالأبطح فجاء بلال فأذنه بالصلاة قال: فتوضأ

وجعل الناس يأتون فصلى ركعتين والظعن يمرون بين يديه والمرأة والحمار، وروى عنه ابنه عون انه أكل ثريدة بلحم وأتى رسول الله ﷺ وهو يتجشأ فقال: اكفف عليك جشاءك أبا جحيفة فان أكثرهم شبعا في الدنيا أكثرهم جوعا يوم القيامة قال: فما أكل أبو جحيفة ملء بطنه حتى فارق الدنيا كان إذا تعشى لا يتغدى وإذا تغدى لا يتعشى وتوفى في إمارة بشر بن مروان البصرة سنة اثنتين وسبعين أخرجه أبو نعيم وأبو عمر وأبو موسى».(١)

[٣٧٦]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

ان الحق ثقيل مرئ، وإنّ الباطل خفيف وبئ.

(ح ـ ٣٧٦) اثر الحق والباطل:

(المراءة: الهناء، والوباء: كلّ مرض عام كالجدري والكوليرا).

تحدد الحكمة اثرين ظاهرين في كلّ من الحق والباطل من حيث المبدأ والمنتهى؛ فإنّ الحق ثقيل؛ لأنّه يستلزم عملاً وهو قيد، حيث يجب على الإنسان أن يقيد نفسه به، والحرية من كلّ قيد اخف، ولكنّه من حيث العاقبة هنئ ومريح؛ لانها النتيجة الحتمية للعمل، وعلى العكس تماما الباطل؛ حيث أنه خفيف من حيث المبدأ، فانّه لا يتطلب قيوداً بل الحرية من القيود التي لا تعتبر ضرورية بالفعل من وجهة نظر عامة الناس، ولكن الباطل في عاقبته الضرر، وليس لخصوص من يتنكر لواجبه بل لغيره ايضا، فهو كمرض الوباء، وهو المرض العام الذي يؤثر في المجتمع بصورة عامة.

[٣٧٧]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

لَا تَأْمَنَنَّ عَلَى خَيْرِ هَذِهِ ٱلْأُمَّةِ عَذَابَ ٱللّهِ، لِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللّهِ(٢) إِلَّا

---

(١) أسد الغابة؛ لابن الأثير ٥: ٢٥٦ – ١٥٧.

(٢) إلى هنا ساقط من «ب»، وقد أشرنا إلى ذلك في أوائل الحكمة (١٣٩).

ٱلْقَوْمُ ٱلْخَاسِرُونَ﴾[١] وَلَا تَيْأَسَنَّ لِشَرِّ هَذِهِ ٱلْأُمَّةِ مِنْ رَوْحِ ٱللَّهِ لِقَوْلِهِ سُبْحانَهُ[٢]: ﴿إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَافِرُونَ﴾[٣].

(ح ـ ٣٧٧) ارادة الله:

الايمان بالله يستلزم الايمان بالارادة العليا الحاكمة على الكون فكما اوجدها من العدم لهي قادرة على الافناء كما هي قادرة على توقيف الحركة حيث الارادة العليا بالاعجاز؛ فإنّ انكار الاعجاز انكار لهذه القدرة المطلقة الحاكمة في الكون.

فالإنسان المؤمن بهذه القدرة العليا يعيش بين الخوف والرجاء ويؤدي واجبه كما امر الله عالماً بأن ارادة الله فوق ارادته وقادرة على كلّ شيئ. والى هذه الحالة المتوسطة بين الأمرين استشهد بقوله تعالى في سورة الاعراف : ٩٩، بأنّه لا يأمن من مكر الله إلّا القوم الخاسرون، والمكر: هو التخطيط عن قصد وارداة، فلا أمن من عذاب الله، فكل ما يقوم به الإنسان في الحياة ليس اداء للحقوق المستحقة بالنسبة إلى الذات المقدسة.

ولكن في نفس الوقت يكون راجيا لرحمة الله الواسعة؛ لقوله تعالى في سورة يوسف : ٨٧ (انه لا ييأس من روح الله إلّا القوم الكافرون، والروح – بالفتح – هي الرحمة الالهية الواسعة.

[٣٧٨]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

الْبُخْلُ[٤] جَامِعٌ لِمَسَاوِيء الْعُيُوبِ، وَهَوَ زِمَامٌ يُقَادُ بِهِ إِلَى كُلِّ سُوءٍ.

(ح ـ ٣٧٨) البخل:

يصف الإمام البخل بأنّه جامع لمساوئ العيوب؛ لأنّ البخل اما أن يكون ببخل الإنسان نفسه على نفسه، فهو يضر نفسه بعدم الانتفاع بما لديه، ويكون في ذلك كالفقير؛ لانهما معاً

---

(١) الأعراف: ٧ / ٩٩.
(٢) لم ترد «لقول الله سبحانه» في ط.
(٣) يوسف: ١٤ / ٨٧.
(٤) في هـ. د: البخيل ـ ب.

يشتركان في عدم الانتفاع بالشئ، واما أن يكون بخله بانتفاع الغير من ماله، فيكون العيب فيه أن يكون مانعا للآخرين من الانتفاع بشئ لا يضره شخصيا، فلا يختص عيبه بنفسه بل يتعدى إلى غيره.

ثم أشار إلى أن البخل وسيلة إلى كلّ سوء؛ فإنّ البخل يوجب الحرص على المال خشية الحاجة إليه، والحرص من العيوب. والى الكذب بالحاجة اليه لمن يطلبه، والكذب من العيوب. والظلم لمن يحتاج الى المال الذي هو في غنىً عنه، وغيرها من العيوب.

ولو تأمل الإنسان في البخل لوجد البخل مبدأ للعيوب اما في نفسه أو المجتمع في الدنيا والآخرة، وكفى بالظلم، وفي ذلك قال تعالى:﴿ومن يظلم منكم نذقه عذابا كبيراً﴾.[١]

[٣٧٩]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

الرِّزْقُ[٢] رِزْقانِ : رِزْقٌ تَطْلُبُهُ ، ورِزْقٌ يَطْلُبُكَ ، فإنْ لَمْ تَأْتِهِ[٣] أتاكَ . فَلَا تَحْمِل هَمَّ سَنَتِكَ عَلَى هَمِّ يَوْمِكَ . كَفَاكَ كُلَّ يومٍ مافِيهِ ، فإنْ تَكُنِ السَّنَةُ مِنْ عُمُرِكَ فإنَّ ٱللّهَ تعالى[٤] سَيُؤْتِيكَ[٥] في كُلِّ غَدٍ جَدِيدٍ ما قُسِمَ لَكَ ، وإنْ لَمْ تَكُن السَّنَةُ مِنْ عُمُرِكَ فمَا تَصْنَعُ بِالهَمِّ لِما[٦] لَيْسَ لَكَ ، وَلَنْ يَسْبِقَكَ إلى رِزْقِكَ طالِبٌ ، ولنْ يَغْلِبَكَ عَلَيْهِ غالِبٌ ، وَلَنْ يُبْطِئَ عنْكَ ما قَدْ[٧] قُدِرَ لَكَ .

وقدْ مضى هذَا الكَلامُ فيما تقدَّمَ مِنْ هذَا ٱلبابِ[٨] إلَّا أنَّهُ هاهنا أوْضَحُ وَأشْرَحُ[٩].

---

(١) الفرقان : ١٩٨.
(٢) في هـ. د: يابن آدم الرزق ـ ح.
(٣) في أ: فان أنت لم.
(٤) في أ زيادة : جدّه.
(٥) في ص: يأتيك.
(٦) في ب: بما، وفي هـ. ب: لما.
(٧) لم ترد «قد» في ص، وفي هـ. د: ما قدر ـ ش.
(٨) في ص : ذكرناه.
(٩) في ص: في هذا، وفي ب و د: في أوّل هذا، وفي هـ. د: العبارة من قوله: «وقد مضىٰ ... الى هنا» ساقطة من م ن.

فَلِذلكَ كَرَّرْناه على القاعدَةِ المُقرَّرَةِ في أَوَّلِ هذا الكِتابِ .

(ح - ٣٧٩) الرزق:

الرزق: قوت الإنسان في الحياة التي يعيش عليه، وقد اشار عليه السلام إلى نقاط صادقة لو تامل أي انسان ما يدور في حياته، وليس في كلام الإمام النهي عن طلب الرزق كما قد يتوهم، بل المقطع يشير إلى أن طلب الرزق على نوعين:

الأوّل: طلب الرزق في كلّ يوم إلى نهاية السنة التي البالغة ٣٦٥ يوماً.

الثاني: طلب الرزق لما بعد هذه الفترة الزمنية.

والنوع الأوّل: مضمون حالاً بحسب تواجد الصفات المطلوبة للعمل، من الكفاءة والصحة والشباب وما شابه، فيقوم الإنسان بواجبه في تحصيل هذا الرزق بطلب الاسباب المطلوبة.

والنوع الثاني: ليس بتخطيط الانسان؛ فإنّ الصفات المطلوبة للعمل غير مضمونة، لاحتمال طروء عوارض الصحة وتقدم العمر من الشخوخة وفقدان الكفاءة لاسباب غير متصورة الآن، ومنها: الحوادث والكوارث الطبيعية، ولا أقل من احتمال الموت الذي لا يرحم احدا، وبه ينتهي كلّ الاحتمالات، فقال:

١ ـ (يا ابن آدم) مخاطبا حالة حقيقية في كلّ الطبقات من كلّ الامم، بلا فرق بين واحد وآخر.

٢ ـ (الرزق رزقان) باعتبار الاستعداد له من ناحية الزمان.

٣ ـ (رزق تطلبه) الان في يومك الذي تعيش فيه، بسبب بالكفاءات الوقتيه من القدرة والصحة والنشاط التي تحت قدرتك، فتقوم بالطلب لوجودها عندك.

٤ ـ (ورزق يطلبك) بالكفاءات التي ليست تحت اختيارك من الارث ممّن لا تتوقع وفاته، والربح من الشركات التي ساهمت فيها وانت لا تعلم ربحها، وهدية صديق لم يكن بالحسبان وما شابه.

فان العلم بهذه الحقائق يوجب ما ياتي:

٥ ـ (فلا تحمل همّ سنتك على همّ يومك) فلا تخطط لما بعد السنة؛ فإنّ مجاري الامور ليست بيدك.

٦ ـ (كفاك كلّ يوم ما فيه) بأداء الواجب في طلب الرزق في كلّ يوم حيث الظروف والاحوال المتيسرة للانسان حيث لا يضمن الإنسان المستقبل.

٧ ـ (فإن تكن السنة من عمرك؛ فإنّ الله تعالى سيؤتيك في كلّ غد جديد ما قسم لك) حيث لا ضمان بالحياة إلى السنة الجديدة، فلماذا التخطيط للعمل فيها مع عدم الضمان بالحياة فيها، وهذا لا ينافي التخطيط المعلق، فإنّه غير الطلب بالفعل الآن.

٨ ـ (وإن لم تكن السنة من عمرك فما تصنع بالهم لما ليس لك؟) فلا يكون من يطلب الضمان في السنة التي ليست حاضرة إلّا كالمدخر، ولا يكون المدخر مع الوفاة إلّا مدخراً لورثته وليس لنفسه، وكم من اودع مالا لأكثر من سنة فافلست الشركة وضاع معها كلّ ماله ولم ينتفع به هو ولا غيره، والايمان بالقضاء والقدر يسلتزم اموراً أشار اليها بقوله:

٩ ـ (ولن يسبقك إلى رزقك طالب) لطلبه من دون ارادة الله تعالى:

١٠ ـ (ولن يغلبك عليه غالب) من المنافسين لقوته في نفسه.

١١ ـ (ولن يبطئ عنك ما قد قدر لك) قال تعالى: ﴿وفي السماء رزقكم وما توعدون﴾ [(١)]، وقال: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَانُ إِذَا مَا ٱبْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ * وَأَمَّا إِذَا مَا ٱبْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ * كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ﴾.[(٢)]

فان النعمة وعدمها ابتلاء وامتحان للانسان، ولا يكون شئ منهما إلّا بارادة الله تعالى الذي امر الإنسان بالسعي، والله المستعان.

وقد جاء مطلع المقطع في الكتاب رقم (٣١) من وصية الإمام لولده الحسن، وهو قوله: (واعلم يابني ان الرزق رزقان: رزق تطلبه ورزق يطلبك؛ فإنّ انت لم تأنه أتاك)، والى هذا الموضع أشار الرضي عليه السلام بالباب، يعني به معنى الباب وليس باب المختار من الحكم كما قد يتوهم، والله اعلم.

---

(١) الذاريات: ٢٢.
(٢) الفجر: ١٦.

[٣٨٠]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

رُبَّ مُسْتَقْبِلٍ يَوْماً لَيْسَ بِمسْتَدْبِرِهِ، ومَغْبُوطٍ فِي أَوَّلِ لَيْلِهِ قامَتْ بَوَاكِيهِ[١] في آخِرِهِ .

(ح - ٣٨٠) الامال الجانبية:

الاستقبال:: النظر إلى الشئ الاتى بعد الحال، والاستدبار: ترك الشئ من ورائه، والغبطة: تمني النعمة التي لغيره على أن لا تزول عنه، ومع تمنّي الزوال يكون حسداً، والإنسان في حياته يتسلى بالامل، وهو في غفلة عما يخبئ له الاجل، وكل انسان حي يأمل في أن يستمر في حياته حتّى تحقيق اماله قبل الوفاة، والحكمة تؤكد على حقيقتين لا بد ان يعتبر بهما أي انسان، وهما:

أوّلاً: (رب مستقبل يوما ليس بمستدبره) فهو ينظر إلى المستقبل لتحقيق ما يامل، ولكنّه لا يمكن أن يصل الى ذلك المستقبل، وبالنتيجة لا يتمكن من أن يجعل ذلك اليوم وراءه؛ لأنّ الاجل يدركه قبل الوصول إليه.

ثانياً: (ومغبوط في أول ليله قامت بواكيه في آخره)؛ فإنّ الغبطة تستلزم دوام النعمة عليه، وبالموت لا يبقى للغبطة موضوع، بل ينقلب إلى الضد، فتقوم البواكي والناعية عليه، ولا يغتبط بذلك احد من الباكين أو الباكيات؛ اذ لو كانوا صادقين لما كانوا باكين، بل في عداد الاموات، وكفى ذلك عبرة بعدم عقد الامال على الاستقبال.

[٣٨١]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

الْكَلامُ في وَثَاقِكَ مَا لَمْ تَتَكَلَّمْ بِهِ، فإِذا تَكَلَّمتَ بِهِ صِرْتَ في وَثاقِهِ؛ فاخْزُنْ لِسانَكَ كَما تَخْزُنُ ذَهَبَكَ ووَرِقكَ؛ فَرُبَّ كلِمَةٍ سَلَبَتْ نِعْمَةً[٢] .

(ح - ٣٨١) مسؤولية الكلمة:

يحدد الحكمة مسؤولية الكلمة في الحياة، فإنّها كالوثاق، وهو الحبل المتين؛ فإنّ

---

(١) في هـ. ب: جمع باكية.

(٢) في هـ. د: سلبت نعمة وجلبت نقمة ـ ض ب.

الكلام ما لم يلفظ فهو في اختيار الإنسان، موثوق ومربوط بارادته الإعلان، فاذا تكلم اصبح الضمير معلنا والمتكلم مربوطا ومأخوذا به، وعن مسؤولية الإنسان في الكلام قال:

١ ـ (فاخزن لسانك كما تخزن ذهبك وورقك) وهو الفضة، فالكلام يجب أن يوثق كالوثاق المادي للذهب والفضة والمجوهرات؛ لئلا يستخدمها من ليس له حق فيها.

وعن السبب في ذلك قال:

٢ ـ (فرب كلمة سلبت نعمة وجلبت نقمة)؛ فإنّ ضحايا اللسان اكثر من ضحايا السيوف؛ فإنّ ضحايا اللسان لا تختص بالمحاكم ،بل توجد في الافراد والاسر، وتتعدى إلى الاصحاب والاقوام، ولا عاصم منها سوى ارادة الإنسان، والله المستعان.

[٣٨٢]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

لَا تَقُلْ مَا لَا تَعْلَمُ؛ بَلْ لَا تَقُلْ كُلَّ مَا تَعْلَمُ؛ فَإِنَّ اللّهَ[١] سُبْحَانَهُ قَدْ فرضَ[٢] عَلَى جَوَارِحِك كُلِّها فَرَائِضَ يَحْتَجُّ بِهَا عَلَيْكَ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ .

(ح ـ ٣٨٢) القول السديد:

يشترك القول والكلام في التلفظ، ويعرفان بأن القول يكون غالبا عن قصد، واما الكلام فإنّه اعم، وقد نهى الإمام عن قسمين من انواع من القول الثلاث بقوله:

الأوّل: (لا تقل ما لا تعلم) فإنّه كذب محرم شرعاً، قال تعالى:﴿ولا تقف ما ليس لك به علم﴾.[٣] والقول من القفو المنهي عنه.

الثاني: (بل لا تقل كلّ ما تعلم) بل يلزم الاقتصار خاصة على ما يرى فيه النفع للاسلام والمسلمين في الاقوال، وذكر في السبب لذلك قوله:

(فإن الله فرض على جوارحك فرائض يحتج بها عليك يوم القيامة) قال تعالى:﴿يوم

---

(١) في ب: ان الله.
(٢) في هـ. د: فان الله فرض على جوارحك ـ ب.
(٣) الاسراء : ٣٦.

تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعلمون﴾.[١]

الثالث: وهو القول الهادف في مصلحة ترجع إلى النفس أو المجتمع، فيكون على الإنسان هذا القول فقط؛ لأنّه القول السديد الذي امر الله به في القرآن المجيد فقال:﴿يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديداً﴾.[٢] والله على كلّ شئ شهيد.

[٣٨٣]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

ٱحْذَرْ أَنْ يَراكَ ٱللّٰهُ عِنْدَ مَعْصِيَتِهِ، وَيَفْقِدَكَ عِنْدَ طَاعَتِهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَاسِرِينَ؛ وَإِذَا قَوِيتَ فَاقْوَ عَلَى طَاعَةِ اللّٰهِ، وَإِذَا ضَعُفْتَ فَاضْعُفْ عَنْ مَعْصِيَةِ اللّٰهِ .

(ح ـ ٣٨٣) القوّة والضعف:

مقياس القوّة والضعف في الإنسان المسلم هو بالنسبة إلى المبادي الاسلاميّة التي يتحرك عليها، وحددتها الحكمة بقوله عليه السلام:

١ ـ (احذر أن يراك الله عند معصيته ويفقدك عند طاعته فتكون من الخاسرين)؛ لأنّ الله سبحانه ﴿بصير بما تعلمون﴾.[٣] فلا تخفى عليه الحالتان من الإنسان، ولا تكون النتيجة عند ذلك الا الخسران.

٢ ـ (وإذا قويت فاقو على طاعة الله ، وإذا ضعفت فاضعف عن معصية الله) وبذلك يكون صدق الاعتقاد بمراتبه من القوّة والضعف، حيث درجات الكمال إلى قرب الله المتعال.

---

(١) النور : ٢٤.
(٢) الاحزاب : ٧٠.
(٣) الحجرات : ١٨.

[٣٨٤]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

الرُّكُونُ[١] إِلَى الدُّنْيَا مَعَ ما تُعَايِنُ[٢] مِنْهَا جَهْلٌ، وَالتَّقْصِيرُ فِي حُسْنِ العَمَلِ إِذَا وَثِقْتَ بِالثَّوَابِ عَلَيْهِ غَبْنٌ، وَالطُّمَأْنِينَةُ إِلَى كُلِّ أَحَدٍ قَبْلَ الاخْتِبارِ[٣] لَهُ عَجْزٌ.

(ح ـ ٣٨٤) **الجهل والغبن والعجز:**

يذكر الإمام مصاديق لهذه الكلمات الثلاث التي يغفل عنها الانسان عادة، وهي:

أوّلاً: الجهل (الركون إلى الدنيا مع ما تعاين منها جهل)؛ فإنّ الجهل ـ لغةً ـ: عدم المعرفة والغفلة، ومن اظهر مصاديقه المشاهدة برأي العين من الاثار في الدنيا، من تقلّب الاحوال، ثمّ الركون اليها.

ثانياً: الغنى (والتقصير في حسن العمل إذا وثقت بالثواب عليه غبن) والغنى ـ لغةً ـ: الخسارة الكبيرة ومن اظهر مصاديقه خسارة الثواب بالتقصير في تحصيله مع العلم به.

ثالثاً: العجز (والطمأنينة إلى كلّ أحد قبل الاختبار عجز) والعجز ـ لغةً ـ: الضعف، ومن اظهر مصاديقه الاطمئنان قبل الامتحان؛ فإنّ العاقل القادر لا يقدم على الامتحان اختياراً قط.

[٣٨٥]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

مِنْ هَوَانِ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱللّهِ أَنَّهُ لَا يُعْصَى إِلَّا فِيهَا، وَلَا يُنَالُ مَا عِنْدَهُ إِلَّا بتَرْكِهَا.

(ح ـ ٣٨٥) **هوان الدنيا:**

قيمة كلّ شئ بحسب اثره في تحقيق المصالح، وبتلك النسبة يكون الهوان، حيث لا يكون للشئ أي أثر في الحياة، فيكون وجوده كعدمه، ولكل منها مراتب:

ومن هذا المنطلق يكون هوان الدنيا بصفتين هما:

---

(١) في هـ. ب: الاعتماد والاطمئنان.
(٢) في هـ. ب: ترىٰ.
(٣) في ط زيادة «له».

أوّلاً: (من هوان الدنيا على الله انّه لا يعصى إلّا فيها) فلا معصية في الآخرة، بل فيها الحساب ثم الثواب أو العقاب.

ثانياً: (ولا ينال ما عنده إلّا بتركها)؛ فإنّ مصالح الدنيا والآخرة في تضاد، ولا يمكن الجمع بين الضدين في آنٍ واحد، بل لابد من ترك احدهما، فلا يمكن أن يصل الإنسان إلى ما عندالله من الثواب إلّا بترك المصالح الخاصة بالدنيا، بأن يختار ما فيه صلاح الدنيا والآخرة، أو ما فيه صلاح الآخرة فقط، والله الموفق.

[٣٨٦]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

مَنْ طَلَبَ شَيْئاً نالَهُ أوْ بَعْضَهُ .

(ح ـ ٣٨٦) نتيجة الطلب:

الطلب: عمل يقوم الإنسان به، وقد قال سبحانه:﴿ولكلّ درجات بما عملوا وما ربك بغافل عما يعلمون﴾[1]، فان الشيئ المطلوب لا يتحق بالكسل، بل بالعمل، فاما أن يحصل المطلوب كما هو المطلوب، واما أن يمنع من حصول المطلوب مانع، وبذلك يعرف الطالب اهمية المطلوب، حيث يكشتف الطالب الطرق التي تمنع من تحقق المطلوب، وذلك امر لم يكن يتحقق بدون الطلب، فيكون الطالب قد نال بعض ما يتعلق بالمطلوب حقيقة أو كله بمعرفة شرائطه وموانعه.

[٣٨٧]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

مَا خَيْرٌ بِخَيْرٍ بَعْدَهُ النَّارُ، وَمَا شَرٌّ بشَرٍّ بَعْدَهُ ٱلْجَنَّةُ، وَكُلُّ نَعِيمٍ دُونَ ٱلْجَنَّةِ فَهُوَ مَحْقُورٌ[2]، وكُلُّ بَلَاءٍ دُونَ النَّارِ عافِيَةٌ .

---

(١) الانعام: ١٣٢.

(٢) في د: فهو محقور، وفي هـ. د: محقور ـ ض ح ل ش.

(ح ـ ٣٨٧) الخير والشر حقيقة:

الخير: ما يوجب السعادة، والشر: ما يوجب الشقاء، وكل من السعادة والشقاء الحقيقية هو ما كان خالداً، وأما ما لم يكن كذلك يكون كذبك فهو لحقيقتهما فاقد، فقال:

١ ـ (ما خير بخير بعده النار)؛ لأنّ النار شقاء دائم، والخير حينئذ سعادة وقتية زائلة.

٢ ـ (وما شرّ بشر بعده الجنّة)؛ لأنّ الشقاء حينئذ شرّ زائل، والجنّة سعادة خالدة.

٤ ـ (وكل نعيم دون الجنّة محقور) لحقارة النعيم الزائل وعظم النعيم الدائم.

٥ ـ (وكل بلاء دون النار عافية)؛ لأنّه امتحان مؤقت، دون النار التي هي عذاب دائم، فيكون الامتحان المؤقت عافية وسلامة لا تعقبها ندامة.

[٣٨٨]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ[1]:

أَلَا وَإِنَّ مِنَ ٱلْبَلَاءِ ٱلْفَاقَةَ، وَأَشَدُّ مِنَ ٱلْفَاقَةِ مَرَضُ ٱلْبَدَنِ، وَأَشَدُّ مِنْ مَرَضِ ٱلْبَدَنِ مَرَضُ القَلْبِ، أَلَا وَإِنَّ مِنَ النِّعَمِ سَعَةَ المَالِ، وَأَفْضَلُ مِنْ سَعَةِ المَالِ صِحَّةُ البَدَنِ، وَأَفْضَلُ مِنْ صِحَّةِ البَدَنِ تَقْوَى القَلْبِ.

(ح ـ ٣٨٨) درجات البلاء:

تشير الحكمة إلى درجات البلاء الثلاث المتقابلة باضدادها من درجات الصحة، فقال:

١ ـ (ألا وإن من البلاء الفاقة) والبلاء: الامتحان، والفاقة: الفقر الذي به يمتحن الإنسان في الحياة بالصبر للوصول إلى اهدافه خطوة فخطوة.

٢ ـ (وأشد من الفاقة مرض البدن)؛ فإنّ الامراض والعاهات للبدن درجة اخرى من الامتحان للانسان في الحياة، وبها يتذكر الفقراء والمساكين الذين لا دواء لهم.

٣ ـ(وأشد من مرض البدن مرض القلب) وهو الفكر، فاذا اصيب في تفكيره امتحانٌ بالوساوس الشيطانية، وهى اعلى درجات الامتحان، لتاثيرة على سلوك الإنسان في الحياة بالنسبة الى نفسه وغيره، واشار إلى درجات الصحة في البدن بقوله:

---

(١) لم ترد «وقال عليه السلام» في أ.

(ألا وإن من صحة البدن تقوى القلب)؛ فإنّ الوقاية الفكرية من الانحراف تقي البدن من المرض؛ فإنّ للقوة المخيّلة تأثيرا في التغلّب على الامراض النفسيّة، والتي هي بدورها تؤثر في الجسم، والله العالم.

[٣٨٩]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

مَن أبطَأ بِهِ عَمَلُهُ لَم يُسرِع بِهِ نَسَبُهُ

وفي رواية أُخرىٰ:

مَن فَاتَهُ حَسَبُ نَفسِهِ لَم يَنفَعهُ حَسَبُ آبَائِهِ.

(ح ـ ٣٨٩) **العمل والنسب:**

التفاخر بالانساب حرفة العاجز عن العمل، والله يقول:﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره﴾[١] ؛ فإنّ المقياس في التفاخر هو العمل بسبب الدرجات، ونتيجة ذلك أن يقدر البطؤ فى العمل والسرعة فيه بقدر عمل الإنسان وليس بالنسب والحسب، ولا ينفع الإنسان سوى عمله الذي هو حسب نفسه دون عمل غيره الذى هو عمل آبائه، وهذا لا ينافي حرمة النسب وفضل الحسب، ولكن لا تأثير لهما فيما الإنسان اكتسب.

[٣٩٠]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

لِلْمُؤْمِنِ ثَلَاثُ سَاعَاتٍ : فسَاعةٌ يُنَاجِي فِيها رَبَّهُ، وَسَاعَةٌ يَرُمُّ فِيهَا مَعَاشَهُ[٢]، وَسَاعَةٌ يُخَلِّي[٣] فِيهَا بَيْنَ نَفْسِهِ وَبَيْنَ لَذَّتِهَا فِيَما يَحِلُّ وَيَجْمُلُ[٤]، وَلَيْسَ لِلْعَاقِلِ أَنْ يَكُونَ

---

(١) الزلزلة : ٨.

(٢) مرمة المعاش: إصلاحه، وفي هـ. ب: يصلح، وفي هـ. د: يرمُّ فيها معائشه ـ ح ل.

(٣) في ص : زيادة «فيها»، وفي هـ. د: يخلّي فيها ـ ح ل.

(٤) في هـ. ب: يحسن.

شَاخِصاً[١] إِلَّا فِي ثَلَاثٍ : مَرَمَّةٍ لِمَعَاشٍ ، أَوْ حظْوَةٍ[٢] فِي مَعَادٍ[٣] ، أَوْ لَذَّةٍ فِي غَيْرِ مُحَرَّمٍ .

(ح ـ ٣٩٠) المنهاج اليومي:

الساعة: الفترة من الزمان، ويحدد الإمام المنهاج العملي للانسان المسلم في الحياة في ثلاثة اقسام، بقوله: (للمؤمن ثلاث ساعات) حسب التوقيت الشائع في عصرنا حيث يكون تقسم الـ ٢٤ ساعة على ثلاث أقسام:

الاول: وقت التفكر (فساعة يناجي فيها ربه) بالعبادة لله سبحانه والتفكير فيما امر الله العمل به في كلّ يوم، قال تعالى :﴿ان تقوموا لله مثنى وفرادى ثمّ تتفكروا﴾.[٤] فيكون الوقت المخصص لكل يوم للتفكير ثماني ساعات للعمل المزمع فعله.

الثاني: وقت العمل (وساعة يرم معاشه) والمرمة: الاصلاح بالمباشرة بالعمل المطلوب فعله حسب التخطيط الفكري المسبق له لكسب المعاش لذلك اليوم، وهذا يستغرق ثمان ساعات ايضاً.

الثالث: وقت الراحة (وساعة يخلي بين نفسه وبين لذتها فيما يحل ويجمل) بما في ذلك النوم، والا يتعدى هذا الوقت ثمان ساعات، والجسم عادة لا يفتقر إلى اكثر من اربعة ساعات نوم، والمجموع ٢٤ ساعة ليلا ونهاراً.

ثم أكّد الإمام بأن هذا المنهاج اليومي هو ما ينبغي الالتزام به، فقال:

(وليس للعاقل أن يكون شاخصا إلّا في ثلاث) والشخوص: السعي والذهاب، والاهداف الانسانية في الحياة:

أوّلاً: (مرمة لمعاش) ليصلح امر معاشه واسرته.

ثانياً: (أو خطوة في معاد) بالعمل لما يؤمن معاده يوم القيامة.

ثالثاً: (أو لذة في غير محرم) من طيبات ما خلق الله، قال تعالى:﴿قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق﴾.[٥]

---

(١) في هـ. ب: قائماً.
(٢) في ب و ط و د: خطوة.
(٣) في هـ. ب: قيامه، وفي هـ. ب: أو تزوّد لمعاد ـ صح.
(٤) سبأ: ٤٦.
(٥) الاعراف : ٣٢.

[٣٩١]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

أَزْهَدْ في الدُّنْيا يُبْصِّرْكَ اللّهُ عَوْرَاتِهَا، ولَا تَغْفُلْ فَلَسْتَ[1] بِمَغْفُولٍ عَنْكَ.

(ح - ٣٩١) اثر الزهد:

لا يعرف الإنسان مساوئ الشيئ إلّا بعد أن يبتعد عنه وينظر إليه بروح موضوعية، واما الذي انغمس في الشيئ فمن المستحيل أن يعرف مساوئ الشيئ الذي هو فيه، ومنها الدنيا، قال عليه السلام:

(أزهد في الدنيا)؛ فإنّ النتيجة الحتمية أن تنظر إلى الدنيا بمنظار جديد لمعرفة حقيقتها.

(يبصرك الله عوراتها) فحينئذ تعرف مساوئها.

(ولا تغفل)؛ فإنّ الغفلة عن الشيئ لا يغير من الواقع شيئا؛ فإنّ الغافل عن الشيئ قد يقع فيه.

(فلست بمغفول عنك)؛ فإنّ الله سبحانه هو الناظر عليك، قال تعالى:﴿وما الله بغافل عما تعملون﴾.[2]

[٣٩٢]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

تَكَلَّمُوا تُعْرَفُوا، فَإِنَّ المَرْءَ مَخْبُوءٌ تَحْتَ لِسَانِهِ ژ.

(ح - ٣٩٢) اللسان خباء:

تقدمت الحكمة بالمعنى في رقم ١٤٧ بقوله: «المرء مخبوّ تحت لسانه» والخباء: الكساء الذي يستعمل للستر، فان اللسان ساتر لحقيقة الإنسان ومدى معرفته وخبرته في الحياة، ولا يظهر ذلك الا بالكلام، وبالكلام يعرف المقام وتظهر علنا ما يخبئه عن الأنام مهما طالت الأيام، وبالله الاعتصام.

---

(١) في ص: فليس، وفي هـ. ص: في نسخة: فلست.

(٢) البقرة: ٨٥.

[٣٩٣]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

خُذْ مِنَ الدُّنْيَا مَا أَتَاكَ، وَتَوَلَّ عَمَّا تَوَلَّى عَنْكَ، فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَفْعَلْ فَأَجمِلْ فِي الطَّلَبِ.

(ح ـ ٣٩٣) **طلب الدنيا:**

تحدد الحكمة حدود طلب الدنيا بقوله: (فاجمل في الطلب) بأن يكون الطلب جميلاً، وهو طلب الشيئ بحدوده المشروعة، فاذا تجاوز الطلب الحد بافراط وهو تجاوز الحقوق يكون الطلب طلبا لشرّ الدنيا متاعاً للاخرة، واذا كان تجاوز الطلب بتفريط كان خسارة بالغنى، وهو خسارة في الدنيا.

والاقتصار على الحد الوسط يكون طلبا جميلا ضمن القانون الاسلامي للمجتمع، وافضل من ذلك العيش فى كلّ يوم ليومه وكل ساعة لساعته من دون فرح لآتٍ ولا يأسى لما فات، قال تعالى:﴿لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كلّ مختال فخور﴾.

[٣٩٤]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

رُبَّ قَوْلٍ أَنْفَذُ مِنْ صَوْلٍ.

(ح ـ ٣٩٤) **اثر القول:**

الصول: الغلبة في الحرب، والحكمة تشير إلى أن الصولة في الحرب لها اثرها المباشر في الاشخاص في ساحة الحرب، ولكن للاقوال التي تقوم علها مصير ا لأمّة في العقود والمعاهدات آثار مستقبلية أكثر تأثيرا من آثار الصولات في الحروب، فيكون نفوذ هذه الاقوال أشدّ من السلاح في ساحة المعركة؛ فإنّ الحروب بين الافراد والامم لا يتحقق إلّا بسبب نوع من الا قوال سواء من الافراد أو القيادات، وسواءً كانت تعتمد على مبررات مشروعة اسلاميا أم لا، والله العاصم.

[٣٩٥]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

كلُّ مُقْتَصَرٍ عَلَيْهِ كَافٍ .

(ح - ٣٩٥) الكفاية:

الاكتفاء بالشئ امر نسبي، فاذا اقتصر الإنسان على الشئ فانه يكشف ذلك عن اكتفائه بذلك، واذا لم يقتصر عليه فيكشف عن عدم قناعته بذلك الشئ وانه لم يكتف به، وبهذه النسبة تكون درجات الطمع والحرص والبخل، فلابد وان تنتهي إلى حد، والا لكان فيه هلاك الإنسان في الدنيا قبل الآخرة، والله العاصم.

[٣٩٦]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

ٱلْمَنِيَّةُ ولَا الدَّنِيَّةُ ، التَّقَلُّلُ ولَا التَّوَسُّلُ، وَمَنْ لَمْ يُعْطَ قَاعِداً لَمْ يُعْطَ قائِماً.

(ح - ٣٩٦) من جوامع الحكم:

الاولى: (المنيّة ولا الدنية) المنية: الموت، والدنية: الذلة؛ فإنّ الذلة هي موت للشعور بالذل الذي يتجدد ما دامت الحياة، بينما الموت يكون لمرة واحدة فقط.

الثانية: (والتقلل ولا التوسل) التقلل: الاستغناء عما لا يفتقر إليه، بالاكتفاء بالقليل، فإنّه افضل من التوسل الى الناس في المحافظة على الكثير المستغنى عنه، لما يستلزمه من ذل الحاجة إلى الناس.

الثالثة: (ومن لم يعط قاعدا لم يعط قائما) تشير الحكمة إلى أن الحقوق ليست كالها مما تعطى، بل منها ما لابد أن تؤخذ اخذاً؛ فإنّ الغاصب لا يعطي حقا لصاحبه سواءً كان طالب الحق قاعداً عن حقه أو قائما على طلبه، بل لابدّ لصاحب الحق الأخذ والمطالبة بالقوة حيث الظروف والاحوال لتحصيل حقوقه أن اراد ذلك، والا فان احداً لا يعطيه شيئا اختياراً.

الرابعة: (والدهر يومان يوم لك ويوم عليك) فليس على وجه الارض في التاريخ من صفت له امور الحياة كلها، ولكل انسان مشاكله الخاصة والعامة التي يعاني منها، وقد لا يشعر بها سواه.

وعن الواجب في الموقف قال:

(فإذا كان لك فلا تبطر ، وإذا كان عليك فاصبر)؛ فإنّ لكل من الموقفين واجبات اسلامية يجب الالتزام بها، ففي حالة اقبال الدنيا يجب أن يتحلى الإنسان بالشكر وعدم البطر، وهو التكبّر عند حصول الصحة، وفي حالة الادبار يجب التحلي بالصبر حتّى يفرج الله ما هو فيه: وهو نعم المولى ونعم النصير.

[٣٩٧]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

نعم الطيب المسك؛ خفيف محمله، عطر ريحه.

(ح - ٣٩٧) **المسك:**

المسك: نوع من الطيب اسمر اللون يتكون من دم الغزال في الهند والصين، له رائحة تنتشر منها ولا يمكن اخفاؤها، وهي في هذه الصفات تخالف انواع الريح المستخرجة بالتحليل الكيمياوي حيث تكون ماتعات سائلة على اثر التقطير، فقال عليه السلام:

(نعم الطبيب المسك) لسببين رئيسيين هما:

أوّلاً: (خفيف محمله) فإنّه لا يفتقر إلى وعاء خاص لصيانته عن الذوبان كما هي الحال في العطور الآخرى.

ثانياً: (عطر ريحه)؛ فإنّ انتشار الريح الطيب منه طبيعيّ لا يفتقر الى استعمال ودلك، وما هذا شأنه يكون افضل مما يفقد هذين الصفتين.

ولايخفى أن هذه الحكمة إلى الرقم ٤٠١ من خصائص نسخة ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) التي اعتمد فيها على نسخة الشريف الرضي، فيظهر استدراكه (ره) على النهج، ولا توجد في غيرها، كما ويظهر أن هذا النسخة المعتمد عليها بتحقيق الدكتور صبحي الصالح حفظه الله اعتمدت عليها.

[٣٩٨]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

ضع فخرك واحطط كبرك واذكر قبرك.

(ح - ٣٩٨) حقيقة الانسانية:

النقاط الثلاث في هذه الحكمة تحدد حقيقة الانسانية التي بها يمتاز على غيرها من الحيوانات، هي:

أوّلاً: (ضع فخرك)؛ فإنّ الفخر: الشعور بالعظمة والفضل، ووضعها: رجوع إلى حقيقة الانسانية التي لا تمايز فيها بين الناس.

ثانياً: (واحطط كبرك) الكبر: الشرف؛ فإنّ الإنسان في خلقه لا شرف له على اخيه في الانسانية، والشرف امر خيالي لا يغير من حقيقة الانسانية شيئا.

ثالثاً: (واذكر قبرك)؛ فإنّ ذكر القبر ينبّه الإنسان عن نوم الغفلة عن الواقع والواجبات المسؤول عنها.

فان هذه النقاط الثلاث تجعل الإنسان سائراً بواجباته كانسان لشعوره بالانسانية التي تجمعه مع غيره من افراد البشر.

[٣٩٩]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

إنّ للولد على الوالد حقّاً، وان للوالد على الولد حقّاً؛ فحق الوالد على الولد أن يطيعه في كلّ شيء إلّا في معصية الله سبحانه. وحق الولد على الوالد أن يحسن اسمه ويحسن أدبه ويعلّمه القرآن.

(ح - ٣٩٩) الحقوق المتقابلة:

تتضمن الحكمة الحقوق المتقابلة للولد والوالد، فقال:

(ان للولد على الوالد حقّا وانّ للوالد على الولد حقا).

وعن حقوق الوالد قال:

(فحق الوالد على الولد: أن يطيعه في كلّ شئ الاّ في معصية الله سبحانه)، وهذا الحق هو الاساس في جميع الحقوق المتصورة في حق الوالد؛ لانها طاعة في كلّ شئ بلا استثناء سوى ما استثناه الاسلام من انه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، بلا فرق بين الوالد

وغيره، فقد جعله الله حق الوالدين بعد حق الله فقال مباشرة حيث قال :﴿وقضى ربك ألّا تعبدوا إلّا اياه وبالوالدين احسانا﴾.[١]

وعن حق الولد قال:

(وحق الولد على الوالد) حصرها في ثلاث، هي:

أوّلاً: (ان يحسّن اسمه) وقد تضمنت السيرة النبويّة تغيير اسماء كثير من الصحابة الذين غير النبي اسماءهم من حرب إلى سلم وما شابه، لما في حسن الاسم من ايحاء نفسي على تربية الانسان.

ثانياً: (ويحسّن أدبه) والادب: السلوك الاجتماعي في الحياة، كآداب الكلام والسلوك، ومنه ما يتعلمه الطفل في المدرسة الاولى وهي البيت.

ثالثاً: (ويعلّمه القرآن) والتعليم الفكري هو المرحلة المتقدمة من التربية الثقافية، وهي مسؤولية على عاتق الاب باعتباره ربّ العائلة، ولا يمكن تحقيقها بدون مباشرة أو بالتسبيب بأن يضعه في مدرسة صالحة لهذا التعليم.

[٤٠٠]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

العين حق ، والرقى حق، والسحر حق، والفأل حق. والطيرة ليست بحق، والعدوى ليست بحق. والطيب نشرة، والعسل نشرة، والركوب نشرة، والنظر الى الخضرة نشرة.

(ح ـ ٤٠٠) **حقائق واباطيل:**

تتضمن هذه الحكمة العادات والتقاليد الشائعة في عصر الإمام عليه السلام والتي لها ترسباتها في المجتمع الاسلامي حتى هذه الايام، فصنفها إلى ثلاثة اقسام، وهو تقسيم كامل لكل الحقائق والاوهام في كلّ العادات والتقاليد الشائعة بين الانام، فهي اما حقائق عقائدية أو اباطيل شيطانية أو أمور طبيعيّة، فقال عليه السلام:

أوّلاً: في الحقائق، والحق: هو الثابت من الشي؛ فإنّ القوة المتخيلة تبرز الاشياء من

---

(١) الاسراء : ٢٣.

القوّة إلى الفعلية.

١ ـ (العين حقّ)؛ فإنّ عين الحسود يدفعه إلى العمل بمقتضى حسده بمختلف الطرق والوسائل المتيسّرة له، فيكون للعين أثره الثابت.

٢ ـ (والرقي حقّ) والرقية: ما يستعان به لشفاء من اصابته العين، والرقو ـ لغةً ـ: القطع؛ فإنّ الوسائل المستعان بها للايمان بها تولد مناعة نسبية تكون سببا للشفاء.

٣ ـ (والسّحر حقّ) والسحر ـ لغةً ـ: الفساد، باستخدام الطرق والوسائل المؤثرة في فساد العقل.

٤ ـ (والفال حقّ) والفأل: الكلام الطيب؛ فإنّ له اثره في نفسية الانسان؛ فإنّ هذه الحقائق نفسية؛ لأنّ القوّة المتخيلة تظهر الاشياء إلى الفعلية بسبب الايمان بها، كما يشعر النائم بسبب القوة المتخيلة في النوم المزعج اثراً نفسيا عليه فينتبه منزعجاً متأثراً بأثر النوم الذي لا وجود خارجي له سوى ما يراه من الاحلام المزعجة، وكذلك الاحلام غير المزعجة.

ثانياً: في الاباطيل التي لا تستند إلى عقيدة، بل هي مجرد افكار شخصية عابرة تطرأ على الإنسان من دون دور للاشخاص في الكثير منها، وان شاعت بين الناس، وعد منها:

١ ـ (والطّيرة ليست بحقّ) وهي التشاؤم بسبب طيران الطيور والغراب وما شابه؛ فإنّ هذه امور طبيعية من الطيور ـ مثلا ـ ولا دخل لارادة أي انسان فيها حتّى يستخدم للتأثير والتأثر على الآخرين.

٢ ـ (والعدوى ليست بحقّ) وهي بالضم: الظلم لغة، وبالفتح: انتقال المرض من المريض إلى الصحيح؛ فإنّ الظلم ليس حقاً كما هو واضح، والأمراض تختلف، فليست كلها معدية سوى امراض خاصة، فالعدوى ليست ثابتة على الاطلاق في العموم في كل الامراض.

وثالثاً: الأمور الطبيعية التي لها اثارها الطبيعيّة، ليس بسبب انها حقائق في اعتقاد احد من الناس، ولا لأنها أباطيل بسبب رؤية ضعيفة من الإنسان نفسه، بل هي امور طبيعيّة في الحياة تتبع اسبابها الطبيعة؛ لانها نشرة، وهي بالفتح: ما ينشر وينبسط في الطبيعة كانتشار الماشية للرعي، وبالضم: الرقية التي يعالج بها المريض فتنتشر فيه روح الشفاء، وقد عد

منها:

١ ـ (والطّيب نشرة)؛ فإنّ الطيب ـ أياً كان نوعه ـ ينشر في طبيعة الإنسان الانبساط والفرح.

٢ ـ (والعسل نشرة) فإنّه بحلاوته يوجب الشفاء والغداء لكل احد.

٣ ـ(والرّكوب نشرة) والركوب: ما يركب من الدواب؛ فإنّ ركوبها توجب التنسم بالجو الطبيعي، فيكون سببا للنشاط.

٤ ـ (والنّظر إلى الخضرة نشرة) فإنّها نظرة إلى الطبيعة، وكل المظاهر الطبيعيّة تكون سببا للنشاط والانتشار في الحياة.

وبهذا التقسيم الثلاثي للحقائق والاباطيل والامور الطبيعيّة يمكن تحليل مواقف المشعوذين الذين يستخدمونها على انفراد أو مجتمعة للتمويه على المصابين، فيؤثر بعضها في المريض وهو يغفل عن تفاعل اسباب متعددة بعضها حقائق وبعضها شعوذة.

ولا يخلو امة منها ومنهم، والله العاصم.

[٤٠١]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

مُقَارَبَةُ ٱلنَّاسِ فِي أَخْلَاقِهِمْ أَمْنٌ مِنْ غَوَائِلِهِمْ .

(ح ـ ٤٠١) التقارب وقايةٌ:

تشير الحكمة إلى اصل عملي في الوقاية من الشر ـ والغوائل: هي الشرور ـ وهو التقارب؛ فإنّ التباعد يوجب سوء الظن وافتراض المحتملات التي يتصورها الإنسان من منطلق رؤيته الخاصة، فاذا تقارب الناس تظهر كثير من الحقائق من بعض لبعض، تنتفي كثير من سوء الظن القائم على الاحتمالات والافتراضات التي لا أساس لها.

فيأمن الإنسان من غوائل الناس وشرورهم بالتقارب اليهم في الاخلاق المتواققة معهم من العادات والتقاليد المقبولة بين الطرفين.

[٤٠٢]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ[١] لِبَعْضِ مُخَاطِبِيهِ، وَقَدْ تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ يُسْتَصْغَرُ مِثْلُهُ عَنْ قَوْلِ مِثْلِهَا:
لَقَدْ طِرْتَ شَكِيراً، وَهَدَرْتَ سَقْباً.

قال[٢]: الشَّكِيرُ هاهنا: أَوَّلُ مَا يَنْبُتُ مِنْ رِيشِ الطَّائِرِ قَبْلَ أَنْ يَقْوَى وَيَسْتَحْصِفَ. وَالسَّقْبُ: الصَّغِيرُ مِنَ ٱلْإِبِلِ، وَلَا يَهْدِرُ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَسْتَفْحِلَ[٣].

(ح - ٤٠٢) حدود الكلام:

قال الجلالي: والاستحفال: الاستحكام للجسم قوة، والهدر: تردد الصوت في الحنجرة) والحكمة تشير الى لزوم معرفة المتكلم لحدوده في نفسه ومواقع الكلام واسلوب التكلم، فلا يخاطب الإنسان من دونه في العمر بمثل ما يخاطب من يساويه عمراً كما لايخاطبهما بما يخاطب من هو اكبر منهما عمراً؛ فإنّ للكلام آداب ورسوم تتوارثها الاجيال جيلاً بعد جيل، وبها يعرف درجات ثقافتهم وآدابهم، وبها تقدر مواقفهم بين الامم في التاريخ. وحيث أن المخاطب كان قد تكلم فيما لا ينبغي من مثله عاتبه الإمام تأديبا له بقوله:

أوّلاً: (لقد طرت شكيراً) كما يطير الطائر اول ما بنبت الريش عليه، فهو غير متأدب بآداب الطيران.

ثانياً: (وهدرت سقبا) كما ينهدر الصغير من الابل قبل النضج، فيكون صوته متردداً في الحنجرة من دون أن يكون هديراً كاملا.

[٤٠٣]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ[٤]:
مَنْ أَوْمَأَ[٥] إِلَى مُتَفَاوِتٍ خَذَلَتْهُ[٦] ٱلْحِيَلُ.

---

(١) لم ترد هذه الحكمة في أ.
(٢) لم ترد «قال» في ص و د.
(٣) في هـ. ص: أي يبلغ سنّ الفحولة، وفي هـ. د: هذه الحكمة وتفسيرها لم ترد في ف م ن.
(٤) لم ترد «وقال عليه السلام» في ب.
(٥) في هـ. ص: «أومئ» أي: أشار، أي: طلب أمراً مدبراً عنه غير مقبل، يقال: تفاوت الأمر: إذا

(ح ـ ٤٠٣) الاشارة دليل:

(الايماء: الاشارة، والمتفاوت: المتباعد، والحيلة: الوسيلة).

تشير الحكمة إلى أن الوصول إلى الشيئ يفتقر إلى وسيلة يمكن بها الوصول إليه، والاشارة إلى الشيئ البعيد يعني عدم التمكن من الوصول إليه بالوسائل الممكنة في حال الاشارة سوى الاشارة نفسها، ولولا ذلك لباشر بأخذ الشيئ مباشرة من دون اشارة، فلا يكون الاشارة إلّا دليلا لا اقل ولا اكثر.

[٤٠٤]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ ـ وَقَدْ سُئِلَ عَنْ مَعْنَى قَوْلِهِمْ: «لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلّا بَاللّهِ»: ـ:

إِنَّا لَا نَمْلِكُ مَعَ ٱللّهِ شَيْئاً، وَلَا نَمْلِكُ إِلّا مَا مَلَّكَنَا، فَمَتى ملَّكنا مَا هُوَ أَمْلَكُ بِهِ مِنَّا كَلَّفَنَا، وَمَتَى أَخَذَهُ مِنَّا وَضَعَ تَكْلِيفَهُ عَنَّا.

(ح ـ ٤٠٤) مبدأ الحول والقوة:

(الحول: الحيلة والوسيلة، والقوة: القدرة، والملك: الاستيلاء التام).

قال الله سبحانه: ﴿لا قوة إلّا بالله﴾.[٧] وذلك نفي ايّة قدرة بالمباشرة أو بالتسبيب كالوسائل، فإنّها جميعا راجعة إلى مبدأ واحد هو قوة الله سبحانه، فإنّ قدرة الإنسان وان تخللها الاختيار ليست إلّا بقدرة اعطاه الله اياه، وله القدرة في سلبها منه.

وقد شرح الإمام معنى الجملة بحقيقة الملكية قال تعالى:﴿انا لله وانا إليه راجعون﴾ [٨] فان الموجودات كلها لله سبحانه والإنسان ليس له الاستيلاء التام على أي شئ بدون قدرته تعالى الحاكمة على الكون، ونتيجة هذه الملكية الحقيقية التي هي مبدأ الحول والقوة الحقائق التالية:

١ ـ (إنا لا نملك مع الله شيئا) فهو المالك الحقيقي، فقولنا: إنا لله، أي هو (مالك الملك).

أعسر تحصيله.

(٦) في هـ. أ: في نسخة: خذله.

(٧) الكهف : ٣٩.

(٨) البقرة: ١٥٦.

٢ ـ (ولا نملك إلّا ما ملكنا) بلطفه على العباد، فهو ﴿يؤتى الملك من يشاء وينزع الملك ممّن يشاء﴾[١].

٣ ـ(فمتى ما ملكنا ما هو أملك به منّا كلفنا) بالواجبات والمسؤوليات التي تستتبع تلك الملكية الموهوبة سواءً في العلم بأداء والتعليم أو المال بأداء الحقوق وغيرها.

٤ ـ (ومتى أخذه منّا وضع تكليفه عنا)؛ لأنّ الإنسان حينئذ يكون مسلوب القدرة ﴿ولا يكلف الله نفسا إلّا وسعها﴾[٢].

[٤٠٥]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ لِعَمَّارِ بْنِ ياسِرٍ رَحِمَهُ اللّٰهُ تعالىٰ ـ وقَدْ سَمِعَهُ يُرَاجِعُ الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ كَلاَماً ـ:

دَعْهُ يا عَمَّارُ، فإنَّهُ لَنْ يأخُذَ مِنَ الدِّينِ إلَّا ما قارَبَهُ الدُّنْيا[٣]، وعَلَى عَمْدٍ[٤] لَبَّسَ على نَفْسِهِ لِيَجْعَلَ الشُّبُهاتِ عاذِراً لِسَقَطاتِهِ .

(ح ـ ٤٠٥) المغيرة بن شعبة:

يصف الإمام المغيرة بن شعبة الاموي بأوصاف ثلاث مترابطة:

أوّلاً: الانتهازية (دعه يا عمار؛ فإنّه لم يأخذ من الدين إلّا ما قاربه من الدنيا) فليس الدين بالنسبة اليه الا وسيلة تقربه إلى الدنيا من دون ايمان بالمبادي والوسائل والاهداف الاسلامية التي بشر بها النبي.

ثانياً: الانحراف المتعمّد (وعلى عمد لبّس على نفسه) واللبس: الشبهة؛ فإنّ الشبهة ليست له شبهة حقيقة، بل يتعمد في اختراع الشبهة للغرض التالي:

ثالثاً: العذر المخترع (ليجعل الشبهات عاذرا لسقطاته) فليست الشبهة له حقيقية، بل ليتسنى له البحث حولها بالتوجيه والاقناع، فهي وسيلة مفتعلة كغطاء للاهداف الاموية

---

(١) آل عمران : ٢٦.

(٢) البقرة : ٢٨٦.

(٣) في أ ب و د: «لا ما قاربته الدنيا»، وفي ص: «الا ما قد قاربته الدنيا»، ولم ترد «من» في ب. وفي هـ. د: «ما قاربه من الدنيا» وفي هامش ن: لن يأخذ من الدين.

(٤) في هـ. ب: قصد.

التي لا تؤمن بالشورى أساساً للحكم الاسلامي، فتخترع الاعذار في محاربة الحكم القائم بالشورى لتقوية واقامة الحكم القائم على الوراثة الاموية.

قال ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في شرح نهج البلاغة، ما نصّه:« [المغيرة بن شعبة] أصحابنا غير متفقين على السكوت على المغيرة ، بل أكثر البغداديين يفسقونه ، ويقولون فيه ما يقال في الفاسق ، ولما جاء عروة بن مسعود الثقفي إلى رسول الله ﷺ عام الحديبية نظر إليه قائما على رأس رسول الله مقلدا سيفا ، فقيل : من هذا ؟ قيل : ابن أخيك المغيرة ، قال : وأنت هاهنا يا غدر ! والله إني إلى الان ما غسلت سوأتك . وكان إسلام المغيرة من غير اعتقاد صحيح ، ولا إنابة ونية جميلة ،كان قد صحب قوما في بعض الطرق ، فاستغفلهم وهم نيام ، فقتلهم وأخذ أموالهم ، وهرب خوفا أن يلحق فيقتل ، أو يؤخذ ما فاز به من أموالهم ، فقدم المدينة فأظهر الاسلام ، وكان رسول الله ﷺ لا يرد على أحد إسلامه ، أسلم عن علة أو عن إخلاص ، فامتنع بالاسلام ، واعتصم وحمى جانبه . ذكر حديثه أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني في كتاب الأغاني(١) ، قال : كان المغيرة يحدث حديث إسلامه ، قال : خرجت مع قوم من بني مالك ونحن على دين الجاهلية إلى المقوقس ملك مصر ، فدخلنا إلى الإسكندرية ، وأهدينا للملك هدايا كانت معنا ، فكنت أهون أصحابي عليه ، وقبض هدايا القوم ، وأمر لهم بجوائز ، وفضل بعضهم على بعض ، وقصر بي فأعطاني شيئا قليلا لا ذكر له ، وخرجنا فأقبلت بنو مالك يشترون هدايا لأهلهم وهم مسرورون ، ولم يعرض أحد منهم على مواساة ، فلما خرجوا حملوا معهم خمرا ، فكانوا يشربون منها ، فأشرب معهم ، ونفسي تأبى أن تدعني معهم ، وقلت ينصرفون إلى الطائف بما أصابوا وما حباهم به الملك ، ويخبرون قومي بتقصيره بي وازدرائه إياي ! فأجمعت على قتلهم ، فقلت : إني أجد صداعا ، فوضعوا شرابهم ودعوني ، فقلت : رأسي يصدع ، ولكن اجلسوا فأسقيكم ، فلم ينكروا من أمري شيئا ، فجلست أسقيهم وأشرب القدح بعد القدح ، فلما دبت الكأس فيهم اشتهوا الشراب ، فجعلت أصرف لهم وأترع الكأس ، فيشربون ولا يدرون، فأهمدتهم الخمر حتى ناموا ، ما يعقلون ، فوثبت إليهم

---

(١) الأغاني ١٦ : ٨٠ – ٨٢ ، طبعة دار الكتب ، مع اختلاف في الرواية .

فقتلتهم جميعا ، وأخذت جميع ما كان معهم . وقدمت المدينة فوجدت النبيبالمسجد وعنده أبو بكر – وكان بي عارفا – فلما رآني قال : ابن أخي عروة ؟ قلت : نعم ، قد جئت أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمّدا رسول الله ، فقال رسول الله ﷺ : الحمد لله : فقال أبو بكر : من مصر أقبلت ؟ قلت : نعم ؟ قال: : فما فعل المالكيون الذين كانوا معك ؟ قلت : كان بيني وبينهم بعض ما يكون بين العرب ، ونحن على دين الشرك ، فقتلتهم ، وأخذت أسلابهم ، وجئت بها إلى رسول الله ﷺ ليخمسها ، ويرى فيها رأيه، فإنها غنيمة من المشركين ، فقال رسول الله : أما إسلامك فقد قبلته ، ولا نأخذ من أموالهم شيئا ولا نخمسها ، لان هذا غدر ، والغدر لا خير فيه ، فأخذني ما قرب وما بعد ، فقلت يا رسول الله ، إنما قتلتهم وأنا على دين قومي ، ثم أسلمت حين دخلت إليك الساعة ، فقال ﷺ : الاسلام يجب ما قبله . قال : وكان قتل منهم ثلاثة عشر إنسانا ، واحتوى ما معهم ، فبلغ ذلك ثقيفا بالطائف ، فتداعوا للقتال ، ثم اصطلحوا على أن حمل عمى عروة بن مسعود ثلاث عشرة دية . قال : فذلك معنى قول عروة يوم الحديبية :) يا غدر ، أنا إلى الأمس أغسل سوأتك ، فلا أستطيع ان أغسلها (، فلهذا قال أصحابنا البغداديون : من كان إسلامه على هذا الوجه ، وكانت خاتمته ما قد تواتر الخبر به ، من لعن علي ﷺ على المنابر إلى أن مات على هذا الفعل ، وكان المتوسط من عمره الفسق والفجور وإعطاء البطن والفرج سؤالهما ، وممالأة الفاسقين ، وصرف الوقت إلى غير طاعة الله ، كيف نتولاه ! وأي عذر لنا في الامساك عنه ، والا نكشف للناس فسقه !».[(١)]

قال ابن الأثير في أسد الغابة ما نصّه:« ب د ع ، المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف ابن قيس وهو ثقيف الثقفي يكنى أبا عبد الله وقبل أبو عيسى وأمه أمامة بنت الأفقم ابن أبي عمر ومن بني نصر بن معاوية أسلم عام الخندق وشهد الحديبية وله في صلحها كلام مع عروة بن مسعود وقد ذكر في السير وكان يذكر ان رسول الله ﷺ كناه أبا عيسى وكناه عمر بن الخطاب أبا عبد الله وكان موصوفا بالدهاء قال الشعبي دهاة العرب أربعة معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص

(١) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ٢٠ : ٨ ـ ١٠.

والمغيرة بن شعبة وزياد فأما معاوية بن أبي سفيان فللأناة والحلم وأما عمرو بن العاص فللمعضلات وأما المغيرة فللمبادهة وأما زياد فللصغير والكبير وكان قيس بن سعد بن عبادة من الدهاة المشهورين وكان أعظمهم كرما وفضلا قيل: إن المغيرة أحصن ؟ امرأة في الاسلام وقيل: الف امرأة وولاه عمر بن الخطاب البصرة ولم يزل عليها حتى شهد عليه بالزنى فعزله ثم ولاه الكوفة فلم يزل عليها حتى قتل عمر فأقره عثمان عليها ثم عزله وشهد اليمامة وفتوح الشام وذهبت عينه باليرموك وشهد القادسية وشهد فتح نهاوند وكان على ميسرة النعمان بن مقرن وشهد فتح همدان وغيرها واعتزل الفتنة بعد قتل عثمان وشهد الحكمين ولما سلم الحسن الامر إلى معاوية استعمل عبد الله ابن عمرو بن العاص على الكوفة فقال المغيرة لمعاوية: تجعل عمرا على مصر والمغرب وابنه على الكوفة فتكون بين فكي أسد، فعزل عبد الله عن الكوفة واستعمل عليها المغيرة، فلم يزل عليها إلى أن مات سنة خمسين، روى عنه من الصحابة أبو أمامة الباهلي والمسور بن مخرمة وقرة المزني ومن التابعين أولاده عروة وحمزة وعفار، وروى عنه مولاه وراد ومسروق وقيس بن أبي حازم وأبو وائل وغيرهم وهو أول من وضع ديوان البصرة وأول من رشى في الاسلام أعطى برقا حاجب عمر شيئا حتى أدخله إلى دار عمر أخبرنا إبراهيم بن محمّد الفقيه وغير واحد باسنادهم إلى محمّد بن عيسى حدثنا أبو الوليد الدمشقي حدثنا الوليد بن مسلم قال: أخبرني ثور بن يزيد عن رجاء بن حياة عن كاتب المغيرة وهو وراد عن المغيرة بن شعبة ان النبيﷺ مسح أعلى الخف وأسفله وتوفى بالكوفة سنة خمسين ولما توفى وقف مصقلة بن هبيرة الشيباني على قبره فقال:

ان تحت الأحجار حزما وجودا ... وخصيما ألد ذا معلاق

حية في الوجار أربد لا ... ينفع منه السليم نفث الراقي

ثم قال: أما والله لقد كنت شديد العداوة لمن عاديت شديد الاخوة لمن آخيت أخرجه الثلاثة».[1]

وقال ابن الأثير في أسد الغابة أيضاً:« ب د ع ، عمار بن ياسر بن عامر ابن مالك بن

(١) أسد الغابة؛ لابن الأثير ٤ : ٤٠٦ – ٤٠٧.

كنانة بن قيس بن الحصين بن الوذيم بن ثعلبة بن عوف بن حارثة بن عامر الأكبر بن يام بن عنس بن مالك بن أدد بن زيد بن يشجب المذحجي ثم العنسي أبو اليقظان وهو من السابقين الأولين إلى الاسلام وهو حليف بني مخزوم وأمه سمية وهي أول من استشهد في سبيل الله عز وجل وهو وأبوه وأمه من السابقين وكان اسلام عمار بعد بضعة وثلاثين وهو ممن عذب في الله وقال الواقدي وغيره من أهل العلم بالنسب والخبران ياسرا والد عمار عرني قحطاني مذحجي من عنس إلّا ان ابنه عمارا مولى لبني مخزوم لان أباه ياسرا تزوج أمة لبعض بني مخزوم فولدت له عمارا وكان سبب قدوم ياسر مكة أنه قدم هو واخوان له يقال لهما الحارث ومالك في طلب أخ لهما رابع فرجع الحارث ومالك إلى اليمن وأقام ياسر بمكة فحالف أبا حذيفة ابن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وتزوج أمة له يقال لها سمية فولدت له عمارا فأعتقه أبو حذيفة فمن ههنا صار عمار مولى لبني مخزوم وأبوه عرني كما ذكرنا وأسلم عمار ورسول الله صلى الله عليه وسلم في دار الأرقم هو وصهيب بن سنان في وقت واحد قال عمار: لقيت صهيب بن سنان على باب دار الأرقم ورسول الله ﷺ فيها فقلت ما تريد فقال: وما تريد أنت فقلت أردت ان أدخل على محمّد واسمع كلامه فقال: وأنا أريد ذلك فدخلنا عليه فعرض علينا الاسلام فأسلمنا وكان اسلامهما بعد بضعة وثلاثين رجلا.

وروى يحيى بن معين عن إسماعيل بن مجالد عن مجالد عن بيان عن وبرة عن همام قال: سمعت عمارا يقول رأيت رسول الله ﷺ وما معه إلّا خمسة أعبد وامرأتان وأبو بكر وقال مجاهد أول من أظهر اسلامه سبعة رسول الله وأبو بكر وبلال وخباب وصهيب وعمار وأمه سمية وأختلف في هجرته إلى الحبشة وعذب في الله عذابا شديدا أنبأنا أبو محمّد عبد الله بن علي بن سويدة التكريتي باسناده إلى أبي الحسن علي بن أحمد بن متويه في قوله عز وجل من كفر بالله من بعد ايمانه الامن أكره وقلبه مطمئن بالايمان نزلت في عمار بن ياسر أخذه المشركون فعذبوه فلم يتركوه حتى سب النبيﷺ وذكر آلهتهم بخير ثم تركوه فلما أتى رسول الله ﷺ قال: ما وراءك قال: شر يا رسول الله ما تركت حتى نلت منك وذكرت آلهتهم بخير قال: كيف تجد قلبك قال: مطمئنا بالايمان قال: فان عادوا لك فعد لهم أخبرنا أبو جعفر عبيد الله ابن أحمد باسناده إلى يونس بن بكير عن ابن إسحاق

قال: حدثني رجال من آل عمار ابن ياسر أن سمية أم عمار عذبها هذا الحي من بني المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم على الاسلام وهي تأبى غيره حتى قتلوها وكان رسول الله ﷺ مر بعمار وأمه وأبيه وهم يعذبون بالأبطح في رمضاء مكة فيقول صبرا آل ياسر موعدكم الجنّة قال: وحدثنا يونس عن عبد الله بن عون عن محمّد بن سيرين قال: مر رسول الله ﷺ بعمار بن ياسر وهو يبكي يدلك عينيه فقال رسول الله ﷺ: مالك؟ أخذك الكفار فغطوك في الماء فقلت كذا وكذا؟ فان عادوا لك فقل كما قلت قال: وحدثنا يونس عن ابن إسحاق قال: حدثني حكيم بن جبير عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس أكان المشركون يبلغون من المسلمين في العذاب ما يعذرون به في ترك دينهم فقال: نعم والله ان كانوا ليضربون أحدهم ويجيعونه ويعطشونه حتى ما يقدر على أن يستوي جالسا من شدة الضر الذي به حتى أنه ليعطيهم ما سألوه من الفتنة وحتى يقولوا له اللات والعزى الهك من دون الله فيقول نعم وحتى ان الجعل ليمر بهم فيقولون له هذا الجعل الهك من دون الله فيقول نعم افتداء لما يبلغون من جهده وهاجر إلى المدينة وشهد بدرا وأحدا والخندق وبيعة الرضوان مع رسول الله ﷺ أنبأنا عبيد الله بن أحمد ابن علي باسناده عن يونس بن بكير عن ابن إسحاق في تسمية من شهد بدرا من بني مخزوم قال: وعمار بن ياسر وكلهم قالوا انه شهد بدرا وأحدا وغير هما أنبأنا أبو البركات الحسن بن محمّد بن الحسن الدمشقي بها أنبأنا أبو العشائر محمّد بن خليل بن فارس أنبأنا الفقيه أبو القاسم علي بن محمّد بن علي المصيصي أنبأنا أبو محمّد عبد الرحمن بن عثمان ابن القاسم بن أبي نصر أنبأنا أبو الحسن خيثمة بن سليمان بن حيدرة الأطرابلسي حدثنا إبراهيم بن أبي سفيان القيسراني حدثنا محمّد بن يوسف الغرياني حدثنا الثوري عن عبد الملك بن عمير عن مولى لربعي بن خراش عن حذيفة بن اليمان قال: قال رسول الله ﷺ: اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر واهتدوا بهدى عمار وتمسكوا بعهد ابن أم عبد أنبأنا أبو ياسر بن أبي حبة باسناده عن عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثني أبي حدثنا يزيد بن هارون حدثنا العوام يعني ابن حوشب عن سلمة بن كهيل عن علقمة عن خالد بن الوليد قال: كان بيني وبين عمار كلام فأغلظت له في القول فانطلق عمار يشكوني إلى النبي ﷺ فجاء خالد وهو يشكوه إلى النبي ﷺ قال: فجعل يغلظ له ولا يزيده إلّا غلظة والنبي صلى الله عليه

وسلم ساكت لا يتكلم فبكى عمار وقال: يا رسول الله ألا تراه فرفع رسول الله صلى الله عليه وآله رأسه وقال: من عادى عمارا عاداه الله ومن أبغض عمارا أبغضه الله قال خالد: فخرجت فما كان شئ أحب إلي من رضي عما فلقيته فرضي وأنبأنا عبد الله بن أحمد حدثني أبي حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن أبي إسحاق عن هانئ بن هاني عن علي قال: جاء عمار يستأذن على النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ائذنوا له مرحبا بالطيب المطيب أنبأنا إبراهيم بن محمّد وغير واحد باسنادهم عن أبي عيسى الترمذي قال: حدثنا القاسم بن دينار الكوفي حدثنا عبيد الله ابن موسى عن عبد العزيز بن سياه عن حبيب بن أبي ثابت عن عطاء بن يسار عن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما خير عمار بين أمرين إلّا اختار أرشدهما قال: وحدثنا الترمذي حدثنا أبو مصعب المديني حدثنا عبد العزيز بن محمّد عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أبشر عمار، تقتلك الفئة الباغية وقد روى نحو هذا عن أم سلمة وعبد الله ابن عمرو بن العاص وحذيفة.

وروى شعبة ان رجلا قال لعمار: أيها العبدجدع قال عمار سيب خبر أذني قال شعبة وكانت أصيبت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وهذا وهم من شعبة والصواب انها أصيبت يوم اليمامة.

ومن مناقبه: انه أول من بنى مسجدا في الاسلام أنبأنا عبيد الله بن أحمد بن علي باسناده إلى يونس بن بكير عن عبد الرحمن بن عبد الله عن الحكم بن عيينة قال: قدم رسول الله صلى الله عليه وآله المدينة أول ما قدمها ضحى فقال عمار ما لرسول الله صلى الله عليه وآله بد من أن نجعل له مكانا إذا استظل من قائلته ليستظل فيه ويصلي فيه فجمع حجارة فبنى مسجد قباء فهو أول مسجد بني وعمار بناه أنبأنا إسماعيل بن علي وغيره باسنادهم عن محمّد ابن عيسى أنبأنا عمرو بن علي حدثنا يزيد بن زريع حدثنا سعيد عن قتادة عن عروة عن سعيد بن عبد الرحمن بن أبزي عن أبيه عن عمار بن ياسر ان النبي صلى الله عليه وآله أمره بالتيمم للوجه والكفين وشهد عمار قتال مسيلمة فروى نافع عن ابن عمر قال: رأيت عمار بن ياسر يوم اليمامة على صخرة قد أشرف يصيح يا معشر المسلمين أمن الجنّة تفرون إلي إلي أنا عمار بن ياسر هلموا إلي قال: وأنا أنظر إلى اذنه قد قطعت فهي تذبذب وهو يقاتل أشد القتال ومناقب عمار المروية كثيرة اقتصرنا منها على هذا القدر واستعمله عمر بن الخطاب على الكوفة وكتب إلى أهلها أما بعد فاني قد بعثت إليكم عمارا أميرا وعبد الله بن مسعود وزيرا

ومعلما وهما من نجباء أصحاب محمّد فاقتدوا بهما ولما عزله عمر قال له أساءك العزل قال: والله لقد ساءتني الولاية وساءني العزل ثم انه بعد ذلك صحب عليا رضي الله عنهما وشهد معه الجمل وصفين فأبلى فيهما قال أبو عبد الرحمن السلمي شهدنا صفين مع علي فرأيت عمار بن ياسر لا يأخذ في ناحية ولا واد من أودية صفين إلّا رأيت أصحاب النبيﷺ يتبعونه كأنه علم لهم قال: وسمعته يومئذ يقول لهاشم بن عتبة بن أبي وقاص يا هاشم تفر من الجنّة الجنّة تحت البارقة اليوم ألقى إلّا حبه محمّدا وحزبه والله لو ضربونا حتى يبلغوا بنا شعاب هجر لعلمت أنا على حق وانهم على الباطل وقال أبو البحتري قال عمار بن ياسر يوم صفين: ائتوني بشربة، فأتى بشربة لبن، فقال: إن رسول اللهﷺ قال: آخر شربة تشربها من الدنيا شربة لبن، وشربها ثم قاتل حتى قتل، وكان عمره يومئذ أربعا وتسعين سنة وقيل: ثلاث وتسعون وقيل: إحدى وتسعون.

وروى عمارة بن خزيمة بن ثابت قال: شهد خزيمة بن ثابت الجمل وهو لا يسل سيفا وشهد صفين ولم يقاتل وقال: لا أقاتل حتى يقتل عمار فأنظر من يقتله فاني سمعت رسول اللهﷺ يقول تقتله الفئة الباغية فلما قتل عمار قال خزيمة: ظهرت لي الضلالة، ثم تقدم فقاتل حتى قتل ولما قتل عمار قال ادفنوني في ثيابي فاني مخاصم وقد اختلف في قاتله فقيل قتله أبو العادية المزني وقيل: الجهني طعنه فسقط فلما وقع أكب عليه آخر فاحتز رأسه فأقبلا يختصمان كل منهما يقول أنا قتلته فقال عمرو بن العاص والله ان يختصمان إلّا في النار والله لوددت اني مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة وقيل: حمل عليه عقبة بن عامر الجهني وعمرو بن حارث الخولاني وشريك بن سلمة المرادي فقتلوه وكان قتله في ربيع الأول أو الآخر من سنة سبع وثلاثين ودفنه علي في ثيابه ولم يغسله.

وروى أهل الكوفة انه صلى عليه وهو مذهبهم في الشهيد انه يصلى عليه ولا يغسل وكان عمار آدم طويلا مضطربا أشهل العينين بعيد ما بين المنكبين وكان لا يغير شيبه وقيل: كان أصلع في مقدم رأسه شعرات وله أحاديث روى عنه علي بن أبي طالب وابن عباس وأبو موسى وجابر وأبو أمامة وأبو الطفيل وغيرهم من الصحابة، وروى عنه من التابعين ابنه محمّد بن عمار وابن المسيب وأبو بكر بن عبد الرحمن ومحمّد بن الحنفية

وأبو وائل وعلقمة وزرين حبيش وغيرهم أخرجه الثلاثة ».[١]

[٤٠٦]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

ما أَحْسَنَ تَوَاضُعَ الأغْنِياءِ لِلْفُقَرَاءِ طَلَباً لِما عِنْدَ اللّهِ[٢]، وَأحْسَنُ مِنْهُ تِيهُ[٣] الْفُقَرَاءِ عَلَى الأغْنِيَاءِ اتّكالاً عَلَى اللّهِ سُبْحَانَهُ[٤].

(ح ـ ٤٠٦) التواضع والتكبّر:

تشير الحكمة إلى أن في الحياة علائم طبيعية لا تفتقر إلى اثبات، ومنها الفقر والغنى؛ فإنّ للغنى دلالة على استعلاء الإنسان على من لا يملك الغنى، كما أن للفقر دلالة طبيعية على الحاجة إلى الغنى، فيكون تكبر الغنى بالغنى في حقيقته لغواً؛ لأنّ الحال حاك عن الواقع، كما أن تذلل الفقير تحصيلا للحاصل لظهوره، بخلاف ما اذا حصل ما ليس واقعاً بل ليس متوقعاً، وقد عبر عن ذلك بحالتين متعاكستين بقوله:

أوّلاً: (ما أحسن تواضع الأغنياء للفقراء طلبا لما عند الله)؛ فإنّ التواضع منهم ليس للحاجة إلى الفقير لمكان الغنى، بل لله تعالى، فيكون التواضع عبادة مقربة إلى الله.

ثانياً: (وأحسن منه تيه الفقراء على الأغنياء اتكالا على الله) والتيه: التكبر، لا لفضيلة في التكبر، بل للدلالة على أن الفقر ليس موجبا للاتكال على الإنسان الغني، بل الاتكال على الله سبحانه وحده، ﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾.[٥]

---

(١) أسد الغابة؛ لابن الأثير ٤ : ٤٣ – ٤٧.
(٢) في هـ. ب: ثواب الله.
(٣) في هـ. ب: تكبّر.
(٤) لم ترد «سبحانه» في د.
(٥) الطلاق : ٣.

[٤٠٧]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

مَا ٱسْتَوْدعَ اللّٰهُ ٱمْرَأً عَقْلاً إلَّا لِيَسْتَنْقِذَهُ[1] بِهِ يَوْماً مَّا[2] .

(ح ـ ٤٠٧) العقل منقذ:

العقل: طريق الهداية، به يعبد الله ويطاع، وبه الثواب والعقاب، فلابد وان يكون هذا العامل في الانقاذ متى ابتلي الانسان بالشبهات التي تطرأ على الإنسان في الحياة. وعلى النقيض تماماً الجهل؛ فإنّه مبدأ الشرور، ولا يسوق الإنسان أفراداً وجماعات إلّا إلى الخسران في الدنيا قبل الآخرة، ومن هنا نجد الطيش والجهل في الشباب، والرجوع إلى الصواب بعد الوقوف على حقيقة السراب، فطوبى لما تاب وأناب.

[٤٠٨]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

مَنْ صَارَعَ ٱلْحَقَّ صَرَعَهُ[3] .

(ح ـ ٤٠٨) مصارعة الحق:

الحق: حقيقة ثابتة لا تتغير بتغير الظروف والاحوال وان حصل له التباطؤ في السير متأثراً به، فان للحق دولة وللباطل جولة، وانكار الحقائق بالوسائل الاعلامية والدعائية وان كانت مؤثرة لفترة زمنيّة محدودة، فلابد وان تظهر في التاريخ الذي لا يرحم أحداً، وتتجلى الغيوم ويعرف العموم الصحيح والفاسد بعد أن تذوب جميع عوامل السلطة والحسد ولا يبقى الإنسان إلّا رهنا باعماله وليس باقواله، فيصبح المصارع للحق صريعا، وبعد انكاره وضيعا.

---

(١) في أ و ص: استنقذه.

(٢) لم ترد هذه الحكمة في د هنا.

(٣) وردت هذه الحكمة في أ بعد الحكمة التالية.

[٤٠٩]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

الْقَلْبُ مُصْحَفُ الْبَصَرِ .

(ح - ٤٠٩) قراءة القلوب:

المصحف: مجمع الصحف، والصحيفة: الورقة المكتوبة ، فكما أن العين الباصرة آلة في قراءة الصحف المكتوبة كذلك تقرأ العين الباصرة ما في القلوب بدراسة التصرفات الشخصية التي تظهر من الإنسان، فان الحركات والنظرات من الإنسان تعبر عما في قلب الإنسان، وبدراسة هذه الحركات والتصرفات الشخصية يصل الإنسان إلى ما قلب الآخرين.

وكذلك قارئ الصحف فقد يخطى في القراءة لخلل في الكتابة أو العين الباصرة، كذلك تماما يحصل الخطأ في قراءة القلوب، وان الله وحده علام الغيوب.

[٤١٠]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

التُّقَى رَئِيسُ الأَخْلاقِ .

(ح - ٤١٠) رئيس الاخلاق:

الرئيس: المقدم، والرأس: هو الجزء الاعلى من الجسم المحتوى على الدماغ الحاكم في كل اعضاء الجسم، وبهذا الاعتبار يكون لكل شئ من الموجودات جزءً يتحكم في كلّ الاعضاء منها، ولا يختص ذلك بالاجسام المادية فكل جزء رئيسيّ يتحكم في كلّ ما دونه يكون رئيسا مقدّما عليها جميعا.

وكذلك الحال في الاخلاق؛ فإنّ الخلق - بالضم - وهي الطبع والسجية، يختلف باختلاف العادات والتقاليد، ولكنها جميعاً تنبع من اصل واحد يتحكم فيها جميعا وهو الوقاية من الانحراف عن العدالة بالنسبة إلى النفس أو المجتمع، ولا يتحقق ذلك إلّا بالتقوى، فتكون الاصل الرئيسي المتحكم فيها جميعاً .

[٤١١]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

لَا تَجْعَلَنَّ ذَرَبَ[١] لِسانِكَ عَلَى مَنْ أَنْطَقَكَ ، وَبَلاَغَةَ قَوْلِكَ عَلَى مَنْ سَدَّدَكَ .

(ح ـ ٤١١) مسؤولية اللسان:

(الذرب: الحدة في الكلام، والتسديد: تعليم السداد وهو الصواب).

ان التعليم مهنة شريفة يصاحب كثيراً من العبر تجاه المتعلمين؛ لاختلافهم في درجات القبول لمواد الدراسة أياً كانت تلك المواد، سواءً في تعليم اللغة بالنطق الصحيح فيها لفظا ومعنى، أو بالتثقيف والتعليم في السلوك الشخصي والاجتماعي في الحياة، حتّى يقول الإنسان كلمته قولا سديداً ويعمل عملا رشيداً، أو غير ذلك من مجالات الثقافة.

ومن الاخلاق: التعامل مع المعلم بالأدب المطلوب، وهو صيانته من الحدة في الكلام ورعاية الادب المطلوب في المقام، فهو احق من غيره للعمل بقوله تعالى:﴿يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديداً﴾.[٢]

[٤١٢]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

كَفَاكَ أَدَباً لِنَفْسِكَ ٱجْتِنابُ مَا تَكْرَهُهُ مِنْ غَيْرِكَ[٣] .

(ح ـ ٤١٢) ادب النفس:

يفتقر الإنسان إلى تأديب نفسه قبل أن يقوم بتأديب غيره، ويذكر الإمام قاعدة اصلية في تأديب النفس إذا استقامت استقام سلوك الإنسان مع غيره؛ فإنّ من طبيعة الإنسان أن يرى عيوب الناس وينسى عيوب نفسه ويحاول تأديب الآخرين بأمور كريهة منهم تجاه نفسه، وهنا يكمن الاصل في تأديب النفس، وهو اجتناب تلك المواد التي يراها عيوبا في الآخرين، فلا يقوم بها هو شخصيا،بأن يبدأ بتاديب نفسه، ففي كلّ لحظة يواجه عيبا ينبغي

---

(١) في هـ ب : ذرب اللسان: حدّه .
(٢) الاحزاب : ٧٠.
(٣) في هـ ب: لغيرك .

التنبيه عليه، ويبادر الى سؤال نفسه: هل هو مصون عنه، وباجتنابه يكون مؤدبا لنفسه.

[٤١٣]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ [يعزِّي قوماً:][١]

مَنْ صَبَرَ صَبْرَ ٱلأحْرارِ، وإلَّا سَلَا سُلُوَّ[٢] ٱلأَغْمارِ[٣].

(ح - ٤١٣) صبر الاحرار:

(السلوّ: تطييب النفس بالنسيان، والغمر: الجهل).

تؤكّد الحكمة على ضرورة الصبر على الانسان من ناحية انسانية في مواجهة الحوادث المكروهة في الحياة ، وما اكثرها ، فهي باعتبارها امورا واقعية لا يمكن تغييرها عما هي عليه من الحالات، فلا يكون الخيار إلّا بأمرين:

أوّلاً: (صبر الأحرار) والحر: من يستعمل عقله في القرار، ويتقبل الأمر الواقع ويواجه الامور كما تقتضيها طبيعة الموقف، فيكف النفس عن العواطف.

ثانياً: (سلو الاغمار) وهم الجهال الذين يفتقرون إلى تطييب انفسهم بالعواطف، كما يتعامل مع الاطفال القليلي التجارب في الحياة، فتكون الخيار من ناحية انسانية بينهما بيد المصاب.

[٤١٤]

وفِي خَبَرٍ آخَرَ أَنَّهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ قالَ[٤] لِلأَشْعَثِ بْنِ قيسٍ مُعَزِّياً:

إنْ صَبَرْتَ صَبْرَ الأكارِمِ، وإلَّا سَلَوْتَ سُلوَّ الْبَهائِمِ.

(ح - ٤١٤) صبر الاركام:

تؤكد هذه الحكمة على ضرورة الصبر من ناحية حيوانية؛ فإنّ الإنسان يشترك مع

---

(١) لم ترد «يعزّي قوماً» في أ ب ص د.

(٢) ب : سلوه، وفي هـ. ب: في نسخة: سلو.

(٣) في هـ. ب: جمع غمر، وهو من لا يعلم شيئاً، وهو جهول.

(٤) في أ: «وقال»، ولم ترد «في خبر آخر انّه عليه السلام» في أ.

سائر الحيوانات في الجنس القريب، ويفترق عنها بالفصل، ومن صفات الانسان الكريم هو الصفح عما يكرهه شخصيا، وهذه الصفة الانسانية ليست في الحيونات، فلا تشعر بذلك عند فقدان وليد لها بالموت إلّا بالتأكد من الموت، ثمّ اهمال الميت والاشتغال بما يؤمن حاجياتها المادية، فالخيار لها بين امرين:

أوّلاً: (صبر الأكارم) الذين يتصفون بصفة الصفح الانسانية، ويقبلون الأمر الواقع باداء المسؤوليات التي يتطلبها الموقف.

ثانياً: (سلو البهائم) والبهيمة: كلّ ذات اربع لا تنطق؛ فإنّها تنسي الميت بعد فترة من الجزع، فيكون الخيار من ناحية حيوانية بينهما بيد المصاب.

[٤١٥]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ فِي صِفةِ الدُّنْيا :

الدُّنْيا تَغُرُّ وَتَضُرُّ وَتَمُرُّ، إِنَّ اللّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَرْضَهَا ثَوَاباً لِأَوْليائِهِ، وَلَا عِقَاباً لِأَعْدائِهِ. وَإِنّ[١] أَهْلَ الدُّنْيا كَرَكْبٍ، بَيْنا هُمْ حَلُّوا إِذْ صاحَ بِهِمْ سائِقُهُمْ فارْتَحَلُوا[٢].

(ح ـ ٤١٥) حقيقة الدنيا:

اشارت الحكمة إلى صفات حقيقية ثابتة للدنيا ، هي:

١ ـ (تغرّ)؛ فإنّ مغريات الدنيا في المال والجاه لا تنحصر في طبقة أو زمن أو عمر.

٢ ـ (وتضرّ)؛ فإنّ ضررها ليس مقصوراً على الآخرة، بل هي كذلك ضارة في الدنيا، فلا تبقى منافعها لاهلها.

٣ ـ(وتمرّ) فإنّها منافع وقتية محددة زمنياً بأوقات خاصة من العمر، وتنعدم بانعدام موجباتها الزمنية، أو أنّ لها مرارة الطعم.

٤ ـ (إن الله تعالى لم يرضها ثوابا لأوليائه)؛ لأنّ ما فيها من المحسنات ليس خالدة، والأولياء يستحقون ما هو ادوم من الدنيا الفانية.

(ولا عقابا لأعدائه)؛ لأنّ العقاب لا يكون معادلاً للعداوة المستمرة من الاعداء، بل

---

(١) في ط جعلت هذه العبارة حكمة مستقلّة، راجع شرح ابن أبي الحديد ٢٠ : ٥٢ .
(٢) في ب : فرحلوا، وفي هـ. د: فرحلوا ـ ش.

لابدّ أن يكون العقاب مساويا له في الخلود، والدنيا ليست خالدة لأحد.

٥ ـ (وإن أهل الدنيا كركب بيناهم حلوا إذ صاح بهم سائقهم فارتحلوا)؛ فإنّ الاعمال في هذه الدنيا محدودة بالولادة والموت، وما بينهما فترة زمنيّة تاخذ مجراها الطبيعي في السير كما هو الحال في الركب من القافلة التي تنزل مكانا للراحة، وبعد أن يحلو لها المكان يكون النداء بالرحيل، وكذلك الانسان فى هذه الدنيا بعد حلوله فيها لابدّ أن يلبي نداء الموت بالرحيل.

[٤١٦]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلام لِابْنِهِ الحسنِ عليهِ السَّلامُ[١] :

يَا بُنَيَّ[٢]، لَا تُخَلِّفَنَّ وَرَاءَكَ شَيْئاً مِنَ الدُّنْيَا، فَإِنَّكَ تُخَلِّفُهُ لِأَحَدِ رَجُلَيْنِ ؛ إِمَّا رَجُلٌ عَمِلَ فِيهِ بِطَاعَةِ ٱللّٰهِ فَسَعِدَ بِمَا شَقِيتَ بِهِ ؛ وَإِمَّا رَجُلٌ عَمِلَ فِيهِ بِمَعْصِيَةِ ٱللّٰهِ، فَشَقِيَ بِمَا جَمَعْتَ لَهُ[٣]؛ فَكُنْتَ عَوْناً لَهُ عَلَى مَعْصِيَتِهِ ، وَلَيْسَ أَحَدُ هَذَيْنِ حَقِيقاً أَنْ تُؤْثِرَهُ عَلَى نَفْسِكَ .

[٤١٧]

(ح ـ ٤١٦) **اهل الايثار:**

الايثار: التفضيل للغير على النفس)

والحكمة تشير إلى ان الوصيّة والارث لما بعد الموت في حقيقتها ايثار للاخرين على نفس الإنسان، فإنّه لا يصرف ما يملكه بنفسه لنفسه ويتركه لمن يخلف بعده، والحكمة تقتضي الايثار لمن يستحقّ ذلك، والإمام يحلل الموقف بما يقتضي الايثار على النفس، فيقول:

(لا تخلفن وراءك شيئا من الدنيا) بل لابدّ من استخدام ما يفتقر إليه الإنسان في الحياة

(١) لم ترد « لابنه الحسن عليه السلام» في ص، وفي هـ. ص: في نسخة الشرح: لابنه الحسن يابني.
(٢) في هـ. د: لم ترد «يابني» في ب.
(٣) لم ترد «فشقى بما جمعت له» في أ ب ص، وفي هـ. د: العبارة ساقطة من ش.

بنفسه لنفسه، ولا يخلف لغيره.

وعن السبب قال:

(فإنك تخلفه لأحد رجلين) من الورّاث الذين لا يخلون من طائفتين:

الأولى: (إما رجل عمل فيه بطاعة الله فسعد بما شقيت به) لانك جمعت مالا لآخر هو يسعد به لكونه العامل فيه بطاعة الله، والله يثيب كلّ انسان على عمله لا على عمل غيره، فيكون الشقاء بمعنى التعاسة والتعب في تحصيله والمحافظة عليه للانسان وليس للعامل الذي يحصل على مال من دون تعب.

الثانية: (وإما رجل عمل فيه بمعصية الله فكنت عونا له على معصيته) فكان فيه شقاءان: شقاء العامل للعاصي، وشقاء الموصى بالتعب؛ لعدم قصد المعصية فلا يكون معصية، بل تعباً ونصبا، وعن الحالتين معا قال:

(وليس أحد هذين حقيقياً أن تؤثره على نفسك)؛ لأنّ الايثار لابدّ أن يكون لمصلحة توجب تفضيل ذلك الشخص على النفس، والمفروض انّه لا ضمان في معرفة أي الطائفتين يكون وريثا؛ فإن كان من الطائفة الثانية كان محرما، وحيث لا يعلم بالضبط من أي الطائفتين يكون الوارث فلا يكون أي موجب للتفضيل والايثار.

وَيُرْوَى هذَا الكلامُ على وَجْهٍ آخرَ، وَهُوَ:

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ ٱلَّذِي فِي يَدَيْكَ[١] مِنَ ٱلدُّنْيَا قَدْ كَانَ لَهُ أَهْلٌ قَبْلَكَ، وَهُوَ صَائِرٌ[٢] إِلَى أَهْلٍ بَعْدَكَ، وَإِنَّمَا أَنْتَ جَامِعٌ لأَحَدِ رَجُلَيْنِ؛ رَجُلٍ عَمِلَ فِيمَا جَمَعْتَهُ بِطَاعَةِ ٱللّٰهِ فَسَعِدَ بِمَا شَقِيتَ بِهِ؛ أَوْ رَجُلٍ عَمِلَ فِيهِ بِمَعْصِيَةِ ٱللّٰهِ فَشَقِيَ[٣] بمَا جَمَعْتَ لَهُ، وَلَيْسَ أَحَدُ هَذَيْنِ أَهْلاً أَنْ تُؤْثِرَهُ عَلَى نَفْسِكَ[٤]، وَتَحْمِلَ[٥] لَهُ عَلَى ظَهْرِكَ؛ فَارْجُ لِمَنْ مَضَى رَحْمَةَ ٱللّٰهِ، وَلِمَنْ بَقِي رِزْقَ ٱللّٰهِ تعالىٰ[٦].

---

(١) في ب: يدك، وفي هـ. د: يدك ـ ش.
(٢) في هـ. د: طائر ـ ب.
(٣) في هـ. د: فشقيت ـ ب.
(٤) في هـ. د: تؤثره نفسك ض ب.
(٥) في أ: وتحمل، وفي ب و ص: ولا تحمل، وفي هـ. د: أو تحمل ـ ض ب، ولا تحمل ـ ش.
(٦) لم ترد «تعالىٰ» في د.

الرواية الآخرى:

وهذا المقطع يؤكد على أن التفصيل والايثار على النفس لابدّ وان يكون لسبب موجب لذلك، وحيث انّه لا يعلم بمصير ما يخلفه الإنسان إلى أي طائفة منها، فلا يوجد موجب للايثار، فقال:

١ ـ (أما بعد؛ فإنّ الذي في يدك من الدنيا قد كان له أهل قبلك) فلا يحصل الإنسان على ما لديه إلّا باحدى الطرق المتيسّرة للملك من الارث أو التجارة أو غيرهما، فما يملكه للانسان انما كان مملوكاً شخص اخر.

٢ ـ (وهو صائر إلى أهل بعدك) حيث أن الموت لا يرحم احداً، فيرثه بعد الإنسان اخرون.

٣ ـ(وإنما أنت جامع لأحد رجلين)؛ فإنّ الوارث لا يكون إلّا من احدى الطائفتين:

٤ ـ (رجل عمل فيما جمعته بطاعة الله فسعد بما شقيت به)؛ فإنّ الشقاء بمعنى التعب في تحصيل المال انما وقع عليك بالايثار على النفس، والثواب انما هو للعامل المباشر، فيكون المطيع مثابا على طاعته، ولا يكون المؤثر مثاباً لعدم قصده، حيث لا يعلم من الوارث ولا كيفية صرفه؛ فإنّ ذلك علمه إلى الله وحده.

٥ ـ (أو رجل عمل فيه بمعصية الله فشقي بما جمعت له) حيث أن التعب والنصب كان من المؤثر على نفسه لوارث لا يستخدم المال في وجوهه المشروعة.

وعن اسحقاقهما للايثار قال:

٦ ـ (وليس أحد هذين أهلا أن تؤثره على نفسك) لعدم العلم بأن من يطيع الله يكون هو الوارث، ولولا هذا الترديد لما جاز الايثار؛ فإنّ جوازه لاحتمال الوصول إلى من يستحقه .

(ولا أن تحمل له على ظهرك) للعلم بأن ايثار من يرتكب المعصية محرم؛ لأنّه اعانة على الاثم والعدوان مع القصد، وانما جاز الايثار اصلا للترديد الذي هو عدم القصد.

وختم المقطع بقوله:

٧ ـ (فارج لمن مضى رحمة الله) من الاموات الذي لا طريق لايصال الثواب اليهم سوى طلب الرحمة والمغفرة لهم بعد الممات.

٨ ـ(ولمن بقي رزق الله) بالدعاء لهم بحسن الرزق من الله سبحانه الذي ينتفعون به في حياتهم لاداء مسؤولياتهم في انفسهم واسرهم ومجتمعهم.

[٤١٨]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ لقائلٍ قالَ بِحَضْرَتِهِ: «أَسْتَغْفِرُ اللّه»:

ثَكِلَتْكَ أُمُّك[(١)]! أَتَدْرِي مَا الاسْتِغْفَارُ؟ إِنَّ[(٢)] الاسْتِغْفَار[(٣)] دَرَجَةُ ٱلْعِلِّيِّينَ[(٤)]، وَهُوَ ٱسْمٌ وَاقِعٌ عَلَى سِتَّةِ مَعَانٍ[(٥)]:

أَوَّلُهَا: النَّدَمُ عَلَى مَا مَضَى.

وَالثَّانِي: ٱلْعَزْمُ عَلَى تَرْكِ ٱلْعَوْدِ إِلَيْهِ أَبَداً[(٦)].

وَالثَّالِثُ: أَنْ تُؤَدِّيَ إِلَى ٱلْمَخْلُوقِينَ حُقُوقَهُمْ حَتَّى تَلْقَى ٱللّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَمْلَسَ[(٧)] لَيْسَ عَلَيْكَ تَبِعَةٌ.

وَالرَّابِعُ: أَنْ تَعْمِدَ إِلَى كُلِّ فَرِيضَةٍ عَلَيْكَ ضَيَّعْتَهَا فَتُؤَدِّيَ حَقَّهَا.

والخامِسُ: أَنْ تَعْمِدَ إِلَى اللَّحْمِ[(٨)] ٱلَّذِي نَبَتَ عَلَى السُّحْتِ، فَتُذْيبَهُ بِالْأَحْزَانِ، حَتَّى تُلْصِقَ[(٩)] ٱلْجِلْدَ بِالْعَظْمِ، وَيَنْشَأَ بَيْنَهُمَا لَحْمٌ جَدِيدٌ.

السَّادِسُ: أَنْ تُذِيقَ ٱلْجِسْمَ أَلَمَ الطَّاعَةِ كما أَذَقْتَهُ حَلَاوَةَ المَعْصِيَةِ، فَعِنْدَ ذَلِكَ تَقُولُ: أَسْتَغْفِرُ ٱللّهَ.

---

(١) في هـ. ص: أنكر عليه حذف لسانه بالاستغفار من دون تحقيق معناه؛ لأنَّه خبر في الظاهر فأبرزه في صورة الكذب.

(٢) في هـ. د: لم ترد «ان» في ب.

(٣) في ط: للاستغفار.

(٤) في ب: النبيين، وفي هـ د: النبيين ـ ش.

(٥) في هـ. ص: الاستغفار: طلب الغفران، وهو الستر للذنوب كأن لم تكن، والتوبة: الرجوع، وهو الندم والعزم، وسائر المعاني الإصلاح الذي قال الله تعالىٰ: ﴿تابوا وأصلحوا﴾، وهو شرط في التوبة.

(٦) لم ترد «أبداً» في ب، وفي هـ. ب: في نسخة: العودة إليها أبداً.

(٧) في هـ. ب: صافي.

(٨) في ب: الشحم، وفي هـ. ب: اللحم ـ صح.

(٩) في أ و ب: يلصق.

(ح - ٤١٧) حقيقة الاستغفار:

شدد الإمام في هذه الحكمة في معنى الاستغفار على من استهان به كما يظهر من موقفه، فقال: (الاستغفار درجة العلّيين) والعلو عبارة عن درجة راقية في المراتب بحسب تفاوت درجات القرب من رحمة الله تعالى العلي المطلق؛ فإنّ كلّ ما في الوجود دونه في العلو في الدرجات. وعن هذه الدرجة قال تعالى:﴿ان كتاب الابرار لفي عليّيّن﴾.(١)

والاستغفار ـ لغةً ـ: هو طلب المغفرة، ويتحقق باللفظ، ولكن حقيقة الاستغفار لا يكون إلّا بعد استكمال الشروط المطلوبة فقال:

(وهو اسم واقع على ستة معان) هي الشروط التي بها يتحقق حقيقة الاستغفار، وقد سردها بقوله:

(أولها: الندم على ما مضى)؛ فإنّ الاستغفار باللفظ المجرد عن الندم لا يكون استغفارا، بل استهزاءا.

(والثاني: العزم على ترك العود إليه أبدا)؛ فإنّ الندم لابدّ وان يستمر في الماضي والحال والاستقبال، ومع عدم الاستمرار لا يكون ندما حقيقة.

(والثالث: أن تؤدي إلى المخلوقين حقوقهم حتّى تلقى الله أملس ليس عليك تبعة)؛ فإنّه لا يمكن تجاهل الحقوق الشرعية بالنسبة إلى الاسرة والآخرين مع الاستغفار؛ لأنّ اهمالها نقض عملي للاستغفار.

(والرابع: أن تعمد إلى كلّ فريضة عليك ضيعتها فتؤدي حقها)؛ فإنّ قضاء الحقوق الالهية من الواجبات استغفارٌ عملي، وبدونه لا يكون الاستغفار اللفظي حقيقة.

(والخامس: أن تعمد إلى اللحم الذي نبت على السحت فتذيبه بالأحزان حتّى تلصق الجلد بالعظم وينشأ بينهما لحم جديد)؛ فإنّ اللحم النابت من اثر المال الحرام يحمل معه اثار الحرام في جسم الإنسان، فلابد من تطهير الجسم من كلّ آثار الحرام من الخمر وغيره، حتّى يصبح الجسم طاهرا فيكون الاستغفار حقيقيا.

(والسادس: أن تذيق الجسم ألم الطاعة كما أذقته حلاوة المعصية)؛ فإنّ للمعصية لذتها

---

(١) المطففين : ١٨.

للعاصي وللطاعة لذتها للمطيع، والعكس أيضا صحيح بالنسبة إلى المعاصي؛ فإنّ الطاعة عليه تقلبه عليه، قال تعالى:﴿استعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة الا على الخاشعين﴾ [١]، فلا يكون الاستغفار حقيقة حتّى يقوم الجسم بواجبه من الطاعة لله كما قام بالمعصية.

وحيث أن بهذه الشرائط الست يتقوم حقيقة الاستغفار، قال الإمام عليه السلام:

(فعند ذلك تقول أستغفر الله)، فيكون استغفاراً حقيقياً؛ فإنّ فقدان اي شرط من هذه الشرائط يكشف عن أن الاستغفار ليس حقيقيّاً، والله العاصم.

[٤١٩]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

ٱلْحِلْمُ عَشِيرَةٌ[٢] .

(ح ـ ٤١٨) **الحلم عشيرة:**

الإنسان يستعين بعشيرته للحصول على ما يريد تحقيقه في الحياة من الامور، وليس دور العشيرة إلّا بسبب قدرتهم على تحقيق تلك المآرب بالمساعدة عملياً، ودور الحلم لا يقل عن دور العشيرة في تحقيق النصر على المعتدي؛ فإنّ المعتدي باستمراره في اعتدائه يكشف عن حقيقة نفسه للتاريخ، فيكون مدينا بالاعتداء، والحليم بسكوته لا يكون معتديا، وكفى بذلك نصرا لمن لا يملك عشيرة، ولا يتهم بالظلم والتعدي قولا أو عملا.

[٤٢٠]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

مِسْكِينٌ ٱبْنُ آدَمَ مَكْتُومُ ٱلْأَجَلِ، مَكْنُونُ ٱلْعِلَلِ، مَحْفُوظُ ٱلْعَمَلِ، تُؤْلِمُهُ ٱلْبَقَّةُ[٣]، وَتَقْتُلُهُ

---

(١) البقرة: ٤٥.

(٢) في هـ . ص: أي نُصّار، يقال: الحلم جنود مجنّدة، وقال عليه السلام: «وجدت الاحتمال أنصر لي من الرجال» انتهى من الشرح، والأصل في المعنى قول الله تعالىٰ: ﴿إدفع بالتي هي أحسن السّيّئة فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنّه وليٌّ حميم﴾.

(٣) في هـ . ص: واحدة البق، وهو البعوض.

الشَّرْقَةُ[١]، وَتُنْتِنُهُ ٱلْعَرْقَةُ[٢].

(ح - ٤١٩) من خصائص ابن آدم:

يشير الإمام إلى حقائق ابن ادم من كلّ القوميات واللغات وعلى اختلاف الدرجات في العلوم والعادات، فانهم جميعا يشتركون في الحقائق التالية التي تلازم المسكنة أي الذل والضعف ، وهي:

١ ـ (مكتوم الأجل) فلا يعلم احد منهم اجله، والله اعلم أنّه لو علم الانسان أجله لقام بأعمال شنيعة توجب اذلال كلّ من دونه، أو تاب قبل حلول منونه، والله اعلم بمكنونه.

٢ ـ (مكنون العلل) والمكنون: المستور ستراً شديداً، والعلة: المرض، فلا يعلم احد ما يطرأ عليه من أنواع الامراض التي تجعله عليلا فيتوقى منها، بما في ذلك من العلل الجسميّة أو النفسية .

٣ ـ(محفوظ العمل) في الدنيا على صفحات التاريخ الصحيح الذي لا يرحم أحداً، وفي الآخرة في كتاب وصفه الله سبحانه بقوله عن لسان حال قولهم:﴿ يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضراً﴾.[٣]

٤ ـ (تؤلمه البقّة) وهي البعوضة، اضعف خلق الله، التي قد تجلب له مرض الملاريا.

٥ ـ (وتقتله الشرقة) وهي الغصة في الحلق، التي تمنع من شرب الماء، فينقطع النفس فيموت.

٦ ـ (وتنتنه العرقة) وهي ما يترشح من الماء من اصول الشعر في جلد الإنسان، وتصاحب نتناً لا يرتفع إلّا بالغسل.

فان هذه الحقائق تكشف عن عجز الإنسان في منع ما يكره حصوله، وليس هذا العجز سوى ذل ومسكنة تعم حياة أي انسان في الحياة.

---

(١) في هـ. ص: فعلة من الشرق بالماء ونحوه.
(٢) العرقة، وفي هـ. ص: واحدة من العرق.
(٣) الكهف : ٤٩ .

[٤٢١]

وَرُوِي(١) أَنَّهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ كَانَ جالساً فِي أَصْحابِهِ فَمَرَّتْ بِهِمُ ٱمْرَأَةٌ جَمِيلةٌ فَرَمَقَهَا القوْمُ بأبصارِهم، فقَالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

إنَّ أَبْصَارَ هَذِهِ الفُحُولِ طَوَامِحُ(٢)، وَإِنَّ ذَلِكَ سَبَبُ هَبَابِهَا(٣)، فَإِذَا نَظَرَ أَحَدُكُمْ إِلَى ٱمْرَأَةٍ تُعْجِبُهُ فَلْيُلَامِسْ(٤) أَهْلَهُ(٥)، فَإِنَّمَا هِيَ ٱمْرَأَةٌ كامْرَأَةٍ.

(ح ـ ٤٢٠) المرأة الجميلة:

(الرمق: النظر، والطموح: الاهتمام في الطلب، والهباب: هيجان الرغبة الجنسية عند التيس، ورويداً: امر بالامهال).

تتضمن هذه الحكمة مسؤولية النظر؛ فإنّ التأثير والتأثر بظاهر الجمال في الطبيعة أمر طبيعيّ سواء في ذلك الازهار الطبيعية أو المرأة الجميلة، وقد شرع الاسلام للنظر مسؤولية بالنسبة إلى الرجال والنساء بقوله: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يُغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ ٱللهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ * وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ..﴾.(٦)؛ فإنّ أساس الفتن في الجنس ترجع إلى النظر، فيكون تشريع تحريم النظر وقاية لما يترتب عليه من خطر.

والإمام في هذه الحكمة يشير إلى الحل العملي لهذه الظاهرة الطبيعيّة، فقال:

١ ـ (إن أبصار هذه الفحول طوامح) والفحل: الذكر؛ فإنّ الابصار حينما تنظر الى الجمال تنجذب اليها، فيكون لذلك اثر عليها، ومنها في المجلس: الرمق بالابصار.

٢ ـ (وإن ذلك بسبب هبابها)؛ فإنّ النظر هو السبب في هيجان الرغبة الجنسية في كل

(١) في ب زيادة: عنه.
(٢) في هـ. ص: ناظرات.
(٣) في هـ. ب: هياجها، تقول: هبّ الفحل والتبس، يهب ـ بالكسر ـ هبيباً وهباباً: إذا هاج للضراب أو للسفاد، والهباب أيضاً: صوت التيس إذا هبّ فهو مهباب، وقد هببته، أي دعوته لينزو فهب أي تزعزع، انتهى من الشرح.
(٤) في ب: فيلتمس، وفي هـ. ب: في نسخة: فيلمس، وفي ص: فليمسنّ، وفي هـ. د: روي فليلتمس ـ ك، فليلمس ـ ل.
(٥) في هـ. د: أهله ـ ل.
(٦) النّور: ٣١.

الحيوانات، كما يهب التيس الذكر من الغنم للشاة وهي الانثى من الغنم، فيكون النظر في الإنسان كالهباب في الحيوان.

٣ ـ(فإذا نظر أحدكم إلى امرأة تعجبه فليلامس أهله)؛ فإنّ الرغبة الجنسيّة تحلل بذلك.

٤ ـ (فإنّما هي امرأة كامرأة) وليس الجمال الا لفترة زمنيّة في العمر، وكلما تقدم السن ينعدم تدريجيا، وأمّا في عصرنا فليس سوى ألوان ودهون تستخدمها النساء بأنواع وفنون، ولا يغتر بها إلّا مجنون.

فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ ٱلْخَوَارِجِ : قَاتَلَهُ ٱللّٰهُ كَافِراً مَا أَفْقَهَهُ، فَوَثَبَ ٱلْقَوْمُ لِيَقْتُلُوهُ، فَقَالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

رُوَيْداً، إِنَّمَا هُوَ سَبٌّ بِسَبٍّ، أَوْ عَفْوٌ عَنْ ذَنْبٍ .

سبب سبب:

يتضمن هذا المقطع الادب الاسلامي في الحكم من وجهه نظر الإمام، ويظهر من المقطع أن هذه الحادثة حصلت بعد حرب صفين عام ٣٧، وقبل وقعة النهروان ٣٨، وان الخوارج كانوا في صفوف جيش الإمام، ويعرفون باقوالهم الناقدة مثل هذه، وفي موقف الإمام آداب اسلامية في الحكم تجاه المنشقين لها اهمية كبرى في التعامل معهم ، هي:

أوّلاً: المنع من قتل المنشق، حيث امر الإمام بالامهال بقوله: (رويداً) أي مهلا، ناهيا عن قتل الخارجي.

ثانياً: توجيه موقف المنشق؛ فإنّ الخارجي اعلى بقوله: (قاتله الله كافرا ما أفقهه!) كفر الامام، واتهام الإمام بالكفر موجب للقتل، ولكن الإمام لم يعتبر ذلك تكفيرا حقيقة، بل حالة عاطفية لا يعبر عن القصد الواقعي، فلا يوجب القتل.

ثالثاً: تثقيف الاصحاب بالادب الاسلامي مع المنشقين بقوله: (إنما هو سب بسب أو عفو عن ذنب) فان العقوبات الاسلامية لا تتعدى حدودها فقد اعتبر الإمام هذا الاتهام سبّاً شخصيا له، فله الحق في التعامل بالمثل أو العفو، فلا تجاوز الحد الاسلامي في ذلك. قال تعالى:﴿فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم﴾ [1]، وقال :﴿تلك حدود الله فلا

---

(١) البقرة: ١٩٤.

تعتدوها﴾ [١]، وقال:﴿وان تعفوا اقرب للتقوى﴾.[٢]

[٤٢٢]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

كَفَاكَ مِنْ عَقْلِكَ، مَا أَوْضَحَ لَكَ سُبُلَ غَيِّكَ مِنْ رُشْدِكَ[٣].

(ح ـ ٤٢١) العقل الكاف:

العقل: جوهر مجرد ذاتا وفعلاً، ويطلق على معان، منها: العلم بمصالح الامور ومفاسدها، وحسن الافعال وقبحها، فيكون العقل منبع العلم وأساسه، ويكون العلم ثمرة العقل، وبالعقل يفارق الإنسان سائر الحيوانات، وبه يعرف حقائق الامور والصفات كسائر المخلوقات في الارض والسماوات.

وتشير الحكمة إلى العقل العملي باعتبار آثاره في الحياة دون غيرها من انواع العلوم والمعارف التي لا نهاية لها، ولا يصل إلى حقيقة بعضها إلّا اهل الاختصاص بها، فقال عليه السلام:

(كفاك من عقلك) الذي وهبه الله لك وميزك به عن الحيوانات الاخرى.

(أوضح لك سبيل غيك من رشدك)؛ فإنّ هذا هو العفل العملي الذي يفتقر إليه الإنسان في الحياة، فاذا علم الإنسان مصالح الامور ومضارها لنفسه اختار ما فيه الرشد وترك ما فيه الغي، وكفى ذلك اثراً في الحياة.

[٤٢٣]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

اَفْعَلُوا ٱلْخَيْرَ[٤]**، وَلَا تَحْقِرُوا مِنْهُ شَيْئاً، فَإِنَّ صَغِيرَهُ كَبِيرٌ، وَقَلِيلَهُ كَثِيرٌ، وَلَا يَقُولَنَّ**

---

(١) البقرة: ٢٢٩.

(٢) البقرة: ٢٢٧.

(٣) في هـ. د: هذه الحكمة ساقطة من ب.

(٤) في هـ. ص: هذا حثٌ على فعل الخير والمسارعة إليه مع الإمكان ولا تفريط فيه، فيوفق له غيره فيكون الفاعل خيراً منه.

أَحَدُكُمْ[١] إِنَّ أَحَداً أَوْلَى بِفِعْلِ ٱلْخَيْرِ مِنِّي، فَيَكُونَ وَٱللّهِ كَذَلِكَ، إِنَّ لِلْخَيْرِ وَالشَّرِّ أَهْلاً، فَمَهْمَا تَرَكْتُمُوهُ مِنْهُمَا كَفَاكُمُوهُ أَهْلُهُ.

(ح - ٤٢٢) الخير كلّه خير:

الخير - لغةً - ما فيه الصلاح والنفع، وضده: الشر، فالخير كمال انساني يمتاز به الإنسان عن سائر الحيوان، وادراكه هو اللذة الحقيقية والسعادة الفكرية، وللخير مراتب منها: المؤثرة في الفوز بالسعادة في الآخرة، ومنها: المؤثرة في قضاء الحاجات كالمال، ولولا ذلك لكان المال كالحصباء لا قيمة لها، ومنها المؤثرة لذاتها كالصحة والسلامة.

والحكمة تشير بأن الخير كمال للانسان بأية درجة ومقدار كان، فقال:

١ - (افعلوا الخير) فقد قال تعالى:﴿ولكلّ وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات﴾ [٢].

٢ - (ولا تحقروا منه شيئا)؛ لأنّ تحقير أي شئ منه يكون نقصا في الكمال الانساني.

٣ -(فإن صغيره كبير، وقليله كثير)؛ فإنّ صفة الكمال لا تقاس بالقلة والكثرة والصغر والكبر، بل بالوجود والعدم، فاذا كان موجوداً فهو المطلوب بأي نحو كان وباي مقدار وجد.

٤ - (ولا يقولن أحدكم إن أحدا أولى بفعل الخير مني)؛ فإنّ الفضيلة لا أولوية فيها، بل يجب على كلّ من يؤمن بها.

٥ - (فيكون والله كذلك)؛ فإنّ التهرب من الفضيلة والكمال يستتبع انعدامها تدريجيا بتكرر التهرب والاهمال.

٦ - (إن للخير والشر أهلا فمهما تركتموه منهما كفاكموه أهله) وان الاهمال للفضيلة والكمال لا يوجب نقصا في الكمال؛ فإنّ هناك من يميز بين الجوهر والحصى، ويلتقط الجوهر وينبذ الحصى، وانما يكون الاهمال نقصان لمن يختار الحصى على الجوهر.

---

(١) في هـ. أ: في نسخة: أحداً.
(٢) البقرة: ١٤٨.

[٤٢٤]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

مَنْ أَصْلَحَ سَرِيرَتَهُ أَصْلَحَ ٱللّٰهُ عَلَانِيَتَهُ، وَمَنْ عَمِلَ لِدِينِهِ، كَفَاهُ ٱللّٰهُ أَمْرَ[١] دُنْيَاهُ، وَمَنْ أَحْسَنَ فِيما بَيْنَهُ وَبَيْنَ ٱللّٰهِ، أَحْسَنَ ٱللّٰهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ ٱلنَّاسِ.

(ح ـ ٤٢٣) **الصلة بالله:**

تشير الحكمة إلى آثار الصلة بالله تعالى في الحياة في النيّة والعمل والاثر، فقد قال تعالى:﴿وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا واعظم اجراً﴾.[٢]

وقد استعرض النواحي الثلاث بقوله:

أوّلاً: (من أصلح سريرته أصلح الله علانيته)؛ فإنّ اصلاح النيّة الصالحة التي هي سرّ لا يعلمه سوى الله سبحانه، عند الله خير يعادله، وهو اصلاح العلانية؛ لأنّ النيّة الخالصة تدعوا إلى العمل الصالح.

ثانياً: (ومن عمل لدينه كفاه أمر دنياه)؛ فإنّ العمل لله خير، ويجد الإنسان جزاءه كفاية امر الدنيا؛ لأنّ العمل للدين يستلزم العمل لامر الدنيا.

ثالثاً: (ومن أحسن فيما بينه وبين الله كفاه الله ما بينه وبين الناس)؛ لأنّ الاحسان يستتبع الاحسان، فان كلّ خطوة يتقدم بها الإنسان نحو الله يستلزم اثراً في الحياة تكشف عن تلك الخطوة؛ فإنّ صلاح العلانية يكشف عن صلاح النية؛ اذ لولاها لما تحقق، وكفاية امر الدنيا بالعيش الكفاف نتيجة العمل بما امر الله من السعي للرزق بالكفاف، وان حسن التعامل مع الناس نتيجة الالتزام بالتوجيه الاسلامي للاحسان كمبدأ في السلوك في الحياة.

[٤٢٥]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

ٱلْحِلْمُ غِطَاءٌ سَاتِرٌ، وَٱلعَقْلُ حُسَامٌ قَاطِعٌ، فَاسْتُرْ خَلَلَ خُلُقِكَ بِحِلْمِكَ، وَقاتِلْ هَوَاكَ

---

(١) في هـ. د: كفاه أمر ـ ب.

(٢) المزمل: ٢٠.

بِعَقْلِكَ .

(ح - ٤٢٤) الحلم والعقل:

لا كمال مطلق إلّا لله سبحانه فهو الكمال المطلق دون سواه، والإنسان بطبعه فيه موارد الخلل التي ينفذ منها وساوس الشيطان، ويشير الإمام إلى طريق مقاومتها المتيسّرة لكل انسان بما اكرمه الله من العقل والحلم فقال:

أوّلاً: (الحلم غطاء ساتر) يغطي كلّ الشرور التي تنبع من الغضب، ويستر العيوب الاخلاقية التي لا يخلو منها انسان.

وعن الواجب في مقاومة الشر قال:

(فاستر خلل خلقك بحلمك) فيكون الخلق اقرب إلى الكمال.

ثانياً: (والعقل حسام قاطع) في موارد الشبهات بحكم العقل، فيقطع الشك بمعرفة الحق من الباطل، ولا يخلو حياة اي انسان من شبهات.

وعن الواجب في مقاومة الشبهة قال:

(وقاتل هواك بعقلك) حيث يدحض العقل الشبهات التي تغرر بها النفس الامارة بالسوء.

[٤٢٦]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

إِنَّ لِلّهِ عِباداً يَخْتَصُّهُمْ[1] بالنِّعَمِ لِمَنَافِعِ ٱلْعِبَادِ، فَيُقِرُّهَا فِي أَيْدِيهِمْ مَا بَذَلُوهَا، فَإِذَا مَنَعُوهَا نَزَعَهَا مِنْهُمْ، ثُمَّ حَوَّلَهَا إِلَى غَيْرِهِمْ .

(ح - ٤٢٥) زوال النعمة:

النعمة ـ لغةً ـ: الرزق، ولكل نعمة مسؤولية يجب اداؤها، ويكون التقصير في تلك المسؤوليات موجبا لزوالها، كما يكون المسبب لزوالها الذي يقصر في مسؤولياته تجاهها، قال عليه السلام:

---

(١) في هـ. د: يختصهم الله ـ ض ب، يخصهم ـ ل.

١ ـ (إن لله عبادا يختصهم الله بالنعم) دون غيرهم لسعيهم في الحصول عليها من مال جاه أو مقام وما شابه.

٢ ـ (لمنافع العباد) فليس الاختصاص لهم لانفسهم بالذات، بل لقيامهم بمسؤولياتهم في منفعة المجتمع بتلك النعم.

٣ ـ (فيقرها في أيديهم ما بذلوها) فهم اصحاب تلك النعمة، وهي مستقرة لهم ما داموا يؤدون مسؤولياتهم تجاهها ، وهي: البذل لتلك المسؤوليات والقيام بالواجب .

٤ ـ (فإذا منعوها نزعها منهم) لاهمالهم بواجباتهم ومسؤولياتهم.

٥ ـ (ثم حولها إلى غيرهم) فيكون دورهم دور المسؤول في اداء واجباته، فيكون واجداً لها ما دام كفوءاً بها، ومع الاهمال ينتزع منه كذلك.

وليس زوال النعمة إلّا مستنداً إلى اهمال صاحب النعمة بواجباته التي أقلها الشكر.

[٤٢٧]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

لَا يَنْبَغِي لِلْعَبْدِ أنْ يَثِقَ بِخَصْلَتَيْن : ٱلْعافِيَةِ، وَٱلْغِنَى ؛ بَيْنَا تَرَاهُ مُعافىً إذْ سَقِمَ، وَبَيْنَا تَرَاهُ[1] غَنِيّاً إذ ٱفْتَقَرَ .

(ح ـ ٤٢٦) **العافية والغنى:**

خصلتان يتمناهما كلّ انسان في الحياة ويسعي في تحصيلها ما امكنه حتّى الممات، ولكن لا وثوق بأي منهما، وتطرءان من دون سابق انذار ـ عادة ـ فقال عنهما:

١ ـ (لا ينبغي للعبد أن يثق بخصلتين : العافية والغنى) حيث لا ضمان بهما لاحد قط .

٢ ـ (بينا تراه معافى إذ سقم)؛ فإنّ الصحيح المعافى من الامراض فجاءة يصبح مريضا سقيما.

٣ ـ(وبينا تراه غنيا إذ افتقر) حتى لو كان قد اتخذ كلّ انواع الحذر في حياته ، ولكن الحوادث الطبيعية والكوارث التي ليست تحت اختيار احد تقضي على ذلك وتخيب

(١) في هـ. د: «بينا تراه» ساقطة من ف ن.

جميع اماله، فلا وثوق بأي منهما.

[٤٢٨]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

مَنْ شَكا ٱلْحاجَةَ إِلَى مُؤْمِنٍ فَكأَنَّه شَكاهَا إلى اللّهِ، ومَنْ شَكاها إلى كافرٍ فَكأَنَّما شَكا اللّهَ.

(ح - ٤٢٧) الشكوى:

الشكوى: التوجع لألم جسمي أو روحي، والشكوى إلى شخص: الطلب منه لرفع الحاجة، والشكوى من الشخص أو شكواه -بدون حرف الجر- يكون خصومة، فقال عليه السلام:

١ - (من شكا الحاجة إلى مؤمن فكأنما شكاها إلى الله)؛ فإنّ المؤمن يسعي لقضاء الحاجة لايمانه بأنّه الله أبى أن يجري الامور إلّا باسبابها، وانه فعلا صار هو السبب في ذلك.

٢ - (ومن شكاها إلى كافر فكأنما شكا الله) إلى الكافر، لعدم ايمان الكافر بالثوابت الاسلامية، فيكون الشكوى إلى الكافر شكاية من الله، نعوذ بالله؛ لعدم ايمان الكافر، والله العاصم.

[٤٢٩]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ فِي بعضِ الأعيادِ:

وإِنَّما[1] هُوَ عِيدٌ لِمَنْ قَبِلَ اللّهُ صِيامَهُ[2]، وشَكَرَ قِيَامَهُ، وكُلُّ يَوْمٍ لَا يُعْصَى[3] اللّهُ فِيهِ فَهُوَ يَوْمُ عِيدٍ.

(ح - ٤٢٨) العيد حقيقة:

كلمة العيد مشتقة من العود، بمعنى الرجوع؛ فإنّ يوم العيد يوم يرجع في كلّ عام في

---

(١) في د: إنّما.

(٢) في هـ. د: من صيامه - ب.

(٣) في ب و د: لا يُعصىٰ.

نفس اليوم حسب المواصفات، سواء في عيد الاضحى أو الفطر أو غيرهما: ومورد الكلمة عيد الفطر، حيث قال:

١ ـ (إنما هو عيد لمن قبل الله صيامه وشكر قيامه)؛ فإنّ قبول الصيام في شهر رمضان يكشف عن أن هذا اليوم يوم عيد حقيقة، ولولا ذلك لكان مثل سائر ايام السنة، والتوفيق لقيام صلاة الليل فيه يكشف عن ذلك.

٢ ـ (وكل يوم لا يعصى الله فيه فهو عيد)؛ لأنّ المطيع لربه يرجع فيه إلى الله سبحانه بامتثال أوامر الله وترك نواهيه، فيكون اليوم جديدا والعائد حميدا وموقفه مجيداً.

[٤٣٠]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

إنَّ أعْظَمَ الحَسَرَاتِ يَوْمَ الْقِيامَةِ حَسْرَةُ رَجُلٍ كَسَبَ مالاً في غَيْرِ طاعَةِ اللّهِ، فَوَرِثَهُ رَجُلٌ فَأَنْفَقَهُ في طاعَةِ ٱللّهِ سُبْحانَهُ فَدَخَلَ بِهِ الجَنَّةَ، ودَخَلَ الأَوَّلُ بِهِ النَّارَ[١].

(ح ـ ٤٢٩) اعظم الناس حسرة:

تشير الحكمة إلى مفارقات الحياة التي تعتبر اعظم حسرة يوم القيامة؛ فإنّ الرجل الذي يكتسب مالا بالحرام من طرق غير قانونية، يستحق بذلك العقاب عليها، وبموته يرثه الوارث حلالا طيباً بالارث؛ لانه غير عالم بحقوق الله والناس في مال الارث، فينفقه في الخيرات التي أمر الله بها، فيكون الوارث المنفق في طاعة الله مثابا ويدخل بسبب ذلك الجنّة، بينما يكون الذي اورثه معاقبا يدخل بسبب عصيانه النار، مع أن المال ماله والجهد جهده، وما اكثر العبر واقل الاعتبار.

[٤٣١]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

إِنَّ أَخْسَرَ النَّاسِ صَفْقَةً، وَأَخْيَبَهُمْ سَعْياً، رَجُلٌ أَخْلَقَ بَدَنَهُ فِي طَلَبِ آمَالِهِ[٢]، وَلَمْ

---

(١) في هـ. د: دخل به الأول النار ـ م ف.

(٢) في ط: ماله، وي في هـ. ط: في نسخة: آماله، وفي هـ. د: ماله ـ ب.

تُساعِدْهُ المقَادِيرُ عَلَى إرَادَتِهِ، فَخَرَجَ مِنَ ٱلدُّنْيَا بِحَسْرَتِهِ، وَقَدِمَ عَلَى الآخِرَةِ بِتَبِعَتِهِ.

(ح ـ ٤٣٠) أخسر الناس:

الربح والخسارة في الحياة التجارية انما هما باعتبار الحصول على النتيجة المطلوبة من التجارة، فيتحمل التاجر كلّ المصاعب التي ترافق الصفقة في البيوع لحصول الربح، فاذا لم يربح فانه يكون خاسراً لصفقة البيع، وقد وصفه الإمام بقوله:

ـ (إن أخسر الناس صفقة وأخيبهم سعيا) والصفقة: ما يقع عليه البيع، والخيبة: عدم تحقق الامل.

(رجل أخلق بدنه في طلب ماله) والاخلاق: الاتعاب بسبب التعب الذي يتحمله في ابرام صفقات البيع.

(ولم تساعدة المقادير على إرادته) فلا تتحق لديه النتيجة المطلوبة في الصفقة بالموت أو غيره.

(فخرج من الدنيا بحسرته) الابدية حيث لم يحصل على ما طلب.

(وقدم على الآخرة بتبعته) وهي ما يتبع الصفقة من الواجبات تجاه الله والناس.

[٤٣٢]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

الرِّزْقُ رِزْقَانِ: طَالِبٌ وَمَطْلُوبٌ، فَمَنْ طَلَبَ ٱلدُّنْيَا طَلَبَهُ المَوْتُ حَتَّى يُخْرِجَهُ عَنْهَا، وَمَنْ طَلَبَ الآخِرَةَ طَلَبَتْهُ ٱلدُّنْيَا حَتَّى يَسْتَوْفيَ رِزْقَهُ مِنْها[1].

(ح ـ ٤٣١) الرزق رزقان:

الرزق: الشيئ الذي يفتقر اليه الانسان في الحياة، وهو لا يخلو من طالب ومطلوب، وقد فسرهما الإمام بقوله:

١ ـ (فمن طلب الدنيا طلبه الموت حتّى يخرجه عنها) فالطالب هو الموت الذي لا يرحم احدا، وهو يطلب رزقه في الدنيا وهذا الإنسان مطلوب، ويستمر الموت في طلبه

---

(١) في ط: منها رزقه.

حتّى يخرجه من الدنيا.

ـ (ومن طلب الآخرة طلبته الدنيا حتّى يستوفي رزقه منها)؛ فإنّ الإنسان يطلب في الدنيا الآخرة رزقا، وفى نفس الوقت تطلبه الدنيا فلا يترك الدنيا إلّا بعد الحصول على رزقه فيها.

فلا يترك الإنسان هذه الحياة من دون استيفاء ما يتوقف عليه حياته من الرزق.

[٤٣٣]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

إِنَّ أَوْلياءَ اللّهِ هُمُ الَّذِينَ نَظَرُوا إِلى باطِنِ الدُّنيَا إذا نَظَرَ النَّاسُ إلى ظاهِرِها، وَٱشْتَغَلُوا بآجِلِها إِذَا ٱشْتَغَلَ النَّاسُ بِعاجِلِها، فأماتُوا مِنْها ما خَشُوا[1] أَنْ يُمِيتَهُمْ، وتَرَكَوا مِنْها ما عَلِمُوا أَنَّهُ سَيَتْرُكُهُمْ، وَرَأوا اسْتِكْثارَ غَيْرِهِم مِنْها اسْتِقْلَالاً، وَدَرْكَهُمْ لَهَا فَوْتاً، أَعداءُ ما سالَمَ[2] النَّاسُ، وسِلْمُ مَا عادَى النَّاسُ، بِهِم عُلِمَ الْكِتابُ، وبِهِ عُلِمُوا، وَبِهِمْ قَامَ ٱلْكِتابُ وَبِهِ قَامُوا، لا يَرَوْنَ مَرْجُوّاً فَوْقَ ما يَرْجُونَ، ولا مَخُوفاً فَوْقَ مَا يَخافُونَ.

(ح ـ ٤٣٢) **صفات اولياء الله:**

قال تعالى:﴿الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾.[3]

ويتضمن المقطع صفات اولياء الله تعالى بقوله:

١ ـ (إن أولياء الله هم الذين نظروا إلى باطن الدنيا إذا نظر الناس إلى ظاهرها)؛ فإنّ لكل شئ ظاهر يعرفه كلّ من يراه، وباطن لا يعرفه إلّا من يدرسه، والأولياء لا يغترون بالظواهر، بل ينظرون إلى الواقع والحقائق، في الوقت الذي يهتم اهل الدنيا بالظواهر.

٢ ـ (واشتغلوا بآجلها إذا اشتغل الناس بعاجلها) فالاولياء ينظرون إلى عواقب الامور التي هي آجال متحققة للاشياء، في الوقت الذي يشتغل الناس بالامور الحاضرة المعجلة، ولا يهتمون بالعواقب المؤجلة.

---

(١) في هـ. ب: خافوا.
(٢) في هـ. ب: صالح.
(٣) يونس: ٦٣.

٢ ـ (فأماتوا منها ما خشوا أن يميتهم) وبسبب النظر إلى الحقائق والعواقب أمات الأولياء المغريات التي منها الخشية في اماتتهم موتا روحيا بسبب الانخداع بها في الحياة:

٤ ـ (وتركوا منها ما علموا أنّه سيتركهم) فكان نتيجة المعرفة أن تركوا ما للدنيا ؛ لعلمهم بان الدنيا زائلة فانية وستتركهم.

٥ ـ (ورأوا استكثار غيرهم منها استقلالا . ودركهم لها فوتا)؛ فإنّ طلب الآخرين للاكثار من الدنيا ـ من وجهه نظر الأولياء ـ انما هو في الحقيقة استقلال؛ لأنّه كلّ شئ زائل في الحقيقة ولا يكون له وجود دائمي فيكون قليلا؛ لأنّ الاشتغال بالماديات يوجب قلة الاهتمام بالمعنويات، وبالعكس فترك الماديات يعطي الفرصة للحصول على المعنويات، فيكون ترك الاستكثار قوتا للجانب الروحي لهم.

٦ ـ (أعداء ما سالم الناس ، وسلم ما عادى الناس)؛ فإنّ الأولياء يضادون المبادي التي يعتبرها الناس مبادئ سلم، مع انها في حقيقتها ظلم للمجتمع ومحاربة للدين، والأولياء أيضا يسالمون المبادئ التي يعاديها عامة الناس، وهذا يتجلى بوضوح في اصحاب السياسات والمصالح المادية في الحياة.

٧ ـ (بهم علم الكتاب وبه علموا)؛ فإنّ الأولياء دعاة علم إلى القرآن الكريم وبواسطتهم يعلم المسلمون تفسير القرآن وبواسطة القرآن يعلمون الحقائق الاسلاميّة التي يفتقر اليها المجتمع.

٨ ـ (وبهم قام الكتاب وبه قاموا)؛ فإنّ حكم القرآن الكريم كمبدأ وقانون أساسي لا يقوم إلّا بالاولياء الذين لهم معرفة به تفسيرا وتأويلا حتّى يقوم حكم الله على الارض.

٩ ـ (لا يرون مرجوا فوق ما يرجون)؛ فإنّ هدفهم الوحيد هو رضا الله سبحانه ورجاء ثوابه الذي وعده فى الآخرة، وليس فوق ذلك من رجاء في الدنيا لاحد من خلق الله.

١٠ ـ (ولا مخوفا فوق ما يخافون) فلا يخافون من اي تهديد أو عقاب في الدنيا سوى عذاب الله في يوم الحساب؛ فإنّ هذه النقاط من صفات الأولياء يجعل لهم الرؤية الواضحة للمبادئ والوسائل والاهداف الالهيّة في الحياة، قال تعالى:﴿ أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَ ٱللهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ * ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا

وَفِي ٱلآخِرَةِ لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ ٱلله ذٰلِك هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾.[١]

[٤٣٤]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

ٱذْكُروا ٱنقِطَاعَ[٢] اللَّذَّاتِ، وَبَقاءَ التَّبِعاتِ.

(ح ـ ٤٣٣) الذكر النافع:

لكل انسان في الحياة ذكريات توجب الفرح أو الحزن، والحياة في الدنيا قصيرة للذكريات التي لا عبرة فيها، وتشير الحكمة إلى اهم الذكريات النافعة التي تحث الإنسان للعمل المسؤول في كل يوم من حياته، وهو ذكر الموت الذي له اثران ثابتان:

١ ـ (انقطاع اللذات) بكل ما يتصور في الحياة من المادّة والماديات.

٢ ـ (وبقاء التبعات) المترتبة على تلك اللذات من المسؤوليات التي تترتب عليها.

فإنّ ذكر الامرين يجعل الإنسان على استعداد للقيام بالواجب في كلّ لحظة من الحياة.

[٤٣٥]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

ٱخْبُرْ تَقْلِهِ[٣].

وقالَ الرَّضيّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالىٰ[٤]: ومنْ النَّاسِ مَنْ يَرْوِي هذا لِرسُولِ اللّهِ صَلَّى ٱللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَمِمَّا يُقَوِّي أَنَّهُ مِنْ كلَام أميرِ المؤمنين عَلَيْهِ السلامُ ما حَكَاهُ ثَعْلَبُ قالَ: حدَّثنَا ٱبْنُ الأعرابيّ قالَ: قال المأمُون: لولا أنّ عَليّاً عَلَيْهِ ٱلْسَّلامُ[٥] قالَ: ٱُخْبُرْ تَقْلَه، لَقُلْتُ أنَا:

---

(١) يونس: ٦٤.

(٢) في ص: انقضاء.

(٣) في ب: تقِله وتقَله معاً.

(٤) لم ترد «وقال الرضي رحمه الله تعالى» في ب و ص و د، والعبارة إلى قوله: «ابن الاعرابي» لم ترد في أ، وبدلها: وروى ثعلب عن ابن الاعرابي.

(٥) في ص: صلوات الله عليه.

إِقْلَهْ تَخْبُرْ.

(ح ـ ٤٣٤) نتيجة الاختيار:

(الاختبار: التجربة، والقلى: البغض).

والحكمة تتضمن فعل الأمر من الاختبار (أخبر) بضم الباء اي جرّب الشيئ، و(تقله) اخبار عن القلى بمعنى البغض، وتعني الحكمةد أن التجربة تظهر حقيقة الاشياء، وان الإنسان اذا عرف حقيقة الشيئ فانه سوف يبغض ذلك الشيئ؛ فإنّ الظاهر عادة يخالف الواقع، فيكون الإنسان مخدوعا بالظاهر، والله عالم بالسرائر.

قال عمر كحالة في معجم المؤلفين، ما نصه:«أحمد ثعلب (٢٠٠ – ٢٩١ هـ ٨١٦ – ٩٠٤م) أحمد بن يحيى [١] الشيباني مولاهم ، الكوفي ، المعروف بثعلب) أبو العباس (نحوي ، لغوي . توفي ببغداد في جمادى الأولى له من الكتب : المصون في النحو ، اختلاف النحويين ، معاني القرآن ، معاني الشعر ، وكتاب ما ينصرف وما لا ينصرف».[٢]

وقال عمر كحالة في معجم المؤلفين أيضاً، ما نصه:«محمّد بن الأعرابي (١٥٠ ـ ٢٣١ هـ ٧٦٧ ـ ٨٤٦ م) محمّد بن زياد ، المعروف بابن الأعرابي الكوفي، أبو عبد الله ، لغوي ، نحوي راوية لاشعار القبائل ، نسابة . ولد بالكوفة ، وسمع من المفضل الضبي الدواوين وصححها ، وأخذ عن الكسائي وابن السكيت وأبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب وغيرهم ، واخذ عن الأصمعي ، وتوفي بسر من رأى . من آثاره : النوادر ، تاريخ القبائل ، معاني الشعر ، تفسير الأمثال ، وصفة الزرع».[٣]

[٤٣٦]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

ما كانَ اللّهُ لِيَفْتَحَ عَلَى عَبْدٍ بابَ الشُّكْرِ ، وَيُغْلِقَ عَنْهُ بَابَ الزِّيادَةِ[٤]، وَلَا لِيَفْتَحَ عَلَى

---

(١) اختلف بعد هذا الاسم في أسماء أجداده.
(٢) معجم المؤلفين ؛ لعمر كحالة ٢ : ٢٠٣.
(٣) معجم المؤلفين ؛ لعمر كحالة ١٠ : ١١.
(٤) في هـ . ص: قال الله تعالىٰ: ﴿لئن شكرتم لأزيدنّكُم﴾، والزيادة تكون في الدّنيا وفي الآخرة.

عَبْدٍ بابَ الدُّعاءِ، وَيُغْلِقَ عَنْهُ بابَ ٱلإجابَةِ[١]، ولا لِيَفْتَحَ عَلَى عَبْدٍ بابَ التَّوْبَةِ، وَيُغْلِقَ عَنْهُ بَابَ المَغْفِرَةِ[٢].

(ح ـ ٤٣٥) ابواب الله:

فتح الله سبحانه للعباد ابوابا للصلة المباشرة بينه وبينهم، هي ابواب الشكر والدعاء والتوبة، والحكمة تتضمن أن لهذه الابواب آثار متلازمة معها لا يعدمها الإنسان الذي يتوجه اليها فقال:

١ ـ (ما كان الله ليفتح على عبد باب الشكر ويغلق عنه باب الزيادة)؛ فإنّ الزيادة تستلزم الشكر، قال تعالى:﴿لئن شكرتم لازيدنّكم ﴾.[٣]

٢ ـ (ولا ليفتح على عبد الدعاء ويغلق عنه باب الإجابة)، فقد قال تعالى:﴿ادعوني استجب لكم﴾.[٤]

٣ ـ(ولا ليفتح لعبد باب التوبة ويغلق عنه باب المغفرة)، قال تعالى:﴿افلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم﴾.[٥]

فان ابواب الشكر والدعاء والتوبة مفتوحة للصلة المباشرة بين الإنسان وربّه للحصول على الزيادة والاستجابة والمغفرة.

(ح ـ ٤٣٦) الاولى بالكرم:

(الكرم: الجود، والمعرفة: الادراك والعلم).

ان الذي بواسطته يعرف جماعة الكرام اولى بأن يقوم بالكرم بنفسه، فيقدم على غيره؛ فإنّ الدليل على الشئ اولى بالعمل بما يدل عليه من غيره الذي لا يكون دليلا، والظاهر من المعرفة الصحبة؛ فإنّ الناس عادة يعرفون الصاحب بالصاحب، فالذي عُرِفت بسببه جماعة الكرام يكون اولى الناس بالجود من الذي لا يعرف بسببه، والله العالم.

---

(١) في هـ. ص: قال تعالىٰ: ﴿أُدعوني أستجب لكم﴾.
(٢) في د: وقال عليه السلام: أولى الناس بالكرم من عرقت فيه الكرام. في هـ. د: هذه الحكمة ساقطة من ش.
(٣) ابراهيم : ٧.
(٤) غافر : ٦٠.
(٥) المائدة : ٧٤.

[٤٣٧]

وَسُئِل مِنه عَلَيْهِ السَّلَامُ: أيُّما أَفْضَلُ: العَدْلُ[١] أَو الجُودُ؟ فَقَالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ[٢]: الْعَدْلُ يَضَعُ الأُمُورَ مَواضِعَها، والْجُودُ يُخْرِجُها مِنْ[٣] جِهَتِهَا[٤]، والْعَدْلُ سائِسٌ عامٌّ، وَٱلْجُودُ عارِضٌ خاصٌّ، فالْعَدْلُ[٥] أَشْرَفُهُما وأَفْضَلُهُما.

(ح - ٤٣٧) العدل والجود:

(العدل: الاستقامة، والجود: السخاء).

يقوم الإمام في التفضيل بين العدل والجود بمقياس اثرهما في المجتمع، فيذكر اولاً آثارهما، ثم دائرة شمول الآثار، ويستنتج من ذلك الافضلية.

أوّلاً: عن اثارهما قال:

(العدل يضع الأمور مواضعها)؛ لأنّ الاصل هو الاستقامة في امور الحياة كلها؛ فإنّ عدالة كلّ شيئ يتقدر بقدره، فالعدالة في مطلوبة في كل شؤون الحياة.

(والجود يخرجها من جهتها)؛ فإنّ السخاء بذل المال المخزون، فهو اخراج له من الجهة التي احتفظ فيها.

ثانياً: عن دائرة شمول الآثار، قال:

(والعدل سائس عام) والسياسة: العناية وتولي شؤون الشيئ بالادارة؛ فإنّ العدل يشمل دائرة أوسع من امور الحياة كلها، من الفرد والاسرة والمجتمع في القيادة والاقتصاد والاجتماع والسياسية وغيرها.

(والجود عارض خاص) يختص بخصوص المال المبذول هبة.

ثالثاً: وعن نتيجة التفضيل بهما قال:

---

(١) في هـ. ص: المراد بالعدل هنا: العدل في العطاء، وهو الذي ذكره الله سبحانه في قوله: ﴿لاتجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسورا﴾ وفي قوله: ﴿والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما﴾ ونحوهما.
(٢) لم ترد عليه السلام في ط.
(٣) في أ و ب: عن، وفي هـ. د: من ـ ض ح ب.
(٤) في هـ. ص: في نسخة: جهاتها.
(٥) في ب: والعدل.

(فالعدل أشرفهما وأفضلهما) باعتبار أشملية دائرة العدل وضيق دائرة الجود، فيكون الاكثر فائدة والاعم عائدة افضل من غيره.

[٤٣٨]

وقال عليه السَّلام:

الناس أعداء ما جَهِلوا.

(ح ـ ٤٣٨) الناس:

تكررت هذه الحكمة هنا وفي الرقم ١٧١، فراجع، ولا يعلم السبب بالضبط في هذا التكرار سوى كون الانسان معرض للسهو والنسيان إلّا من عصمه الرحمن، والله المستعان.

[٤٣٩]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

الزُّهْدُ كُلُّهُ بَيْنَ كَلِمَتَيْنِ مِنَ ٱلْقُرْآنِ: قَالَ ٱللّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَافَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾[١]، وَمَنْ[٢] لَمْ يَأْسَ[٣] عَلَى المَاضِي وَلَمْ يَفْرَحْ بالآتِي فَقَدْ أَخَذَ الزُّهْدَ بِطَرَفَيْهِ.

(ح ـ ٤٣٩) طرفا الزهد:

الزهد ـ لغةً ـ الرغبة عن الشيء، وقد أشار الإمام إلى أن حقيقة الزهد هو الرضا بالحاضر من دون رغبة فيه أو رغبة عنه خاصة، بل القناعة بما قسم الله للانسان فقال:

١ ـ (الزهد كلّه بين كلمتين من القرآن) التي تحتويها الآية الكريمة من سورة الحديد: ٢٣ حيث قال تعالى: ﴿لكيلا تأسوا على ما فاتكم﴾[٤] فعدم الاسى على ما فات هو الحد

---

(١) الحديد ٥٧: ٢٣.
(٢) في أ و ب: فمن.
(٣) في هـ. ب: يحزن.
(٤) الحديد: ٢٣.

الأوّل للزهد .

﴿ولا تفرحوا بما آتاكم﴾[1] والحد الثاني للزهد هو عدم الفرح بما اتى، والزهد الحقيقي هي ما بين الحدين وهو الرضا قضي.

٢ ـ (ومن لم يأس على الماضي ولم يفرح بالآتي فقد أخذ الزهد بطرفيه) من الحدين الاول والأخير، ولا يكون ذلك إلّا بالقناعة بالحاضر مع قطع النظر عن الماضي أو المستقبل.

[٤٤٠]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

مَا أَنْقَضَ النَّوْمَ لِعَزَائِمِ ٱلْيَوْمِ!

(ح ـ ٤٤٠) **النوم:**

(العزيمة: النيّة القاطعة، والنوم: الرقاد الغالب على الحواس).

فان العزيمة اذا تأخرت عن وقت العزم تأثرت بعوامل خارجة عن إرادة الإنسان، سواءً الامور الطبيعيّة أو النسبية، ومن اهمها نقضا للعزم هو النوم؛ فإنّ النائم بنومه يخلد إلى الراحة ويتعود عليها لفترة قليلة من الزمن فينقص بنفس الدرجة من عزمه وارادته حتّى يفيق ويستعيد ارادته من جديد.

[٤٤١]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

ٱلْوِلَايَاتُ مَضَامِيرُ الرِّجَالِ .

(ح ـ ٤٤١) **مسابقة الولايات:**

(الولاية: الامارة والسلطنة، والمضمار: الموقع الذي تضمر فيه الخيل لاعدادها للمسابقة).

---

(١) الحديد : ٢٣ .

فان الامارة من المناصب التي يتسابق اليها اصحابها كما يتسابق الفرسان في ساحة مسابقة الخيل، فيحاول كلّ واحد منهم أن يصبح رئيسا متقلدا لاسم الولاية، فتكون الولايات ساحات المسابقة بينهم.

وهي في نفس الوقت ساحات امتحان؛ فإنّ الوالى بتقلده الولاية يصبح مسؤولا عن عامة الشعب بمختلف الطبقات من ناحية، وعن تطبيق حكم القرآن في الحياة والدفاع عن الوطن من ناحية اخرى، وهي مسؤوليات كبار، وبها تظهر حقيقة التزام الوالي بالمبادي والوسائل والاهداف الاسلاميّة أو الانحراف عنها، وما اعظمها من امتحان.

[٤٤٢]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

لَيْسَ بَلَدٌ بأَحَقَّ بِكَ[١] مِنْ بَلَدٍ، خَيْرُ ٱلْبِلَادِ مَا حَمَلَكَ.

(ح ـ ٤٤٢) خير البلاد:

كل انسان يحن إلى وطنه ومسقط رأسه؛ لأنّه محل أنسه، ولكن حينما تحل الاسباب التي توجب الجلاء عن الوطن للابتلاء بانواع المحن، فلا يكون البقاء في الوطن انساً بل للانسان ولغيره بؤساً، فلا يكون للانسان خيار سوى الجلاء، والامتحان بانواع الابتلاء عملا بقوله تعالى:﴿الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها﴾.[٢] فليس بلد بأحق لك من بلد وان كان لك به مال وولد، وتربيت فيه اباً عن جد؛ فإنّ خير البلاد ما حملك، وليس عن حقد اهملك، أو عن ظلم خنقك، وحاول أن يقتلك، ولكن لم يقدر ذلك لك.

[٤٤٣]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ وقَدْ جاءَهُ نَعْيُ الأَشْتَرِ رَحِمَهُ اللّهُ[٣]:

---

(١) في هـ. د: لم ترد «بك» في ب.
(٢) النساء: ٩٧.
(٣) في أ: رحمة الله عليه.

مالِكٌ، ومالِكٌ؟ واللّهِ[١] لَوْ كانَ جَبَلاً لَكانَ فِنْداً، أوْ[٢] كانَ حَجَراً لَكانَ صَلْداً[٣]؛ لايَرْتَقِيهِ الحافِرُ، ولا يُوفِي عَلَيْهِ الطَّائِرُ[٤].

وقالَ الرَّضيّ رحمهُ الله تعالىٰ[٥]: وَالْفِنْدُ: المُنْفَرِدُ مِنَ الْجِبالِ.

(ح ـ ٤٤٣) نعي الاشتر:

(الصلد: الصلب، والحافر: قدم الدابة، والرقي: الصعود، والوفاء: العلو).

تتضمن الحكمة نقاط في النعي غاية في الوصف، فقال مؤكدا:

١ ـ (مالك وما مالك!) متعجبا من فقد شخصية واعية للمبادئ.

٢ ـ (لو كان جبلا لكان فندا)؛ فإنّ الجبال تختلف طولا وعرضا باختلاف المناطق، ولكنها تتصل بعضها ببعض وتشكل سلسلة من الجبال كالخطوط المتصلة، كجبال همالايا وجبال الجزيرة العربية، ولكن مالك كان فنداً منفرداً عن غيره في الخصائص.

٣ ـ(ولو كان حجرا لكان صلداً) لصلابته في المبادي التي قام عليها عن رؤية واضحة.

٤ ـ (لا يرتقيه الحافر)؛ فإنّ الفارس لا يمكن أن يصل إلى موضع هذا الجبل بالوسائل التقليدية السريعة كالخيل.

٥ ـ (ولا يوفي عليه الطائر)؛ فإنّ مالك شبه قمة الجبل التي لا يصل اليها الطائر مهما علا في طيرانه.

وهذه الصفات الخمس في النعي تعبر عن معرفة شخصية لا تدانيها معرفة اي انسان آخر.

قال ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في شرح نهج البلاغة، ما نصّه:«يقال: إن الرضي ختم كتاب نهج البلاغة بهذا الفصل، وكتبت به نسخ متعددة ثم زاد عليه إلى أن وفى الزيادات التي نذكرها فيما بعد. وقد تقدم ذكر الأشتر، وإنما قال: لو كان جبلا لكان فندا لان الفند قطعة الجبل طولا، وليس الفند القطعة من الجبل كيفما كانت، ولذلك قال: لا

---

(١) في هـ. د: لم ترد لفظة الجلالة في م ن ف.
(٢) في د: ولو.
(٣) عبارة «أو كان حجراً لكان صلداً» لم ترد في أ ب ص د.
(٤) في ب: الطير، وفي هـ. ب: الطائر صح.
(٥) لم ترد «وقال الرضي رحمه الله تعالىٰ» في أ و ب د.

يرتقيه الحافر، لان القطعة المأخوذة من الجبل طولا في دقة لا سبيل للحافر إلى صعودها، ولو أخذت عرضا لأمكن صعودها. ثم وصف تلك القطعة بالعلو العظيم، فقال: ولا يوفى عليه الطائر، أي لا يصعد عليه، يقال: أوفى فلان على الجبل: أشرف».[١]

[٤٤٤]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

قَلِيلٌ مَدُومٌ عَلَيهِ، خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ مَمْلُولٍ مِنْهُ.

(ح - ٤٤٤) الاستقامة:

الاستقامة في أي عمل شرط أساسي في نجاح ذلك العمل، قال تعالى:﴿استقم كما امرت﴾.[٢] ولا تتحقق الاستقامة إلّا بقلة الواجبات وتيسرها، فكلما زادت الواجبات وتعقدت أوجبت الملل في النفوس، ومن هذا المنطق يقول الإمام: ان القليل الذي يسديم ويستقيم الإنسان عليه بالامتثال له خير من الكثير الذي يوجب الملل؛ لأنّ الهدف من الواجبات هي الوعي والتركيز، فاذا فقدت الروح اصبحت عادات وتقاليد بالية لا تؤثر في الحياة شيئا.

[٤٤٥]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

إذاكَانَ في رَجُلٍ خَلَّةٌ[٣] رَائِعَةٌ[٤]، فانْتَظِرُوا[٥] مِنْهُ أَخَوَاتِهَا.

(ح - ٤٤٥) الخلة الرائقة:

(الخلة: الخصلة، والرائقة: المعجبة).

تشير الحكمة إلى أن للخصال منابع تسبب ظهور تلك الخصال في حياة الإنسان،

---

(١) شرح نهج البلاغة؛ ابن أبي الحديد ٢٠ : ٩٣.
(٢) الشورى : ١٥.
(٣) في هـ. د: الرجل خلّته.
(٤) في هـ. ص: أي يروع من اطلع عليها حسنها.
(٥) في أ ب ص: فانتظر.

وللتربية الاسلامية اعظم الاثر في ذلك، فاذا ظهرت خصلة من الخصال الكريمة في انسان فانه يكشف عن التربية التي نشأ عليها، التي هذه الخصلة نابعة منها، فلابد وان تظهر امثالها؛ لوحدة منبعها، فان العطف على الفقراء يكشف عن روح المؤاخاة التي تلازم العطف على المظلومين ايضا، وهكذا.

[٤٤٦]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ لِغَالِبِ بْنِ صَعْصَعَةَ أبي الفَرَزْدَق في كَلامٍ دارَ بَيْنَهُما: ما فَعَلَتْ إِبِلُكَ ٱلْكَثِيرَةُ؟ قالَ: ذَعْذَعَتْها[1] الحُقُوقُ يا أميرَ المؤْمنينَ.

فقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ: ذَلِكَ أَحْمَدُ سُبُلِها.

(ح - ٤٤٦) احمد السبل:

الكثرة في المال وان كان مظهرا من مظاهر الكمال عند عباد المال، ولكنها في نفس الوقف مشغلة في ادارتها بما يعجز الإنسان، فيكون امام طرق متعددة وسبل مختلفة لابدّ وان يختار بعضها على الآخر لراحة نفسه، وأسوأ السبل اهمالها من دون ادارة، وأشقها اتعاب النفس في سبيلها.

وقد اشار الإمام بأحمدها فيما فعل غالب في ابله الكثيرة بقوله: (ذعذعتها الحقوق) والذعذعة: التفريق.

يعني انّه استراح من الابل باعطائها في سبيل الحقوق الشرعية، فقال عليه السلام: (ذلك أحمد سبلها)؛ لأنّ في ذلك استراحة من هم اداراتها في الدنيا وضمان لثواب الآخرة.

قال الجلالي: وغالب هذا هو غالب بن صعصعة بن ناجية بن عقال بن محمّد بن سفيان بن مجاشع بن دارم التميمي.

وحيث أن ابنه فرزدق الشاعر توفي سنة ١١٠ وقد بلغ المئة عام، فيكون مولده حوالي العاشرة للهجرة، ولخص كحالة حفظه الله ترجمته بقوله: «همام الفرزدق (١١٠ هـ، ٧٢٨

---

(١) في هـ. ب: فرّقتها. في هـ. ص: ذعذَعَتْها ـ بالذال المعجمة مكرّرة ـ فرّقتْها، والمصدر: الذعذعة.

م) [١] همام بن غالب بن صعصعة بن ناجية ابن عقال بن محمّد بن سفيان بن مجاشع بن دارم التميمي ، المعروف بالفرزدق[٢] أبو فراس ، شاعر ، من أهل البصرة عظيم الأثر في اللغة والاخبار ، كان شريفا في قومه ، عزيز الجانب ، وكان لا ينشد بين يدي الخلفاء والامراء إلّا قاعدا ، وأراد سليمان بن عبد الملك ان يقيمه فثارت طائفة من تميم ، فاذن له بالجلوس ، وتوفي في البصرة [٣] وقد قارب المئة [٤]. من آثاره : ديوان شعر».[٥]

[٤٤٧]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

مَنِ ٱتَّجَرَ بِغَيْرِ فِقْهٍ فَقَدِ ٱرْتَطَمَ في الرِّبا .

(ح ـ ٤٤٧) الارتطام في الربا:

الارتطام: الوقوع في شئ لا يمكن الخلاص منه؛ فإنّ التجارة بدون معرفة قوانينها واصولها قد توجب الخسارة لرأس المال واصله، كمن يتّجر بشئ من دون رعاية قانون العرض والطلب، فيجلب للتجارة ما عنه الناس تهرب.

ان الربا في الاسلام من اعظم المحرمات الاقتصاديّة، فقد اوعد الله عليه بوصف لم يصفه في أي محرم اخر، حيث قال: ﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱتَّقُوا ٱللهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَا إِن كُنْتُم مُؤْمِنِينَ ❁؛ فإنّ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ ٱللهِ وَرَسُولِهِ﴾.[٦]

فلابد من الاعراض الكامل عن الربا، ومن يقوم بالتجارة من غير علم يقع في مشاكل الربا التي لا يمكن الخلاص منها.

---

(١) وفي رواية : ١١١ ، وقيل : ١١٢ ، وقيل: ١١٤ هـ.
(٢) لقب بالفرزدق لجهامة وجهه وغلظه .
(٣) وفيات الأعيان ، وفي الأعلام للزركلي : في بادية البصرة .
(٤) وفي رواية : انه بلغ ١٣٠ سنة .
(٥) معجم المؤلفين ؛ لعمر كحالة ١٣ : ١٥٢.
(٦) البقرة: ٢٧٩.

[٤٤٨]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

مَنْ عظَّمَ صِغارَ ٱلْمَصائِبِ ابْتَلَاهُ اللّهُ بِكِبارِها .

(ح ـ ٤٤٨) درجات المصائب:

للصعوبة في الحياة درجات، ومن واجه امراً صعبا بروح الصبر والحكمة وبدرس الجوانب المتعددة منها يتغلب عليها، واما من لم يصبر ويعظم المصيبة الصغيرة فهو يبتلي باعظم من تلك، حيث أن المصية الصغيرة يصحب الجزع فتكون المصيبة اكبر من المصيبة الصغيرة وحدها، ومن تعود على تعظيم المصيبة لا يرى أي شئ في الحياة إلّا من زاوية الجانب السلبي له، فلا تنحصر المصيبات الواردة عليه، فيكون مبتلى بكبار المصائب، بخلاف من هون المصائب، فإنّه ينظر إلى جوانب الايجابية في الاشياء فتهون عليه المصيبة.

[٤٤٩]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

مَنْ كَرُمَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ، هانَتْ عَلَيْهِ شَهَوَاتُهُ (١).

(ح ـ ٤٤٩) مقياس الكرامة:

تحدد الحكمة أن مقياس الكرامة عزّة النفس؛ فإنّ الكريم انما يجود على الآخرين لاستغنائه عما في يده وحاجة الآخرين إليه، وبهذا الموقف يعارض شهوات النفس الداعية إلى البخل. وبنفس المقياس يقاس كلّ الشهوات؛ فإنّ من يعز عليه شرفه يمتنع من أن يقوم بالاعمال الواطئة في سبيل المال مهما ضاقت به الحال؛ لكرامة نفسه، فان الكرامة والشهوة على طرفي النقيض، ففي قوة احدهما ضعف الآخر بنفس النسبة.

---

(١) في د : شهواته.

[٤٥٠]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

ما مَزَحَ امْرُؤٌ[١] مَزْحَةً، إلّا مَجَّ[٢] مِنْ عَقْلِهِ مَجَّةً .

(ح ـ ٤٥٠) طبيعة المزاح:

المزح: الهزل بالكلام من قصد وجد، وحيث ان طبيعة الكلام الافادة بكل كلمة فيه؛ لدلالتها على المعنى المستفاد منه عادة، فيكون المزح كلاما خارجا عن المتعارف عند العقلاء في المحاورات، والمازح يكون خارجا عن النظام، ويشبهه من مج الماء من فيه، وهو اخراجه للاستغناء عنه، وكذلك يكون العقل قد مج الكلام الذي أطلقه للمزاح خارجا عن المتعارف عليه عند العقلاء.

[٤٥١]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

زُهْدُكَ في رَاغِبٍ فِيكَ نُقْصَانُ حَظٍّ[٣]، ورَغْبَتُك في زاهِدٍ فِيك ذُلُّ نَفْسٍ .

(ح ـ ٤٥١) مقياس الصداقة:

الزهد في هذه الحكمة بمعنى عدم الرغبة؛ فإنّ عدم الرغبة ممّن هو راغب فيك يستلزم خسران من يمد اليك يد الصداقة، وذلك عين نقصان الحظ والسعادة؛ فإنّ الحياة انما تسعد بكثرة الاعوان والاصدقاء، كما أن الرغبة فيمن لا يرغب فيك ذلة للنفس لمن يمتنع، فمن مد يد الصداقة اليك ولم يكتشف الرغبة منك فيه إلّا من ذلة النفس، وتحدد الحكمة مقياس الصداقة أن تكون الرغبة من الجانبين، وبه الحظ والسعادة في الحياة، وبدرجة اختلال هذا المقياس تتفاوت الحظوظ.

---

(١) في د: رجل، وفي هـ. د: امرى ـ ش ص ح ب ل.

(٢) في هـ. ب: رمىٰ.

(٣) في هـ. ص: أي لك، أي إنّك تفوّت إخاء من صدق في مؤاخاتك إن كان مثلاً لك، وإن كان أعلى منك فوّتّ تعظيم من عظّمك بمقاربته، فما ذاك إلّا لعدم بحثك ونقصان حظّك من منافعك.

[٤٥٢]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

الْغِنَى والْفَقْرُ بَعْدَ الْعَرْضِ عَلَى اللّهِ.

(ح - ٤٥٢) الغنى الحقيقي :

تشير الحكمة إلى أن الغني والفقير الحقيقيّ ليس بمقياس الحياة المادية في الدنيا، فكم من غني افتقر بالافلاس؟ وكم من حاكم ذل بالثورة عليه؟ وكم صاحب كبرياء سجن بانواع الاتهامات حقا أو باطلا؟ فالمقياس الحقيقيّ للفقر والغنى انما هو في دار لا تتغير فيه الاحوال وتكون الحالة دائمة خالدة، وهي يوم القيامة حيث يكون الغني والفقر حقيقة دائمة.

[٤٥٣]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

ما زَالَ الزُّبَيْرُ رَجُلاً منّا أَهْلَ البَيْتِ حَتَّى نشأ ٱبْنُهُ المَشْئُومُ عبد اللّهِ[١].

(ح - ٤٥٣) الزبير بن العوام:

ان مواقف الزبير بن العوام (ت ٣٦) بعد وفاة الرسول ﷺ مباشرة كانت منسجمة مع مواقف اهل البيت، فقد قال ابن قتيبة الدينوري (ت /٢٧٦) في الإمامة والسياسة في باب تخلف سعد عن البيعة، ما نصّه:«وإن بني هاشم اجتمعت عند بيعة الأنصار إلى علي ابن أبي طالب، ومعهم الزبير بن العوام ﵁ ، وكانت أمه صفية بنت عبد المطلب، وإنما كان يعد نفسه من بني هاشم ، وكان علي كرم الله وجهه يقول : ما زال الزبير منا حتى نشأ بنوه ، فصرفوه عنا ، واجتمعت بنو أُميّة إلى عثمان ، واجتمعت بنو زهرة إلى سعد وعبد الرحمن بن عوف ، فكانوا في المسجد الشريف مجتمعين ، فلما أقبل عليهم أبو بكر وأبو عبيد وقد بايع الناس أبا بكر قال لهم عمر : ما لي أراكم مجتمعين حلقا شتى [٢] ، قوموا فبايعوا أبا بكر

---

(١) هذه الحكمة لم ترد في أ و ب في هذا الموضع، وفي هـ. ص: بعد ذكر الحكمة التالية مايلي: هاتان الكلمتان مقدّمتان في نسخة الشرح . وفي هـ. د: هذه الحكمة ساقطة من ش.

(٢) حلق : جمع حلقة وهو القوم المجتمعون المستديرون في اجتماعهم كالحلقة .

، فقد بايعته وبايعه الأنصار ، فقام عثمان بن عفان ومن معه من بني أُميّة فبايعوه ، وقام سعد وعبد الرحمن بن عوف ومن معهما من بني زهرة فبايعوا . وأما علي والعباس بن عبد المطلب ومن معهما من بني هاشم فانصرفوا إلى رحالهم ومعهم الزبير بن العوام ، فذهب إليهم عمر في عصابة فيهم أسيد بن حضير وسلمة بن أسلم ، فقالوا : انطلقوا فبايعوا أبا بكر ، فأبوا ، فخرج الزبير بن العوام رضي الله عنه بالسيف ، فقال عمر رض : عليكم بالرجل فخذوه فوثب عليه سلمة بن أسلم ، فأخذ السيف من يده ، فضرب به الجدار ، وانطلقوا به فبايع وذهب بنو هاشم أيضا فبايعوا ».[1]

وقال ابن الأثير في أسد الغابة ما نصّه:« ب د ع ، الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة ابن كعب بن لؤي القرشي الأسدي يكنى أبا عبد الله أمه صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وآله فهو ابن عمة رسول الله وابن أخي خديجة بنت خويلد زوج النبي وكانت أمه تكنيه أبا الطاهر بكنية أخيها الزبير بن عبد المطلب واكتنى هو بأبي عبد الله بابنه عبد الله فغلبت عليه وأسلم وهو ابن خمس عشرة سنة قاله هشام بن عروة، وقال عروة: أسلم الزبير وهو ابن اثنتي عشرة سنة، رواه أبو الأسود عن عروة .

وروى هشام بن عروة عن أبيه أن الزبير أسلم وهو ابن ست عشرة سنة وقيل: أسلم وهو ابن ثماني سنين وكان اسلامه بعد أبي بكر رض بيسير كان رابعا أو خامسا في الاسلام وهاجر إلى الحبشة والى المدينة وآخى رسول الله بينه وبين عبد الله بن مسعود لما آخى بين المهاجرين بمكة فلما قدم المدينة وآخى رسول الله بين المهاجرين والأنصار آخى بينه وبين سلمة بن سلامة بن وقش أخبرنا أبو ياسر عبد الوهاب بن أبي حبة باسناده إلى عبد الله بن أحمد قال: حدثني أبي أخبرنا زكرياء بن عدي أخبرنا علي بن مسهر عن هشام بن عروة عن أبيه عن مروان ولا أخا له يتهم علينا قال: أصاب عثمان الرعاف سنة الرعاف حتى تخلف عن الحج وأوصى فدخل عليه رجل من قريش فقال: استخلف قال: وقالوه قال: نعم قال: من هو قال: فسكت ثم دخل عليه رجل آخر فقال مثل ما قال

(١) الامامة والسياسة ؛ لابن قتيبة الدينوري ، تحقيق الزيني ١ : ١٧ – ١٨.

الأول ورد عليه نحو ذلك قال: فقال عثمان الزبير بن العوام قال: نعم قال: أما والذي نفسي بيده ان كان لأخيرهم ما علمت وأحبهم إلى رسول الله ﷺ أخبرنا أبو الفداء إسماعيل بن عبيد الله وغير واحد باسنادهم إلى أبي عيسى محمّد بن عيسى بن سورة قال: حدثنا هناد أخبرنا عبدة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن الزبير عن الزبير قال: جمع لي رسول الله ﷺ أبويه يوم قريظة فقال: بأبي وأمي قال: وأخبرنا أبو عيسى أخبرنا أحمد بن منيع أخبرنا معاوية بن عمرو أخبرنا زائدة عن عاصم عن زر عن علي بن أبي طالب ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ ان لكل نبي حواريا وحواري الزبير بن العوام. وروى عن جابر نحوه.

وقال أبو نعيم قاله رسول الله ﷺ يوم الأحزاب لما قال: من يأتينا بخبر القوم قال الزبير: أنا، قالها ثلاثا والزبير يقول: أنا، قال: وأخبرنا أبو عيسى أخبرنا قتيبة أخبرنا حماد بن زيد عن صخر بن جويرية عن هشام بن عروة قال: أوصى الزبير إلى ابنه عبد الله صبيحة الجمل فقال: ما منى عضو إلّا قد جرح مع رسول الله ﷺ حتى انتهى ذلك إلى فرجه وكان الزبير أول من سل سيفا في الله عز وجل وكان سبب ذلك أن المسلمين لما كانوا مع النبي ﷺ بمكة وقع الخبر أن النبي ﷺ قد أخذه الكفار فأقبل الزبير يشق الناس بسيفه والنبي ﷺ بأعلى مكة فقال له مالك يا زبير قال: أخبرت أنك أخذت فصلى عليه النبيودعا له ولسيفه وسمع ابن عمر رجلا يقول أنا ابن الحوارى قال: إن كنت ابن الزبير والا فلا وشهد الزبير بدرا وكان عليه عمامة صفراء معتجرا بها فيقال: ان الملائكة نزلت يومئذ على سيما الزبير وشهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ أحدا والخندق والحديبية وخيبر والفتح وحنينا والطائف وشهد فتح مصر وجعله عمر بن الخطاب رض في الستة أصحاب الشورى الذين ذكرهم للخلافة بعده وقال: هم الذين توفى رسول الله ﷺ وهو عنهم راض وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنّة أخبرنا أبو البركات الحسن بن محمّد بن الحسن بن هبة الله الدمشقي قال: أخبرنا أبو العشائر محمّد بن خليل بن فارس القيسي أخبرنا أبو القاسم علي بن محمّد بن علي المصيصي أخبرنا أبو محمّد عبد الرحمن بن عثمان بن القاسم بن أبي نصر أخبرنا أبو خيثمة خيثمة بن سليمان بن حيدرة أخبرنا أبو قلابة عبد الملك بن محمّد الرقاشي أخبرنا محمّد بن الصباح أخبرنا إسماعيل بن زكرياء عن النضر

أبي عمر الجزاز عن عكرمة عن ابن عباس ان رسول الله ﷺ لما انتفض حرا قال: أسكن حرا فما عليك إلّا نبي وصديق وشهيد وكان عليه النبي ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير وعبد الرحمن وسعد وسعيد بن زيد أخبرنا عبد الوهاب بن هبة الله بن عبد الوهاب باسناده عن عبد الله بن أحمد حدثني أبي أخبرنا سفيان عن محمّد بن عمرو بن علقمة عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب عن عبد الله ابن الزبير بن العوام عن أبيه قال: لما نزلت ثم لتسألن يومئذ عن النعيم قال الزبير يا رسول الله وأي النعيم نسأل عنه وانما هما الأسودان التمر والماء قال: أما انه سيكون قيل: كان للزبير ألف مملوك يؤدون إليه الخراج فما يدخل إلى بيته منها درهما واحدا وكان يتصدق بذلك كله ومدحه حسان ففضله على الجميع فقال:

أقام على عهد النبي وهديه ... حواريه والقول بالفعل يعدل

أقام على منهاجه وطريقه ... يوالي ولى الحق والحق أعدل

هو الفارس المشهور والبطل الذي ... يصول إذا ما كان يوم محجل

وان امرأ كانت صفية أمه ... ومن أسد في بيته لمرفل

له من رسول الله قربى قريبة ... ومن نصرة الاسلام مجد مؤثل

فكم كربة ذب الزبير بسيفه ... عن المصطفى والله يعطي ويجزل

إذا كشفت عن ساقها الحرب حشها ... بأبيض سباق إلى الموت يرفل

فما مثله فيهم ولا كان قبله ... وليس يكون الدهر ما دام يذبل

وقال هشام بن عروة: أوصى إلى الزبير سبعة من أصحاب النبي ﷺ منهم عثمان وعبد الرحمن بن عوف والمقداد وابن مسعود وغيرهم وكان يحفظ على أولادهم مالهم وينفق عليهم من ماله وشهد الزبير الجمل مقاتلا لعلى فناداه على ودعاه فانفرد به وقال له أتذكر إذ كنت أنا وأنت مع رسول الله ﷺ فنظر إلى وضحك وضحكت فقلت أنت لا يدع ابن أبي طالب زهوه فقال: ليس بمزه ولتقاتلنه وأنت له ظالم فذكر الزبير ذلك فانصرف عن القتال فنزل بوادي السباع وقام يصلى فأتاه ابن جرموز فقتله وجاء بسيفه إلى على فقال: إن هذا سيف طالما فرج الكرب عن رسول الله ﷺ ثم قال: بشر قاتل ابن صفية بالنار وكان قتله يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الأولى من سنة ست وثلاثين وقيل: إن ابن جرموز

استأذن على على فلم يأذن له وقال للآذن بشره بالنار فقال:

أتيت عليا برأس الزبير	أرجو لديه به الزلفه
فبشر بالنار إذ جئته	فبئس البشارة والتحفه
وسيان عندي قتل الزبير	وضرطة عنز بذي الجحفة

وقيل: إن الزبير لما فارق الحرب وبلغ سفوان أتى انسان إلى الأحنف بن قيس فقال: هذا الزبير قد لقى بسفوان فقال الأحنف ما شاء الله كان قد جمع بين المسلمين حتى ضرب بعضهم حواجب بعض بالسيوف ثم يلحق ببيته وأهله فسمعه ابن جرموز وفضالة بن حابس ونفيع بن غواة من تميم فركبوا فأتاه ابن جرموز من خلفه فطعنه طعنة خفيفة وحمل عليه الزبير وهو على فرس له يقال له ذو الخمار حتى إذا ظن أنه قاتله نادى صاحبيه فحملوا عليه فقتلوه وكان عمره لما قتل سبعا وستين سنة وقيل: ستا وستين وكان أسمر ربعة معتدل اللحم خفيف اللحية وكثير من الناس يقولون ان ابن جرموز قتل نفسه لما قال له على بشر قاتل ابن صفية بالنار وليس كذلك وانما عاش بعد ذلك حتى ولى معصب بن الزبير البصرة فاختفى ابن جرموز فقال: مصعب ليخرج فهو آمن أيظن أنى أقيده بأبي عبد الله يعنى أباه الزبير ليسا سواء فظهرت المعجزة بأنه من أهل النار لأنه قتل الزبير ﵁ وقد فارق المعركة وهذه معجزة ظاهرة أخرجه الثلاثة».[١]

[٤٥٤]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

ما لابْنِ آدَمَ والْفَخْرِ؛ أَوَّلُهُ نُطْفَةٌ، وآخِرُهُ جِيفَةٌ { لا يَرْزُقُ نَفْسَهُ، ولا يَدْفَعُ حَتْفَهُ][٢] .

(ح - ٤٥٤) لماذا الفخر؟

الفخر: التباهي بالخصال من النسب والحسب، ويشير الإمام﵇ إلى أن الخصال التي يتباهى بها الانسان خارجة عن الإنسان نفسه ليس له على تغييرها قدرة شخصية، فانما يجب أن يكون الفخر بامور خاصة بالمفتخر نفسه، وكلّ انسان يجد في شخصه نقاط تدل

---

(١) أسد الغابة؛ لابن الأثير ٢ : ١٩٦ - ١٩٩.

(٢) لم ترد «لا يرزق نفسه ولا يدفع حتفه» في ص.

على عجزه الكامل فلماذا اذا الفخر؟ وقد عد منها قوله:

١ ـ (ما لابن آدم والفخر ، أوله نطفة)؛ فإنّ مبدأ خلق اي انسان نطفةى منتنة قذرة يتجنبه اي انسان في حياته استنكافا.

(وآخره جيفة) وبعد الحياة في الدنيا يصبح جثة هامدة تنتهي إلى جيفة لابد من التخلص منها.

(لا يرزق نفسه) فلابد لكل انسان ـ كسائر الحيوانات ـ من السعي للرزق الذي به يتقوت للاستمرار في الحياة.

٤ ـ (ولا يدفع حتفه) وهو الموت، فلا قدرة لاحد من القضاء على الموت الذي لا يرحم احداً.

اذا لماذا الفخر؟ مادام الإنسان عاجزاً عن تأمين حياته؟

[٤٥٥]

وسُئِلَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ[١] عَنْ أَشْعَرِ الشُّعرَاءِ؟، فقال عَلَيْهِ السَّلامُ[٢]:

إِنَّ ٱلْقَوْمَ لَمْ يَجْرُوا فِي حَلْبَةٍ[٣] تُعْرَفُ الْغايَةُ عِنْدَ قَصَبَتِها[٤]، فإِنْ كَانَ ولابُدَّ فالمَلِكُ الضِّلِّيلُ .

قال[٥]: يُرِيدُ[٦] ٱمْرَىء الْقَيْس[٧] .

(ح ـ ٤٥٥) اشعر الشعراء:

يشير الإمام إلى مقياس التفاضل في اي شئ ـ ومنه الشعر ـ والسؤال عمن هو اشعر الشعراء يفتقر الى تحليل وتفريق بين المادّة والاسلوب، وعن المادة قال:

---

(١) لم ترد «عليه السلام» في ط.
(٢) لم ترد «عليه السلام» في أ ب ص د.
(٣) في هـ . ب: ميدان.
(٤) في هـ . ب: أي منتهاها.
(٥) لم ترد «قال» في أ و ص د.
(٦) في ب: يعني.
(٧) في د: وقال عليه السلام:منهومان لا يشبعان: طالب علم وطالب دنيا. وفي هـ . د: هذه الحكمة ساقطة من ش، ووردت في د بعدها الحكمة ٤٤١ الآتية.

أوّلاً: ـ (إن القوم لم يجروا في حلبة تعرف الغاية عند قصبتها) والحلبة: القطعة من الخيل المعدة للمسابقة، والغاية: الراية والقصبة: الهدف.

فان التفاضل بين الشعراء من حيث المادّة يستلزم وحدة الموضوع في اشعارهم، ثمّ مقايسة بعضها الى البعض لمعرفة افضل المواد المستخدمة في الشعر.

وهذا يتوقف على دراسة المواد الشعرية ومقارنتها ، والمفروض أن الشعراء كثرٌ، وكل واحد له اشعار في مواد مختلفة فلا يمكن الحكم عليها من جهة المادة.

وعن الاسلوب قال:

ثانياً: (فإن كان ولا بد فالملك الضليل) وهو امرئ القيس، الذي كان ملكا وضالا، عاش في الجهاهلية وكان من الضالين.

فان اسلوبه الشعري في بيان الشعور العاطفي كان سائداً ومفضلا عند العرب، فكانت معلقته اللامية أولى المعلقات واشهرها، ويحفظها عشاق الادب حتّى في عصرنا الحاضر.

وذكر الاستاذ فؤاد سيد مخطوطة تعنى بدراسة شعر امرئ القيس، لعل الله يسهل الوقوف عليها، قال حفظه الله ما نصه:«موائد الحيس في فوائد امرئ القيس، تأليف نجم الدين سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم الظوقسى البغدادي، المتوفى ٧١٦، جعله على خمسة أبواب: ١ – في متشابه كلامه بعضه ببعض. ٢ – متشابه شعره بشعر غيره. ٣ – سبب اشتباه كلامه بعضه ببعض. ٤ – محاسن تشبيهاته واستعاراته وأمثاله. ٥ – فوائد من كلامه. نسخة كتبت في القرن التاسع في المكتبة العمومية ٥٦٠١ / ٢٧ ورقة / حجم صغير».

وقال عمر كحالة في معجم المؤلفين، ما نصه:«امرؤ القيس (٨٠ – ١٣٠ – هـ ٤٩٧ ـ ٥٤٥ م) امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي من بني آكل المرار . شاعر يماني الأصل . ولد بنجد أو بمخلاف السكاسك باليمن ، واشتهر بلقبه ، واختلف النسابون في اسمه ، وكان أبوه ملك أسد وغطفان ، وامه أخت المهلهل الشاعر وعنه أخذ الشعر ، ثم ثار بنو أسد على أبيه فقتلوه وثأر لأبيه من بني أسد وقال في ذلك شعرا كثيرا ، وكانت حكومة فارس ساخطة على بني آكل المرار ، فأوعزت إلى المنذر ملك العراق بطلب امرئ القيس ، فطلبه فابتعد وانتهى إلى السموأل فأجاره ، ثم رأى أن يستعين بالروم على الفرس فسار

إلى قيصر الروم يوستينياس في القسطنطينيّة ، فوعده ومطله ، ثم ولاه امرة فلسطين ، فرحل يريدها ، فوافاه اجله بأنقره ، وقد جمع بعض ما ينسب إليه من الشعر في ديوان صغير».[١]

[٤٥٦]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

أَلَا حُرٌّ يَدَعُ هَذِهِ اللَّمَاظَةَ[٢] لأَهْلِهَا ؟ إِنَّهُ لَيْسَ لِأَنْفُسِكُمْ ثَمَنٌ إِلَّا ٱلْجَنَّةَ ، فَلَا تَبِيعُوهَا إِلَّا بِهَا [٣] .

(ح ـ ٤٥٦) الدنيا لماظة:

اللماظة: بقية الطعام في الفم، والحكمة في الحث على الجهاد في حرب الاعداء في الصراع القائم بين الحكم الاسلامي بالشورى والحكم الملوكي بالوراثة، وطبيعة الحرب العقائدية تستدعي الحرية من المادة والماديات والخلوص في النيات لخالق الارض والسماوات، فحثهم بقوله:

(ألا حرّ يدع هذه اللماظة لأهلها) يعني: يترك طمع الدنيا لاهلها بالجهاد في سبيل الله .

(إنه ليس لأنفسكم ثمن إلّا الجنّة) التي وعد الله المؤمن بها .

(فلا تبيعوها إلّا بها)؛ فإنّ المقايضة بين المسلم لاجل الدنيا واهلها ببيع الانفس الى الذل والحرية يقتضي بيعها لما هو ثمنها وهو الجنّة.

[٤٥٧]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

مَنْهُومان لا يَشْبَعانِ؛ طالِبُ عِلْمٍ، وطالِبُ دُنْيا [٤] .

---

(١) معجم المؤلفين ؛ لعمر كحالة ٢ : ٣٢٠.

(٢) من ط، وفي ص، وفي هـ . ب: القليل: ومنه تلمظ الحية تخرج لسانها للّسع.

(٣) لم ترد هذه الحكمة في د في هذا الموضع.

(٤) لم ترد هذه الحكمة في أ و ب د في هذا الموضع، وورد في د قبل حكمتين، وفي هـ . د: هذه الحكمة ساقطة من ش.

(ح ـ ٤٥٧) منهومان لا يشبعان:

النهم: الرغبة المفرطة، وهذه حالة طائفتين في الحياة:

الاولى: (طالب علم)؛ فإنّ للعلم حلاوة لو تذوقها الإنسان فانه لا يتمكن من أن يتخلى عنها، فطالب العلم يبذل كلّ ما في طاقته من العمر والوقت والمال في سبيل تحصيل قليل العلم المفيد.

الثاني: (وطالب دنيا)؛ فإنّ من حلت له الدنيا من المال والجاه والدراسة وما شابه فانه يبذل كلّ شئ في طاقته للحصول عليها.

ولا يوقف احدى الطائفتين إلّا الموت، والله العاصم.

[٤٥٨]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

علامَةُ[١] الإيمَانِ أَنْ تُؤْثِرَ[٢] ٱلصِّدْقَ حَيْثُ يَضُرُّكَ، عَلَى الْكِذْبِ حَيْثُ يَنْفَعُكَ، وَأَلّا يَكُونَ في حَدِيثِكَ فَضْلٌ عَنْ عِلْمِكَ[٣]، وأَنْ تَتَّقِيَ ٱللّهَ في حَدِيثِ غَيْرِكَ[٤].

(ح ـ ٤٥٨) آثار الايمان:

تشير الحكمة إلى ثلاث آثار للايمان في الحياة بقوله:

أوّلاً: (الإيمان أن تؤثر الصدق حيث يضرك على الكذب حيث ينفعك)؛ فإنّ الاعتقاد لا يكون حقيقيّاً إلّا اذا تطابق معه العمل، ومن مظاهر الايمان ايثار الصدق على الكذب مع العلم بان الكذب يكون نافعا ماديا دون الصدق؛ فإنّ ذلك يكشف عن العمل بالمبدء وليس بالمنافع الشخصيّة.

ثانياً: (وأن لا يكون في حديثك فضل عن عملك) والفضل: الزيادة؛ فإنّ القول والعمل يجب ان يتطابقا، فاذا كان القول ازيد من العمل فهو في درجة الكذب ان لم يكن نفسه.

---

(١) في هـ. ب: لم ترد «علامة» في ب.

(٢) في هـ. ب: تختار.

(٣) في هـ. ص: أي لا تقول ما لا تعلم، وفي هـ. د: عملك ـ ب.

(٤) في هـ. ص: أي تنقله عنه على ما سمعته منه من غير زيادة ولا نقصان، وهذه الحكمة وردت في د قبل حكمتين.

ثالثاً: (وأن تتقي الله في حديث غيرك) بأن لا يكون الحديث المنقول عن الآخرين بزيادة مقصودة في تخريب متعمد أو تشويه في الصورة؛ فإنّ التقوى يستلزم الامانة في النقل والرواية.

فان هذه الآثار الثلاث تكشف عن الايمان، وفقدانها يكشف عن ضعفه أو فقدانه.

[٤٥٩]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

يَغْلِبُ المِقْدَارُ على التَّقْدِيرِ، حَتَّى تَكونَ الآفَةُ في التَّدْبيرِ.

قال[1]: وَقدْ مَضى هذَا المَعْنَى فِيما تَقَدَّمِ بروَايةٍ تُخالِفُ بَعضَ هذه الأَلْفاظَ.

(ح ـ ٤٥٩) **القضاء والقدر:**

قال الجلالي: تقدم في الحكمة ١٥ قوله:(تذل الامور للمقادير حتّى يكون الحتف في التدبير) والمراد من المقدار الذي قدّره الله، والتقدير: ما قدره الانسان؛ فإنّ تقدير الإنسان محكوم بتقديره تعالى، فاذا أراد الله شيئا كان، مهما حاول الإنسان من التخطيط والتدبير فلا يزيده كثرة التخطيط إلّا بعداً عن الصواب، فإنّه اذا جاء القدر عمي البصر.

[٤٦٠]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

الْحِلْمُ والأَناةُ تَوْأمَانِ، يُنْتِجُهُما عُلُوُّ الهِمَّةِ[2].

(ح ـ ٤٦٠) **علوّ الهمّة:**

للخصال الحميدة منابع تسمتد الخصال وجودها منها، ومن ذلك الحلم، وهو كف النفس، والاناة: وهو التأمّل، فانهما خصلتان متلازمتان كالتوأمين، وهما كالمولودين في ولادة واحدة، والسبب في هذا التلازم هو وحدة المنبع وهو علو الهمة؛ فإنّ علو الهمة

---

(١) لم ترد «قال» في أ ب ص د.

(٢) ورد في أ هنا ما يلي: وقال عليه السلام: «الغيبة جهد العاجز»، ووردت هذه الحكمة في ط بعد الحكمة التالية.

يقتضي بعد النظر في الامور، ولا يكون ذلك عند الغضب إلّا بالحلم والتأمّل في العواقب وضبط النفس، والله العاصم.

[٤٦١]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

الغيبة جهد العاجز.

(ح - ٤٦١) **الغيبة:**

الغيبة: ذكر المساوى للانسان انتقاصا له في غيبته، وقد حرمه الله باشد انواع التحريم، فقال تعالى:﴿ولا يغتب بعضكم بعضا ايحب احدكم أن يأكل لحم اخيه ميتاً فكرهمتوه﴾.[1]

وتشير الحكمة إلى أن الغيبة تعبّر عن نفسية الإنسان الذي يستغيب اكثر من المغتاب،؛ فإنّ الغيبة اتهام يتوقف اثباته على ادلة توجب ذلك، وربما يفتقر إلى اثبات، ويستغرق وقتا خارج وقت الغيبة، ولكن الغيبة في نفسها تكشف في الحال عجز المستغيب، وان هذه الصفة (جهد العاجز) فهي غاية ما يمكن أن يفعله ضد الشخص الغائب، وكفى عجزه عيبا.

[٤٦٢]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

رُبَّ مَفْتُونٍ بِحُسْنِ الْقَوْلِ فِيهِ [2].

---

(١) الحجرات : ١٢ .

(٢) في أ بعد هذه الحكمة ما يلي: زيادة كتبت من نسخة سرّية عراقية.

وفي هـ . د ـ هنا ـ ما يلي : من هنا إلى آخر أبواب الحكم ساقطة من ش، وقال في ف؛ من هنا زيادة. كتبت من نسخة سريّة عراقية.

وفي ب ـ هنا ـ ما يلي : وهذا حين انتهاء الغاية بنا الى قطع المختار من كلام أمير المؤمنين صلوات الله عليه حامدين لله سبحانه علىٰ ما منَّ بِهِ من توفيقنا لضمّ ما انتشر من أطرافه، وتقريب ما بعد من أقطاره، ومقرّرين العزم كما شرطنا أوّلاً علىٰ تفضيل أوراق من البياض في آخر كل باب من الأبواب ليكون لاقتناص الشارد واستلحاق الوارد وما عساه أن يظهر لنا بعد الغموض

(ح ـ ٤٦٢) **الفتنة:**

الفتنة: هي الامتحان، ولها درجات باختلاف الافراد والحالات، وتشير الحكمة إلى الفتنة بالمديح فيصبح مغترا بذلك ضانا انه حقيقة، ويتخيل لنفسه ذلك حتّى يعتقد في نفسه فيصبح داءً عضالا لا يمكن الشفاء منه بأي دواء، أعاذنا الله منها.

[٤٦٣]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

الدُّنْيا خُلِقَتْ لِغَيْرِها، ولَمْ تُخْلَقْ لِنَفْسِها .

(ح ـ ٤٦٣) **خلق الدنيا:**

من خصائص الدنيا انها ليس مخلوقة بالذات؛ اذ لو كانت كذلك لما انعدمت بالمتغيرات، فهي ليست إلّا حالة عابرة، وكلما كان كذلك لابدّ وان يستخدم لهدف اخر في وجوده، وليس هدف الدنيا سوى الانتفاع بها للاخرة.

[٤٦٤]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

إِنَّ لِبَنِي أُمَيَّةَ مِرْوَداً يَجْرُونَ فِيهِ، وَلَوْ قَد ٱخْتَلَفُوا فِيما بَيْنَهُمْ ثُمَّ[١] كَادَتْهُمُ الضِّباعُ لَغَلَبَتْهُمْ.

قالَ الرَّضيّ رحمه الله تعالىٰ[٢]: وَالمِرْوَدُ هاهنا مِفْعَلٌ مِنَ الإِرْوَادِ، وَهُوَ الإمهالُ وَالإِنْظَارُ، وَهذا مِنْ أَفْصَحِ ٱلْكَلام وَأَغْرَبِهِ، فَكَأَنَّهُ عليهِ السَّلامُ شَبَّهَ ٱلْمُهْلَةَ الَّتي هُمْ فِيها بِالمِضْمارِ الَّذِي يَجْرُون فيه إلى الغاية، فإذا بَلَغُوا مُنْقَطَعَها انْتَقَض نِظامُهُمْ بعدَها .

ويقع الينا بعد الشذوذ، وما توفيقنا إلّا بالله عليه توكلنا وهو حسبنا ونعم الوكيل.
وفرغ من نقله من أوّله الى هذا الوضع الحسن بن الحسن بن الحسين المؤدّب في شهر ذي القعدة سنة من وثلاثمائة هجرية، الحمد لله ربّ العالمين وصلوات الله على نبيّه محمّد وآله الطاهرين وسلّم تسليماً.

(١) في ط زيادة : لو .

(٢) لم ترد «قال الرضي رحمه الله تعالىٰ» في أ و ص د.

(ح - ٤٦٤) مهلة بني أُميّة:

ان طبيعة الدول ـ ومنها دولة بني أُميّة ـ الاقبال والادبار، وفي الاقبال تتحد المواقف فتتبلور الدولة وتغلب على غيرها، وبعد فترة من العمر تظهر الحقائق وتدب الخلافات في جسم الدولة الجديدة كما دبت في جسم الدولة التي قبلها، وكما ان السبب في النصر كانت الوحدة لكلمتها، وأن التفرق واختلاف الكلمة كان السبب في زوال غيرها، ففي الادبار يحصل اختلاف الكلمة فلا تتمكن من المقاومة لأيّة هجوم مضاد مهما ضعف؛ لفقدان عوامل النصر حينئذ، وعن حالة الضعف هذه قال:

(كادتهم الضباع لغلبتهم) والكيد: المكر، فيكون السبب في زوال الدولة وحدة الكلمة المعارضة.

[٤٦٥]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ في مدْحِ الأنصارِ :

هُمْ وَٱللّهِ رَبُّوا الإِسْلامَ كَمَا يُرَبَّى ٱلْفُلُوُّ[١] مَعَ غَنَائِهِمْ[٢] بأَيْدِيهِمُ السِّبَاطِ[٣]، وَأَلْسِنَتِهِمُ السِّلَاطِ[٤].

(ح - ٤٦٥) مدح الانصار:

يصف الإمام الانصار في نقاط مؤكداً بقوله:

١ ـ (هم والله ربوا الاسلام) والربو: النمو؛ فإنّ دور الانصار في تنمية الاسلام في مواقفهم المساندة في بيعة العقبة وما بعدها في المدينة حتّى وفاة الرسول القائد ﷺ مشروحة في كتب السيرة.

٢ ـ (كما يربى الفلو) وهو المهر من الخيل عندما يبلغ السنة الاولى من العمر؛ فإنّ للعرب شدة العناية في تربية الخيل، وفي تربية المهر.

---

(١) في هـ. ص: الفلو: ولد الفرس.
(٢) في أ: عنايهم.
(٣) أي: السخيّة.
(٤) أي: الفصيحة الطلقة.

٣ ـ(مع غنائهم)؛ فإنّ نصرة الانصار للنبىﷺ لم يكن لحاجة مادية، بل عن اعتقاد بالمبادي الاسلامية التي بشر بها النبي.

٤ ـ (بأيديهم السباط) السبط: السخاء؛ فانهم نصروا الاسلام بايديهم من دون تحفظ.

٥ ـ (وألسنتهم السلاط) والسليط: الشديد؛ فإنّ نصر الاشعار للاسلام كان شديداً في اشعارهم الحماسية.

وهذه الصفات الخمس للانصار في المدينة المنورة ميّزتهم عن المهاجرين في مكة.

[٤٦٦]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

الْعَيْنُ وِكاءُ السَّهِ[١] .

قالَ الرَّضيُّ رَحمهُ الله تعالىٰ[٢]: وهذِهِ مِنَ الاسْتِعارَاتِ الْعَجِيبَةِ، كأَنَّهُ شَبَّهَ السَّه[٣] بالْوِعاءِ، وٱلْعَيْنَ بالوِكاءِ، فإِذَا أُطْلِقَ ٱلوِكَاءُ يَنْضَبِط ٱلْوِعاءُ. وهَذَا ٱلْقَوْلُ فِي ٱلأشْهَرِ ٱلأظهَرِ مِنْ كَلامِ النَّبيِّ صَلّى ٱللّهُ عَليهِ وآلِهِ، وقَدْ رَوَاهُ قَوْمٌ لأَمِيرِ المُؤمِنِين عَلَيْهِ السَّلامُ؛ وذَكَرَ ذَلِكَ ٱلْمبرِّدُ في الكتابِ المُقْتَضَبِ في باب اللَّفْظِ بِالْحُرُوفِ[٤].

وقَدْ تَكَلَّمْنا على هَذِهِ الاسْتعارَةِ في كِتابِنا المَوْسُومِ «بِمَجازات الآثارِ النبوِيَّةِ» .

(ح ـ ٤٦٦) العين وكاء:

الوكاء: رباط القربة، والسه: مؤخرة الشيء، والمعنى: أن العين يحفظ الاشياء جميعها بما فيها المؤخرة التي لاترى، كما يحفظ الرباط الماء الذي في القربة جميعها بينما فيها من الماء الذي لا يرى؛ فإنّ دور العين في الحراسة دور الرباط الذي لا يمكن أن يستغنى عنه.

وقد لخّص كحالة حفظه الله ترجمة المبرد بقوله:«محمّد المبرد (٢١٠ ـ ٢٨٥ هـ ٨٢٥ ـ ٨٩٨م) [٥] محمّد بن يزيد بن عبد الأكبر بن عمير ابن حسان الأزدي، المعروف بالمبرد،

---

(١) في ط : السبة، وفي هـ. أ: أي الاست.
(٢) لم ترد «قال الرضي رحمه الله تعالىٰ» في أ و ص.
(٣) في أ : السبة، وفي د: السته.
(٤) في ط: المعروف، وفي ط زيادة : قال الرضي.
(٥) تاريخ بغداد ، فهرست ابن النديم ، معجم البلدان ، المنتظم لابن الجوزي ، ريحانة الالبا .

أبو العباس ، أديب ، نحوي ، لغوي ، اخباري ، نسابة . ولد بالبصرة ، واخذ عن أبي عثمان المازني وأبي حاتم السجستاني وتصدر للاشتغال ببغداد ، واخذ عنه نفطويه وغيره ، وتوفي ببغداد في ذي الحجة . من تصانيفه الكثيرة : المقتضب في النحو ، الاشتقاق ، احتجاج القراء واعراب القرآن ، المقصور والممدود ، ونسب عدنان وقحطان».[1]

[٤٦٧]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ في كلامٍ لَهُ :

وَوَلِيَهُمْ والٍ، فَأَقامَ وٱسْتَقامَ[2] ، حَتَّى ضَرَبَ الدِّينُ بِجِرَانِهِ .

(ح - ٤٦٧) والى المسلمين:

تتضمن الحكمة اوصافا ثلاث لوالي المسلمين بقوله:

أوّلاً: (ووليهم وال) حيث تسلم مسؤولية الولاية في الاسلام لادارة شؤون المسلمين .

ثانياً: (فأقام) ما امر الله به من احكام الشريعة الاسلامية في العقيدة والشريعة .

ثانياً: (واستقام) بالتزامه بالمسؤوليات في القيادة الاسلاميّة من دون انحراف.

رابعاً: (حتى ضرب الدين بجرانه) الجران: عنق البعير اذا مدة على الارض للاستراحة، وهو كناية عن استقرار الامور كما هو المطلوب اسلاميا من صلاحية الوالي وتنفيذه حكم الاسلام واستقامته على المسؤولية حتّى يتحقق الحكم الاسلامي في المبادي والوسائل والأهداف.

[٤٦٨]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

يأْتِي عَلى النَّاسِ زَمانٌ عَضُوضٌ، يَعَضُّ المُوسِرُ فِيهِ عَلى مَا فِي يَدَيْهِ، ولَمْ يُؤْمَروا

وفي وفيات الأعيان : ولد ٢١٠ هـ وقيل : ٢٠٧ ، وتوفي ٢٨٦ هـ ، وقيل : ٢٨٥ هـ . وفي النجوم الزاهرة : ولد ٢٠٦ هـ ، وقيل : ٢١٠ هـ وتوفي ٢٨٥ هـ . وفي المختصر للزبيدي : ولد في آخر سنة ٢٢٠ هـ ، وتوفي آخر سنة ٢٨٠ هـ .

(١) معجم المؤلفين ؛ لعمر كحالة ١٢ : ١١٤.

(٢) في د : ووال وليهم، وكذلك يروى قام فاستقام ـ ع.

بِذَلِكَ؛ قال اللّهُ سُبْحَانهُ : ﴿ولا تَنْسَوا الْفَضْلَ بَيْنَكُم﴾ ؛ يَنْهدُ[١] فِيهِ الأشْرَارُ، وَيُسْتَذَلُّ[٢] الأخْيارُ، ويُبايِعُ[٣] المُضْطَرُّونَ، وقَدْ نَهى رسولُ اللّهِ صلى اللّهُ عَلَيْهِ وآله عَنْ بَيْعِ المُضْطَرِّينَ .

(ح ـ ٤٦٨) شدة الزمن:

تشير الحكمة إلى ملاحم في مستقبل الأمّة بقوله:

١ ـ (يأتي على الناس زمان عضوض) والعضوض: الشديد من الناحية الاقتصاديّة والماديّة .

٢ ـ (يعض الموسر فيه على ما في يديه ولم يؤمر بذلك)؛ فإنّ الشدة تدعوا الاغنياء الموسرين إلى الاحتكار والامساك باموالهم من الانفاق، مع أن الله لم يأمرهم بذلك، بل نهاهم بقوله تعالى:﴿ولا تنسوا الفضل بينكم﴾ [٤].

٣ ـ(تنهد فيه الأشرار) والنهد: الارتفاع، فتكون للاشرار المكانة السامية في المجتمع لمكسبهم المادي.

٤ ـ (وتستذل الأخيار) ويصبح الاخيار اذلة لفقرهم المادي.

٥ ـ (ويبايع المضطرون) ونتيجة الشدة الاقتصادية أن يبيع الناس اموالهم مضطرين لسد حاجاتهم المادية.

(وقد نهى رسول الله ﷺ عن بيع المضطرين) ويصبح هذا البيع المنهي عنه مشروعا عند الناس.

فان هذه النقاط الخمس من الشدّة الاقتصادية تبدأ بالاحتكار من جانب التجار وعدم مواساتهم طبقات المجتمع الفقيرة، وتنتهي بالانحراف العملي عن السنة النبوية بالرغم من النهي النبوي بالمنع عن بيع المضطرين.

---

(١) في د : تنهد.
(٢) في ص زيادة : فيه وفي د: تستذل فيه.
(٣) في ص زيادة : منه.
(٤) البقرة: ٢٣٧.

[٤٦٩]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

يَهْلِكُ فِيَّ رَجُلانِ : مُحِبٌّ مطر[١]، وباهِتٌ مُفْتَرٍ .

قالَ الرَّضيّ رَحِمَهُ اللهُ تعالىٰ[٢]: وهذَا مِثلُ قوْلِه عليهِ السلامُ : هَلَكَ فِيَّ اثْنانِ : مُحِبٌّ غالٍ، ومُبْغِضٌ قالٍ .

هذه الحكمة وما استدرك عليها الرضي اشارة الى الحكمة رقم ١١٦، وتتضمن من أسباب الهلاك ما يلي:

١ – الحب المفرط، والافراط: تجاوز الحد من جانب الزيادة، والتفريط: التجاوز من جانب النقيصة، والحب المعتدل هو المتوازن على ما امر الله به من ولايد الاولياء.

٢ – البهت، وهو الكذب.

٣ – الافتراء، وهو القول المختلق.

٤ – الغلو، وهو المبالغة في المديح.

٥ – القلا، وهو البغض.

فان هذه النقاط تجاوز عن الحد الاسلامي في الحب والبغض القائم على المبادئ الاسلامية، فقد قال تعالى: ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض﴾[٣] وقال:﴿وان الظالمين بعضهم أولياء بعض﴾[٤] وليس من مقياس للحب والبغض الا على أساس المبادئ الاسلامىء.

[٤٧٠]

وسُئلَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ عن التوْحيدِ والعَدْل، فقالَ :

التَّوْحِيدُ أَن لاتَتَوَهَّمَهُ[٥]، والْعَدْلُ أَنْ لاتَتَّهِمَهُ[٦] .

---

(١) في ط و د: مفرط، وفي هـ. د: مطر ـ ف ن ل.
(٢) لم ترد «قال الرضي رحمه الله تعالىٰ» في أ و ص د.
(٣) التوبة : ٧١.
(٤) الجاثية : ١٩.
(٥) في هـ. أ: يعني ان الوهم إذا توهمه فانما تتوهمه على القياس بالمحسوسات وهو محال.

(ح ـ ٤٧٠) التوحيد والعدل:

ان التوحيد يعني: وحدة المعبود في كلّ الصفات الجمال والكمال؛ لأنّه تعالى هو الكمال المطلق، فكل ما يتوهمه الإنسان يكون متصوراً لحاسة الوهم، التي هي من الحواس الباطنيّة في الانسان، فيكون صورة جديدة مخلوقة للوهم، وهو عين الشرك فيقتضي التوحيد الخالص عدم التوهم.

والعدل: هو الاستقامة على الطريق من دون انحراف، والاعتقاد بأن الله سبحانه هو الكمال المطلق ينافي الاتهام بما ينافي العدالة، فإنّه لا يصدر من الكامل على الاطلاق إلّا الخير المحض جزاء لكل انسان بما يستحقه في الدنيا والآخرة، قال تعالى:﴿وما ظلمناهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون﴾.[٧]

[٤٧١]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

لا خَيْرَ[٨] فِي ٱلصَّمْتِ عَنِ ٱلْحُكْمِ[٩]، كَما أَنَّهُ لا خَيْرَ فِي ٱلْقَوْلِ بِالْجَهْلِ.

(ح ـ ٤٧١) الصمت والقول:

تقدمت هذه الحكمة لفظا في الحكمة رقم ١٨٢ فراجع؛ فإنّ لكل حالة مسؤولية خاصة بها، فاذا كانت الحاجة الى الحكم ماسة لا يكون الصمت حينئذ خيراً، بل قد يكون شراً، كما أن القول اذا كان من دون معرفة لجهات الحكم يكون شراً؛ لأنّه لا خير فيه، قال تعالى:﴿ولا تقف ما ليس لك به علم﴾.[١٠]

---

(٦) في هـ . أ: أي لا يتخيل له غرضاً في أحكامه.
(٧) هود : ١٠١ .
(٨) في ص: انّه لا خير.
(٩) في هـ . ص: الحكم هو الحكمة والصواب، أما كاتم الحكمة الشرعية فقد قال الله تعالى في حقّه: ﴿إن الذين يكتمون ما أنزلنا...﴾ الآيات.
(١٠) الاسراء : ٣٦.

[٤٧٢]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ: في دُعاءٍ ٱسْتَسْقَى بِهِ :

اللَّهُمْ ٱسْقِنا ذُلُلَ ٱلسَّحَائِبِ[١] دُونَ صِعابِها .

قالَ الرَّضيّ رَحمهُ اللهُ تعالىٰ[٢]: وهذَا مِنَ الْكَلَامِ الْعَجِيبِ الفصاحةِ، وذَلكَ أَنَّهُ عليهِ السَّلامُ شَبّهَ السُّحبَ[٣] ذَوَاتِ الرُّعُودِ وَٱلْبَوَارِقِ[٤]، والرِّياحِ وَالصَّوَاعِقِ، بالْإِبِلِ الصِّعابِ الَّتِي تَقْمِصُ[٥] بِرِحَالِهَا، وَتَتَوَقَّصُ[٦] بِرُكْبانِها[٧]، وشَبَّهَ السَّحَائبَ الخالِيَةَ مِنْ تِلْكَ الزَّوَائِعِ[٨] بالإِبِلِ الذُّلُلِ الَّتِي تُحْتَلَبُ طَيِّعَةً، وتُقْتَعَدُ مُسْمِحَةً.

(ح - ٤٧٢) من دعاء الاستسقاء:

(الذلول: السهل من الابل؛ والصعب: المتمرد منها).

وقد شبه الإمام السحاب بالوصف المعروف في عصره عن الابل، واستعار من اوصافها للسحاب فقال في حالة الجدب داعيا:

(اللهم اسقنا ذلل السحاب) وهو السهل من ماء الغيث النازل من السحاب.

(دون صعابها) التي لا تمطر فتكون كالابل الصعبة.

ومعاني المفردات في كلام الرضي هي التقمص: التوثب، والرحال: ما على ظهر الفرس والجمل، والوقص: الكسر، والروائع: ما يوجب الفزع، والذلل: السهل، والطيعة: كثيرة الطاعة، والقعدة: سهلة القعود، والمسمحة: السماحة.

[٤٧٣]

وَقِيلَ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ: لَوْ غَيَّرْتَ شَيْبَكَ يا أميرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ! فَقالَ:

---

(١) في ص: السحاب.
(٢) لم ترد «قال الرضي رحمه الله تعالى» في أ و د.
(٣) في أ و ص: السحاب، وفي د: السحائب.
(٤) في ص: البروق، وفي هـ. ص: في نسخة: البوارق.
(٥) في هـ. أ: أي تتوثب.
(٦) في هـ. أ: تعتري كأنها تزيد وقصهم.
(٧) في أ: بركابها.
(٨) في أ و ص: الروائع.

ٱلْخِضابُ زِينَةٌ وَنَحْنُ قَوْمٌ فِي مُصِيبَةٍ.

يُرِيدُ[١] بِرَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱلله عَلَيْهِ وَآلِهِ.

(ح ـ ٤٧٣) الخضاب:

الخضاب: تلوين الشعر بالحنّاء، وقد امتنع الإمام عن الخضاب في المصيبة بعد وفاة الرسولﷺ، ومن ذلك يظهر تاريخ هذه الحكمة وانها كانت في عصر قريب من وفاة الرسولﷺ، ومن الطبيعي أن يمتنع الإنسان من الزينة عند فقد عزيز، ومن اعز من النبيﷺ لدى أمير المؤمنين؟!.

[٤٧٤]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

ما المجاهد الشهيد في سبيل الله بأعظم أجراً ممّن قدر فعفّ لكاد العفيف أن يكون ملكاً من الملائكة.

(ح ـ ٤٧٤) العفيف:

العفة: الامتناع عما لا يحل وما لا يحسن قولا وفعلاً، وبهذا يكون كلّ شهيد عفيفا؛ لأنّه كان قادراً على الفرار من ساحة المعركة ولكنّه امتنع واختار الجهاد والشهادة في سبيل الله على ذلك، فهو ممن قدر على ما لا يحل ولا يحسن قولا وفعلا فامتنع منها، فهما في الاجر واحد؛ اذ لو كان العفيف في موقع الشهيد لكان شهيدا.

وهذه الدرجة العليا من الوعي والالتزام يجعله قريبا من درجات الملائكة.

[٤٧٥]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

الْقَنَاعَةُ مالٌ لا يَنْفَدُ .

قال[٢]: وقدْ رَوَى بَعْضُهُم هَذَا الكلَام عَنْ رَسُولِ اللّه[٣] صلّى اللّهُ عليهِ وآلِهِ .

---

(١) لم ترد «يريد» في ط.

(٢) لم ترد «قال» في أ و ص د.

(ح - ٤٧٥) **القناعة:**

تقدمت هذه الحكمة برقم ٥٦، فراجع؛ فإنّ القناعة تجعل الإنسان يسغني عما يتصور الافتقار إليه، وبالاستغناء يحصل المحافظة على المال المبذول بازائه، فيكون ذلك كنزاً، ومن اتخذ القناعة في حياته شعاراً يكون صاحب كنز ابدي في الحياة لا تنهي ابداً.

[٤٧٦]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ لزيادِ بْنِ أَبيهِ ـ وقَد استخلفهُ لعبدِ اللّهِ بنِ العبّاسِ على فارِسَ وأعْمالِها، في كلامٍ طوِيلٍ كانَ بَيْنَهُما، نَهَاهُ فيهِ عنْ تَقْدِيم[٤] الخَرَاجِ ـ:

ٱسْتَعْمِلِ الْعَدْلَ، وٱحْذَرِ الْعَسْفَ والْحَيْفَ؛ فإنَّ الْعَسْفَ يَعُودُ بالْجَلَاءِ، والحيفَ يَدْعُو إلى السَّيْفِ.

(ح - ٤٧٦) **من واجبات الوالي:**

(تقدم أن الخراج: الزيادة في الضرائب، والعسف: الشدة، والحيف: الظلم، والجلاء: الهجرة).

وتتضمن الحكمة من واجبات الوالي ما يلي:

١ ـ (استعمل العدل)؛ فإنّ بالعدل قوام اي حكم كما يشهد به التاريخ.

٢ ـ (واحذر العسف) فان الشدة تولد رد فعل من الشعب لا حاجة إليه.

٣ ـ (والحيف)؛ فإنّ الظلم يولد النقمة، وبتفاقمها تتولد الثورة.

وختمها بالنتائج الحاصلة لاهمال هذه الواجبات فقال:

٤ ـ (فإن العسف يعود بالجلاء) وهو الهجرة من دار الحكم إلى بلد اخر يكتسب الإنسان فيه حريته.

٥ ـ (والحيف يدعو إلى السيف) بالثورة على الحكم لازالته واقامة حكم عادل مكانه.

فان التاريخ يشهد بصحة هذه النقاط في حياة الامم على مر العصور، وقد تقدم ترجمة زياد بن ابيه في الكتاب رقم ٤٤ فراجع.

---

(٣) في أ و ص د: عن النبي.

(٤) في أ: تقدّم.

[٤٧٧]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

أَشَدُّ الذُّنُوبِ مَا ٱسْتَخَفَّ بِهِ صاحِبُهُ[١] .

(ح ـ ٤٧٧) أشدّ الذنوب:

الذنب: المعصية التي لا تفارق الإنسان فيكون كالذنب للحيوان، والمعاصي تختلف درجاتها فمنها الصغيرة ومنها الكبيرة، كما هي مشروحة في الفقه، ولكن أشدّ الذنوب: ما استخف به صاحبه، والاستخفاف يكشف عن عدم اعتقاد بكون الذنب ذنبا.

وقد تقدم في الحكمة ٣٤٧ قولهعليه السلام: (أشد الذنوب ما استخف به صاحبه)؛ فإنّ الاستهانة كذلك يكشف عن عدم اهتمام بها، وذلك يجعل الذنب ذنبين فيكون أشدّ من ذنب واحد.

[٤٧٨]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

مَا أَخَذَ اللّهُ عَلَى أَهْلِ الجَهْلِ أَنْ يَتَعَلَّمُوا حَتَّى أَخَذَ عَلَى أَهْلِ الْعِلْم أَنْ يُعَلِّمُوا .

(ح ـ ٤٧٨) ضرورة العلم:

تشير الحكمة إلى أن العلم ضرورة حياتية في أي مجتمع؛ فإنّ طلب العلم فريضة، والمجتمع الذي لا يتعلم لابدّ وان تنتهي إلى الانحراف، وهذه المسؤولية لا يمكن تحقيقها إلّا بالتعاون من جميع طبقات المجتمع، فقال:

أوّلاً: ـ (ما أخذ الله على أهل الجهل أن يتعلموا) .

ثانياً: ـ (حتى أخذ على أهل العلم أن يعلموا) .

فان الله سبحانه وبخ الجاهلين بقوله: ﴿هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾.[٢] وحثّ على العلم ورفع مقام العلماء وقرنهم بصفات المؤمنين بقوله:﴿يرفع الله الذين امنوا والذين اوتوا العلم درجات﴾.[٣]

---

(١) في ط: بها صاحبها.
(٢) الزمر : ٩٨.
(٣) المجادلة : ١١.

فتقع المسؤولية في تثقيف الأمّة على الجانبين من العلماء والمؤمنين، جعلنا الله من المنتفعين بهذا الارشاد الثمين الذي يتوقف عليه حياة المسلمين في كلّ حين، امين رب العالمين.

[٤٧٩]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

شَرُّ الإِخْوَانِ مَنْ تُكُلِّفَ لَهُ (١).

(ح - ٤٧٩) **شر الاخوان:**

التكلف: التحمل لما يصعب على مشقّة لشئ ليس من العادة تحمله؛ فإنّ واجب الاخاء التخفيف عما يصعب على الاخ، فيرفع عنه المشقّة التي لا يتحملها، والمشقّة يكون سبب الشر، والاخاء يقتضي دفع الشر لاجله.

ولا فرق في ذلك بين التكليف المادي أو التكليف الاجتماعي الذي يسبب حرجاً في المواقف التي لا يتمكن منها، عصمنا الله من ذلك كله.

[٤٨٠]

وَقالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ في كلامٍ له:

إِذَا ٱحْتَشَمَ الْمُؤْمِنُ أخاهُ فَقَدْ فَارَقَهُ (٢).

(ح - ٤٨٠) **الاحتشام والغضب:**

الحشمة: الغضب ؛ فإنّ الاخاء يقتضي المواساة فيما يرفع الغضب بما يقتضيه الأدب، والذي يسبب الغضب لاخيه المؤمن لا من سبب يكون تجاوزا لحدود الاخاء في الاسلام، فيكون الحد الفاصل بينهما.

---

(١) في د زيادة: لِأَنَّ ٱلتَّكْلِيفَ مُسْتَلْزِمٌ لِلْمَشَقَّةِ، وَهُوَ شَرٌّ لازِمٌ عَنِ ٱلْأَخِ ٱلْمُتَكَلَّفِ لَـهُ، فَـهُوَ شَـرُّ ٱلْإِخْوانِ.

(٢) في د زيادة: يُقالُ: حَشَمَهُ وَأَحْشَمَهُ إذا أَغْضَبَهُ، وَقِيلَ: أَخْجَلَهُ، وَٱحْتَشَمَهُ طَلَبَ ذلِكَ لَهُ، وَهُوَ مَظَنَّةُ مُفارَقَتِهِ.

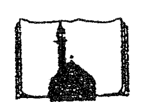
قال ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في شرح نهج البلاغة، ما نصّه:«ليس يعنى أن الاحتشام علة الفرقة ، بل هو دلالة وإمارة على الفرقة لأنه لو لم يحدث عنه ما يقتضى الاحتشام لانبسط على عادته الأولى ، فالانقباض إمارة المباينة . هذا آخر ما دونه الرضي أبو الحسن رحمه الله من كلام أمير المؤمنين عليه السلام في "نهج البلاغة" قد أتينا على شرحه بمعونة الله تعالى . ونحن الان ذاكرون ما لم يذكره الرضي مما نسبه قوم إليه ، فبعضه مشهور عنه ، وبعضه ليس بذلك المشهور ، لكنه قد روى عنه ، وعزى إليه ، وبعضه من كلام غيره من الحكماء ، ولكنه كالنظير لكلامه ، والمضارع لحكمته ، ولما كان ذلك متضمنا فنونا من الحكمة نافعة ، رأينا ألا نخلي هذا الكتاب عنه ، لأنه كالتكملة والتتمة لكتاب) نهج البلاغة ».[١]

قال الجلالي: ثمّ ذكر ابن الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) الحكم المنسوبة البالغة ٩٩٨ حكمة، وحيث قد بلغ المقام إلى حكمة الاحتشام احببت أن اجعل مسك الختام حديث جدي خير الانام عليه وعلى آله افضل الصلاة والسلام بروايتي عن مشايخي الأعلام عليهم رضوان الملك العلّام، بالاسانيد المتصلة عن مشايخهم العظام، عن الشيخ الصدوق عن أبي جعفر عليه السلام قال : قام إلى أمير المؤمنين عليه السلام رجل بالبصرة فقال : يا أمير المؤمنين أخبرنا عن الاخوان ؟ قال : الاخوان صنفان؛ إخوان الثقة وإخوان المكاشرة[٢]، فأمّا إخوان الثقة فهم الكف والجناح والاهل والمال، فإذا كنت من أخيك على حد الثقة فابذل له مالك وبدنك ، وصاف من صافاه ، و عاد من عاداه ، واكتم سره وعيبه ، وأظهر منه الحسن . واعلم أيها السائل إنّهم أقلّ من الكبريت الأحمر . وأمّا إخوان المكاشرة فإنك تصيب منهم لذتك فلا تقطعنّ ذلك منهم . ولا تطلبنّ ما وراء ذلك من ضميرهم ، وابذل لهم ما بذلوا لك من طلاقة الوجه وحلاوة اللسان».[٣]

---

(١) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ٢٠ : ٢٥١، ط /١٣٨٣، القاهرة .
(٢) كاشره إذا تبسم في وجهه وانبسط معه . والكاشر : المتبسم من غير صوت وإن كان معه صوت فهو ضحك .
(٣) الخصال ؛ للشيخ الصدوق : ١٤، ط / بغداد، تحقيق د. حسين علي محفوظ، ١٩٧٦م .

فهرس المحتوى



The Open School
P.O. BOX 53573
CHICAGO, IL 60653-0398

Sharna 5